سيرة
النبيين والمرسلين

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

لفضيلة الشيخ العالم العلامة
العارف بالله تعالى المربي الكامل
محمد عيد عبد الله يعقوب الحسيني

دار الفارابي
للمعارف

سيرة
النبيين والمرسلين
صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

سيرة النبيين والمرسلين

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

الجزء الأول

لفضيلة الشيخ العالم العلامة
العارف بالله تعالى المربي الكامل
محمد عيد عبد الله يعقوب الحسيني

دار الفارابي
للمعارف

العنوان : سيرة النبيين و المرسلين
صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

التأليف : الشيخ محمد عيد يعقوب الحسيني

عدد الصفحات : ٤٦٢

القياس : ١٧ × ٢٤

الطبعة الأولى
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل الطرق
الطبع و التصوير و النقل و الترجمة و التسجيل
المرئي و المسموع و الحاسوب و غيرها من
الحقوق إلا بإذن خطي من الناشر.

دار الفارابي للمعارف
طباعة - نشر - توزيع

أسسست عام ١٩٦٧ م
سورية . دمشق . حلبوني . شارع مسلم البارودي .
ص.ب: ٢٣٨٢ هاتف: ٢٢٢٦٧٨٦ فاكس: ٢٤٥٤٩٧٨
www.daralfarabi.com

الوكيل المعتمد في
الإمارات العربية المتحدة
مكتبة دار الفارابي
الشارقة - دوار الساعة
هاتف ٥٦٣١١٣٠ - ٦ - ٠٠٩٧١
darfarab@emirates.net.ae

الوكيل المعتمد
في المملكة العربية السعودية
مركز الراية للتنمية الفكرية
جدة - شارع الستين
هاتف: ٦٦٨٦٨٢٠
فاكس: ٦٦٨٦٨١٠
ص.ب : ٤١٥٤٧
الرمز البريدي : ٢١٥٢٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۚ ﴾ [غافر: ٧٨]

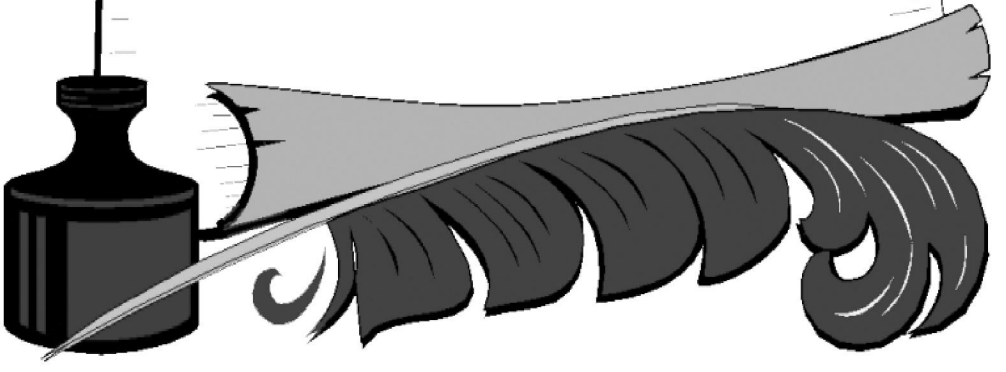

الإهْدَاء

بسم الله الرحمن الرحيم ..

الحمد لله رب العالمين ..

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وإخوانه الأنبياء والمرسلين وصحابته وأهل بيته والتابعين والأولياء والصالحين والعلماء العاملين إلى يوم الدين ..

وبعد ..

إلى خُلاصة الخَلْق سادتي الأنبياء والمرسلين أُهْدي هذه الرسالة الخالصة ، علّها تكون سبباً لشفاعتهم لي يوم الدين ، وعلى رأسهم سيدي ومولاي محمد بن عبدالله قائد الغر المُحَجَّلين ، الذي قال الله تبارك وتعالى بحقه : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ..

آملاً أن تكون هذه الرسالة باب خير وهُدىً في الطريق الذي سلكه السادة الأنبياء والمرسلون في الأمر بالمعروف والدِّلالة على الله ﷻ ووحدانيته وقدرته على خَلْقه أجمعين ..

كما أسأل الله تعالى أن تكون لفتة لأهل زماننا عمّا هم عليه من الانكباب على الدنيا ، والاتعاظ بمَنْ سلفنا ، والرجوع لرب الخَلْق أجمعين ..

خادم العلم الشريف

محمد عيد يعقوب الحسيني



السِّيرة الذَّاتيَّة للمُؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم ..

الحمد لله الذي خَلَقَ الخَلْق أجمعين ..

والصلاة والسلام على نبينا وحبيبنا سيدنا محمد سيد كل المخلوقين أجمعين ، وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين ، وأهل بيته الطاهرين ، والصحابة والتابعين ، والأولياء والصالحين ، ومَنْ تَبِعَهم بإحسان إلى يوم الدين ..

وبعد ..

إنَّ الله تعالى جعل الإسلام خاتم الأديان ، وجعل أتباعه المسلمين الصادقين منصورين إلى يوم القيامة أينما حَلُّوا وأينما وُجِدوا ، وكَلَّلَ أعمالهم بالعناية والتوفيق ، وجعلهم نوراً للقلوب والمجتمعات ، يَهدي بهم مَن يريد الهداية ، ومَن يريد شاطئ السلام .

قال الله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣] .

فسيدي الشيخ محمد عيد عبدالله يعقوب الحسيني ، سليل أهل البيت الطاهرين ، الشافعي المذهب ، هو عَلَم مِن أعلام الإسلام ، وسيد من علماء الشريعة والحقيقة ، أَخْلَصَ لله تعالى ، ورضع من آداب القرآن والسنة النبوية ، فكان عبداً حقيقياً لله تعالى ، وقرآناً ناطقاً تتلألأ فيه المعرفة الإلهية التي لا يَغيب إشراقها ، ولا يُحْصَر بهاؤها عن مُبْصِر .

فهو حسيني النسل مِن جهة الأب ، حسني النسل مِن جهة الأم .

وُلِدَ في مدينة صفد شمال فلسطين ، صبيحة يوم الأربعاء والناس يُكَبِّرون لصلاة عيد الأضحى ، في العاشر من ذي الحجة سنة ١٣٥٤هـ ، الموافق الرابع

من آذار سنة ١٩٣٦م . فَسُمِّيَ لذلك عيداً ، وأضاف محمداً تَبَرُّكاً بالاسم الكريم .

وقد نشأ النشأة الإسلامية بين أبوين صالحين وجَدّة تقيّة ، يُحِبُّونه حُبّاً جَمّاً ، ويعتنون به اعتناء كبيراً ؛ لِما يَرَوْن على وجهه من النور والخير مِن حين ولادته .

كما كان مُقَدَّماً عند جميع أصدقائه وقُرَنائه ؛ لِرجاحة عقله ، وشجاعة رأيه ، وقوة ذراعه وشهامته ، فيُرجع إليه في أمور كثيرة .

وعندما بدأت الحوادث بين العرب واليهود سنة ١٩٤٨م ، انتقل سيدي الشيخ مع أسرته إلى دمشق ، وهناك بدأت رحلته العلمية وهو في حداثة سنه ، فتَتَلْمَذَ وتَفَقَّهَ على أيدي كبار مشايخ وعلماء دمشق : كالشيخ صالح العقاد الشافعي الصغير ، والشيخ عبد الحكيم المنير ، والشيخ محمد فايز الديرعطاني ، والشيخ أحمد قويدر ، والشيخ حمدي السفرجلاني ، والشيخ إبراهيم الغلاييني ... وغيرهم .

فنَهَلَ العلم مِن أهله ، وطبّقه على نفسه ، حتى كان بعدها فريداً في سلوكه ، وحيداً في جهاده .

كانت مدرسته تُعْرَفُ بالمدرسة الأخنائية ، في حي الكلاّسة شمال الجامع الأموي .

وكان يقرأ في اليوم ستة عشر درساً : في الفقه ، والقرآن ، والحديث ، والتفسير ، والأحكام ، والفرائض ، والأصول ، وجميع آلات العلوم الشرعية .

وقد أجازه الشيخ إبراهيم الغلاييني بالطريقة النقشبندية .

كان سيدي الشيخ في بداية طلبه للعلم يضع دائماً نصب عينيه هذه العبارة : " مَن لم تكن له بداية محرقة لم تكن له نهاية مشرقة " ، وأيضاً : " الوقت سيف قاطع إن لم تقطعه قطعك " .

وعلى هذا سَلَكَ ، فانقطع عن أهله ، وترك الدنيا وراء ظهره ، وتجرّد كاملاً لله ﷻ ، وانطلق في مجاهدة نفسه وإذلالها وترويضها ، وساح في الجبال والوديان والبراري ، قاطعاً المسافات الطويلة على قدميه ، مُتَحَمِّلاً الصعاب الكثيرة ، مُهْتَماً بتزكية نفسه مِن خلال تطبيق العلم الذي طلبه ، حتى أجازه مشايخه بتدريس العلوم الشرعية ، وتربية المريدين .

فتولّى الإمامة والخطابة في المساجد ، وانطلق مُبَلِّغاً للدعوة ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر والظلم .

فعمل طوال حياته ولا يزال بعزيمة المجاهدين ، وهِمّة أصحاب اليقين ؛ لِدعوة الخَلْق إلى الخالق . فهدى الله به كثيراً من أهل المعاصي والفجور ، وأجرى على يديه من الإصلاح ما لم يستطع فِعْلَه الكثيرُ من أبناء عصره .

فقد عاصر مجتمعاً بعيداً عن الإسلام العملي ، يتجاذبه خليط فاسد من الأفكار والمعتقدات والتيارات الغربية . فجاهد في الله تعالى حقّ جهاده ، وقام يبني ويُصْلِحُ ويُقَوِّم ، حتى استطاع بعون الله تعالى إنشاء جيل مؤمن ، كان ولا يزال له دوره الديني والاجتماعي .

وفي أثناء ذلك تعرّض للكثير من الإغراءات والابتلاءات بأنواعها ، فصبر وتَوَلَّتْهُ يد العناية الإلهية .

ثم كان تشريفه إلى دبي سنة ١٩٧٣م ، وهناك بدأت كذلك رحلته العلمية والجهادية بآنٍ واحد ، بتعليم وتربية النشأ ؛ ليكونوا على درب الصحابة ، مُجَنِّداً جميع وقته وماله ونفسه لذلك ، فكانت تلك النهضة الروحية الإسلامية العلمية في دبي .

وأمام ذلك كثر حساده ، وعمل أعداء الإسلام على محاربة هذه النهضة بمحاربة الشيخ ، فتعرّض لكثير من النعوت والسب والفتن والدعايات الكاذبة ، فصبر كثيراً وهو يقول :

لأَسْتَسْهِلَنَّ الصَّعْبَ أو أُدْرِكَ المُنى فما انْقادت الآمالُ إلاّ لِصابرِ

ولم يَزِدْهُ ذلك إلاّ رِفْعة وثباتاً على الحق ، وبقي المربي الواعظ الذي يُخَلِّصُ الناس من الأوساخ والأدناس ، ويدلّهم على الطُّهْر الجسمي والروحي .

وسيدي الشيخ هو صاحب وجه منير ، فيه استدارة مع إمالة ، أبيض اللون مُشَرَّبٌ بالحُمْرة ، أقنى الأنف ، طويل اللحية ، معتدل القامة ، عريض المنكبين ، صاحب خطوة واسعة ، وابتسامة وضّاءة ، ورائحة عَطِرة مميّزة ، عليه من الهيبة والنور ما يعرفه مَن حضر بين يديه ، قد أَدْهَشَ الناسَ بشخصيته ، وحَيَّرَ مَن حوله بسلوكه .

لا تراه إلاّ مُتَهَلِّلاً باسماً ، لا يَتَأَوَّه من ابتلاء ، ولا يشكو أمراً .

حركاته وسَكَناته كرامات ، فلا يتحرّك إلاّ بحكمة، ولا يسكن إلاّ عن حكمة.

إذا تكلّم أثّر كلامه في قلوب سامعيه ، وإذا جلستَ بين يديه عِشْتَ زمن السلف الصالح بتواضعه ، وليونته ، وروحه الطيبة ، وبسمته الناعمة ، وكرمه الذي لا حدود له، فإطعام الطعام عنده سجيّة ، موائده لا تُرْفَعُ ، وناره لا تُطْفَأُ ، لا سيّما في شهر رمضان وشهر المولد .

لا يَرُدُّ سائل عِلْم وزاد ، ولا صاحب حاجة .

يُحب إغاثة الملهوف ، وإعانة المظلوم ، ويَرىٰ سعادته إذا رسم البسمة علىٰ الشفاه الحزينة .

يصبر علىٰ إيذاء الآخرين ، ويردّ السيئة بالحسنة ، ولم يُرَ غاضباً إلاّ لله تعالىٰ .

فكان حفظه الله ولا زال جامعاً لصفات الرحمة والإنسانية ، وللأخلاق المحمدية التي يَشْهَدُ بها العدو قبل الصديق ، سراجاً منيراً من جميع الوجوه ، مُتَوَكِّلاً علىٰ الله تعالىٰ حقّ توكله .

وقد وصل إلىٰ قمة الزهد منذ بداية طلبه للعلم ، وله فيه مذهب خاص ، فالزهد عنده هو أن تكون الدنيا بيده لا بقلبه ، أن ينظر إليها بعين الاحتقار ، ويكون قلبه مع الحضرة الإلهية ، فيلبس الثياب الفاخرة ، ويَظهر بالمظهر الحسن ؛ لِيُظْهِرَ عِزّة الإسلام .

وللشيخ عدة مؤلفات معروفة ، بها من النصائح والفوائد والدُّرَر الكثير ، منها : (الخلفاء الأربعة المشهود لهم بالجنة) ، و(السلسلة الذهبية في مناقب السادة النقشبندية) ، و(الشرح الفريد في بردة النبي الحبيب) ، و(المختصر الأسمىٰ في شرح الأسماء الحسنىٰ) ، و(غاية الإتقان في علم تجويد القرآن) ، و(شرح متن التوحيد عند أهل السنة والجماعة) .

ومن أقواله المأثورة :

۞ يقول حفظه الله تعالىٰ : " الإسلام نورٌ لِمَن اتّبعه ، وتشريع لِمَنْ تمسّك به ، وعقيدة مِنْ قول وعمل لِمَنْ أراد أن يَحْيَىٰ حياة طيبة " .

۞ وقال: " علىٰ الإنسان المسلم أن يجعل خطاياه دائماً بين عينيه إلىٰ أن يموت ،

وأما حسناته فعليه أن يَلْهى عنها ، فإنه قد أحصاها مَن لا ينساها " .

❁ وقال : " الكلام لا يُحَرِّرُ العباد والبلاد ، إنما الذي يُحَرِّر قوةٌ إسلامية واحدة ، إذا سارتْ أنارت طريق الحق ، وأَذْهَبَتْ كلَّ مَن أمامها مِن شركٍ وإلحاد وضلال وطغيان ، وأعادت الحقَّ إلى نصابه ، وأعادت الأرض إلى أهلها وأصحابها " .

❁ وقال : " جعل الله تعالى للإسلام قواعد عظيمة ، وجعل لهذا الدين أركاناً عظيمة ، ثم جعل المحبة الإسلامية مِن أقوى عناصر بقاء هذه الأمة " .

❁ وقال : " إنَّ تقوى الله هي سفينة النجاة في بحر عميق خِضَمّ ، وهي النور الذي يُضيء طريق الخير والسعادة للوصول إلى الله تعالى " .

❁ وقال : " مَنْ عَرَفَ اللهَ فقد عَرَفَ الحق ، ومَنْ عَرَفَ الحق نطق به ودعا إليه ، وضحّى مِن أجله وفي سبيله " .

❁ وقال: " الصوفية هي اتباع لازم ، وسلوك حسن ، وفَهْم للشريعة وتطبيق لها ".

❁ وقال : " العلم وسيلة ، والعمل غاية ، وغاية الغاية الإخلاص " .

❁ وقال : " تَرْكُ الدنيا مع ذِكْرها صفة الزُّهّاد ، وتَرْكُ الدنيا مع نسيانها صفة العارفين " .

❁ وقال أيضاً ينصح بعض مريديه : " كُنْ كثير الشفقة على المسلمين بِبَذْلِ النصيحة ، وكَفِّ الأذى ، ومُجانَبَةِ كُلِّ صاحبٍ يُفسد الوقتَ ، وكُلِّ سببٍ يفرق القلبَ " .

❁ وقال كذلك : " لست ممَّن يبني سعادته على تعاسة وشقاوة الآخرين ، إنما أكون مرتاحاً عندما أُريح غيري " .

❁ وقال أيضاً : " أحب القلوب النادمة ، والأيدي النظيفة ، وأكره فعل الثعالب. كم تمنيتُ أن أكون كالنعجة التي كلها عطاء ، تُعطي ولا تأخذ ، تسير ولا تلتفت . هذه النعجة التي جميع عناصرها مفيدة : مِن صوفها نتّخذ دفئاً ، ومِن لحمها نُكَوِّنُ غِذاءً، ومِن عَظْمِها نُصَفِّي السكر، ومِن رَوْثها نوقد على طعامنا ونُسَمِّد به أرضنا، ومِن جلدها ننتفع في أمور كثيرة. أجل، كم تمنيتُ أن أكون كهذه النعجة التي تُساق إلى المذبح وتعطي رأسها وعنقها ؛ ليتنعّم غيرها ولو كان ذلك على حسابها ".

❁ وقال حفظه الله: " مِنْ سعادتي أنْ أرىٰ بسمة علىٰ شفاه المعدومين بعد دمعة، وأن أرىٰ صحة علىٰ المرضىٰ بعد ضعف. مِنْ سعادتي أن أسير مع مظلوم حتىٰ أَقْضي له حاجة، وأن أقف أمام الظالم حتىٰ أُنْصِفَ المظلوم منه. مِنْ سعادتي أن أُصْلِحَ بين متخاصمَيْن مُسلِمَيْنِ، وأن أجمع بين زوجين قد تفرَّقا، وأن أقضي دَيْناً عن مديون عاجز عن قضاء دَيْنِهِ، وأن أمسح علىٰ رأس يتيم، وأن أقف مع الثكلىٰ لا تجد مَنْ يقف معها. مِنْ سعادتي أن أرىٰ الرخاء علىٰ جميع أبناء آدم، وأن أرىٰ الناسَ كُلَّ الناسِ وقد اعتنقوا القرآن. من سعادتي أن أرىٰ المسجد الأقصىٰ وقد ابتسم بعد شحوب طويل، والْتَأَمَتْ جراحه بعد عهود طويلة. سعادتي كُلُّها تكون حيث أرىٰ الإسلام قد طُبِّقَ بحذافيره في أقطار الأرض جميعاً، قد قُطِعَتْ يد السارق، وقد رُجِمَ الزاني، وقد جُلِدَ القاذف وشارب الخمر، والتزم الجميع بأحكام القرآن قولاً وعملاً، علىٰ المستوىٰ الرسمي وغير الرسمي. وسعادتي كُلُّها إذا استطعتُ أن أكون جسراً كبيراً يَعْبُرُ الناس عليه إلىٰ دار النعيم. يا لها مِنْ سعادة لو استطعتُ أن أُبَدِّلَ الكفر علىٰ ظهر هذه الكرة الأرضية إيماناً، وجحودَ نعمة الله شكراً لها، والنفاقَ استقامة واعتدالاً، والآمال كثيرة. آهٍ ثم آهٍ مِنْ أُناس يعيشون في بحبوحة من نِعَم الله ثم ينكرونها. ما أجمل حياة ترىٰ الناس فيها متآخين متحابين متواددين ظاهراً وباطناً، يتبادلون المحبة، ويتفانون في قضاء حوائج الآخرين ! آهٍ من أناس قد قَسَتْ قلوبهم وأصبحت كالحجارة الصماء، إسالة دماء البريئين عندهم كسيلان الماء الطبيعي في مجراه. آهٍ مِنْ أُناس لا يعرفون سوىٰ مصالحهم. آهٍ مِنْ أُناس أصبحوا علىٰ ظهر هذه اليابسة كالوحوش الضارية التي لا تعرف إلَّا الغريزة والشهوة. آهٍ مِنْ أُناس جُعِلَتْ عقولهم في فروجهم. آهٍ مِنْ أُناس باعوا آخرتهم بدنياهم. آهٍ مِنْ أُناس جعلوا قيادتهم بأيدي النساء. آهٍ ثم آهٍ مِنْ أُناس نسوا الموت أو تناسوه. آهٍ مِنْ أُناس لم يعرفوا سر وجودهم علىٰ ظهر هذه اليابسة وخرجوا منها وقد رسبوا في اختبارهم. وهنيئاً لأُناس طلَّقوا الدنيا ثلاثاً، أبانوها بينونة كبرىٰ، جعلوا الدنيا بأيديهم لا في قلوبهم. إني أحترم أناساً باعوا ما يملكون في المُلْك واشتروا بَدَلَه في عالم الملكوت. وكم أحسد عالِماً كان عِلْمه مقروناً بالعمل، وكلامه مقروناً بالفعل. وكم أحسد عالِماً لم يَبِعْ الدين بالتين، ولم يخض في هذه الدنيا مع الخائضين. اللهَ أسأل أن يرزقنا حُسْن العمل مع القول، وحُسْن العاقبة مع حياة طيبة ترضي الله والرسول ".

أجل ، لقد كان سيدي الشيخ حفظه الله تعالىٰ ولا يزال البحر الخضم الذي لا يُدْرَك ساحله ، والميدان الذي لا يُعرف أوله مِن آخره ، والروض الأنيق الذي تَتَفَتَّح أزهاره ، مِعْطاءً بيده ولسانه وإشاراته وبسمته ، ذكرياتُه وحوادثُه كلُّها عِبَرٌ وعِظات .

فمهما كتبنا وقلنا فلا ولن نستطيع أن نعطي شيخنا حَقَّه ، وليس لنا إلاّ أن نقول : جزىٰ الله شيخنا أفضل وأتمّ وخير الجزاء .

فقد صنع لنا مِن أشواك هذه الحياة ورداً ، وجعلها لقمة هنيئة ، وطوىٰ لنا المسافات الطويلة الشاقّة ، فبنىٰ لنا ذلك الجسر ليكون الطريق إلىٰ دار السلام ، ونهايتُه سلام إن شاء الله تعالىٰ .

ولا يسعني في نهاية كلمتي إلاّ أن أقول : " لولا المُرَبِّي ما عرفتُ رَبِّي " .

وما كانت هذه الأسطر سوىٰ قطوف مختارة من سيرة شيخنا العطرة ، علّها تُجَدِّدُ في المسلمين روح الاتباع والتمسك بالكتاب والسنة ، ولِيَعْلَمَ الذين وهنوا أنَّ هذه الأمة ستبقىٰ بعون الله تزهو برجالاتها حتىٰ قيام الساعة .

ومَنْ أراد الاستفاضة أكثر فليرجع إلىٰ ترجمته الكاملة في مُؤَلَّفٍ خاص .

واللهَ أسأل أن يُكرمنا ببركة شيخنا لنسير علىٰ دربه ، ونسلك السلوك الصحيح .

وصلىٰ الله وسلّم علىٰ سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلىٰ آله وصحبه وسلّم .

والحمد لله رب العالمين .

خادم الشيخ

عبد الرحيم عبد الله النورياني



تراجِمُ
مَن نُقِلَت غالبُ رواياتِ
هذا الكتابِ عنهم

۞ عـز الديـن بـن الأثيـر ۞

هو علي بن محمد الشيباني ، كنيته أبو الحسن ، ولقبه عز الدين ، ويُعرف بابن الأثير الجزري ؛ نسبة إلى جزيرة ابن عمر[1] .

وهو ثالث ثلاثة إخوة ، عُرِفَ كلٌّ واحد منهم بناحيةٍ من العلوم ، وانصرف ابن الأثير وهو أوسطهم إلى التاريخ .

وأشهر كتبه فيه كتابه الذي سمّاه (الكامل في التاريخ) ، وهو الكتاب الذي نقلنا عنه عِدّة حوادث في كتابنا هذا .

وُلِدَ ابن الأثير في جزيرة ابن عمر ، في ربع جمادى الأولى سنة خمسمائة وخمس وخمسين هجرية (١١٦٠م) ، في بيتِ وجاهة وثراء . فقد كان أبوه محمد مُتَوَلِّياً ديوان المدينة مِن قِبَل قطب الدين مَوْدود بن زنكي صاحب الموصل .

ثم انتقل ابن الأثير مع أبيه وأخويه إلى الموصل ، وهناك سَمِعَ مِن أبي الفضل عبدالله بن أحمد الخطيب الطوسي ، ومَن في طبقته من العلماء .

---

(١) : هي بلدة فوق الموصل ، تُحيط بها دُجلة إلاّ مِن ناحية واحدة شِبْهَ الهلال .
قال ياقوت الحموي : إنَّ أول مَن عَمَرها الحسنُ بن عمر بن الخطاب التغلبي .
وقال ابن خَلْكان : إنها منسوبة إلى يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقين .
والأصحّ الذي وصلتُ إليه هو أنَّ رجلاً مِن أهل بَرْقَعيد مِن أعمال الموصل بناها ، واسمه عبد العزيز بن عمر ، فأُضيفتْ إليه .

ويقول ابن خَلْكان : إنه قَدِمَ بغداد مراراً حاجّاً ورسولاً مِن صاحب الموصل ، وسمع بها مِنَ الشيخين أبي القاسم يعيش بن صدقة الفقيه الشافعي ، وأبي أحمد عبد الوهاب بن علي الصوفي ... وغيرهما .

ثم رحل إلى الشام والقدس ، وسمع هناك مِنْ جماعة ، ثم عاد إلى الموصل .

وكان ابن الأثير بالإضافة إلى عِلْمه للتواريخ ، إماماً في حِفْظ الحديث ومعرفته وما يتعلّق به ، خبيراً بأنساب العرب وأيامهم ووقائعهم وأخبارهم .

كان له منزلة رفيعة عند ذوي السلطان والناس .

واشتُهر بفضائله ، وكَرَم أخلاقه ، وتواضعه .

وسافر إلى دمشق في أثناء سنة ستمائة وسبع وعشرين من الهجرة (١٢٢٩م) ، ثم عاد إلى حلب سنة ستمائة وثمان وعشرين هجرية (١٢٣٠م) ، وأقام قليلاً ثم توجّه إلى الموصل .

ولقد ورد عن كثير من العلماء والمؤرخين أنَّ ابن الأثير كان كثير التَّنَقُّل بين البلدان مِنْ أَجْلِ العِلْم ، حيث كان يتلقّى في كل بلد نزله العِلْمَ والحديث عن علمائه ، وقُرّائه ، وفقهائه ، ومُحَدِّثيه ، ونُحاته . فحصلتْ له بذلك ثقافة شاملة في العلوم الإسلامية ، وفي التاريخ ، والنحو .

وفي أيامه الأخيرة انقطع إلى التَّوَفُّر على النَّظَر في العِلْم والتصنيف ، وكان بيته مَجْمَع الفضل لأهل الموصل والواردين عليها .

وبقيت هكذا حاله إلى أنْ توفّاه الله ﷻ في شعبان سنة ستمائة وثلاثين هجرية (١٢٣٢م) ، وهو في الخامسة والسبعين من عمره .

فدُفِنَ في الموصل ، ولا يزال قبره معروفاً .



۞ أبو إسحاق الثعلبي ۞

قال ياقوت الحموي في كتابه (معجم الأدباء)[١] : هو أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الثعلبي المُفَسِّر ، صاحب الكتاب المشهور في أيدي الناس المعروف بـ (تفسير الثعلبي) .

وقال الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري : أبو إسحاق الثعلبي المُفَسِّرُ جليلٌ خرسانيٌّ .

ولقد ذكره عبد الغافر الإسماعيلي في كتاب (سياق تاريخ نيسابور) ، وأثنى عليه وقال : هو أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الثعلبي المُقْرئ المُفَسِّر ، الواعظ الأديب ، الثقة الحافظ ، صاحب التصانيف الجليلة من التفسير الحاوي أنواع الفرائد مِنَ المعاني والإشارات ، وكلمات أرباب الحقائق ، ووجوه الإعراب ، والقراءات . ثم كتاب العرائس والقصص... وغير ذلك مِمّا لا يُحتاج إلى ذِكْره لِشُهْرَته .

ثم قال : وهو صحيح النقل موثوقٌ به ، حَدَّثَ عن أبي طاهر بن خزيمة ، والإمام أبي بكر بن مهران المُقْرئ ، وأبي بكر بن هانئ ، وأبي بكر بن الطِّرازِيّ ، وأبي محمد بن الرومي ، وطَبَقَتِهم .

وهو كثير الحديث ، كثير الشيوخ .

ولقد سمع منه الواحدي التفسير ، وأخذه عنه وأثنى عليه ، وحَدَّثَ عنه بإسناد رفعه إلى عاصم .

وقال صاحب (وفيات الأعيان)[٢] في ترجمة الثعلبي : أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المُفَسِّر المشهور ، كان أَوْحَدَ زمانه في عِلْم التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير ، وله كتاب (العرائس في قصص الأنبياء) صلوات الله وسلامه عليهم ، وغير ذلك .

---

(١) : ج٢ ص١٩ .

(٢) : ج١ ص٢٢ .

قال السمعاني : ويقال له : الثعلبي والثعالبي ، وهو لقب له وليس بنسب . كما قاله بعض العلماء .

وقال أبو القاسم القشيري : رأيتُ رَبَّ العزة ﷻ في المنام وهو يخاطبني ، فكان في أثناء ذلك أنْ قال الرَبُّ تعالى اسمه : " أَقْبَلَ الرجل الصالح " ، فالْتَفَتُّ ، فإذا أحمد الثعلبي مُقْبِلٌ .

ومِمّا وَرَدَ مِنْ شِعره قوله :

وإني لأَدعو اللهَ والأَمْرُ ضَيِّق ... عليّ فما يَنْفَكّ أنْ يَتَفَرَّجا

ورُبَّ فتىً سُدَّتْ عليه وُجوهه ... أصاب له في دعوة الله مَخْرَجا

ومِنَ المسائل التي نُقِلَتْ عنه : أنه ذَهَبَ إلى أنَّ الدم الباقي على اللحم وعظامه غير نجس ؛ لِمَشقّة الاحتراز عنه . قال : ولأن النهي إنما وَرَدَ عن الدم المسفوح ، وهو السائل .

ولقد تُوُفِّيَ رحمه الله فيما ذُكِرَ في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة .

وقيل : توفي يوم الأربعاء لسبع بقين من المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة .

۞ أبو الحسن الكِسائي ۞

هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبدالله بن عثمان ، مِن ولد بَهْمَن بن فيروز مولى بني الأسد النحوي .

أحد الأئمة في القراءة ، والنحو ، واللغة .

وأحد السبعة القُرّاء المشهورين[1] .

روى الحديث ، وصنّف الكتب .

وهو من أهل الكوفة ، استوطن بغداد .

وكان مُؤَدِّباً لِوَلد الرشيد ، أَثِيراً عند الخليفة حتى أخرجه من طبقة المُؤَدِّبين إلى طبقة الجلساء والمؤانِسين .

وكان الكِسائي قد قرأ على حمزة الزيّات ، ثم اختار لنفسه قراءة .

وسمع من سليمان بن أرقم ، وأبي بكر بن عيّاش .

حَدَّثَ المَرْوَزِيّ عن عبدالله بن جعفر عن ابن قادم عن الكسائي قال : حَجَجْتُ مع الرشيد فَقُدِّمْتُ لبعض الصلوات ، فصَلَّيْتُ ، فقرأتُ : ﴿ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ ﴾ [النساء: ٩] ،فَأَمَلْتُ ضِعافاً ، فلَمّا سَلَّمْتُ ضربوني بالنعال والأيدي وغير ذلك حتى غُشِيَ عليّ ، واتّصل الخبر بالرشيد ، فوجّه بِمَنْ اسْتَنْقَذَني ، فلما جئتُه قال لي : ما شأنك ؟ فقلتُ له : قرأتُ لهم ببعض قراءة حمزة الرديئة ، ففعلوا بي ما بلغ أميرَ المؤمنين . فقال: بئس ما صنعتَ .

ثم ترك الكسائي كثيراً من قراءة حمزة .

وفي سبب تسميته بالكسائي : حدّث الخطيب بإسناد رفعه إلى عبد الرحيم بن موسى قال : قلتُ للكِسائي : لِمَ سُمِّيتَ الكِسائي ؟ قال : لأني أَحْرَمْتُ في كِساء .

---

(١) : وفي القُرّاء آخَرُ يقال له : الكِسائي الصغير ، واسمه محمد بن يحيى .

قال الخطيب : وقيل فيه قول آخر ، ورَفَعَ سنده إلى محمد بن يحيى المَرْوَزِيّ قال : سألتُ خَلَفَ بن هشام : لِمَ سُمِّيَ الكِسائي كِسائياً ؟ فقال : دَخَلَ الكِسائي الكوفة ، فجاء إلى مسجد السُّبَيْع ، وكان حمزة بن حبيب الزيّات يُقرئ فيه ، فتقدّم الكِسائي مع أذان الفجر ، فجلس وهو مُلْتَفٌّ بكِساء مِن البَرْد كان أسود ، فلما صلّى حمزةُ قال : مَن تقدّم في الوقت يقرأ ، قيل له : الكِسائي أول مَن تقدّم – يعنون صاحب الكِساء – . فَرَمَقَه القومُ بأبصارهم ، فقال : إنْ كان حائكاً فسيقرأ سورة يوسف[1] ، وإنْ كان مَلاّحاً فسيقرأ سورة طه[2] .

فسمعهم ، فابتدأ بسورة يوسف ، فلما بلغ إلى قصة الذئب قرأ : (فَأَكَلَهُ الذِّيبُ) بغير همز ، فقال له الزيّات : بالهمز ، فقال له الكِسائي : وكذلك أَهْمِزُ الحوتَ في قوله تعالى : (فَالْتَقَمَهُ الحُوتُ) ؟ قال : لا ، قال : فَلِمَ هَمَزْتَ الذئبَ ولَمْ تَهْمز الحوت ، وهذا (فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ) ، وهذا (فَالْتَقَمَهُ الحُوتُ) ؟

فرفع حمزة بصره إلى خلاّد الأَحْوَل وكان أجمل غلمانه ، فتقدّم إليه في جماعة من أهل المجلس ، فناظروه فلم يُصيبوا شيئاً ، فقال[3] : أَفِدْنا رحمك الله ، فقال لهم الكِسائي : تَفَهَّموا عن الحائك ، تقول إذا نَسَبْتَ الرجلَ إلى الذئب : (قد اسْتَذْأَبَ الرجلُ) ، ولو قلتَ : (قد اسْتَذابَ) بغير همز لَكُنْتَ إنما نَسَبْتَه إلى الهُزال ، تقول : (اسْتَذابَ الرجلُ) إذا اسْتَذابَ شحمه بغير همز . وإذا نَسَبْتَهُ إلى الحوت تقول : (قد اسْتَحاتَ الرجلُ) ، أي كَثُرَ أَكْلُهُ ؛ لأن الحوت يأكل كثيراً ، ولا يجوز فيه الهمز . فلتلك العِلّة هُمِزَ الذئب ، ولم يُهْمَز الحوتُ . وفيه معنىً آخرُ : لا تَسْقُطُ الهمزة مِن مُفْرَدِه ولا مِن جَمْعه .

وأنشدهم :

أَيُّها الذِّئْبُ وابْنُهُ وأبوه ... أنتَ عندي مِنْ أَذْؤُبٍ ضارِياتِ

---

(١) : إشارة إلى ذِكْر القميص في عدة مواضع مِنَ السورة .

(٢) : لأن فيها انفلاق البحر ، وذِكْر إلقاء التابوت الذي كان فيه موسى في اليمّ ، وذِكْر الغرق .

(٣) : أي الزيّات .

قال : فَسُمِّيَ الكِسائي مِن ذلك اليوم .

وفي فضائله ومناقبه :

حَدَّث المروزي فيما رفعه إلى الأحمر النحوي قال : دخل أبو يوسف القاضي على الرشيد وعنده الكسائي يُحَدِّثُه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد سعد بك هذا الكوفي وشَغَلَك . فقال الرشيد : النَّحْوُ يَسْتَفْرِغُني ؛ لأني أستدلّ به على القرآن والشعر . فقال أبو يوسف : إنَّ عِلْمَ النحو إذا بَلَغَ فيه الرجل الغاية صار مُعَلِّماً ، والفقهَ إذا عَرَفَ الرجلُ منه جملة صار قاضياً . فقال الكسائي : أنا أفضل منك لأني أُحْسِنُ ما تُحْسِنُ ، وأُحْسِنُ ما لا تُحْسِنُ . ثم الْتَفَتَ إلى الرشيد وقال : إنْ رأى أمير المؤمنين أنْ يَأْذَنَ له في جوابي عن مسألة مِنَ الفقه . فضحك الرشيد وقال : أَبَلَغْتَ يا كِسائي إلى هذا ؟ ثم قال لأبي يوسف : أَجِبْهُ . فقال الكسائي : ما تقول لرجل قال لامرأته : أنتِ طالقٌ إنْ دَخَلْتِ الدار ؟ فقال أبو يوسف : إنْ دَخَلَتِ الدار طَلُقَتْ ، فقال الكسائي : خطأ ، إذا فُتِحَتْ (أَنْ) فقد وجب الأمر ، وإذا كُسِرَتْ فإنه لم يقع الطلاق بعدُ . فنظر أبو يوسف بعد ذلك في النحو .

وقال المروزي أيضاً عمّن سمع الكسائي يقول : اجتمعتُ أنا وأبو يوسف القاضي عند هارون الرشيد ، فجعل أبو يوسف يَذمّ النحو ويقول : وما النحو ؟ فقلتُ وأردتُ أنْ أُعْلِمَهُ فضل النحو : ما تقول في رجل قال لرجل : أنا قاتلُ غلامِك ، وقال له آخر : أنا قاتلٌ غلامَك ؟ أيّهما كنتَ تأخذ به ؟ قال : آخذهما جميعاً ، فقال له هارون : أَخْطَأْتَ ، وكان له عِلْمٌ بالعربية . فاسْتَحْيا وقال : كيف ذلك ؟ قال : الذي يؤخذ بقَتْل الغلام هو الذي قال : أنا قاتلُ غلامِك بالإضافة ؛ لأنه فِعْلٌ ماض. وأما الذي قال: أنا قاتلٌ غلامَك بالنصب فلا يؤخذ ؛ لأنه مُسْتَقْبَلٌ لم يكن بعدُ ، كما قال الله عزوجل : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الكهف] ، فلولا أنَّ التنوين مستقبل ما جاز فيه غداً . فكان أبو يوسف بعد ذلك يمدح العربية والنحو .

وحدّث محمد بن إسحاق النديم قال : قرأتُ بخط أبي الطيّب ابن أخي الشافعي قال : أَشْرَفَ الرشيد على الكسائي وهو لا يراه ، فقام الكسائي لِيَلْبَسَ نَعْلَهُ لِحاجة يريدها ،

فابْـتَدَرَها[1] الأمين والمأمون وكان مُؤَدِّبَهُما ، فوضعاها بين يديه ، فقبّل رؤوسهما وأيديهما ، ثم أَقْسَمَ عليهما ألاّ يُعاوِدا . فلما جلس الرشيد مجلسه قال : أيّ الناس أكرم خدماً ؟ قال الكسائي : أمير المؤمنين أعزّه الله ، قال هارون الرشيد : بل الكسائي يخدمه الأمين والمأمون ، وحَدَّثَه الحديث .

وحدّث المَرْزُبانيّ فيما رفعه إلى الكِسائي قال : أحضرني الرشيد سنة اثنتين وثمانين ومائة في السنة الثالثة مِن خلافته ، فَأَخْرَجَ إليّ محمداً الأمين وعبدَالله المأمون كأنهما بدران ، فقال : امْتَحِنْهُما بشيء ، فما سألتُهما عن شيء إلاّ أَحْسَنا الجواب فيه . فقال لي : كيف تَراهما ؟ قلتُ : " فَرْعٌ زَكَى أَصْلُهُ ، وطاب مَغْرِسُه ، وتَمَكَّنَتْ فروعُه ، وعَذُبَتْ مَشارِبُهُ . آواهما مَلِكٌ أَغَرّ ، نافذ الأَمْر ، عظيم الحِلْم . أعلاهما فَعَلَوْا ، وسَما بهما فَسَمَوْا ، فَهُما يَتَطاوَلان بِطَوْلِه ، ويستضيئان بنوره ، وينطقان بلسانه . فَأَمْتَعَ اللهُ أميرَ المؤمنين بهما ، وبَلَّغَهُ الأمل فيهما " . فقال : تَفَقَّدْهُما ، فكنتُ أَخْتَلِفُ إليهما في الأسبوع طَرَفَي نهارهما .

ولقد تُوُفِّيَ الكسائي بالريّ صُحْبَة الرشيد سنة اثنتين وثمانين ومائة ، أو ثلاث وثمانين ومائة .

وقيل : بعد ذلك في سنة تسع وثمانين ومائة .

وقال مهديّ بن سابق : في سنة اثنتين وتسعين ومائة ، هو ومحمد بن الحسن الفقيه صاحب أبي حنيفة ، فقال الرشيد : اليوم ذَهَبَ الفقه والعربية .

قال الخطيب : وإنَّ عمر الكِسائي بلغ سبعين سنة .



(١) : أي بادر كلٌّ منهما صاحِبَه يَسْبِقُ إليها .

۞ كعـب الأحبـار ۞

هو ابن ماتع ، ويُكنّى أبا إسحاق .

وهو من قبيلة حِمْيَر مِنْ آل ذي رُعَيْن ، وكـان على ديـن يـهود فأسـلم ، وقَـدِمَ المدينـة ثم خرج إلى الشام ، فسكن حمص حتى توفي بها سنة اثـنتين وثلاثـين في خلافـة عثمـان بـن عفان رضي الله عنهما .

قال قتادة : وإنَّ كعباً أسلم في إمْرة عمر .

روى سعيد بن المسيب قـال : قـال العبـاس لكعـب : مـا منعـك أن تُسْـلِمَ على عـهد رسول اللهﷺ وأبي بكر حتى أسلمتَ الآن على عهد عمر ؟ فقـال كعـب : إنَّ أبـي كتـب لي كتاباً من التوراة ودفعه إليّ ، وقال : اعمل بهذا ، وختم على سـائر كتبـه ، وأخـذ عليّ بحـق الوالـد على ولـده ألاّ أَفُـضَّ الخـاتم ، فلمـا كـان الآن رأيـتُ الإسـلام يظـــهر ولم أَرَ بأسـاً ، فقالت لي نفسي : لعلّ أباكَ غَيَّبَ عنك عِلْماً كَتَمَكَ ، فلو قرأتَه . فَفَضَضْتُ الخـاتم فقرأتُـه ، فوجدتُ فيه صفة محمدﷺ وأُمَّتِهِ ، فجئتُ الآن مسلماً . فوالى العباسَ .

وقال شهر بن حوشب : سمعت كعب الأحبار يقول : إن عمر بن الخطـاب لَمّـا صـالح أهل بيت المقدس ودَخَلَها أقام فيها عشرة أيام ، فأقبلتُ إليه وكنـتُ في قريـة مـن فلسـطين ، وتَـقَدَّمْتُ إليه لأُسَلّمَ عليه وأُسْلِمَ على يديه .

وذلك أنَّ أبي كان أعلم الناس بما أنزل الله على موسى بن عمران ، وأنه كـان لي مُحِبّـاً وعليّ مُشْفِقاً ، ولم يكتم عليّ شيئاً إلاّ أَعْـلَمَـني إيّـاه مِمّا كان يُعَلِّمُ الناس .

فلما حضرته الوفاة ، دعاني إليه وقال لي : يا بُنَيّ ، إنك تعلـم أنّـي مـا ادَّخَـرْتُ عنـك شـيئاً مِمّـا كنـتُ أَعْـلَمُهُ ؛ لأنـي خشـيت أن يخـرج بعـض هـؤلاء الكـاذبين وتَـتْـبَعَهم ، وقد جعلتُ هاتين الورقتين في هذه الكرة التي تـرى ، فـلا تَـتَعَرَّضْ لهمـا ولا تَـنْظُرْ فيـهما إلى أن تسمع بخبر نبي يُبعث في آخر الزمان اسمه محمد ، فإن يُرِد اللهُ بك خيراً فـأنت تـتبعه . ثم مات بعد وصيته إيّايّ .

قال كعب : فدفنتُه ، فما كان شيء أحبّ إليّ بعد انقضاء العزاء مِنَ النظـر في الورقتين

وقراءة ما فيهما . ففتحتُهما ، فإذا فيهما : (لا إله إلاّ الله محمد رسول الله ، خاتم النبيّين لا نبي بعده ، مَوْلِدُه بمكة ، ودار هجرته طيبة ، ليس بِفَظٍّ ولا غليظ ولا صخاب ، أُمَّتُه الحامدون الذين يحمدون الله على كل حال ، ألسنتهم رطبة بالتهليل والتكبير ، وهم منصورون على كل مَن عاداهم مِن أعدائهم أجمعين ، يَغسلون وجوههم ، ويَسترون أوساطهم ، أناجيلهم في صدورهم ، تراحمهم بينهم تراحم الأنبياء بين الأمم ، وهم أول مَن يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم) .

قال كعب : فلما قرأتُ ذلك قلتُ في نفسي : وهل علّمني أبي شيئاً أعظم مِنْ هذا ؟

ثم مكثتُ بعد وفاة والدي ما شاء الله ، إلى أن بلغني أن النبيﷺ الموصوف قد ظهر بمكة ، وهو يظهر مرة بعد أخرى ، فقلت : هو واللهِ لا محالة . ولم أزل أبحث عن أَمْرِه حتى قيل : إنه خرج ونزل بيثرب ، فجعلتُ أَتَرَقَّبُ أَمْرَهُ حتى غزا غزوات ، ونُصِرَ على أعدائه . فتجهّزتُ أريد المسير إليه ، فبلغني أنه قد قُبِضَﷺ وانقطع الوحي ، فقلتُ في نفسي : لعلّه ليس الذي كنتُ أنتظره . حتى رأيت في منامي كأنَّ أبواب السماء قد فُتِحَتْ ، والملائكة تنزل زمرة بعد زمرة ، وقائلٌ يقول : قد قُبِضَ رسول اللهﷺ وانقطع الوحي عن أهل الأرض .

فرجعت إلى دار قومي ، وجاءنا الخبر أنه تقدّم أُمَّتَه خليفةٌ اسمه أبو بكر ، فقلت : أقدم عليه . فلم ألبث حتى جاءتنا جنوده إلى الشام ، ثم جاءتنا وفاته ، ثم قيل : إنه اسْتَخْلَفَ عليهم رجلاً اسمه عمر ، فقلت : لا أدخل هذا الدين حتى أحققه .

ولم أزل مُتَوَقِّفاً حتى قدم عمر بن الخطابﷺ بيت المقدس وصالَحَ أهلها ، ونظرت إلى وفائهم بعهدهم ، وما صنع الله بأعدائهم ، وقلت : إنهم أمة النبي الأُمي . فحدّثت نفسي بالدخول في هذا الدين . فوالله إني كنت ذات ليلة على سطحي ، وإذا أنا برجل من المسلمين يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴾ [النساء: ٤٧] .

قال كعب : فلما سمعت هذه الآية ، خِفْتُ واللهِ أنْ لا أُصبح حتى يُحَوَّل وجهي ،

فما كان شيء أَحَبّ إليّ من الصباح أنْ يَرِدَ .

فلما أصبحت غَدَوْتُ مِن منزلي وسألت عن عمر ، فقيل لي : إنه ببيت المقدس . فقصدت إليه وإذا به قد صلّى بأصحابه صلاة الفجر عند الصخرة ، فأقبلت إليه وسلّمت عليه ، فرد عليّ السلام وقال لي : مَن أنت ؟ فقلت له : أنا كعب الأحبار ، وإنني جئتُ أريد الإسلام والدخول فيه ، فإني وجدت صفة محمدﷺ وأمته في الكتب المنزلة ، وإن اللهﷻ أوحى إلى موسىعليه السلام : (إني ما خلقتُ خَلْقاً أكرم عليّ من أمة محمد ، ولولاه ما خلقتُ جنة ولا ناراً ، ولا سماءً ولا أرضاً . وأُمَّتُه خير الأمم ، ودينه خير الأديان ، بِعْثَته آخر الزمان ، أمته مرحومة ، وهو نبي الرحمة ، وهو النبي الأمي التهامي القرشي ، الرحيم بالمؤمنين ، الشديد على الكافرين ، سريرته مِثْل علانيته ، وقوله لا يخالف فعله ، القريب والبعيد عنده سواء ، أصحابه متراحمون متواصلون) . فقال عمر : أحقاً ما تقول يا كعب ؟ قال : إي واللهِ ، واللهُ يسمع ما أقول ، ويعلم ما تُخفي الصدور . فقال عمر : الحمد لله الذي أعزّنا ، وأكرمنا ، وشرّفنا ، ورحمنا برحمته التي وسعت كل شيء ، وهدانا بمحمدﷺ ، فهل لك يا كعب في الدخول في ديننا ؟

فقال كعب : يا أمير المؤمنين ، في كتابكم الذي أُنزل إليكم في أَمْرِ دينكم ذِكْرُ إبراهيم؟ فقال عمر : نعم ، وقرأ : ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة] . ثم قرأ : ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧] . ثم قرأ : ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣] . ثم قرأ : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] . ثم قرأ : ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١] . ثم قرأ : ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ

﴿ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٨] .

قال كعب : فلما سمعتُ هذه الآيات قلت : يا أمير المؤمنين ، أنا أشهد أن لا إلـه إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله .

وذكر أبو الدرداء كعباً فقال : إن عند ابن الحميرية لَعِلْماً كثيراً[١] .

وذكر أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني في كتابه (حلية الأولياء)[٢] كعباً بقوله : ومنهم الحَبْر صاحب الكتب والأسفار ، المُثير للمكتوم والأسرار، والمُشير إلى الشاهد والآثار ، أبو إسحاق كعب بن ماتع الأحبار .

ثم ذكر بعضاً من كلامه ، ومِنْ ذلك :

ما يرويه بسنده إلى يزيد بن قَوْذَر عن كعب الأحبار قال : « المؤمن الزاهد والمملوك الصالح آمِنان من الحساب ، وطوبى لهم كيف يَحْفَظُهُم الله في ديارهم . إنَّ الله إذا أحبّ عبده المؤمن زَوَى عنه الدنيا ؛ لِيرفعه درجات في الجنة . وإذا أبغض عبده الكافر بسط له في الدنيا ؛ حتى يُسْفِلَه دَرَكات في النار » .

ثم قال كعب : « ويقول الله لعباده الصابرين الراضين بالفقر : أَبْشِروا ولا تحزنوا ، فإن الدنيا لو وزنتْ عند الله جناح بعوضة مِمّا لكم عندي ما أعطيتُهم منها شيئاً » .

وروى أبو نعيم عن كعب بسنده حتى قال : حدثنا عبدالله بن رباح قال : سمعتُ كعباً يقول : « فاتحة التوراة فاتحة الأنعام ، وخاتمة التوراة خاتمة سورة هود » .

ثم قال بعد سَرْد سند آخر عن عبدالله بن رباح عن كعب قال : " خُتِمَت التوراة بـــــ ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ١١١] .

وروى كذلك بسنده حتى رفعه إلى كعب قال : « أَوْحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام :

---

(١) : ذكره ابن سعد في طبقاته الكبرى ج٧ ص٤٤٥ .

(٢) : ج٥ ص٣٦٤ .

أنَّ الذَّنْب لا يُنسى ، وأنَّ الديّان لا يموت ، وأنَّ البِرَّ لا يَبْلى» .

ومَن أراد الاستزادة مِن أقوال كعب الأحبار فليرجع إلى حلية الأولياء ، فإنَّ صاحبها اسْتَفاض كثيراً بأقواله . إنما أتينا هنا ببعض ما يتعلّق بكعب الأحبار موجزاً ؛ مِن أَجْل التعريف به ، والله الموفق إلى الصواب .



۞ وهب بن منبه ۞

هو وهب بن منبه بن كامل بن سيح بن ذي كناز اليماني الصنعاني الذّماري .

كنيته أبو عبدالله الأبناوي .

قال عبدالله بن أحمد بن حنبل نقلاً عن أبيه : كان وهب بن منبه من أبناء فارس .

وقال أحمد بن محمد بن الأزهر : سمعتُ مسلمة بن همام بن مسلمة بن همام بن منبه يذكر عن آبائه قال : أصل منبه أبو وهب مِن خراسان من أهل هراة ، أخرجه كسرىٰ من هراة إلىٰ اليمن ، فأسلم في عهد النبيﷺ فحَسُن إسلامه ، فسكن ولده باليمن .

وكان وهب بن منبه يختلف إلىٰ هراة ويتفقّد أمرَها .

وقال العُجَيلي : وهب بن منبه تابعي ثقة ، وقد وُلِّيَ علىٰ قضاء صنعاء لفترة .

وقال أبو زرعة النسائي : وهب بن منبه ثقة .

وذكره ابن حبان في الثقات .

وقد روىٰ الحديث عن أبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، وابن عباس ، وابن عمر ، وابن عمرو بن العاص ، وجابر بن عبدالله ، وأنس بن مالك ، وعمرو بن شعيب ، وأبي خليفة البصري ، وأخيه همام بن منبه ... ، وعن غيرهم كذلك .

وروىٰ عنه ابناه عبدالله وعبد الرحمن ، وابنا أخيه عبد الصمد وعقيل ابنا معقل بن منبه ، وسِبْطُهُ إدريس بن سنان ، وعمرو بن دينار .

وروىٰ له البخاري حديثاً واحداً من روايته عن أخيه عن أبي هريرةرضي الله عنه قال : « ما مِنْ أصحاب النبيﷺ أحد أكثر حديثاً عنه مني إلاّ ما كان مِنْ عبدالله بن عمرو ، فإنه كان يكتب ولا أكتب » .

ومِمّا ورد في فضائله ومناقبه :

ما جاء من وجهين ضعيفين عن عبادة بن الصامت مرفوعاً : « سيكون رجلان في أمتي : أحدهما يقال له : وهب ، يؤتيه الله تعالىٰ الحكمة . والآخر يقال له : غيلان ،

هو أضرّ على أمتي من إبليس »[١] .

وقال ابن سعد : أخبرنا أحمد بن محمد الأزرقي : حدثنا مسلم بن خالد الزنجي عن المثنى بن الصباح قال : « لبث وهب بن منبه أربعين سنة لم يَسُبَّ شيئاً فيه الروح ، ولبث عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءاً » .

وقال أحمد بن حنبل نقلاً عن عبد الرزاق عن أبيه يقول : حجّ عامة الفقهاء سنة مائة ، فحجّ وهب بن منبه ، فلما صَلّوا العشاء أتاه نفر فيهم عطاء والحسن ، وهم يريدون أن يُذاكِرُوه القدر . قال : فَأَمْعَنَ في باب من الحمد ، فما زال فيه حتى طلع الفجر ، فافترقوا ولم يسألوه عن شيء . قال أحمد : وكان يُتَّهَمُ بشيء من القدر ثم رجع .

وقال صاحب حلية الأولياء[٢] : اجتمع وهب بن منبه وعطاء الخرساني ، فقال له عطاء : يا أبا عبدالله ، ما هذا الكلام الذي بلغني أنه قد فشا عنك في القدر ؟ فقال وهب : ما تكلّمتُ في القدر بشيء ، ولا أعرف هذا . ثم حدّث وهب بن منبه فقال : قرأتُ نَيِّفاً وتسعين كتاباً من كتب الله عزوجل ، منها سبعون أو نَيِّفٌ وسبعون ظاهرة في الكتابين ، ومنها عشرون لا يعلمها إلاّ قليل من الناس ، فوجدتُ فيها كلِّها : « أنَّ مَن وَكَلَ إلى نفسه شيئاً مِن المشيئة فقد كفر » .

وقال حماد بن سلمة عن أبي سنان : سمعتُ وهب بن منبه يقول : « كنتُ أقول بالقدر حتى قرأتُ بضعة وسبعين كتاباً مِن كتب الأنبياء ، في كُلِّها : " مَنْ جعل إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر " ، فتركتُ قولي »[٣] .

ولقد ترجم عنه صاحب حلية الأولياء بقوله : وهب بن منبه الحكيم الدامغ للمُشَبِّهة ، الحليم الدافع للمُتَسَفِّهة .

---

(١) : رواه الديلمي في الفردوس ، وعبد بن حميد في مسنده ، وابن حبان في المجروحين ، والذهبي في الميزان ، وابن عدي في الكامل ، والعقيلي في الضعفاء ، وذكره ابن حجر في لسان الميزان وتهذيب التهذيب .

(٢) : ج٤ ص٢٤ سطر١٧ .

(٣) : ذكره ابن حجر العسقلاني في كتابه (تهذيب التهذيب) ج١١ ص١٤٧ .

ومِن أقواله وكلامه :

ما حَدَّثَ به صاحب حلية الأولياء[1] عنه قال : « قرأتُ إحدى وسبعين كتاباً ، فوجدتُ في جميعها أن الله ﷻ لم يُعْطِ جميع الناس مِن بَدْء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جَنْب عقل محمد ﷺ إلاّ كحبة رمل من بين رمال جميع الدنيا ، وإن محمداً ﷺ أرجح الناس عقلاً ، وأفضلهم رأياً » .

وقال وهب بن منبه في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] : « إنما يُوزَن من الأعمال خواتيمها ، وإذا أراد الله بعبد خيراً خَتَمَ له بخير عمله ، وإذا أراد به شراً خَتَمَ له بِشَرِّ عمله » .

وقال وهب بن منبه : إن الله ﷻ لَمّا فرغ من جميع خَلْقه يوم الجمعة ، أقبل يوم السبت فَمَدَحَ نفسَه بما هو أهله ، وذكر عظمته وجبروته ، وكبرياءه وسلطانه وقدرته ، ومُلْكه ورُبوبيّته . فَأَنْصَتَ له كلُّ شيء ، وأَطْرَقَ له كُلُّ شيءٍ خَلَقَهُ ، فقال : (أنا الملك الذي لا إله إلاّ أنا ، أنا ذو الرحمة الواسعة والأسماء الحسنى ، أنا الله الذي لا إله إلاّ أنا ذو العرش المجيد ، والأفلاك العُلا . أنا الله الذي لا إله إلاّ أنا ذو المَنِّ والطَّوْل ، والآلاء والكبرياء . أنا الله الذي لا إله إلاّ أنا بديع السماوات والأرض ومَن فيهنّ . ملأَتْ كلَّ شيء عظمتي ، وقَهَرَ كلَّ شيء مُلْكي ، وأحاطتْ بكل شيء قدرتي ، وأحصى كُلَّ شيء عِلْمي ، ووسعتْ كلَّ شيء رحمتي ، وبَلَغَ كُلَّ شيء لُطْفي . فأنا الله يا معشر الخلائق ، فاعرفوا مكاني ، فليس في السماوات والأرض إلاّ أنا ، وخَلْقي كلُّهم لا يقوم ولا يدوم إلاّ بي ، وينقلب في قبضتي ، ويعيش في رزقي ، وحياتُه وموتُه وبقاؤه وفناؤه بيدي ، فليس له مَحيص ولا ملجأ غيري ، لو تَخَلَّيْتُ عنه إذاً لَهَلَكَ كلُّه ، وإذاً لكنتُ أنا على حالي ، لا يُنقصني ذلك شيئاً ولا يزيدني ، ولا يهديني فَقْدُهُ ، وأنا مُعْتَزٌّ بالعِزِّ كلِّه في جبروتي ومُلْكي ، وبرهاني ونوري ، وسَعَة بطشي ، وعُلُوِّ مكانتي ، وعظمة شأني . فلا شيء مِثْلي ، ولا إله غيري ، ولا ينبغي لشيء خَلَقْتُه أن يُعْدَلَ بي ولا يُنْكِرني ،

---

(١) : ج٤ ص٢٦ سطر١٣ .

فكيف يُنكرني مَنْ خَلَقْتُه يومَ خَلَقْتُه على معرفتي ؟! أم كيف يُكابِرُني مَن قَهَرَه مُلْكي ، فليس له خالق ولا باعث ولا وارث غيري ؟! أم كيف يُعْدَلُ بي مَن أُعَمِّرُه ، وأُسْقِمُ جسمه ، وأَنْقُصُ عقله ، وأَتَوَفّى نفسه ، وأَخْلُقُه وأُهْرِمُه فلا يمتنع مني ؟! أم كيف يَسْتَنْكِفُ عن عبادتي عبدي وابن عبادي وابن إمائي ؟! أم كيف يعبد دوني مَن تَخْلُقُه الأيام ويُفْني أَجَلَهُ اختلافُ الليل والنهار ، وهما شعبة يسيرة مِن سلطاني ؟! فإليّ إليَّ يا أهل الموت والفناء لا إلى غيري ، فإني كتبتُ الرحمة على نفسي ، وقضيتُ بالعفو والمغفرة لِمَن استغفرني ، أغفر الذنوب جميعاً صغيرها وكبيرها ، ولا يَكْبُرُ ذلك عليّ . ولا تُلْقُوا بأيديكم ، ولا تقنطوا من رحمتي ، فإنَّ رحمتي سبقتْ غضبي ، وخزائنُ الخير كلُّها بيدي . ولم أَخْلُقْ شيئاً ممّا خلقتُ لحاجة كانت مني إليه ، ولكن لأُبَيِّنَ به قدرتي ، ولينظر الناظر في مُلْكي وتدبيري وحكمتي ، ولِتَدين خلائقي كلها لِعِزّتي ، وتُسَبِّحَ الخلائقُ كلهم بحمدي ، ولِتَعْنُوا الوجوه كلها لوجهي).

قال ابن سعد وجماعة : وقد مات وهب بن منبه سنة عشر ومائة .

ومَن أراد التوسع في معرفته وعِلْمه فليرجع إلى الكتب المطولة : كحلية الأولياء ، وغيرها من الكتب الأمهات .

واللهَ أسأل أن يرزقنا العلم والعمل به مع التوفيق والسداد .



مقدّمةُ المؤلفِ

بسم الله الرحمن الرحيم المنفرد بالإيجاد والإعدام .

الحمد لله الذي أَرسل رُسُلَه مُبَشِّرينَ ومُنْذِرِينَ ؛ لِيُبَيِّنُوا للناس طريق النور المُبِين ، وليكونوا واسطة بينه تبارك وتعالى وبين الخَلْق أجمعين .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي ختم الله به النَّبِيِّين والمرسلين ، والذي أُنزل عليه القرآن الجامع لِذِكْرِ الأَوَّلِينَ والآخِرِين .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وبعد ،

لقد طلب مني عدد من الإخوان كتاباً حول سيرة النَّبِيِّين والمرسلين مع أُممهم ؛ وذلك لِما فيه مِن فائدة كبيرة يَتِّعِظُ بها كُلُّ مَن ﴿ كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧] . كما وإنَّ سرد هذه السيرة النورانية الطَّيِّبة فيها شَحْذٌ لِلْهِمَمِ والقلوب نحو حياة إسلامية صحيحة ، علّها تُعيد العزة والكرامة لهذه الأمة ، التي تُعاني في هذه الأيام مِن اتفاق أعداء الإسلام – وعلى رأسهم الماسونية العالمية والذين يَسِيرون في رَكْبِها – ، مِن أجل القضاء على الإسلام والمسلمين في كل مكان .

أجل ، في هذا الوقت بالذات الذي يتعرّض فيه المسلمون في كل أرجاء الأرض لِهَزّات واضطهادات دموية رهيبة ؛ وذلك لإبعادهم عن نور السماء ، عن الرسالة ، عن آخر الأديان السماوية ، عن دين الله تبارك وتعالى الذي به العِزّة وبه الكرامة ، وبتطبيقه يعيش المسلمون بل العالم كلُّه في حياة سعيدة فيها رخاء وعطاء .

فوقفتُ فترة من الزمن ثم شرح الله صدري لذلك ، فَلَبَّيْتُ طلبهم وأنا عالِمٌ بضعفي وعجزي عن حَمْل مِثْل هذا الموضوع الدقيق الهام ، مُسْتَمِدّاً مِنَ الله تبارك وتعالى العَوْن والتوفيق لهذه المهمة ، وإنْ كنتُ لستُ أهلاً لها ولكن جَهْدُ المُقِلِّ ، وعلّ ذلك أن يكون خطوة نحو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأسلوب شَيِّق يُحبِّبه مَن يقرؤه أو يسمعه إن شاء الله تعالى .

وآمل مِن الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب مُؤَثِّراً ومفيداً لجميع مَن يَطَّلِعُ عليه .

كما أسأل الكريم المَنّان مولى الموالي أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وسبباً لنجاتي ومَن عمل بما فيه مِن مواعظ وإرشادات ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء] .

كما أسأله تعالى أن يحشرنا يوم القيامة مع هؤلاء النَّبِيِّين والصِّدِّيقِين والشهداء والصالحين ، وحَسُنَ أولئك رفيقاً .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى الأنبياء والمرسلين أجمعين .

والحمد لله رب العالمين .

خادم العلم الشريف

محمد عيد يعقوب الحسيني



دعوة تمحُّصٍ وتأمُّلٍ على طريق العَامِلِيْن

إنَّ النبوة هي هدية من السماء إلى خُلاصة البشر ، إلى أُناس اصْطَفاهم الله ﷻ على العالَمِين ، وخصّهم بالنبوة منذ عالَم الذَّرِّ ، منذ ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ؟ بل قبل ذلك ، فخلَّصهم مِنَ الشوائب البشرية ، وجعل أرواحهم تَتَغَلَّبُ على العادات الحيوانية ، إلى أنْ هبط عليهم الوحي وبلّغهم رسالات ربهم تبارك وتعالى ، فكانوا كِراماً من كِرام ، وخُلاصة الخُلاصة .

وهذه السلسلة الطَّيِّبة ليست مُنْقَطِعة ، إنما هي سلسلة نورانية بُدِئَتْ بأبينا آدم ، وخُتِمَتْ بالمسك بسيدنا محمد صلّى الله وسلّم عليهم أجمعين . هي سلسلة بعضها من بعض ، مِن الشجرة المباركة الطاهرة الطيبة . ولو نظرتَ إليها لوجدتَها خِيرة بني آدم نسباً ، وخَلْقاً ، وخُلُقاً ، وفكراً ، وعقلاً ، وفي جميع المجالات .

سلسلة الأنبياء الكرام هي السلسلة السماوية النورانيَّة التي تَصِلُ الإنسان بعالم السماء ، وتُضيء له العوالم كلَّها ، تَدُلُّه على الرُّشْدِ والنور ، وعلى الطريق الصحيح الذي يجب عليه أن يسلكه في حياته ؛ لِيعيش وَفِيّاً مُوَحِّداً لربه ، صادقاً بعبوديته ، حتى يلقاه وهو عنه راض .

هي كوكب الهداية ، وهي القمر المستَنير والمنير في هذه الظلمات المستمرة ، وهي سراج لنا نُضيء به طريقنا الحاضر والمستَقبل .

هي السلسلة الرحمانية التي يرحم الله بها البلاد والعباد ، فهم بركة الأزمان كُلِّها ، بهم نُرزق ، وبهم يُرفع البلاء ، وبهم يُكْرِمُ الله ﷻ الناسَ . وهم كذلك بركة الأرض

دائماً ، أجسادهم في الأرض أمانة لا تَفْنى ، ولولا وجودهم لَخُسِفَتِ الأرض تماماً بسبب اقتراف المعاصي والذنوب .

يقول الله تبارك تعالى في محكم كتابه العزيز : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

ويقول لسيدنا محمد ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ ﴾ [غافر: ٧٨] .

فالذين قُصَّ علينا ذِكْرُهم حَصْراً خمسة وعشرون نبياً ورسولاً ، وهؤلاء يجب على المُكَلَّفين أن يؤمنوا بهم على التَّفصيل .

قال الله ﷻ : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الأنعام] .

أما الباقون فجاء ذِكْرُهم في آيات متفرقات من القرآن الكريم ، جَمَعَهُم أحد الشعراء في بيتين :

في تلك حجتنا منهم ثمانية ... مِنْ بعد عشر ويبقى سبعة وهُمُو

إدريس هود شعيب صالح وكذا ... ذو الكفل آدم بالمختار قد خُتِموا

وأسماؤهم كلُّها غير عربية ممنوعة من الصرف ، سوى أربعة فإنَّ أسماءهم عربية ، وهم : (هود ، شعيب ، صالح ، محمد) .

روى ابن حبان في صحيحه في ذِكْر الأنبياء والرسل عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « أربعة من العرب : هود ، وصالح ، وشعيب ، ونبيك يا أبا ذر »[1] .

---

(١) : ذكره ابن حجر في كتابه (فتح الباري) .

والأنبياء هم درجات ومقامات ولكنهم كلهم أحبابنا ، وكلهم أحباب الله ، وكلهم أصحاب الدرجات الرفيعة ، وكلهم أفضل من الملائكة ، ولولا ذلك لَما أَمَرَ الله الملائكة أن تسجد لأبينا آدم ، فالقاعدة تَقول : المفضول يسجد للأفضل .

سوىٰ أنَّ أُولِي العَزْم منهم خمسة ، وهم بترتيب تواريخهم : نوح ، وإبراهيم ، وموسىٰ ، وعيسىٰ ، ومحمد عليهم الصلاة والسلام . وأفضلهم علىٰ الإطلاق سيدنا محمد رسول الله وحبيب الله ، ثم إبراهيم ، ثم موسىٰ ، ثم عيسىٰ ، ثم نوح عليهم الصلاة والسلام .

قال الله تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب: ٧] .

فكلهم إخوة وَرِثوا الإيمان كابراً عن كابر ، وضحّوا وجاهدوا وبلّغوا أوامر ربهم ﷻ . وكل واحد كان مُتَمِّماً للآخَر بدعوته ، حتىٰ جُمِعَتْ وخُتِمَتْ بسيدنا محمد ﷺ . فشريعته خير الشرائع ، وهو خير الأنبياء والمرسلين بل المخلوقين أجمعين .

كلهم انطلقوا إلىٰ الرفيق الأعلىٰ ولكن أنوارهم لا زالت بيننا ، وكل شرائعهم نَسَخَ بعضُها بعضاً ، حتىٰ نَسَخَتْ شريعةُ الإسلام شريعةَ آخِرهم نبوة ورسالة .

وإنَّ بركتهم لا زالت باقيةً نَقْرَأُهم في كتاب الله ، وهذا دليل علىٰ مكانتهم عنده . فهناك في عدة سور في القرآن الكريم لا سِيَّما إذا أردتَ أن ترجع إلىٰ سورة هود وإلىٰ سورة الأنبياء ، فستجد ذِكْرَهم لِما قاموا به بتوفيق الله تعالىٰ ، فهو بيده يُعطيه مَن يشاء ، ولولا ذلك لَما قاموا بهذه المهام الصعبة عليهم الصلاة والسلام . فالأنبياء ابْتُلوا كثيراً مع أممهم ، وتصدّوا للصعاب والمشاكل ، وكل ذلك في ذات الله ﷻ .

وإنَّ سيرة الأنبياء مع الأمم كانت مستمرة منذ نزول أبينا آدم من الجنة وإلىٰ عهد سيدنا محمد ﷺ ، والمعركة لا زالت مستمرة كذلك بين الآمرين بالمعروف والنّاهين عن المنكر مِن هذه الأمة مع المخالفين مِن الناس وإلىٰ يوم القيامة . هكذا اقتضت سنة الله تعالىٰ في خَلْقه ، أن يكون هناك مَن يأمر بالمعروف ومَن ينهىٰ عن المنكر ، أن يقف الحق أمام الباطل ، أن يقف المُخْلِصون مِن أبناء هذه الأمة أمام مَن يخالف أَمْرَ الله ، وأمام

مَن يقف عثرة أمام الحقيقة والفضيلة .

وبهذا جاء المُرْسَلُون كلُّهم وبدون استثناء ، مُهِمَّتُهم أن يقولوا للناس : " لا إله إلَّا الله ، اعبدوا الله وَوَحِّدوه ، لا نافع ولا ضارّ بهذا الكون إلاّ الله " .

هكذا كان شِعارهم ، وهكذا وقفوا أمام الباطل والمنكر ، وتصدّوا وتحمّلوا المسؤولية وصبروا ، فكانوا حُجَّة الله على خَلْقِه .

فهؤلاء هم نخبة أكرمهم الله بالثبات ، وجعلهم خُلاصةَ خُلاصةِ خَلْقِه ، فثبتوا في تبليغ دعوى الله ﷻ حتى رفعهم الله تعالى إلى الرفيق الأعلى .

وإذا رأينا في زماننا مَن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فما هو إلاّ إنسان يسير على قدم هؤلاء الرجال .

وإذا عَلِمْنَا ما قاموا به وما قدّموا مِن خير للأمم كلها ، وكيف ابْتُلوا مع أممهم ؟ وكيف صبروا ؟ إنما لِنَربط الماضي بالحاضر ، لِنأخذ كيف العَزْم يكون شديداً ، لِننظر ما هو الواجب على هذه الأمم ؟ لماذا وُجِدَتْ ؟ وما السر في وجودنا على ظهر هذه اليابسة ؟ لا لِتكون مجرد قصة أو خبر قرأناه ، أو مجرد متعة قضيناها وهكذا ، إنما لنكون على استعداد تام لنكون دائماً مع نبينا ورسولنا ﷺ ، الذي بَيَّن لنا ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة .

أجل ، نذكر هؤلاء الأمم لنعرف كيف بدؤوا وكيف انتهوا ؟ كيف أكرمهم الله بالأنبياء لِيُوَجِّهوا ولِيَدُلّوا ولِيُعَلِّموا ؟ وإلى أين ذهب الصالح ؟ وإلى أَيِّ مكان وصل الطالح ؟

هذا في الدنيا ، وأما في الآخرة فنشاهد ذلك إن شاء الله تعالى بالعين المجردة وبدون واسطة ؛ لأننا سنجتمع مع الأمم كلها ولا مَحالة في أرض كبيرة واسعة ، تَجْمَعُ هؤلاء الأمم من عهد أبينا آدم وإلى يوم القيامة ، فنشاهد كيف يُثاب الطائع مِمَّنْ سَبَقَنا ؟ وكيف يُعاقَبُ العاصي ؟ في موقف رَبُّنا وحده هو الحاكم وهو العادل سبحانه ، لا يُفَرِّق بين إنسان وآخر إلاّ بالتَقوى والإيمان .

وكُلُّ ذلك أمامنا في كتاب الله العظيم ، ذَكَرَه الله لنا سبحانه مُجْمَلاً ، وشرحه لنا نبينا ﷺ ، وبقينا على مَحَجَّة بيضاء لا يَزِيغ عنها إلاّ هالِك . لِنَتَّعِظَ لا عَبَثاً ، لِنَعْتَبِرَ لا لَعِباً ،

لنقف أمام هذه القصص بكلنا ، بذواتِنا وكياننا ، لا سيّما في هذا الزمان بالذات ، فنحن أَحْوَج ما نكون إلى سِيَر هؤلاء الأنبياء وقصص المرسلين مع أقوامهم ؛ لِنكون صابرين على إيماننا وعلى ما نحن عليه ، مُتَمَسِّكِين بما جاء به رسول الله ﷺ .

فقصص الأنبياء وسِيَرهم ذخيرة عظيمة وكنز كبير لنا ، نستطيع أن نجعلها سيرةً نقتدي بها ، نَتَعَلَّم منها ونستَفيد ، ونأخذ دفعاً إلى الأمام في سَيْرِنا وسلوكنا ، وفي أخلاقنا ؛ لِنُتَمِّمَ طريقنا ودَرْبنا إلى الله تبارك وتعالى ، فهي تُعيد لنا الحيوية الروحية ، وتدفعنا نحو عمل أفضل . ولِنضاعف من أعمالنا الصالحة التي تُقَرِّبُنا من ربنا تبارك وتعالى . فكما أنت تضغط على زر الكهرباء لِيَخْرُجَ النور ، كذلك تَتْلو هذه السيرة العطرة لِتَنال منها النور الحقيقي الحسي والمعنوي الذي يَدُلّك على الله تبارك وتعالى .

وإني أرجو منك أيها القارئ إذا قرأتَ هذه السيرة أنْ تبقى مُتَفَكِّراً بها ، مُعْتَقِداً أنك جالس على نافذة تُشاهد الأمور بعينك مُجَرَّدة ، ترى الفريقين وكيف تبدأ المعركة ؟ وما يدور فيها بين الحق وبين الباطل ؟ لِتَتَأَثَّرَ وتكون بأجزائك كلِّها مع قصصهم ، ثم إذا انتهتْ أخذتَ منها ما ينفعك في حاضرك وفي مستَقبلك .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل: ٣٦] .

فهيّا إنَّ العمر قليل ، وإنّ أعمالنا ضئيلة ، وإنّ الحساب طويل ، وإنّ العَرْضَ عسير ، فَخُذْ مِن الحاضرة إلى الآتية ، وتَزَوَّدْ بزاد يكون نافعاً لك في تلك الدار . ولا تَغْتَرَّ بما ترى وتُشاهد مِن أهل زماننا فإنهم في غفلة ، فإذا ماتوا انتبهوا ، وبعد ذلك نَدِموا واعْتَبَروا .

ووالله ما الحياة إلاّ ساعة ، ويأتي على المرء زمان يقول : ليتَني تَزَوَّدْتُ كثيراً ، ليتَني أَخَذْتُ مِنْ دنياي لآخرتي ، ومِنْ حياتي لِمَماتي ، ومِنْ فراغي لِشُغْلي ، ومِنْ صحتي لِمَرضي ، ومِنْ غناي لِفقري .

هذه الصرخة كانت صرخة الأنبياء والمرسلين لأممهم ، فالقليل المُتَّعِظ ، والكثير الغافل النائم الذي يسمع الصيحات وكأنها نداء راعٍ لغنمه ، ولا تسمع الغنم

إلاّ الصيحة ولا تعلم منها شيئاً .

لقد أحببتُ أنْ أُقَدِّمَ لك أخي القارئ هذه الكلمات الموجزة في حقِّ الأنبياء عِرْفاناً بمكانتهم ، وعِرْفاناً بالدور الذي قاموا به جزاهم الله عنا وعن أممهم المؤمنين خيراً .

وإنّا نُشْهِدُ الله بأنّا نحبهم ، لا نُفَرِّقُ بين أحد منهم ، ونعتَقد أنَّ مَن اتّبع هُدَىٰ رسول اللهﷺ فقد اتّبع هُدَىٰ النبيِّين كلهم .

واللهَ أسأل الاتِّعاظ والادِّكار ، والعناية والتوفيق .



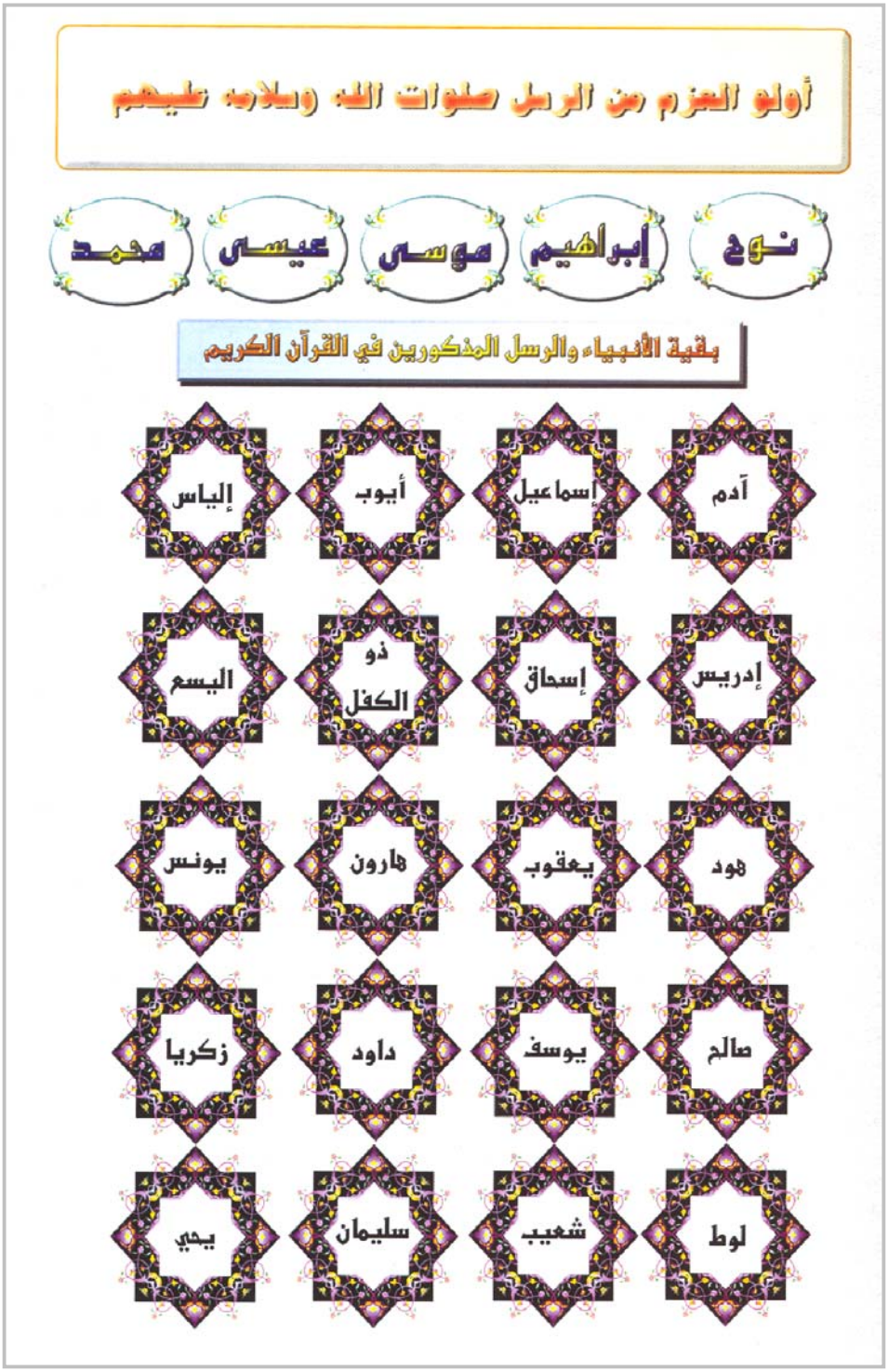
أولو العزم من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم
نوح
إبراهيم
موسى
عيسى
محمد
بقية الأنبياء والرسل المذكورين في القرآن الكريم
آدم
إسماعيل
أيوب
إلياس
إدريس
إسحاق
ذو الكفل
اليسع
هود
يعقوب
هارون
يونس
صالح
يوسف
داود
زكريا
لوط
شعيب
سليمان
يحيى

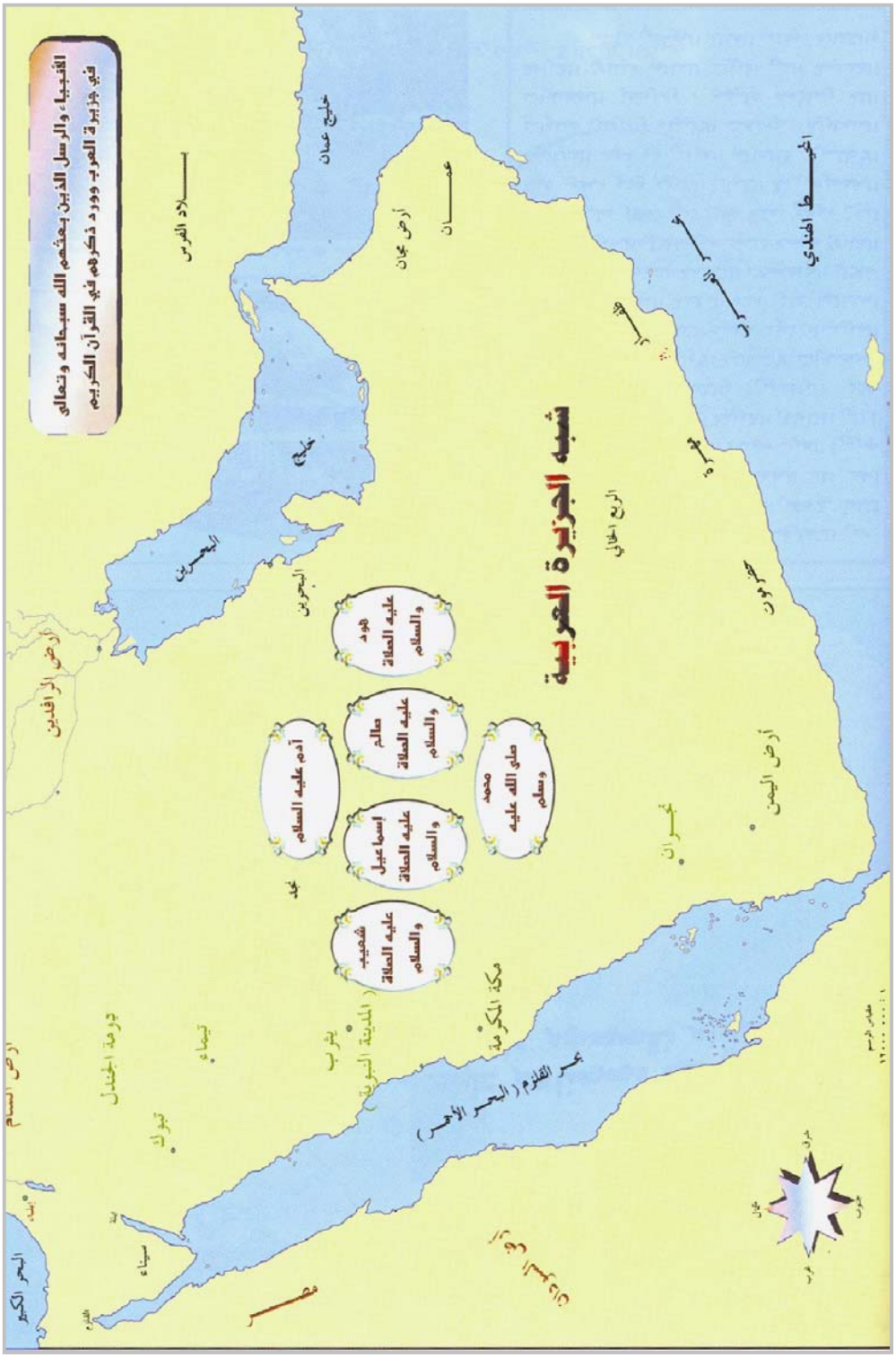
الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله سبحانه وتعالى
في جزيرة العرب وورد ذكرهم في القرآن الكريم
شبه الجزيرة العربية
هود عليه الصلاة والسلام
صالح عليه الصلاة والسلام
آدم عليه السلام
إسماعيل عليه الصلاة والسلام
محمد صلى الله عليه وسلم
شعيب عليه الصلاة والسلام
خليج عمان
عمان
أرض مجان
بلاد الفرس
خليج البحرين
البحرين
الربع الخالي
حضرموت
أرض اليمن
نجران
نجد
مكة المكرمة
يثرب (المدينة النبوية)
تيماء
تبوك
دومة الجندل
أرض الشام
سيناء
مصر
بحر القلزم (البحر الأحمر)
البحر الكبير
أرض الرافدين
المحيط الهندي


الأنبياء والرسل الذين بعثوا في العراق
وورد ذكرهم في القرآن الكريم
شمال
غرب
شرق
جنوب
أرض العراق
نوح
إدريس
يونس
إبراهيم
بغداد
بابل
الموصل
نينوى
الحضر
آشور
تكريت
ماري
البوكمال
عانات
الأنبار
الرمادي
الفالوجة
الدير
سبار
سلوقيا
العقير
كوثى
جمدة نصر
كيش
الحلة
كربلاء
عين التمر
الأخيضر
بارسبا
دليات
الكوفة
النجف
الفادسية
الديوانية
ايسن
نفر
الحي
واسط
ادب
قلعة سكر
اوما
فاره
لكش
الحوانيت
ارك
لارسا
الناصرية
أور
العبيد
أريدو (أبو شهرين)
تل اللحم
البصرة
العمارة
الكوت
الصويره
بدره
العقر
تل اجرب
خانقين
ديالى
برناة
هزارمرد
السليمانية
كركوك
نوري
درزي
كونسينجق
كاكزو
حسونة
كالح
أربيل
كوره
جرسباد
بنيان
جروانه
دهوك
عمادية
زاخو
نصيبين
تل حلف
جكر برار
البراك
سنجار
كري رش
أخويش
تنورتا
هيت
ايديس
بعقوبة
تل اسمر
خفاجي
اشجالي
طيسفون
سلوقيا
مقياس الرسم
صفر ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠كم
كاظمة
خليج البحرين


آسيا الصغرى
خليج الإسكندرونة
انطاكية
حلب
الباب
إدلب
نهر العاصي
جبلة
بانياس
طرطوس
الفينيقيون
حماة
حمص
سلمية
السخنة
العرق
تدمر
البحر الكبير
(المتوسط)
طرابلس
بعلبك
النبك
الآراميون
دمشق
بادية الشام
صيدا
صور
البثنية
أذرعات
حيفا
حوران
العموريون
(الأموريون)
جلعاد
بصرى
يافا
نهر الأردن
يبوس
الخليل
الكرك
بئر السبع
الطفيلة
البتراء
معان
أيلة
القامشلي
تل كوجك
رأس العين
الفرات الأعلى
الحسكة
الرقة
قدغمي
صورا
شمال العراق
البصيرة
نهر الفرات
لوط
إسحاق
يعقوب
أيوب
ذو الكفل
داود
سليمان
إلياس
اليسع
زكريا
يحيى
عيسى
الأنبياء والرسل الذين بعثوا في بلاد الشام
وفلسطين وذكروا في القرآن الكريم


الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله في
أرض مصر وذكروا في القرآن الكريم
أرض
كنعان
عمون
يبوس
الخليل
مؤاب
العريش
رشيد
الإسكندرية
دمياط
دمنهور
المنصورة
المحلة
طنطا
الفرما
الإسماعيلية
العمالقة
هيليو بوليس
ممفيس
(منف)
حلوان
السويس
صحـــراء سيناء
بركة قارون
نهر
الفيوم
بني سويف
مصر
مغاغة
أيلة
ابو زنيمة
منطقة الطور
جبل كاترينه
خليج السويس
خليج العقبة
مدين
الطور
يوسف
هارون
موسى
بحـر القلزم
(الأحمر)
النيل
شمال
شرق
غرب
مقياس الرسم
صفر ٤٠ ٨٠ ١٢٠ ١٤٠ ١٦٠ ١٨٠

سيدنا آدم
عليه الصلاة والسلام

قال الله تعالى في كتابه الكريم مُبيِّناً لنا بداية الوجود : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ[1] إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً[2] قَالُوٓاْ[3] أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ[4] ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ[5] أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ

---

(١) : هنا ربنا ﷻ ذكَر ذلك للملائكة ولم يكن مُسْتَشِيراً ، فهم ليسوا بشركاء لِيَسْتَشِيرَهم ، إنما أَراد إعلامهم بذلك.

(٢) : أي من يَخْلفني بإقامة الحدود والأحكام .

(٣) : أي عن خبرة ، حيث قبل خَلْق أبينا آدم بألفي عام سَكَنَ الأرض طوائف من الجن (الطَّمّ والرَّمّ) ، ومكثوا عليها فترات طويلة ، أُمِروا بشرائع ولكنهم خالفوا وغيّروا وبدّلوا ، فأرسل الله عليهم الملائكة فقاتَلَتْهم وقَتَلَتْهُم شر قِتْلة .

فهنا بعد أن انتهت مهمة الملائكة من الأرض ، ورأوا فساد الجن وما عثوا وما فعلوا ، وأَعْلَمَهم الله تعالى بأنه خالقٌ بَشَراً ، فاستفسروا مُسْتَفْهِمين لا مُسْتَنْكِرين : أهذا كهؤلاء الجن الذين عصوا ، وسفكوا الدماء ، وفعلوا المحارم ، وخالفوا أوامرك ؟

(٤) : أي يقول ﷻ للملائكة : سَتَرَوْن أنَّ آدم وذريته يختلفون بالعبادة عن الجن ، وأنه سيكون منهم العبّاد والزهّاد ، والأنبياء والصالحون إلى يوم القيامة ، كما ذكر ذلك المفسرون .

(٥) : قيل : إنه مِن طائفة الجن المقتولة ، أُخِذَ طفلاً ورُبِّيَ مع الملائكة ، وكان بعد ذلك يُنعت بعزازير .

=

وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [البقرة][1] .

۞ ذِكْرُ سبب تسميته بآدم وكنيته :

قال القرطبي في تفسيره الكبير نقلاً عن سعيد بن جبير : وإنما سُمِّيَ آدم لأن الله تعالى خَلَقَه مِن أَديم الأرض[2] .

وقال ابن سعد في طبقاته : وسُمِّيَ إنساناً لأنه نَسِيَ .

قال السُّهَيْلي : ويُكَنّى آدمُ أبا البشر ، وقيل : أبا محمد ، كُنِّيَ بمحمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم .

قال كعب الأحبار : وليس أحد في الجنة له لحية إلاّ آدم ، لحيته سوداء إلى سُرَّته . وليس أحد يُكْتنى في الجنة إلاّ آدم ، كنيته في الدنيا أبو البشر ، وفي الجنة أبو محمد .

۞ خَلْقُ أبينا آدم عليه السلام :

قال ربنا ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر : ٢٦] .

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : إنَّ الله تعالى خَلَق آدم من الأقاليم السبعة .

وقيل : إنه مِن طائفة من الملائكة خُلِقَتْ مِن نار السّموم ، حيث الاستثناء ليس استثناء منقطعاً ، إنما هو استثناء بعضٍ مِن كُلٍّ . ارجع إن شئتَ إلى تفسير القرطبي ، وتفسير الرازي ، وتفسير البحر .

(١): ارجع كذلك إن شئتَ إلى المواضع التالية من القرآن الكريم : آل عمران٣٣-٣٤ و٥٩ ، المائدة ٢٧-٣١ ، الأعراف ١١-٢٧ و١٧٢-١٧٤ ، الحجر٢٨-٥٠ ، الإسراء ٦١-٦٥ ، الكهف ٥٠ ، مريم ٥٨ ، طه ١١٥-١٢٤ ، ص٧١-٨٥ .

(٢): ذَكَرَه كذلك النويري في نهاية الأرب .

وقيل كما ذكر أصحاب السِّيَر : إنَّ مَلَك الموت أخذ من تراب الأرض كلِّها ، أبيضها وأحمرها وأسودها ، وعَذْبها ومالحها ، فهو مخلوق من ذلك التراب .

وروي عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ الله ﷻ خَلَقَ آدم من قَبْضة قَبَضَها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك ، والسَّهْل والحَزْن والخبيث والطَّيِّب »[1] .

قال ابن عباس في قصة خَلْق آدم عليه السلام : فبعث الله جبريل عليه السلام إلى الأرض لِيَأْتِيَه بِطِين منها، فقالت الأرض: أعوذ بالله منكَ أنْ تُنْقِصَ مني أو تشِينَني ، فرجع ولم يأخذ وقال : يا رَبِّ ، إنها عاذتْ بك فأَعَذْتُها .

فبعث ميكائيلَ ، فعاذتْ منه فأَعاذها ، فرجع فقال كما قال جبريل .

فبعث مَلَك الموت فعاذتْ منه ، فقال : وأنا أَعوذ بالله أنْ أرجع ولم أُنَفِّذْ أَمْرَه . فأخذ مِن وجه الأرض وخَلَطَ ، ولم يأخذ من مكان واحد ، وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء ؛ فلذلك خرج بنو آدم مختلفين . فصعد به ، فقال الله تعالى له : أما رَحِمْتَ الأرضَ حين تَضَرَّعَتْ إليك ؟ فقال : رأيتُ أَمْرَكَ أَوْجَبَ مِن قولها ، فقال : أنت تَصْلُحُ لِقَبْض أرواح ولده .

فَبُلَّ الترابُ حتى عاد طيناً لازباً[2] ، ثم تُرِكَ حتى أَنْتَنَ ، فذلك حيث قال ربنا : ﴿ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾، أي مُنْتِن .

ثم قال تعالى للملائكة : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [ص] .

فَخَلَقَه الله تبارك وتعالى بيده لكي لا يتكبّر إبليس عنه ، يقول : أَتَتَكَبَّرُ عمّا خَلَقْتُ بيديّ ؟ فَخَلَقَهُ تبارك وتعالى بشراً .

---

(١) : أخرجه الترمذي وأبو داود ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح . ورواه كذلك من طرق الإمام أحمد في مسنده ، وابن حبان في صحيحه ، والبيهقي في سننه الكبرى ، والبزار في مسنده ، وأبو نعيم في الحلية ولفظه: (مِنْ جميع أديم الأرض) ، وغيرهم .

(٢) : اللاّزب هو الذي يلتصق بعضه ببعض .

فكان عليه السلام جسداً من طين أربعين سنة مِن مقدار يوم الجمعة .

وقيل : أربعين يوماً .

فمرّتْ به الملائكة ففزعوا منه لَمّا رَأَوْه ، وكان إبليس أَشَدَّهم فزعاً ، فكان يَمُرُّ به فيضربه ، فيُصَوِّتُ الجسد كما يُصَوِّتُ الفخّار ، تكون له صَلْصَلة ، فذلك حين يقول الله تعالى : ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤] . وكان إبليس يدخل من فمه ويخرج من دبره ، ويقول للملائكة : لا تَرْهَبوا مِن هذا فإنه أَجْوَف ، ولئن سُلِّطْتُ عليه لأُهْلِكَنَّه .

ويقال : إنه كان إذا مَرَّ عليه مع الملائكة يقول : أَرَأَيْتُم هذا الذي لم تَرَوْا من الخلائق يُشْبِهُهُ ؟ إنْ فُضِّلَ عليكم وأُمِرْتُم بطاعته ما أنتم فاعلون ؟ قالوا : نُطيع أَمْرَ ربنا . فكان إبليس يُسِرُّ في نفسه لئن فُضِّلَ عليه فلا يُطيعه ، ولئن فُضِّلْتُ عليه لأُهْلِكَنّه[1] .

هذا ما ذكره الإمام القرطبي في تفسيره الكبير الجامع لأحكام القرآن نقلاً عن ابن عباس ، وعن مُرّة الهمداني ، وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

وفي رواية ذكرها النويري في نهاية الأرَب قال : فعندما أراد الله تعالى أن يبدأ هذه البشرية كما اقْتَضَتْ إرادتُه وقدرتُه وعِلْمُه ، أمر جبريل عليه السلام أن ينزل إلى الأرض ليأتي بجزء منها يخلق منه أبانا آدم . فذهب جبريلُ وأتى الأرض ، وأراد أن يخرج وأن يصعد إلى السماء وقد أَخَذَ منها ما أُمِرَ ، غَيْرَ أنّها أَقْسَمَتْ عليه بالله ألاّ يُنْقِصَها ، فقالت له : أقسمتُ عليكَ بالله إلاّ ما تَرَكْتَني . فقال لها : لقد أقسمتِ بعظيم ، وتَرَكَها وقال : يا رب ، إنها أَقْسَمَتْ عليّ بك ألاّ آخذ منها وألاّ أُنْقِصَها .

فطلب ربنا تعالى من ميكائيل أن يفعل ما فعل جبريل ، وحصل به ما حصل معه .

ثم كَلَّفَ الله تعالى بهذه المهمة مَلَكاً جبّاراً عظيماً ، وطلب منه أن يأتي له مِن الأرض ما أَمَرَ مَن سبقه مِن الملائكة . فانطلق مَلَك الموت إلى الأرض ، ومدّ يده وأراد أن يأخذ منها ، فأقسمتْ عليه ، فقال لها : أقسمتُ عليك إلاّ ما تَرَكْتِني لأُنَفِّذَ أوامر ربي .

فأخذ كما ورد من جميع أنواع وألوان وأقسام الأرض ، وعند ذلك بُدِئَ بِخَلْق أبينا

---

(١) : فهكذا إبليس بالأصل ومن البداية هو عدو لآدم ولأولاد آدم .

آدم حيث هو حادث ، فانطلق الطين والحَمَأُ المُنْتِن إلى صلصال وطين مَجْبول .

قال وهب بن منبه : فكان رأسه عليه السلام من الأرض الأولى ، وعنقه من الثانية ، وصدره من الثالثة ، ويده من الرابعة ، وبطنه وظهره من الخامسة ، وفخذه ومذاكيره وعَجزه من السادسة ، وساقه وقدمه من السابعة .

وقد دام صنعه قرابة الخمسمائة عام .

وقيل : صُنِعَ بأربعين يوماً .

كان في البداية طويلاً كبيراً ، ثم تحجّم بعد ذلك بطول ستين ذراعاً ، وبعرض سبعة أذرع .

قال النويري : ولَمّا خلقه الله جل جلاله وصَوَّرَه على هذه الصورة الآدميّة ، أَمَرَ الملائكةَ أن يحملوه ويضعوه على باب الجنة عند مَمَرِّ الملائكة ، وكان جسداً لا روح فيه ، فكانت الملائكة يَعْجَبون مِن خِلْقَتِه وصورته ؛ لأنهم لم يكونوا رَأَوْا مِثْلَه قط . وكان إبليس يُطيل النظر إليه ويقول : ما خَلَقَ الله تعالى هذا إلاّ لأَمْرٍ ، وربَّما دَخَل فيه ، فإذا خرج قال : إنه خَلْقٌ ضعيف خُلِقَ من طين أَجْوَف ، والأَجْوَفُ لا بد له من مَطْعَمٍ ومَشْرَبٍ .

ثم أمر الله تعالى الروح[1] أن تَدْخُلَ جسد آدم عليه السلام بالتَّأَنِّي لا بالقوة دون الاستعجال .

۞ دخول الروح في جسد آدم عليه السلام :

وإليك أخي القارئ بأسلوب مُبَسَّطٍ كيف هناك سَرَتِ الروح في جسد آدم عليه السلام كما ذكر ذلك وهب بن منبه :

قال : فعندما أرادت الروح أن تدخل جسد آدم عليه السلام ، رأتْ مَدْخَلاً ضَيِّقاً حرجاً فقالت : يا ربّ ، وكيف أدخل ؟ فنوديتْ : ادخلي كَرْهاً واخرجي كَرْهاً . فدخلتْ من يافوخ آدم إلى عينيه ، ففتح آدم عينيه ونظر إلى جسده الترابي ، نظر إلى نفسه طيناً . ثم صارت إلى أذنيه ، فسمع آدم تسبيح الملائكة في السماوات . ثم جعلت تمر

---

(١) : الروح من ماهيَة تختلف عن ماهية الطين . قال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٨٥] .

في رأسه ، ثم صارت إلى الخيشوم فعطس آدم ، فانفتحت المجاري المسدودة كلها ، وصارت إلى اللسان فقال آدم : (الحمد لله الذي لم يزل ولا يزول) ، وهي أول كلمة قالها ، فناداه الرب : يرحمك ربك يا آدم ؛ لهذا خَلَقْتُكَ ، وهذا لك ولذريتك . ثم سارت الروح في جسد آدم عليه السلام حتى بلغت الساقين ، وكلما انطلقت إلى مكان انقلب من طين إلى لحم ، فصار كله لحماً وعظماً ودماً وعروقاً ، غير أنَّ رجليه لا زالتا من طين ، فأراد أن يقوم لأنه نظر إلى ثمار الجنة وإلى أشجارها ، فعَجِلَ وأراد أن يهرول ليتناول من هذه الثمار فلم يستطع ؛ لهذا قال تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء: ١١] ، أي عَجِلَ قبل انتهاء خَلْقِهِ ليقوم على قدميه . فلما صارت الروح إلى الساقين والقدمين استوى قائماً بقدرة الله تعالى على قدميه ، وكان ذلك في يوم الجمعة .

فقيل : إن الروح اسْتَوَتْ في جسده في خمسمائة عام .

وفي رواية لابن عباس ذكرها القرطبي في تفسيره الكبير قال : فلمّا بَلَغ الحِينُ الذي أُريدَ أنْ يُنفخ فيه الروح ، قال تبارك وتعالى للملائكة : إذا نفختُ فيه من روحي فاسجدوا له . فلما نُفِخَ فيه الروح فدخل في رأسه عَطَسَ ، فقالت له الملائكة : قل : الحمد لله ، فقال : الحمد لله ، فقال الله له : رَحِمَكَ ربُّك . فلمّا دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة ، فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام ، فَوَثَب قَبْلَ أنْ يَبْلُغَ الروحُ رجليه عَجْلانَ إلى ثمار الجنة ، فذلك حيث يقول ربنا تبارك وتعالى : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء: ٣٧] .

فكانت الروح تنطلق وتسير بِهُنَيْهَة ، والملائكة ينظرون ويشاهدون الخَلْق ، كيف آدم يُخْلَقُ ؟ وكيف الأمور تتدرّج ؟ وكيف الروح تنطلق من مكان إلى مكان ؟

۞ سجود الملائكة لآدم عليه السلام ورفض إبليس :

قال وهب بن منبه : فلما استوى قائماً أَمَرَ الله تعالى الملائكة بالسجود له ، فسجدوا كلُّهم إلاّ إبليس كما أخبر الله تعالى عنه حيث قال : ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [ص] .

قال وهب بن منبه : وكان السجود لآدم يوم الجمعة عند الزوال ، فَبَقِيَتِ الملائكةُ في سجودها إلى العصر .

قال وهب : وعلّم الله تعالى آدم الأسماء كلَّها ، واللغات بأجمعها .

وفي رواية لابن عباس رضي الله عنهما قال : عَلَّمَه حتى لغة الحيتان والضفادع ، وجميع ما في البر والبحر .

قال ابن عباس : ثم أمَر الملائكةَ أن يحملوه على أكتافهم ويطوفوا به في طرائق السماوات ، ففعلوا ذلك .

وفي رواية : أنَّ جبريل حمله وطاف به في طُرُق السماوات ، فرأتْه الملائكة في صورة عجيبة .

قال ابن عباس : ثم أمَرَ اللهﷻ جبريل أن ينادي في صفوف الملائكة أنْ يَجْتَمِعُوا ، فاجتمعوا واصْطَفُّوا عشرين ألف صف ، ووُضِعَ لآدم منبر الكرامة وعليه ثياب السندس الأخضر ، وله ضفيرتان مَحْشُوَّتان بالمسك والعنبر بطوله ، وعلى رأسه تاج العزة والكرامة ، وهو من ذهب مرصع بالدر والجوهر .

فانْتَصَبَ على المنبر وسَلَّمَ على الملائكة ، فأجابَتْهُ بِرَدِّ السلام . وخطب فحمد الله ، ثم ذَكَرَ عِلْمَ السماوات والأرض وما فيهما ، وذكر لهم أسماء الأشياء التي هم عجزوا عن معرفتها ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [البقرة] . فوقفت الملائكةُ متفاجئة بهذا الإنسان كيف عَلِم ذلك ؟!

ثم أمر الله تبارك وتعالى الملائكة كلَّهم أن يسجدوا لآدم كما في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٢٩] ، فقالت الملائكة : سمعنا وأطعنا ، وسجدوا كلهم أجمعون من وقت الظهر إلى العصر ، إلاّ إبليس كما أخبر عنهﷻ بكتابه : ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا

خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [ص] . وكان ذلك في يوم الجمعة – كما قدّمنا – .

قال جامع هذه الكلمات : وأما قوله : ﴿ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ فَكَذَبَ إبليسُ ، لأن الطين خير من النار ، ففي الطين الأناة والحِلْم والتُّؤَدة ، وفي النار الخِفّة والرُّعُونة . فإبليس ليس بخير من أبينا آدم ، إنما لو أطاع الله لكان خيراً له .

وكذلك بعد أن وُجِدَ آدمعليه السلام على ظهر اليابسة ، أصَرَّ إبليس على عدم السجود له .

فقد ورد أن نبي الله موسى كان مُتَوَجِّهاً إلى مناجاة ربه ، فتعرّض له إبليس فقال له : يا موسى ، هل لك أن تشفع لي عند ربك لِيتوب عليّ ؟ فوجدها موسى فرصة طيبة ، حيث إذا تاب إبليس تاب البشر . فذهب وكلّم ربه وناجاه ، واستحيى أن يَعْرِضَ الموضوع ، فقال رب العزة : يا موسى معك أمانة ، هلاّ بلغتَنا الأمانة ؟ قال : يا رب ، أنت أخبر بها مني . قال : قُلْها ، قال : إنه يريد أن يتوب ، قال : قَبِلْنا توبته بشرط أن يسجد لقبر آدم . فرجع موسى فَرِحاً ، والتقى مع إبليس وقال : أبْشِر ، قال : ماذا ؟ قال : قَبِلَ الله توبتك بشرط واحد ، قال : ما هو ؟ قال : أن تسجد لقبر آدم ، قال : لم أسجد له حياً أأسْجُدُ له ميتاً ؟

وكما ورد أيضاً فإنه في يوم القيامة في كل مائة ألف عام ، يُخْرَجُ إبليس من النار ويقال له : إذا سجدتَ لآدم غفرنا لك ، فيقول : لا ، بل النار أوْلى . فيعود إلى النار .

وهكذا إبليس يرفض أن يطيع الله وأن يسجد لآدم ، فَحَكَمَ الله عليه وتركه ، وسيأتي ذِكْر ما أعطاه الله عز وجل في التَّسَلُّط على بني آدم ، وما أعطى ربُّنا آدمَ وذُرِّيَّته مِن المغفرة والتوبة .

قال ابن عباس : ثم نزل آدمعليه السلام عن منبره ، فجيء له بقطف من عنب أبيض ، فأكله وحمد الله ، وهو أول شيء أكَلَه من الجنة .

ثم أخذته سِنَة فنام على باب الجنة ، وأراد الله بعد ذلك أن يخلق أمنا حواء عليها السلام .

۞ خَلْقُ أمنا حواء وزواجها من آدمعليه السلام :

وإنما سُمِّيَت حواء لأنها خُلِقَتْ من حي ، خُلِقَتْ مِن ضلع من ضلوع آدمعليه السلام . ولم يشعر آدم بذلك ، ولو تَألَّمَ وتأذّى لَما سكن رجل لأنثى قط .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ولَمّا نام آدم ، خَلَقَ الله تعالى حواء مِن جنبه الأيسر ، مِن ضلعه مما يلي الشُّرْسوف ، وهو ضلع أعوج .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [النساء: ١] .

وكانت حواء على طول آدم وحُسْنِه وجماله ، إلاّ أنّها أرَقّ جِلْداً منه ، وأحسن صوتاً ، ولها ضفائر مُرَصَّعةٌ مَحْشُوّةٌ بالمسك ، تُسْمَعُ لذوائبها خَشْخَشة .

فجلستْ عند رأسه ، فانتبه فرآها ، فَتَمَكَّنَ حُبُّها من قلبه ، فقال : يا رب ، مَن هذه ؟ قال : أمَتي حواء . فقال : يا رب ، لِمن خَلَقْتَها ؟ فقال : لِمَنْ أخذها بالأمانة وأصْدَقها الشُّكْر ، قال : يا رب ، أنا أَقْبَلُها على هذا فَزَوِّجْنيها .

فزوّجها إياه قبل دخول الجنة على الطاعة ، والتقوى ، والعمل الصالح .

ونثرت عليهما الملائكة من نثار الجنة احتفالاً وابتهاجاً بهذا العرس العظيم ، وكان هذا أول عرس جرى في الكائنات .

وقال بعضهم : كان صَداقها أن يصلي على ابنه النبي محمدﷺ مرات ، وأن يشكر اللهﷻ .

قال ابن عباس : وأوحى الله تعالى إلى آدم : أن اذْكُرْ نعمتي عليك ، فإني خَلَقْتُكَ بِبَدِيع فِطْرَتي ، وسَوَّيْتُك بَشَراً على مشيئتي ، ونفختُ فيك مِن روحي ، وأسْجَدْتُ لك ملائكتي ، وحملتُك على أكتافهم ، وجعلتُك خطيبهم ، وأطلقتُ على لسانك جميع اللغات ، وجعلتُ ذلك كلّه فخراً وشرفاً لك ، وهذا إبليس قد أبْلَسْتُه ولعنته حين أبى أن يسجد لك ، وقد خَتَمْتُ كرامتي لك بأَمَتي حواء ، وقد بَنَيْتُ لكما دار الحيوان[1] مِن قبل أن أخلقكما بألفي عام على أن تَدْخُلاها بعهدي وأمانتي .

۞ العهد والأمانة التي أُخِذَتْ على آدم وحواء ودخولُهما الجنة :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢] .

---

(١) : أي دار الحياة الدائمة .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : والأمانة هي أن يُكافَؤُوا على الإحسان ، ويُعَذَّبوا على الإساءة . فَأَبَوْا ، فعُرِضَتْ على آدم فقيل له : إنْ أطعتَ كافيتُك بالإحسان وخَلَّدْتك في الجنان ، وإنْ تركتَ عهدي أخرجتُك من داري وعَذَّبْتُك بناري . فَقَبِلَ آدم الأمانة ، فَعَجِبَ الملائكةُ من ذلك .

ثم مُثِّلَ له ولِحواء إبليسُ ، وقيل له : ﴿ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه: ١١٧] .

ثم ناداهما الرب : إنَّ من عهدي إليكما وأمانتي أن تدخلا الجنة ، ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ[1] ﴾ [البقرة: ٣٥] .

وسيأتي معنا إن شاء الله تعالى بيان هذه الشجرة (ص ٥٩) ، وما قيل حولها في تفسير هذه الآية .

قال ابن عباس : فَقَبِلا هذه العهود كلَّها ، ثم أمر الله تعالى بإدخالهما الجنة ، فحُمِلَ آدم على الفرس الميمون[2] ، وحواء وراءه على الناقة ، والملائكة عن اليمين وعن الشمال ، وأمامهما وخلفهما حتى بلغوا باب الجنة . ودخلا واستقرّا بجنة عدن في وسط الجنة بعد أنْ طافا بالجنان ، فَقُدِّمَ إليهما من فواكه الجنة فأَكَلا ، فكانا في الجنة خمسمائة عام من أعوام الدنيا في أَتَمِّ السرور وأَنْعَم الأحوال .

فآدمعليه السلام دخل الجنة راكباً بطاعته وامتثاله لأمر ربه ، وخرج منها ماشياً بسبب المخالفة كما سيأتي معنا إن شاء الله تعالى .

۞ خبر إبليس والطاووس والحية والأكل من الشجرة :

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ولَمّا سمع إبليس أن الله تعالى أباح لآدم أن يأكل

---

(١) : لفظة الظلم تعني الخروج عن الطريق الصحيح ، أي يقول لهما رب العزة : فإذا أَكَلْتُما يا آدم ويا حواء من هذه الشجرة تكونا قد خالفتما القول والعهد الذي أُخِذَ عليكما .

(٢) : كان جواداً غريباً يختلف عن الخيل في زماننا وله شأن خاص ، كان إذا صهل استجابت الجبال والوديان معه يُسَبِّحْنَ بحمد الله وتقديسه .

من ثمار الجنة إلاّ شجرة واحدة ، فَرِح بذلك فقال : لأُخْرِجَنّهما من الجنة ، ثم مرّ مُسْتَخْفِياً في طرقات السماوات حتى وقف على باب الجنة .

واللهُ ﷻ يعلم اختفاءه ، غير أنّ قضاء الله تعالى سَيَتِمُّ ولا بد من إتمامه .

قال ابن عباس : فإذا الطاووس قد خرج من الجنة وله جناحان ، إذا نشرهما غطّى بهما سدرة المنتهى ، وله ذَنَب من الزمرد الأخضر ، على كل ريشة منه جوهرة بيضاء ، وعيناه من الياقوت الأحمر ، وهو أطيب طيور الجنة صوتاً وتغريداً ، وكان يخرج ويمر في السماوات يَخْطِرُ في مِشْيَته ويرجع إلى الجنة .

فلما رآه إبليس كَلَّمَهُ بكلام لَيِّن وقال : أيها الطائر العجيبُ الخَلْق ، الطَّيِّب الصوت ، مَن تكون مِن طيور الجنة ؟ فقال : أنا الطاووس ، فما لك أيها الشخص كأنك مرعوب تخاف مِن طالبٍ يَطْلُبُك ؟ قال إبليس : أنا مِنْ ملائكة الصَّفيح الأعلى[١] مِن زمرة الكَرُوبِيِّين[٢] ، وقد أحببتُ أنْ أنظر إلى الجنة وإلى ما أعدَّ الله فيها لأهلها ، فهل لك أن تُدْخِلَني الجنة وأنا أُعَلِّمُكَ ثلاث كلمات مَن قالها لا يَهْرَمُ ، ولا يَسْقَمُ ، ولا يموت أبداً ؟ فقال له : وأهل الجنة يموتون ؟ قال : نعم ، ويَسْقمون ويهرمون إلاّ مَن كانت عنده هذه الكلمات . وحلف له على ذلك ، فوَثِق به الطاووس ولم يظنّ أنَّ أحداً يحلف بالله كاذِباً ، فقال: ما أحْوَجَني إلى هذه الكلمات ، غير أني أخاف أن يَسْتَخْبِرَني رضوان عنك ، ولكني أبعث إليك الحية ، فإنها سيدة دوابّ الجنة .

قال : وجاء الطاووس إلى الحية وهي يومئذ على صورة الجمل ، ولها زُغَبٌ كالعَبْقَرِيّ[٣] ما بين أبيض وأحمر وأسود وأخضر ، ولها عُرْف من اللؤلؤ ،

---

(١) : الصَّفيح اسم من أسماء السماء .

(٢) : الملائكة الكروبيّون هم سادة الملائكة ، وهم المُقَرَّبون . قيل : إنهم سُمّوا بالكروبيّين لأنهم هم المُتَصَدُّون للدعاء بدفع الكَرْب عن الناس .

(٣) : الزّغب صغار الريش والشعر ، والواحدة زغبة .

أما العبقري فهو الطَّنافِس السِّخان ، الواحدة عبقريّة . قال صاحب القاموس : والطُّنْفُسة البساط ، تُجْمَعُ على طنافس .

وذوائب من اليـاقوت ، ورائحـة كرائحـة المسـك والعنـبر ، وكـان مسـكنها في جنـة المـأوىٰ ، وكانت تُسايِرُ آدم وحواء في الجنة وتخبرهما بالأشجار .

فلَمّا أخبرها الطـاووس بـالخبر ، أسـرعت الحيـة نحـو بـاب الجنـة ، فتقـدّم إبليـس إليـها وقال لها كَقَوْلِه للطـاووس ، وحَلَفَ لها ، فقالت : حَسْبُك ، ولكـن كيـف أُدْخِلُـكَ ؟ فقـال : إني أرىٰ ما بين نابَيْكِ فُرْجة وهي تَسَعُني . ففتحت الحيـة فاهـا ، فوثـب وقعـد بـين نابَيْـها ، فصار نابُها إلىٰ آخر الدهر سُمّاً .

ودخلـت الجنـةَ ولم يُكَلِّمْـها رضـوان للقضـاء السـابق . فلمـا توسّـطت الجنـةَ قـالت : اخْرُجْ وعَجِّل ، قال : إنَّ حاجتي من الجنة آدم وحـواء ، فـإني أريـد أنْ أُكَلِّمَـهُما مِـن فيـكِ ، فإنْ لم تفعلي ذلك فما أُعَلِّمك الكلمات .

فجاءت إلىٰ حواء ، فقال إبليس مِن فِيها : يا حواء ، ألستِ تعلمين أنـي معـك في الجنـة أُحَدِّثُكِ بكل ما فيها ، وأنا صادقة في كل ما حَدَّثْتُكِ به ؟ قالت حـواء : نعـم ، قـال إبليـس : يا حواء ، أخبريني ما الذي أحَلَّ لكما ربكمـا مِـن هـذه الجنـة وحـرّم عليكمـا ؟ فأخبرتْـه بما نهاهما عنه ، فقال إبليس : لماذا نهاكما عن شجرة الخلد ؟ فقـالت حـواء : لا أعلـم بذلـك ، قال : أنا أعلم ، إنما نهاكما لأنه أراد ألاّ يفعل بكما ما فعل بالعبد الذي مَـأْواه تحـت شـجرة الخلد . هذا وحواء تظنّ أنَّ الخطاب لها من الحية .

فوثبت حواء عن سريرها لِتَنظر إلىٰ العبد ، فخرج إبليس مِن فِيها كالـبرق وقعـد تحـت الشـجرة . وأقبلـتْ حـواء فوقفـتْ بـالبُعْد منـه ونادتْـه : مَـن أنـت أيـها الشـخص ؟ قـال : خَلْقٌ مِن خَلْقِ الله خَلَقَني من نار كما تَريني ، وأنا في هذه الجنة منذ ألفي عـام ، خَلَقَـني كما خلقكما بيده ، ونفخ فيَّ مِن روحه ، وأسْجَدَ لي ملائكته ، وأسْكَنَني جَنَّتَه ، ونهاني عـن أكْـل هذه الشجرة ، فكنتُ لا آكل منها حتىٰ نصحني بعض الملائكة وقال لي : كُلْ منها ، فـإنَّ مَـن أكل منها كان مُخَلَّداً في الجنة أبداً . فأكلتُ منها ، فأنا في الجنة إلىٰ وقتي هذا قد أمِنْتُ الهَـرَمَ ، والسّقم ، والموت ، والخروج من الجنة . ثم قال : واللهِ ، ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ [الأعـراف: ٢٠]. ثـم نـادىٰ : يـا حـواء ، اسْبِقي وكُلـي قبـل زوجك ، فمَن سبق كان له الفضل علىٰ صاحبه .

فأقبلت حواء إلى آدم وهي مُسْتَبْشِرة فَرِحة ، فأخبرتْه بخبر الحية والشخص ، وأنه قد حلف لها بأنه لهما مِنَ الناصحين ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٢١] .

وتقدّمت حواء إلى الشجرة ولها أغصان لا تُحصى ، وعلى الأغصان سنابل ، كُلُّ حبة منها مِثْل قلال هَجَر[1] ، ولها رائحة كالمسك ، أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل . فأخذتْ منها سبع سنابل من سبعة أغصان ، فأكلتْ واحدة وادّخرت واحدة ، وجاءت بخمس إلى آدم عليه السلام .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : لم يكن لآدم في ذلك أَمْرٌ ولا إرادة ، بل كان في سابق العِلْم ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠] .

فتناول آدم السنابل من يدها وقد نَسِيَ العهدَ الذي أُخِذَ عليه مِن أجلها ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [طه: ١١٥] ، فذاق من الشجرة كما ذاقتْ حواء .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف: ٢٢] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : والذي نفسي بيده ما ساغ آدم من تلك السنابل سنبلة واحدة حتى طار التاج عن رأسه ، وعري مِن لباسه ، وانْتُزِعَتْ عنه خواتمُه ، وسقط كل ما كان على حواء مِن لباسها وحُلِيّها وزينتها ، وناداهما كلُّ ما طار عنهما : يا آدم ، طال حُزْنُك ، وعَظُمَتْ رَزِيَّتك ، وعليك السلام إلى يوم اللقاء . ولم يَبْقَ عليهما مِنْ لباسهما شيء ، ونظر كل منهما إلى سَوْءة صاحبه .

وهرب إبليس فسار مُسْتَخْفِياً في طرائق السماوات ، وصاح آدم صيحة عظيمة ، ولم يَبْقَ في الجنة شيء إلاّ لامَهُ ، وانقبضت عنه الأشجار .

فلما كَثُرَتْ عليه الملامات مرّ هارباً على وجهه ، فالتفّتْ عليه شجرة الطلح وأمسكته

---

(١) : هَجَر ناحية البحرين كلها ، وهي معروفة بالقلال التي كانت تُجلب منها إلى المدينة .

ونادته : إلى أين تهرب يا عاصي ؟ واضطربت الملائكة لذلك .

وهكذا بدأت الحسرة ، وبدأ البكاء والأنين ، والله ﷻ يعلم كم لاقى آدم يومها من المرارة .

إنما يجب عليك أيها القارئ الكريم أنْ تعرف أنّ قضاء الله ﷻ لا مَرَدَّ لـه ، ولا يستطيع مخلوق مهما كانت صفته أن يردّ القضاء ، والله نسأل أن يتداركنا بِمَنِّه ولُطْفه وكرمه .

وقد ورد في الحديث الصحيح أن آدم التقى موسى عليهما الصلاة والسلام في عالم البرزخ .

فيروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « احْتَجّ آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما ، فحجّ آدمُ موسى . قال موسى : أنت آدم الذي خَلَقَكَ الله بيده ، ونفخ فيك مِن روحه ، وأَسْجَدَ لك ملائكته ، وأَسْكَنَكَ في جنته ، ثم أَهْبَطْتَ الناسَ بخطيئتك إلى الأرض ؟ فقال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه ، وأعطاك الألواح فيها تِبْيان كل شيء ، وقَرَّبَكَ نَجِيّاً ؟ فَبِكَمْ وجدتَ الله كَتَبَ التوراة قبل أنْ أُخْلَقَ ؟ قال موسى : بأربعين عاماً ، قال آدم : فهل وجدتَ فيها : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [طه: ١٢١] ؟ قال : نعم ، قال : أَفَتَلومُني على أنْ عَمِلْتُ عملاً كتبه الله عليّ أنْ أَعْمَلَه قبل أنْ يخلقني بأربعين سنة ؟ قال رسول الله ﷺ : فحَجَّ آدمُ موسى »[1] .

وقد اختلف أهل التأويل في تعيين هذه الشجرة التي نُهِيَ عنها أبونا آدم فأكل منها .

قال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير : هي الكَرْمة ، ولذلك حُرِّمَتْ علينا الخمر .

وقال ابن عباس أيضاً وأبو مالك وقتادة : هي السنبلة ، والحبة منها كَكُلَى البقر ، أحلى من العسل ، وأَلْيَن من الزُّبْد . ولَمّا تاب الله على آدم جعلها غذاء لِبَنِيه .

---

(١) : حديث صحيح ثابت من حديث أبي هريرة ، له طرق في الصحيحين وغيرهما من المسانيد ، أخرجه الأئمة الستة واللفظ لمسلم ، ورواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي في الاعتقاد . وروي أيضاً عن عدد من الصحابة : عن جندب وأبي سعيد الخدري ، رواه الإمام أحمد والطبراني وأبو يعلى والبزار مرفوعاً . وعن عمر بن الخطاب ، رواه الديلمي . وفي رواية للطبراني في مسند الشاميين عن أبي سعيد : (بألف عام).

قال ابن عبد البر : هذا الحديث أصل جسيم لأهل الحق في إثبات القَدَر ، وأنّ الله تعالى قضى أعمال العباد ، فكلٌّ أحدٍ يصير لِما قُدِّرَ له بما سَبَقَ في عِلْمِ الله تعالى .

وقال ابن جريج عن بعض الصحابة : هي شجرة التين ، وكذا رُوِيَ عن سعيد عن قتادة ؛ ولذلك تُعَبَّر في الرؤيا بالندامة لآكِلِها ، مِن أجل ندم آدم عليه السلام على أَكْلِها . وهذا ما ذكره السُّهَيلي .

قال ابن عطية : وليس في شيء من هذا التعيين ما يَعْضُدُه خبرٌ ، وإنما الصواب أن يُعتقد أن الله تعالى نهى آدمَ عن شجرة ، فخالف هو إليها وعصى في الأَكْل منها .

وقال القشيري أبو نصر : وكان الإمام والدي رحمه الله تعالى يقول : يُعْلَمُ على الجملة أنها كانت شجرة المِحْنة .

كما اختلف العلماء في كيفية الأَكْل منها مع الوعيد المقترن بالقرب ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٣٥] .

فقال قوم : أَكَلا مِنْ غير التي أُشير إليها ، فلم يَتَأَوَّلا النهي واقعاً على جميع جنسها ، كأنّ إبليس غَرَّهُما بالأخذ بالظاهر .

قال ابن العربي : وهي أول معصية عُصِيَ الله بها على هذا القول .

قال جمهور من الفقهاء من أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي : إنَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الصغائر كلها كعِصْمَتِهم من الكبائر أجمعها .

وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة ، فلو جَوَّزْنا عليهم الصغائر لم يُمْكِن الاقتداء بهم ، إذْ ليس كلُّ فِعْل من أفعالهم يتميّز مقصده مِن القُرْبة والإباحة ، أو الحَظْر ، أو المعصية.

ولا يصح أن يُؤْمَر المرء بامتثال أَمْر لعلّه معصية ، لا سيّما على مَن يرى تقديم الفعل على القول إذا تَعارَضا مِن علماء الأصول .

قال الأستاذ أبو إسحاق الأسفراييني: واختلفوا في الصغائر على الأنبياء ، والذي عليه الأكثر أنَّ ذلك غير جائز عليهم .

ونقول : وإنما تلك الأمور التي وقعتْ منهم على جهة النُّدور ، وعلى جهة الخطأ والنسيان ، أو على جهة تأويلٍ دعا إلى ذلك . فهي بالنسبة إلى غيرهم حسنات ، وفي حقهم سيئات ، بالنسبة إلى مناصبهم وعُلُوِّ أقدارهم ، إذْ قد يُؤاخذ الوزير بما يُثاب عليه السائس .

ولقد أحسن الجنيد رحمه الله تعالى حيث قال : " حسنات الأبرار سيئات المُقَرَّبِين " .

فهم صلوات الله وسلامه عليهم وإنْ كان قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم ، فلم يُخِلَّ ذلك بمناصبهم ، ولا قَدَحَ في رُتَبِهم ، بل تَلافاهم ربنا تبارك وتعالى واجتباهم وهداهم ، ومدحهم وزكّاهم ، واختارهم واصطفاهم .

هذا ما نقله علماء التفسير من أئمة أهل السنة والجماعة في هذا المجال ، والله الموفق للصواب .

۞ خروج آدم وحواء من الجنة والطاووس والحية :

قال ابن عباس رضي الله عنهما : وأَمَرَ اللهُ جبريلَ فجاء إلى آدم وقبض على ناصيته ، وخلّصه من الشجرة . فلما صار إلى باب الجنة وأَخرج رِجْله اليمنى وبقيت اليسرى نودي : يا جبريل ، قِفْ به على باب الجنة حتى يخرج معه أعداؤه الذين حملوه على أكل الشجرة ؛ لكي يراهم ويرى ما يُفعل بهم .

فوقف جبريل بآدم ، فناداه الرب : يا آدم ، إنما خلقتُك لتكون عبداً شكوراً لا لتكون عبداً كفوراً . يا آدم ، أسألك أن تعبدني وأن تكون صادقاً بعبوديتي . فقال آدمعليه السلام : يا رب ، أسألك أن تُعِيدَني إلى تُرْبَتي التي خَلَقْتَني منها ؛ لأكون تراباً كما كنتُ أول مرة . قال : يا آدم ، كيف أُعيدك إلى تربتك وقد سبق عِلْمي أنْ أَمْلأَ مِن ظهرك الجنة والنار ؟

وأُخرج آدم وحواء ، وقد اسْتَتَرَتْ بورق من ورق الجنة بإذن الله . فلما رأتْ آدمَ صاحتْ وقالت : يا لها من حسرة ! فوقفتْ خارج الجنة .

ثم أُتِيَ بالطاووس وقد طَعَنَتْه الملائكةُ حتى قَطَعَتْ ريشه ، وجبريل يَجُرُّه ويقول : اخْرُجْ من الجنة خروج الأبد ، فإنك شؤم أبداً ما بقيتَ[1] .

ثم أُتِيَ بالحية وقد جَذَبَتْها الملائكة جَذْباً شديداً ، وهي ممسوخة مبطوحة على بطنها لا قوائم لها ، وصارت ممدودة مُشَوَّهة ، ومُنِعَت النطق فصارت خرساء مشقوقة اللسان .

---

(١) : لذا قال بعض العلماء : إن الطاووس شؤم للبيت الذي يوجد فيه ، فلا يُسْتَحْسَنُ أنْ يُرَبّى وأن يكون في بيتِ واحدٍ مِنّا ؛ لأنه كان سبباً لوجودنا على ظهر هذه اليابسة .

فقالت لها الملائكة : لا رَحِمَكِ الله ، ولا رَحِمَ مَن رَحِمَكِ .

ثم حُجِبَتْ حواء عن آدم مِن هناك ، ومرّ بـه جبريل في طرائـق السماوات ، ونظـرتْ إليه الملائكة عُرياناً ، ففزعـتْ منه وقـالت : إلهنا ، هـذا آدم بديع فطرتـك ، أقِلْـهُ عَثْرَتَـه . وآدم قد ترك يده اليمنى على رأسه ، واليسرى على سَوْءَتِه ، ودموعه تجري على خديه ، وكلما مرّ على ملأ من الملائكة يُوَبِّخونه على نَقْض عهد ربه وميثاقه ، وأكثروا عليه في المَلامة والتوابيخ ، فقال لهم : يا ملائكة ربي ، ارحموني ولا تُوَبِّخوني ، فالذي جرى عليّ بقضاء ربي حيث قال : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠] .

۞ سؤال إبليس لعنه الله تعالى :

قال ابن عباس رضي الله عنهما : وقال إبليس : يا رَبّ ، أَضْلَلْتَني وأَغْوَيْتَني وأَبْلَسْتَني، وكان ذلك في سابق عِلْمك ، ﴿ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الحجر: ٣٦] . قال : ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ (١) ۝٣٨ ﴾ [الحجر] . فأقسم إبليس وقال حاقداً حاسداً مُصِرّاً على إغواء ذرية آدم : ﴿ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ۝١٧ ﴾ [الأعراف] . فقال الله تعالى : ﴿ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف: ١٨] .

ثم قال إبليس : أَنْظَرْتَني ، فأين يكون مسكني ؟ قال : إذا هبطتَ إلى الأرض فمسكنك المزابل .

قال : فما قراءتي ؟ قال : الشعر والغناء .

قال : فما مؤذني ؟ قال : المزمار .

قال : فما طعامي ؟ قال : ما لم يُذْكَرِ اسمي عليه .

قال : فما شرابي ؟ قال : الخمور .

قال : فما بيتي ؟ قال : الحمّامات .

قال : فما مجلسي ؟ قال : الأسواق .

---

(١) : أي النفخة الأولى .

قال : فما شِعاري ؟ قال : لعنتي .

قال : فما دِثاري ؟ قال : سُخْطي .

قال : فما مصائدي ؟ قال : النساء ، قال : فَوَعِزَّتِك لا أَخْرَجْتُ محبة النساء من قلوب بني آدم أبداً[1] . فقيل له : يا ملعون ، فإنّ ربك لا ينزع التوبة مِن ولد آدم حتى يَتَغَرْغَرَ بالموت .

ثم قال تعالى : ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [ص] .

سؤال آدم عليه السلام ربَّه :

قال ابن عباس رضي الله عنهما : قال آدم : يا ربّ ، هذا إبليس قد أعطيتَه النَّظِـرَة[2] ، وقد أَقْسَمَ بعزتك أنه يُغوي أولادي ، فبماذا أَحْتَرِزُ مِن مكايده ؟ فنودي : يا آدم ، إني قد مَنَنْتُ عليك بثلاث خصال : واحدة لي ، وهي أنْ تعبدني لا تشرك بي شيئاً . وواحدة لك ، وهي ما عملتَ من صغيرة أو كبيرة مِن الحسنات فَلَكَ بالحسنة عشر ، وإنْ عملتَ سيئة فواحدة بواحدة ، وإن اسْتَغْفَرْتَني غفرتُها لك وأنا الغفور الرحيم . وأما الثالثة بيني وبينك ، وهي أنَّ منك المسألة ومني الإجابة ، فابسط يديك وادْعُني فإني قريب مُجيب .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

فصاح إبليس حسداً لآدم وقال : كيف أَكِيدُ ولد آدم الآن وأنت أعطيتَه هذه السَّعَة ؟ فنودي : يا ملعون ، ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٤] .

فقال إبليس : زِدْني ، قال : لا يولد لآدم وَلَدٌ إلا يولد لك سبعة . قال : زِدْني ، قال : زِدْتُك أنْ تجري منهم مجرى الدم في العروق ، وأنْ تسكن في صدورهم . فاكتفى إبليس بذلك وقال : حسبي .

---

(١) : فالمرأة سلاح فتّاك بيد إبليس وأعوانه ، فعن طريق حواء استطاع إبليس الدخول على آدم ، وهكذا في الدنيا .

(٢) : أي الوقت في حياته ليبقى على الأرض .

وإن هذا التسليط كله بحكمة من الله سبحانه ، يختبر بها آدم وبنيه .

ثم قال إبليس : علامَ أَهْبِطُ إلى الأرض ؟ قال : على الإياس من رحمتي .

ثم نظر آدم وهو على باب الجنة إلى الحية وقال : ربِّ ، هذه اللعينة هي التي أعانتْ عدوي عليَّ ، فبماذا أتقوّى عليها ؟ فقيل له : قد جعلتُ مسكنها الظلمات ، وطعامها التراب ، فإذا رأيتَها فَاشْدَخْ رأسها[1].

وقيل للطاووس : مسكنك أطراف الأنهار ، ورِزْقك مِمّا تنْبِتُه الأرضُ مِن حَبِّها ، وأُلْقِي عليك المحبة حتى لا تُقْتَل .

۞ سؤال حواء عليها السلام رَبَّها :

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ثم قالت حواء : إلهي ، خلقتَني مِن ضلع أعوج ، وجعلتَني ناقصة العقل والدين والشهادة والميراث ، وضربتَني بالنجاسة[2] ، وحرمتَني الجمعة والجماعات .... ، وذكرت مشقة الحمل والولادة وما تُلاقيه ، ثم قالت : فأسألك أن تُعْطِيَني مِثْلَ ما أعطيتَهم . فقيل لها : وَهَبْتُ لكِ الحياء والأُنس والرحمة ، وكتبتُ لك من ثواب الحَبَل والولادة ما لو رأيتِه لَقَرَّتْ به عيناك[3] ، فأيُّ امرأة ماتت في ولادتها حشرتُها في زمرة الشهداء . قالت : حسبي يا رب .

۞ هبوط الجميع إلى الأرض وبكاء آدم عليه السلام :

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ثم أَمَرَ الله بعد ذلك أن يَهبطوا إلى الأرض ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة: ٣٦] .

فَهَبَطَ آدم من باب التوبة ، وهو يحاذي البيت المعمور في السماء السابعة .

---

(١) : لهذا لا يجوز لك أن ترى الحية وتخاف منها وتهرب ، بل إذا رأيتَها وجب عليك أن تقتلها وهذا من السنة ؛ لأنها هي التي كانت السبب في خروج أبينا آدم وأمنا حواء من الجنة .

(٢) : تعني الحيض .

(٣) : فالمرأة بالحَبَل تترك الطعام الشهي والشراب ، وتترك عادات وتقاليد ، وتتحمّل آلاماً وأوجاعاً ، إنما لها من الثواب والأجر ما لا يعلم ذلك إلاّ الله ﷻ .

وذكر بعضهم من الباب المُبْرَم .

وهبطت حواء من باب الرحمة ، وإبليس من باب اللعنة ، والطاووس من باب الغضب ، والحية من باب السُّخْط .

وكان ذلك وقت العصر .

قال السُّدِّيّ : فمِن هذه الأبواب تنزل التوبة ، والرحمة ، واللعنة ، والغضب ، والسُّخْط .

قال وهب بن منبه : خَلَقَ الله آدم يوم الجمعة ، وفيه دخل الجنة وأقام فيها نصف يوم مقدار خمسمائة عام ، وأُهْبِطَ بين الظهر والعصر من باب يقال له : المُبْرَم ، وهو حِذاء البيت المعمور كما تقدّم وذكرنا .

وقال كعب الأحبار : أُهْبِطَ آدم إلى بلاد الهند ، على جبل من جبالها يقال له : بوذ . وهو جبل محيط بأرض الهند ، في منطقة اسمها سرنديب[1] .

ويعد جبل بوذ اليوم جبلاً مُقَدَّساً في سيريلانكا ، وقِمَّتُه مزاراً سياحياً يستقطب الكثير من الناس ، حيث تُعْرَفُ بقمة آدم نسبة إلى المكان الذي هبط عليه آدمعليه السلام من الجنة ، وهي على ارتفاع ٧٣٦٠ قدم عن مستوى البحر .



صورة عن بُعْد لجبل بوذ حيث هبط آدمعليه السلام

(١) : هي سيريلانكا اليوم .

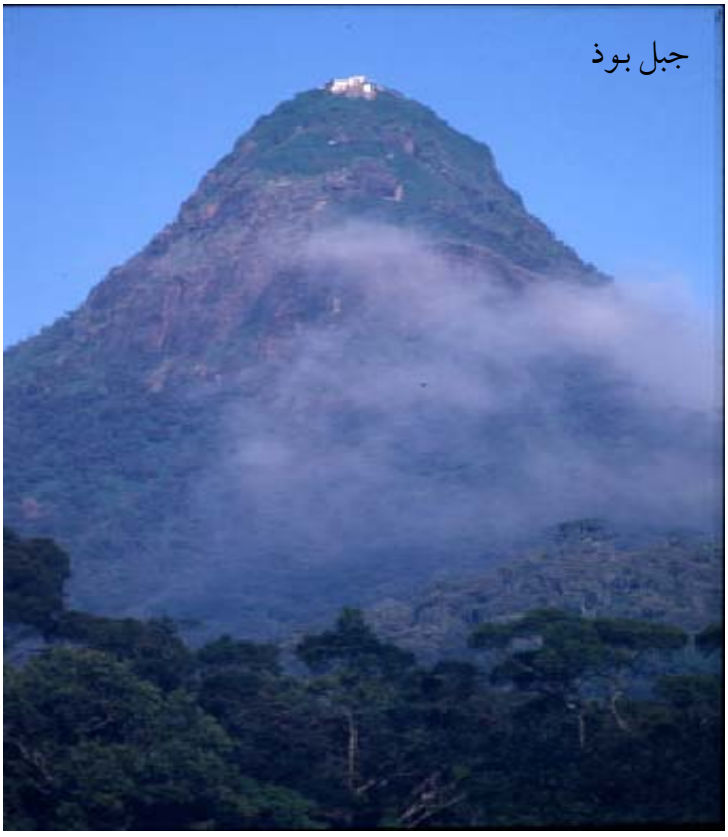

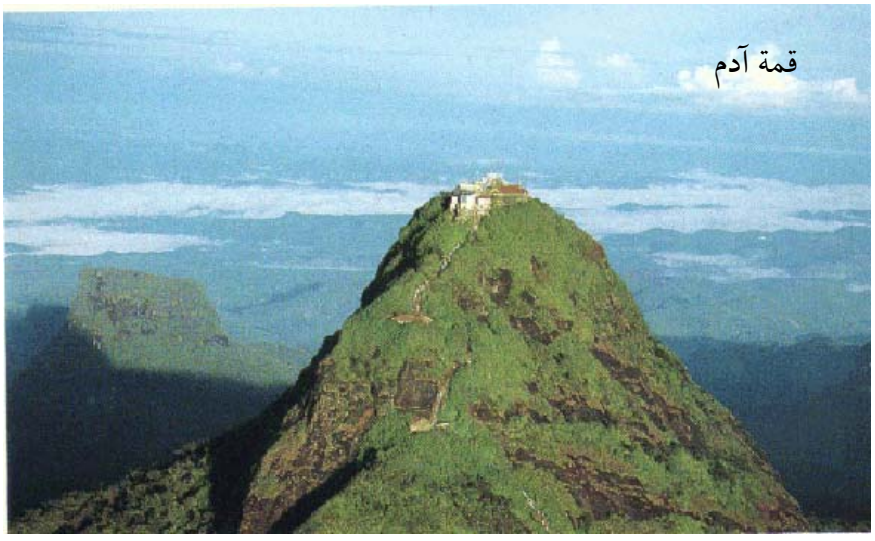

جبل بوذ كما يظهر في أيامنا



صورة مُقَرَّبة لقمة آدم



توجد في أعلى قمة آدم صخرة كبيرة فيها انخفاض على شكل قدم لإنسان عملاق ، يُعتقد أنها أثر قدم سيدنا آدم قد علّمت في الصخر عند أول موضع هبوطه إلى الأرض .

وذكر الإمام الطبري أنَّ الجبل الذي أُهْبِطَ عليه آدم ذُرْوَتُه مِنْ أقرب ذُرا جبال الأرض إلى السماء .

قال كعب الأحبار : وأُهْبِطَتْ حواء بجُدّة ، وإبليس بدَسْتِمِيسان[1] ، والحية بأصفهان ، والطاووس بالبحر . ففرّق الله بينهم ، فلم يَرَ بعضُهم بعضاً حيناً .



قال : ولم يكن على آدم يوم أُهْبِطَ إلاّ ورقة من أوراق الجنة ، فَذَرَتْها الرياح في بلاد الهند ، فصارت معدناً للطِّيب .

وأخذ آدم في البكاء مائة عام ، حتى نبت من دموعه العود ، والزنجبيل ، والصندل ، والكافور ، وأنواع الطيب . وامتلأت الأودية بأطيب الأشجار .

---

(١) : هي منطقة بين واسط والبصرة والأهواز .

وبكتْ حواء ، فَنَبَتَ من دموعها القرنفل .

وكانت الريح تحمل كلامه إليها ، وكلامها إليه .

ثم أنبت الله ﷻ لآدم الشعر واللحية ، وكان قبل ذلك أَمْرَدَ ، وجسده كالفضة . فتألّم لذلك ألماً شديداً .

قال وهب بن منبه : وأول مَن عَلِمَ بهبوط آدم من حيوان الأرض النسرُ ، وكان قد أَلِفَ الحوتَ ، فجاء إليه وقال له : إني رأيتُ اليوم خَلْقاً عظيماً ينقبض وينبسط ، ويقوم ويقعد ، ويجيء ويذهب . فقال الحوت : إنْ كان ما تقوله حقاً فقد حان ألاّ يكون لي معه مقرّ في البحر ، ولا لك في البَرّ ، وهذا الوداع بيني وبينك .

فجاء النسر إلى آدم وأَلِفَه ، وجاءه الوحش والطير وأَلِفوه ، وبكوا لبكائه دهراً طويلاً .

فلما أَضْجَرَهم ذلك نفروا عنه ، ولم يَبْقَ عنده إلاّ النسر وحده ، وهو لا يفتر عن البكاء .

قال وهب بن منبه : بكى آدم حتى بكت الملائكة لبكائه وقالوا : إلهنا ، أَقِلْه عَثْرَتَه .

قال وهب : وبقي مِن دموعه في الأرض بعد أنْ كَفَّ عن البكاء ما شَرِبَهُ الطير والوحش والهوام مائة عام ، وكان لدموعه رائحة كالمسك ؛ ولذلك كَثُرَ الطِّيب في الهند .

وقال كعب الأحبار : بكى آدم ثلاثمائة عام لا يرفع رأسه إلى السماء ، وهو يقول : إلهي ، بأَيِّ وجه أنظر إلى السماء ؟ فَأَلْهَمَ الله سائر الحيوانات أن تأتي لآدم وتُعَزِّيَه في مصيبته ، فعزّاه جميعها ونَهَتْه عن البكاء ، وأمرته بالتسبيح والتقديس .

كل ذلك من المخالفة ، فإياك منها أيها المسلم فإنَّ مرارتها لَسَّاعَة ومزعجة . تَصَوَّرْ كيف دخل أبونا آدم الجنة بعِزٍّ مُكَرَّماً مُبَجَّلاً ، على رأسه تاج الكرامة ؟ وكيف خرج منها ؟ ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم .

فحاول دائماً أن تكون بعيداً عن المعصية ، قريباً من الطاعة .

۞ توبة آدم عليه السلام والكلمات التي تلقّاها :

لا زال آدم عليه السلام يبكي ، ولا زال على حالته حتى أراد له رب العزة التوبة .

قال كعب الأحبار : فعند ذلك أمر الله تعالى جبريلَ أن يهبط على آدم ، وقال له : إنَّ آدم بديعَ فطرتي قد أبكى أهل سماواتي وأرضي ، ولا يذكر غيري ، ولم يَخَفْ سواي ،

وهو أول مَن حَمَدَني ، وأول مَن دعاني بأسمائي الحسنى ، وأنا الرحمن الذي سبقتْ رحمتي غضبي ، وهذه الكلمات قد خَصَصْتُ بها آدم لتكون له توبة ، وتُخْرِجَه من الظلمات إلى النور .

فهبط عليه جبريل بالكلمات ولها نور عظيم ، فقال : السلام عليك يا طويل البكاء والحزن ، ولكنْ هيهات لآدم أن يسمع كلام جبريل من كثرة بكائه وصياحه ونَدْبه على ما فعل ، فناداه بصوت آخر رفيع : السلام عليك يا آدم ، وأَمَرَّ طرف جناحه على صدره ووجهه حتى هَدَأَ مِن بكائه ، وسمع الصوت فقال : أَبِنداء السُّخْط تُنادي أم بنداء الإحسان والغفران ؟ قال : بل بنداء الرحمة والغفران يا آدم ، لقد أبكيتَ ملائكة السماوات والأرض ، فدونك هذه الكلمات فإنها كلمات الرحمة والتوبة .

قال الله تعالى :﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧] .

ولقد اختُلف في هذه الكلمات ، وأُحِبُّ أن يعرفها كل واحد منا لندعو بها ؛ لأننا خطّاءون ومذنبون ، وكم نقترف من الذنوب والآثام ؟ فإذا دَعَوْنا بها فإن الله يغفر ذنوبنا وإن كانت مِثْلَ زَبَد البحر .

- قال كعب الأحبار : كانت الكلمات ما قالها يونس عليه السلام في ظلمات ثلاث : ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧] .

- وقال عبدالله بن عمرو بن العاص : كانت : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣] .

- وقال ابن عباس : كانت (لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، عملتُ سوءً وظلمتُ نفسي ، فتُبْ عليّ يا خير التوابين) .

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَمّا اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب ، أسألك بحق محمد لَما غفرتَ لي . فقال الله : يا آدم ، وكيف عرفتَ محمداً ولم أَخْلُقْهُ ؟ قال : يا رب ، لأنك لَمّا خَلَقْتَني بيدك ونفختَ فيّ مِن روحك ، رفعتُ رأسي فرأيتُ على قوائم العرش مكتوباً : (لا إله إلاّ الله محمد رسول الله) ، فعلمتُ أنك لم تُضِفْ إلى اسمك إلاّ أَحَبّ الخَلْق إليك . فقال الله تعالى : صدقتَ يا آدم إنه لأَحَبّ الخَلْق إليّ ، ادْعُني بحقه فقد غفرتُ لك ، ولولا محمد ما خلقتُك »[1] .

---

(١) : حديث صحيح الإسناد رواه الحاكم في المستدرك واللفظ له ، والطبراني بنحوه في الأوسط والصغير .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : فلما قالها آدم انتشر صوته في الآفاق ، فقالت الأرض والشجر والجبال : أقرَّ الله عينك يا آدم وهنّأك بتوبتك .

وأمره الله أن يَبعث بالكلمات إلى حواء ، حيث جلست كذلك في جُدّة تبكي نفس الخطيئة ، فحملتْها الريح إليها فَدَعَتْ بها ، فتاب الله عليها .

وسجد آدم عليه السلام سجدة طويلة ، واختُلف كم دامت هذه السجدة .

قال ابن عباس : ولَمّا فرغ آدم من الدعاء والسجود قال له جبريل : ارفع رأسك ، فرفعه ، وإذا قد رُفِعَ له حجاب النور ، وفُتِحَتْ له السماوات ، ونودي بالتوبة والرضوان ، وقيل له : يا آدم ، إن الله قد قَبِلَ توبتَك . فذهب ليقوم فلم يقدر ؛ لأنه كان قد رَسَبَ في الأرض كعروق الشجر ، فاقتلعه جبريل ، فصاح صيحة شديدة للألم الذي أصابه ، وقال : ماذا تفعل الخطيئة ؟

ثم ضرب جبريل بجناحه الأرض ، فانفجرت عين ماء مَعِين برائحة المسك ، فاغتسل آدم منها . ثم كساه الله حُلَّتَيْن من سندس الجنة .

وبعث الله تعالى ميكائيل إلى حواء فبشّرها بالتوبة ، وكساها كذلك .

وسأل آدمُ جبريلَ عنها ، فأخبره أنّ الله قد قَبِلَ توبتَها ، وأنه يجمع بينهما في أشرف الأعياد وأكرم البقاع .

قال ابن عباس : وأمر الله عز وجل الملائكة والحيوانات أن يَقْرَبوا من آدم لِيُهَنِّئوه – وكانت قد نَأَتْ وابتعدتْ عنه كما ذكرنا السابق – ، فَأَتَوْه وهَنَّؤُوه كما كانوا عَزَّوْه .

وقيل : كان النسر أول حيوان يدنو منه ويُهَنِّئُه بالتوبة ويِقَبولها .

۞ خبر بناء آدم عليه السلام للكعبة :

قال ابن عباس : وأمره الله ببناء بيت يحاذي البيت المعمور ؛ ليطوف به هو وأولاده مِن بعده كما رأى الملائكةَ تفعل حول البيت المعمور ، فبناه[1] .

وسار آدم من موضعه إلى موضع البيت ، والله الهادي .

---

(١) : وسيأتي معنا إن شاء الله تعالى تفصيل بنائه ص٢٦٦ .

۞ إخراج الذرية من ظهر آدم عليه السلام والميثاق الذي أُخِذَ عليهم :

بعد أن قَبِل الله توبة آدم ، أُخْرِجَت ذريته من ظهره وأُخِذَ عليهم الميثاق . أَشْهَدَهُم رب العزة على أنفسهم ، وأَشْهَدَ عليهم الأرض والسماء والملائكة لئلاّ تكون لهم حُجّة على الله ﷻ .

وذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الأعراف] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : وأوحى الله تعالى إلى آدم : إني أريد أن آخذ على وديعتي التي في ظهرك الميثاق .

فأحاطت الملائكة بآدم في أحسن صورهم ، فَوَقَعَت الرِّعْدة على آدم مِن الخوف ، فضمَّه جبريل إلى صدره . واضطرب الوادي وارْتَجَّ ، فقال جبريل : اسْكُنْ ، فإنك أول شاهد على الميثاق الذي يأخذه الله على ذرية آدم . فَسَكَن .

ومسح الله تعالى على ظهر آدم كما شاء[1] وقال : انظر يا آدم إلى مَن يخرج مِن ظهرك .

فأول مَن بادر وكان أسرع خروجاً نبينا محمد ﷺ ، فأجاب بالتلبية ونادى إلى ذات اليمين وهو يقول : أنا أول مَن يشهد لك بالتوحيد ، ويُقِرُّ لك بالعبودية ، وأشهد أني عبدك ورسولك .

فهو ﷺ أول الأنبياء في الخَلْق[2] ، وآخرهم في البعث .

وفي ذلك من الحكمة الإلهية والقدرة الربانية ما لم يَخْفَ على ذي لُبٍّ وفَهْم ، وليس هذا موضع ذِكْر ذلك .

قال ابن عباس : ثم أجابت الطبقة الثانية من النبيين والمرسلين ، نبياً بعد نبي في نورهم وبهائهم .

---

(١) : أي أمر بإخراج الذرية من ظهره .

(٢) : أي أول مَن خرج من ظهر آدم .

ثم خرجتْ زمرة من المؤمنين بِيض الوجوه مُعْلِنِين بالتوحيد ، فوقفوا دون النبيّين .

ثم مسح الله مَسْحة أخرى ، فخرج قابيل بن آدم مُبادِراً وقد تَبِعَهُ أهل الشمال ، فوقفوا ذات الشمال كلهم سود الوجوه .

ثم قيل لآدم : انظر إلى ولدك هؤلاء لِتَعْرِفَهم بأسمائهم وأزمانهم . فنظر إلى أهل اليمين الأنبياء والمؤمنين فضحك واستبشر وبارك عليهم ، ونظر إلى أهل الشمال فلعنهم وصَرَفَ وَجْهَه عنهم .

ثم اسْتَنْطَقَهُم الله تعالى فقال :﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾؟ قالوا : ﴿ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾ وأَقْرَرْنا .

قال ابن عباس : أمّا أهل اليمين فأجابوا بالسُّرْعة ، وأمّا أهل الشمال فأجابوا بالتَّثاقُل .

ثم قال الله تعالى : يا ملائكتي ، اشهدوا على ذرية آدم بأنهم أقرّوا أني ربهم لا يَجْحَدُونَني شيئاً ، وأنَّ آدم قد بارك على أهل يمينه ولعن أهل شماله ، فأهل اليمين في جنتي برحمتي ، وأهل الشمال في النار بما جحدوا مِن حقي .

ثم ردّهم الله إلى ظهره كما أخرجهم بقدرته .

قال وهب بن منبه : إذا كان يوم القيامة وحُشِرَ الخَلْق لِفَصْلِ القضاء ، قيل : يا آدم ، ابْعَثْ بَعْثَ الجنة إلى الجنة ، وبَعْثَ النار إليها . فيَعرفهم بصورهم وأسمائهم فيقول : نعم يا رب ، ويراهم كما رآهم في الذرية ، ويُقْبِلُ عليهم بوجهه ويقول : أَنَسِيتُم عهدَ ربكم وشهادتَكم له بأنه الله الواحد الأحد ؟ فيقولون ما أخبرنا الله تعالى به عنهم :﴿ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الأعراف] ، أي يعنون قابيل بن آدم ؛ لأنه أول مَن عصى ربه .

ثم يقولون : ﴿ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ [فصلت: ٢٩] ، يعنون بذلك إبليس وقابيل .

فَيَقْبِضُ آدم بشماله مِن كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار ، وواحداً بيمينه إلى الجنة ، ثم يقول : يا رب ، هل وَفَّيْتُ ؟ فيقال له : نعم ، ادخل الجنة برحمتي .

۞ اجتماع آدم بحواء وأداؤه النُّسُك :

قال وهب بن منبه : وأقبل مَلَك إلى حواء وهي جالسة بجُدّة على ساحل البحر فقال لها : خُذي لباسك وانطلقي إلى الحرم ، ثم رمى لها بقميص وخِمار من الجنة ، وتوارى عنها حتى لَبِسَت القميص وتَخَمَّرَتْ بالخِمار ، ومَضَتْ إلى مكة ، فدخلت الحرم يوم الجمعة من شهر المحرم ، فأمرها المَلَك أن تقعد على جبل المروة[١] .

وقد دخلت حواء الحرم قبل آدم بسبعة أيام ، ودخل آدم من غَرْبِيِّ مكة ، فصار آدم إلى جبل الصفا فناداه : مرحباً بك يا صفي الله[٢] ، وناداه الرب : يا آدم ، فقال : (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إنَّ الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك) . فصار ذلك سنة الحاج والمعتمر إلى يوم القيامة . ثم أوحى الله إليه : اليوم حَرَّمْتُ مكة وما حولها ، فهي حرام إلى يوم القيامة[٣] .

ثم قال آدم : يا رب ، إنك وعدتَني أن تجمع بيني وبين حواء في هذا المقام . فنودي : إنها أمامك على المروة وأنت على الصفا ، فانظر إليها ولا تَمَسَّها حتى تَقْضِيَ المناسك .

فهبط آدم إليها والتقيا ، وفَرِحَ كل منهما بصاحبه ، وسعى هو من الصفا ، وسَعَتْ هي من المروة ، فكانا يجتمعان بالنهار ، فإذا أمسيا رجع إلى الصفا ورجعتْ إلى المروة .

قال : فكانا كذلك حتى دخل ذو القعدة ، فأعاد آدم التلبية وعقد الإزار ، ولم يزل يُلَبّي حتى دخل ذو الحجة ، فهبط جبريل عليه السلام وكساه ثوباً أبيض لإحرامه ، وطاف به وعرّفه المناسك ، وأمره أن يطوف بالبيت سبعاً . فلما فعل ذلك قال له جبريل : حسبك يا آدم قد أَحْلَلْتَ .

فانطلق آدم إلى حواء ، فاجتمع بها في ليلة الجمعة ، فحملتْ من ساعتها .

قال كعب الأحبار : ما حَمَلَتْ حواءُ حتى رأت الحيض ، ففزعتْ وأخبرتْ آدم

---

(١) : وإنما سُمِّيَ المروة لقعود المرأة عليه .

(٢) : لذلك سُمِّيَ الصفا .

(٣) : فَمِنْ يومها حُرِّمَت مكة وحَرَمُها ، وكانت ما هي عليه الآن مُحَرَّمة على كل جبار وكل كافر .

بذلك ، فمنعها من الصلاة أيام حيضها حتى ينقطع الدم ، ثم جاءها مَلَك فوَقَفَها على زمزم ، فقال لآدم : ارْكُضْ برجلك في هذا الموضع ، فَرَكَضَها ، فانفجرت الأرض بإذن الله عَيْنَ ماءٍ مَعِين ، فكبّر آدم وحواء ، وهمّت أنْ تشرب ، فمنعها آدم وقال : حتى يأذن لي ربي . فاغتسلت حواء وكان في ذوائبها بقية من مسك الجنة ، ففاحت الدنيا من ذلك .

وروى الطبري في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : أُهْبِطَ آدم بالهند ، فجاء في طلبها حتى اجتمعا ، فازدلفت إليه حواء ؛ فلذلك سُمِّيَت المزدلفة . وتعارفا بعرفات ؛ فلذلك سُمِّيَتْ عرفات . وتعارفا بجمع ؛ فلذلك سُمِّيَ جَمْعاً .





جبل الرحمة بعرفات حيث يقال : إنه المكان الذي اجتمع فيه أبونا آدم بأمنا حواء

۞ تكليف آدم عليه السلام بعمارة الدنيا والقيام بأعباء الحياة :

قال كعب الأحبار : ثم أوحى الله تعالى إلى آدم : إنك إنْ لم تَعْمُرْ هذه الدنيا لم يَعْمُرْها أحدٌ من أولادك ، فاعْمُرْها . فبنى له مسكناً يأوي إليه هو وحواء .

ثم أخذ بعد ذلك بالحَرْث والزَّرْع وحفر الآبار ، وجاءه جبريل بالحبة وهي على قدر بيضة النعام ، بيضاء في لون الثلج ، وأحلى من العسل . وجاءه بكبش وبثورين من ثيران الفردوس ، وجاءه بالحديد .

فلما نظر آدم إلى الحبة ، صاح صيحة عظيمة وقال : ما لي ولهذا الحَبِّ الذي أخرجني من الجنة ؟ فأجابه جبريل : هذا رزقك في الدنيا لأنك اخترته في الجنة ، فهو غذاء لك ولذريتك . ثم قال له : يا آدم ، قُمْ فكن حرّاثاً زرّاعاً .

وأتاه بالنار وقد غمسها في سبعين ماء حتى اعتدلتْ وكَمَنَتْ في الحديد والحجر ، وأمره أن يوقد النار ، وأن يُلَيِّن الحديد ويَتَّخِذَ منه مطرقة وسَنْداناً ، ففعل . ثم اتّخذ مُدْية يذبح بها ، وفأساً يحفر بها ويكسر ، ومِحْراثاً يحرث به الأرض ، ونِيراً .

كُلُّ ذلك وجبريل يُعَلِّمُهُ ، وحواء تساعده .

قال وهب بن منبه : أول ما اتّخذ آدم من الحديد سَنْدان ومطرقة وكلبتان ، ثم اتّخذ بعد ذلك آلة النجارة .

وأتاه جبريل بكبش من الجنة ، فنحره آدم وأكل هو وحواء من لحمه .

واتّخذ مِقْراضاً ، فجزّ به الصوف من الكبش وغزلاه ، واتّخذا منه جُبَّتَيْن بغير كُمَّيْن وكساءَيْن ، فاكْتَسى كل واحد منهما جُبّة وكِساءً . فلمّا مَسَّتْ جِلْدَهُما خشونةُ الصوف بَكَيا شوقاً إلى السندس والإستبرق ، فقيل لهما : هذا لباس أهل الطاعة في الدنيا .

وجيء بالأشجار فغرسها .

وعن كعب الأحبار قال : إن الذي جاء بالحَبِّ ميكائيل ؛ لأنه المُوَكَّل بالحَبِّ والقَطْر والنبات .

قال كعب : فقام آدم فعقد النِّير على عُنُقَي الثورين ، ثم حَرَثَ وبَذَرَ . وكان يقف على الزرع ويقول : متى يُدْرِكُ ؟ فيسمع هاتفاً يقول : ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] .

وكان الزرع في طول النخل ، والسنبلة في طول مائة ذراع ، بيضاء كالفضة .

قال كعب : فلما استحقّ الزرعُ ، كان آدم يحصد وحواء تجمع .

ثم عُلِّمَ آدم الدِّراسة ، والتَّذْرِية ، والطَّحْن ، والعَجْن ، والخَبْز .

ثم أكلا وشربا ، فأصابتهما النفخة والقرقرة في بطونهما ، فَتَجَشَّأَ آدم جُشاءً مُتَغَيِّراً ، وتَغَيَّرَ عليه بدنُه وثَقُلَ . فلما ثقلتْ عليهما بطونهما ، أمرهما المَلَك أن يَتَبَرَّزا إلى الصحراء لِقضاء الحاجة . فلما رأيا ذلك من أنفسهما ، بكيا بكاء شديداً وقالا : هذا الذي أَوْرَثَنا ذنبُنا .

قال كعب : ثم أمرهما المَلَك أن يمسحا بالمَدَر ، ثم يغسلا بالماء .

ثم علَّمهما الوضوء ، فتوضّآ وضوء الإسلام ، ثم أمرهما بالصلاة .

فكان أول صلاة صلاّها آدم الظهر .

وكان آدم ربّما اشتغل عن صلاته ولا يعرف الأوقات ، فأعطاه الله تعالى ديكاً ودجاجة . فكان الديك أبيضَ ، أَفْرَقَ[1] ، أصفر الرجلين ، كالثور العظيم ، وكان يضرب بجناحه عند أوقات الصلاة ويقول : " سبحان مَن يُسَبِّحُهُ كلُّ شيء ، سبحان الله وبحمده . يا آدم ، الصلاة يرحمك الله " .

قال كعب الأحبار : وأخذ آدم في الغرس حتى غرس كلَّ ما على وجه الأرض من أنواع الثمار والأشجار ، وأخذت الأرض زَهْرَتها ، وكان آدم يأكل مِن بقول الأرض ونباتها .

قال وهب بن منبه : أول بَقْلة زرعها آدم الهِنْدَبا ، وأول زرع من الرياحين الحناء ثم الآس .

وهكذا قام آدم يعمل بما أُمر وبما كلفه الله ﷻ به من أمور وأعباء الحياة .

۞ دور إبليس في تحريض الحيوانات على إيذاء آدم عليه السلام :

قيل : وإنَّ إبليس بعد أن لعب دوره بإخراج أبينا آدم من الجنة ونزل على الأرض ، قام بدور مكروه جداً ، فجمع الوحوش وحرّضهم على آدم قائلاً لهم : إن هذا المخلوق الذي نزل من السماء هو عدو لكم ، فاقتلوه قبل أن يقتلكم .

فجعلوا الكلب في مُقَدِّمَتِهم لأنه كان أشجع منهم ، فوقف الكلب يقوم بدوره ضد آدم وينبح ، ويريد أن يَنْهَشَهُ ويُظهر قوته أمام غيره من الحيوانات ، وكان حيواناً كاسراً

---

(١) : الديك الأَفْرَق ذو العُرْفَيْن ، أي إنَّ عُرْفه مفروق .

غير أهلي . فنزل جبريل من السماء وقال لآدم وقد وَجَدَ من الكلب شيئاً كثيراً : ضع يدك على رأسه ، فإنه سَيُذَلَّل لك ويأنس بعد ذلك .

فوضع يده على الكلب ، فكان بعدها له ولذريته إلى يوم القيامة يحرسه ويسير معه ، ويكون في طاعته .

۞ ذرية أبينا آدم عليه السلام :

قال الله تعالى :﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٨٩] .

قال وهب بن منبه : وواقع آدم حواء في ليلة الجمعة ، فحملتْ بذكر وأنثى ، وأَسْقَطَتْهُما في الشهر الثامن ، فكان أولَ سِقْط في الدنيا .

ثم حملتْ ثانياً كذلك فأصابها مِثْلُ الأول .

ثم حملتْ ثالثاً فجاء إبليس إلى حواء وقال : أَتُحِبِّين أن يعيش في بطنك ؟ قالت : نعم ، قال : سَمِّيه عبدَ الحارث ، فأوحى الله إليهما : إنكما أَطَعْتُما إبليس في هذه التسمية ، فهلاّ سَمَّيْتُماه عبدالله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ؟ فجَزِعا لذلك جَزَعاً شديداً وقالا : لا حاجة لنا في هذا المولود ، فأماته الله .

ثم حملتْ بذكر وأنثى ، فلما وَضَعَتْهما سَمَّياه عبدَالله وأَمَة الله .

ثم وضعتْ بطناً آخر ، فسَمَّتْهما عبدَ الرحيم وأَمَة الرحيم .

ولم تزل كذلك حتى وضعتْ مائة بطن ، ثم وضعتْ بعد ذلك هابيل وأخته[١] في بطن ، ثم قابيل وأخته[٢] في بطن ، حتى وضعتْ عشرين ومائة بطن ذكر وأنثى ، فتناسلوا وكثروا .

---

(١) : قيل : اسمها لوزة .

(٢) : قيل : اسمها إقليمة .

۞ مبعث آدم عليه السلام إلى أولاده :

قال وهب بن منبه : ثم بعث الله عز وجل آدم إلى ذريته رسولاً ، وذلك في أول ليلة من شهر رمضان .

وخصّه بالوحي ، وأَنْزَلَ عليه إحدى وعشرين صحيفة ، فيها سُوَرٌ مُقَطَّعة الحروف ، لا يَتَّصِلُ حرف بحرف ، وهو أول كتاب أُنزل ، وهو بألف لغة . فيها الفرائض والسنن والشرائع ، والوعد والوعيد ، وأخبار الدنيا . وبَيَّنَ له فيها أهلَ كل زمان وصورهم وسِيَرَهم ، وما يحدث في الأرض حتى المأكل والمشرب .

وكان آدم عليه السلام وصّى بها ولده شيث من بعده .

وقيل : أُنْزِلَ عليه عشر صحف .

واختلفوا بأي لغة نزلتْ ؟

فقال بعضهم : كان آدم يتكلّم باللغة السريانية .

وقيل : إن آدم هو أول مَن نطق باللغة العربية .

قال وهب بن منبه : ثم أمره الله تعالى أن يكتبها بالقلم[1] ، فأخذ جلود الضأن فدبغها حتى صارت رَقّاً[2] ، وكتب فيها الحروف التسعة والعشرين ، وهي في التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والقرآن .

وإليك أذكرها أخي القارئ مع معانيها :

أولها ألف معناها : أنا الله الواحد الأحد الذي لم يَزَلْ .

با : بديع السماوات والأرض .

تا : توَحَّدَ في مُلْكِه ، وتواضع له ولِعظمته كلُّ شيء .

ثا : ثابتٌ لم يَزَلْ ولا يزال .

جيم : جميلُ الفِعال ، جوادٌ ، جليلُ المقال .

حا : حليمٌ على مَن عصاه ، حميدٌ عند مَن أَنْشاه .

---

(١) : قيل : أول مَن كتب بالقلم هو إدريس عليه السلام ، وقيل : إن آدم هو أول مَن كتب بالقلم .

(٢): ويقال لها : رِقّاً على لغة ضعيفة ، إنما قراءة حفص على عاصم بفتح الراء لا بكسرها.

خا : خبيرٌ ببواطن الأشياء وظواهرها ، خالقُ كل شيء .

دال : ديّان يوم الدين ، دانَ مَن خَلَق .

ذال : ذو الفضل العظيم ، وذو العرش المجيد ، وذو الطَّوْل القديم .

را : رَبُّ الخلائق ، رزّاقٌ ، رؤوفٌ ، رحمن ، رحيم .

زاي : زَرّاعُ زَرْع مِن غير بذر ، زائدٌ لِمَنْ شكر ، زَيَّنَ كلَّ شيء برحمته .

سين : سريع الحساب ، سميع الدعاء ، سريع الإجابة .

شين : شديد العقاب والبطش ، شاهدُ كُلِّ نجوىٰ .

صاد : صَمَدٌ ، صادقُ الوعد .

ضاد : ضياء السماوات والأرض سبحانه ، ضَمِنَ لأوليائه المغفرة .

طا : طالبُ مَن أَخْلَصَ له من المطيعين ، طوبىٰ لِمَن أطاعه .

ظا : ظهَرَ أَمْرُهُ سبحانه ، وظَفِرَ أهلُ محبته بالجنة .

عين : عليمٌ ، عالِمٌ ، علاّمٌ ، علا بالربوبية .

غين : غياث المستغيثين ، غني لا يفتقر .

فا : فعّالٌ لِما يريد ، فَرْدٌ ليس له شريك .

قاف : قيّومٌ ، قائمٌ علىٰ كل نفس بما كسبتْ ، قديرٌ ، قاهرٌ .

كاف : كريمٌ ، كان قبل كل شيء ، كائنٌ بعد كل شيء ، كافي كل بليّة .

لام : له ما في السماوات وما في الأرض ، وله الخَلْق والأَمْر .

ميم : مالك يوم الدين ، مُتكبِّرٌ ، مُحْسِنٌ ، محمودٌ ، متينٌ ، معبودٌ ، مُنْعِمٌ ، مِن قَبْلُ ، ومِن بَعْدُ .

نون : نور السماوات والأرض .

ها : هادٍ ، هَدَىٰ مِن الضلالة مَن قدّر له ذلك برحمته ومشيئته .

واو : وَلِيُّ المؤمنين ، وَيْلٌ لِمَنْ عصاه ، وَيْلٌ للمطففين .

لا : لا إله إلاّ الله الواحد القهّار الذي لا إله إلا هو العزيز الحكيم .

يا : يعلم ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما ، وما تحت الثرىٰ ، وما تُخفي الصدور .

قال وهب : فلمّا نزلت هذه الحروف عَلَّمَها آدم لولده ، فتوارثها ولده إلى أنْ بَعَثَ الله تعالى إدريس ، وأَنْزَلَ عليه خمسين صحيفة ، وأنزل عليه هذه الحروف .

۞ خبر قَتْل قابيل هابيل :

قال تعالى : ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [المائدة] .

قال وهب بن منبه : دعا آدم ابنيه هابيل وقابيل ، وكان يُحِبُّهما مِن بين أولاده ، فذكر لهما ما كان مِن أَمْرِه ودخوله الجنة ، وسبب خروجه منها ، وذكر لهما أشياء كثيرة ، ثم أمرهما أن يُقَرِّبا قُرْباناً ، وكان هابيل صاحب غَنَمٍ ، وقابيل صاحب زَرْعٍ .

فأخذ هابيل مِن غنمه كبشاً سميناً لم يكن في غنمه خير منه ، فجعله قُرْباناً . وأخذ قابيل مِن زَرْعه أدناه فقرّبه ، فنزلتْ من السماء نار بيضاء لا حرّ لها ، ولا دخان فيها ، فأحرقت قُرْبان هابيل ولم تُحرق قربان قابيل ، فداخله الحسد من ذلك وقال : إنَّ أولاد هذا تفتخر على أولادي من بعدي ، فوالله لأَقْتُلَنَّه .

قال وهب : ثم رجعا مِن مِنى - وهو موضع القربان - يريدان أباهما ، وهابيل أمام قابيل ، فعمد قابيل إلى حجر فضرب به رأس أخيه هابيل فقتله ، ثم مرّ على وجهه هارباً .

قال وهب : وإذا هو بغرابين قد اقْتَتَلا ، فقتل أحدهما الآخر ، وجعل يبحث في الأرض برجليه حتى حَفَرَ حفرة ودَفَنَ فيها المقتول ، فقال قابيل في نفسه ما أخبر الله به عنه : ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١] .

فلما أبطأ على آدم خرج في طلبهما ، فأصاب هابيلَ مقتولاً ، فساءه ذلك واغتمّ غمّاً شديداً .

وكانت الأرض لَمّا شربتْ دمه تغيّرتْ الأشجار عن نضارتها ، فقيل : إنَّ آدم قال :

تَغَـيَّرَت البـلادُ ومَـن عليـها فَوَجْـه الأرض مُغْـبَرٌّ قبيـحْ

تَغَـيَّرَ كُـلُّ ذي لـون وطَعْـم وقـلّ بشاشـة الوجـه المليـحْ

قَتَـلْ[1] قـابيلُ هـابيلَ أخـاه فـوا أَسَفَى على الوجـه الصَّبيـحْ

ثم حمل آدمُ هابيلَ على عاتقه وهو باكٍ ، ثم دفنه وبكى عليه هو وحواء أربعين يوماً ، فأوحى الله تعالى إليه : أنْ كُفَّ عن بكائك ، فإني سأَهَبُ لك غلاماً زَكِيّاً على صورة هابيل ، يكون أبا النبيين والمرسلين .

فسُرِّيَ عنه وجامع حواء ، فحملتْ بشيث ، واسمه هبة الله .

وعن ابن عباس وابن مسعود وعن ناس من الصحابة ﷺ : أنَّ آدم كان يُزَوِّج ذَكَرَ كل بطن بأنثى الآخر[2] ، وأنَّ هابيل أراد أن يتزوّج بأخت قابيل ، وكان أكبر من هابيل . وأنَّ أخت قابيل كانت أحسن ، فأراد قابيل أن يَسْتَأْثِرَ بها على أخيه .

وأمره آدم عليه السلام أن يُزَوِّجه إياها فأبى ، فأمرهما أن يُقَرِّبا قرباناً ، وذهب آدم لِيَحُجَّ إلى مكة ، واستحفظ السماوات على بنيه فأَبَيْن ، والأَرَضين والجبال فأَبَيْن ، فتقبّل قابيلُ بِحِفْظِ ذلك .

فلما ذهب قرّبا قُرْبانهما ، فقرّب هابيل جَذَعة سمينة وكان صاحب غنم ، وقرّب قابيل حِزْمة مِنْ زَرْعٍ مِن رديء زرعه ، فنزلت نار فأكلت قربان هابيل ، وتركت قربان قابيل ، فغضب وقال : لأَقْتُلَنَّك حتى لا تنكح أختي ، فقال : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] .

وقال أبو جعفر محمد الباقر : إنَّ آدم كان مُباشِراً لِتَقْرِيبهما القُرْبان ، والتَّقَبُّل من هابيل دون قابيل ، فقال قابيل لآدم : إنما تُقُبِّلَ منه لأنك دعوتَ له ولم تَدْعُ لي ، وتوعّد أخاه فيما بينه وبينه .

---

(١) : هذه اللام سُكِّنَتْ لضرورة الشعر .

وقد رُوِيَ وورد هذا البيت في كثير من الكتب بروايات أخرى ، وفي هذا الشعر نظر .

(٢) : وذلك أنه تعالى كان قد حرّم نكاح البطن الواحد بعضه من بعض ، وإنما يَنكح من البطن الثاني . وكان هذا في عهد آدم عليه السلام ، ثم حُرِّمَ بعد ذلك لَمّا كَثُرَت الذرية .

فلما كان ذات ليلة أبطأ هابيل في الرعي ، فبعث آدمُ أخاه قابيل لينظر ما أبطأ به ؟ فلما ذهب إذ هو به ، فقال له : تُقُبِّلَ منك ولم يُتَقَبَّلْ مني ، فقال : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧] ، فغضب قابيل عندها وضربه بحديدة كانت معه فقتله .

وقيل : إنه إنما قتله بصخرة رماها على رأسه وهو نائم فشدخه .

وقيل: بل خنقه خنقاً شديداً ، وعضّه كما تفعل السباع فمات ، والله أعلم .

وذكر ابن الأثير في تاريخه الكامل قال : واختلفوا في سبب قتل قابيل لهابيل ، وأَوْرَدَ أشياء كثيرة ما أردتُ إيرادها في كتابنا هذا .

وروى ابن عساكر عن الأوزاعي عن حسّان بن عطيّة قال : مكث آدم في الجنة مائة عام[1]، وبكى على الجنة سبعين عاماً ، وعلى خطيئته سبعين عاماً ، وعلى ولده حين قُتِلَ أربعين عاماً .

قال ابن كثير في نهايته : وبجبل قاسيون شمالِيِّ دمشق مغارة يقال لها : مغارة الدم ، مشهورة بأنها المكان الذي قَتَلَ قابيلُ أخاه هابيل عندها ، وذلك مما تَلَقَّوْه مِن أهل الكتاب ، فالله أعلم بصحة ذلك .

ولا زال أثر الدم مُعَلِّماً على الصخر في ذلك المكان ، حيث دعا يومها هابيل أن يبقى دمه مُعَلِّماً على ذلك الصخر .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة أحمد بن كثير قال : إنه كان من الصالحين ، وأنه رأى النبيﷺ وأبا بكر وعمر وهابيل ، وأنه استحلف هابيل أن هذا دمه ؟ فحلف له ، وذكر أنه سأل الله تعالى أن يجعل هذا المكان يُستجاب عنده الدعاء ، فأجابه إلى ذلك ، وصدّقه في ذلك رسول اللهﷺ .

وقال : إنه وأبا بكر وعمر يزورون هذا المكان في كل يوم خميس .

وهذا منام لو صَحَّ عن أحمد بن كثير لم يَتَرَتَّبْ عليه حُكْم شرعي ، والله أعلم .

يقول مؤلف هذا الكتاب : قال رسول اللهﷺ : « مَن رآني في المنام فقد رآني ،

---

(١) : وفي رواية : ستين عاماً .

فإن الشيطان لا يتمثّل بي »[1] .

وإن هذه الرؤيا هي رؤيا حق ، وبحضرة رسول اللهﷺ بل وبـإقراره ، والنـبيﷺ لا يُقِـرُّ خطأً ، ولا يُقِرُّ ما ليس بحق .

هذا إنْ صَحَّتْ هذه الرؤيا ، والله تبارك وتعالىٰ أعلم بالصواب .

قال ابن كثير : وذكر بعضهم أنه لَمّا قتله حمله علىٰ ظـهره سنة .

وقال آخرون : حمله مائة سنة .

وقيل : أربعين سنة ، ولم يزل كذلك حتىٰ بعث الله غرابين .

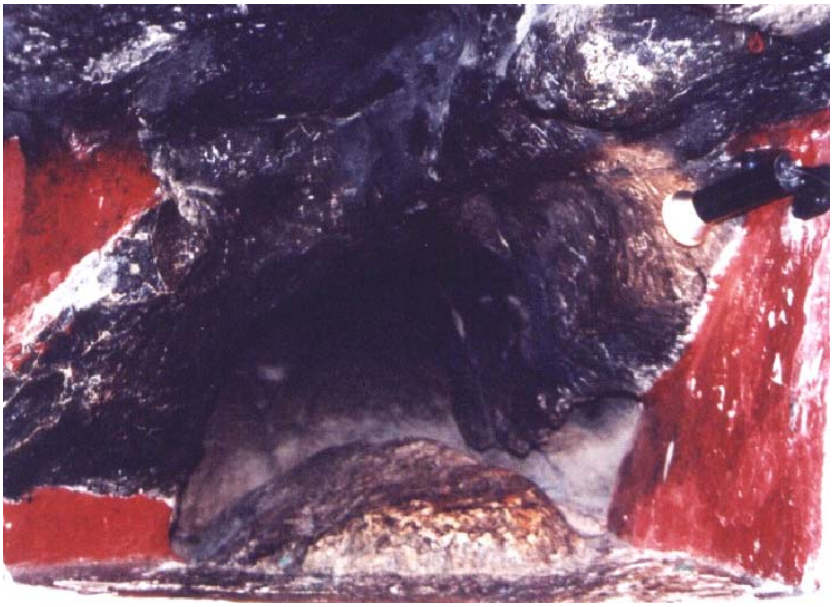

مغارة الدم الموجودة في جبل قاسيون ، وتُسَمَّىٰ أيضاً مغارة الأربعين ، ويشاهد فيها آثار دم هابيل كما يُعتقد مُعَلِّماً علىٰ الصخر ، وقد بني عليها مسجد يُسَمَّىٰ مسجد الأربعين

---

(١) : حديث حسن صحيح متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي قتادة وأبي سـعيد الخـدري وغـيرهم ، رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابـن ماجـة والحـاكم والطـبراني وأبـو يعلىٰ بألفـاظ وأسانيد مختلفة ، وفي لفظ لبعضهم : (مَنْ رآني في المنـام فقـد رأىٰ الحـق) . وفي روايـة للطـبراني في الصغير والأوسط عن أبي سعيد الخدريرضي الله عنه قال : قال رسول اللهﷺ : (مَن رآني في المنام فقد رآنـي حقاً ، فإن الشيطـان لا يتمثّل بي ولا بالكعبة) .



الكهف الذي قيل: إن الملائكة عزَّت فيه أبانا آدم بابنه هابيل وهو موجود في جبل قاسيون

ولم يكن هابيل يومها كما أقسم ابن عباس وابن عمر ﷺ أضعف من قابيل بل كان أقوىٰ ، إنما منعه خوفه من اللهﷻ مِن أنْ يَمُدَّ يده إليه .

والقائلون : هل كان هابيل نبياً ؟

فَدَعْ عنك هذا السؤال ، وأقول لك : إنه كان عبداً صالحاً لا يختلف بذلك اثنان من ذوي المعرفة ، كان محبوباً عند الله وعند رسوله آدم .

فلهذا نحن نحب هابيل ، ونزور مقامه دائماً كلما تَيَسَّرَ لنا إن شاء الله تعالىٰ .



هذه الصورة أُخِذَتْ لقبر هابيل الحالي الذي علىٰ مفرق بيروت – الزبداني وهو بأيدي أناس غير مؤتمنين ، وقد يكونون قد أخذوا من طول القبر كثيراً ودرسوه ، والله أعلم بالصواب

۞ وفاة آدم عليه السلام :

ورد في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «لَمّا خلق الله آدم مسح ظهره ، فسقط مِن ظهره كلُّ نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة ، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وَبِيصاً من نور ، ثم عرضهم على آدم فقال : أيْ رَبِّ ، مَن هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك . فرأى رجلاً منهم فأعجبه وَبيص ما بين عينيه ، فقال : أيْ رَبِّ ، مَن هذا ؟ قال : هذا رجل مِن آخر الأمم مِن ذريتك يقال له : داود ، فقال : ربِّ ، كم جعلتَ عمره؟ قال : ستين سنة ، قال : أيْ رَبِّ ، زِدْهُ من عمري أربعين سنة . فلما قُضِيَ عمرُ آدم جاءه مَلَك الموت ، قال : أَوَلَم يَبْقَ من عمري أربعون سنة ؟ قال : أَوَلَم تُعْطِها ابنَك داود ؟ قال : فجحد آدم فجحدتْ ذريته ، ونسي آدم فنسيتْ ذريته ، وخطِئ آدم فخطئتْ ذريته»[١] .

وفي رواية ذكرها النويري في تاريخه : أنه وهب له من عمره ستين سنة ، فلمّا انقضى من عمره تسعمائة وأربعون سنة أتاه مَلَك الموت ، فقال له آدم : قد عَجِلْتَ عليّ ؛ لأن ربي كتب لي ألف سنة . قال : أَلَمْ تَهَبْ منها لولدك داود ستين سنة ؟ قال : لا . قال : فجحد آدم وجحدتْ ذريته من بعده ، ونسي فنَسِيَتْ .

قال وهب بن منبه : فلما استكمل عِدّته أَمَرَ اللهُ بِقَبْض روحه ، فعهد إلى ابنه شيث وأوصاه ، وسلّم إليه التابوت[٢] ، وكان فيه نمط[٣] مِنَ الجنة أبيض أهداه الله تعالى لآدم ، فيه صور الأنبياء والفراعنة مِنْ ذريته .

فنشر آدم النمط وأراه لابنه شيث ، فنظر إليه ، ثم أمر بِطَيِّه وَوَضَعَه في التابوت .

---

(١) : رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، واللفظ له . كما رواه الحاكم في المستدرك ، وأبو يعلى في مسنده ، وابن سعد في طبقاته بلفظ مختلف . وروي كذلك من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ .

(٢) : سيأتي معنا إن شاء الله تعالى ذِكْرُ التابوت مُفَصّلاً في نهاية سيرة سيدنا موسى عليه السلام في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

(٣) : أي صحيفة .

وعمد آدم إلى طاقات من شعر لحيته فوضعها في التابوت ، وقال له : يا بني ، إنك لا تزال مُظَفَّراً على أعدائك ما دامت هذه الشعرات سوداً ، فإذا ابيضّتْ فاعلم أنك مَيِّتٌ ، فأَوْصِ إلى خير أولادك .

وأوصاه بقتال أخيه قابيل .

ثم قَبَضَ الله تعالى نبيه آدم في يوم الجمعة ، ونزلت الملائكة بأكفانه وحنوطه ، وصَلَّتْ عليه صفوفاً ، وصلّى عليه شيث ، ودُفِنَ عليه السلام .

قيل : دُفِنَ في جبل أبي قبيس .

وقيل : دُفِنَ حيث نزل في جبل بوذ .

وقيل : كانت وفاة آدم عليه السلام بالهند ، فلما كان زمن الطوفان حمل نوح معه تابوت آدم في السفينة ، ثم دفنه ببيت المقدس . حكاه ابن جرير .

۞ وفاة حواء عليها السلام :

قال وهب بن منبه : ولَمّا توفي آدم عليه السلام ، لم تعلم حواء بموته حتى سمعتْ بكاء الوحش والسباع والطير ، ورأت الشمس مُنْكَسِفة ، فقامتْ مِن قُبَّتها فَزِعة أن يكون حَلَّ بشيث ما حَلَّ بهابيل ، وصارت إلى قُبّة آدم فلم تَرَهُ ، فصاحت صيحة عظيمة ، فأقبل إليها شيث وعزّاها ، وأمرها بالصبر ، فلم تصبر دون أنْ صرخت ، ولطمت وجهها ، ودَقَّتْ صدرها ، فأَوْرَثَتْ ذلك بناتها إلى يوم القيامة .

ثم لزمت قبره أربعين يوماً لا تطْعَمُ ، ثم مرضت مرضاً شديداً ودام بها ، حتى بكت الملائكة رحمة لها .

ثم قُبِضَتْ رحمة الله تعالى عليها ، فغَسَّلَها بناتها ، وكُفِّنَتْ مِن أكفان الجنة ، ودُفِنَتْ إلى جنب آدم عليه السلام ورأسُها إلى رأسه ، ورجلاها عند رجليه .

وقيل : كانت وفاتها بعد مُضِيِّ سنة من وفاة آدم عليه السلام ، وقيل غير ذلك .

وقيل في دَفْنها أيضاً غير ذلك ، والله أعلم بالصواب .



صورة قديمة لقبر حواء في جدة على ما يقول العوام وبدون دليل

وهكذا بعد ذلك وُجد البشر على ظهر هذه اليابسة ؛ لِيُؤَدُّوا المهمة كما أَدّاها أبونا آدم عليه الصلاة والسلام .

سيدنا شيث بن آدم
عليه الصلاة والسلام

قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ ﴾ [مريم: ٥٨] .

وشيث كما أسلفنا هو الذي تولّى العهد ونُبِّيَ بعد أبيه آدم ، وأصبح مسؤولاً عن بني آدم ، لذا يَعتبره المؤرخون الرجل الثاني بعد أبيه .

۞ مولد شيث بن آدم عليه السلام :

شيث بالمعنى العربي هو هبة الله ، وَهَبَهُ الله لأبينا آدم بعد أن قُتِلَ ولده الغالي عليه هابيل كما قدّمنا .

قال ابن الأثير في تاريخه : كانت ولادة شيث بعد مضي مائة وعشرين سنة لآدم ، وبعد قتل هابيل بخمس سنين .

وقال ابن الأثير في قول آخر : وُلِدَ شيث فَرْداً بغير توأم .

فلمّا وَضَعَتْهُ كان على صفة هابيل وصورته ، فلما ترعرع وبلغ ، بعث الله تعالى له قضيباً من سدرة المنتهى في صفاء الجوهر .

۞ وصية آدم لولده شيث :

قال وهب بن منبه : ولَمّا مات آدم عليه السلام أسند وصيته إلى ابنه شيث ، وكان شيث يومها قد جاوز الأربعمائة من عمره ، أي كان في عِزِّ شبابه ، وفي نضارته وقوته ، حيث كانوا يُعَمِّرون الأعمار الطويلة .

وكان مما وصّاه به أن يتمسك بالعُروة الوُثْقى ، بشهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ آدم نبي الله ورسوله . ووصّاه بالإيمان بمحمد رسول الله ﷺ ، وقال له : يا بني ، إني رأيتُ اسم محمد مكتوباً على سُرادِق العرش ، وعلى أبواب الجنان ، وأطباق السماوات ، وأوراق شجرة طوبى . فهذه وصيتي إليك بأن تكون دائماً مُحِبّاً لهذا النبي وإن لم تكن تراه ، وأَوْصِ كذلك أُمَّتَك بعدك بحبه ، والإيمانِ به إذا اجتمعوا إليه .

ثم نزع خاتمه وألبسه لولده شيث ، وكانت هذه بمجرد التولية له ، وأنه وضع الأمانة عنده .

ثم سلّم إليه التابوت الذي نزل معه من الجنة ، والذي كان يحمله سيدنا موسى بعد ذلك في حروبه وينتصر ، وفيه كما ذكرتُ آنفاً بقية من آثار لحية أبينا آدم ، وبقية من آثار الجنة ، وفيه كذلك صور الأنبياء إلى سيدنا محمد عليهم الصلاة والسلام .

ثم قال له آدم : إنَّ الله سيعطيك يا شيث ثواب المجاهدين . وأمره مع الطائعين والمؤمنين من بني آدم أن يجاهد ويلاحق أخاه قابيل ليقتله حيث كان ، وأن يقتل كذلك مَن لاذ إليه ، وبشّره بأن الله سينصره عليه .

وصار إليه الفرس الميمون ، وكان أَغَرّ مُحَجّلاً ، إذا صهل أجابته الدواب كلها بالتسبيح .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ولّما حضرت آدمَ الوفاةُ عهد إلى شيث ، وعلّمه ساعات الليل والنهار ، وعبادة الخلوة في كل ساعة منها ، وأَعْلَمَه بالطوفان . وصارت الرياسة بعد آدم إليه ، وأنزل الله عليه خمسين صحيفة ، وإليه أنساب بني آدم كلهم اليوم .

۞ قتال شيث قابيل :

قال وهب بن منبه : ثم أمر الله تعالى شيث بن آدم بقتال قابيل ، وكان قابيل قد اعتزل في ناحية من الأرض فَعَمَرَها ، وخدع أختاً له فأَحْبَلَها ، ورُزِقَ منها أولاداً كثيرة .

فسار إليه شيث بجميع أولاده وقد ركب الفرس الميمون ، وأخذ معه التابوت ، وتقلّد سيف أبيه . وكان بين يديه عمودٌ من الياقوت تحمله الملائكة ، يضيء بالليل والنهار . وسار وقد أحدقتْ به الملائكة .

فتوجّه إبليس إلى قابيل وأَعْلَمه خبر أخيه ، فتَأَهَّبَ للقائه وقد داخله الفزع .

ثم جاء شيث فقاتله فاقْتَتَلا ، فانكبّ قابيل على وجهه ، فأخذه شيث أسيراً ، وأَسَرَ جماعة من أولاده .

ثم أقبلت الملائكة إلى قابيل فسلكوه في سلسلة من سلاسل جهنم ، وغَلُّوا يده إلى عنقه ، وساقُوه بين يدي شيث مُهاناً وهو يقول : يا شيث ، احفظ الرَّحِمَ بيني وبينك . فقال : لا رَحِمَ بيننا بعد أن قتلتَ أخاك ظلماً .

ثم أمر شيث الملائكة فساقوه مغلولاً إلى عين الشمس بالمغرب ، فلم يزل مواجهاً للشمس حتى مات كافراً ، وصارت ذريته عبيداً وإماءً لشيث وأولاده .

ثم أخذ شيث بعد ذلك في عمارة المدن حتى بنى نَيِّفاً على ألف مدينة ، في كل مدينة منارة يُنادى عليها : (لا إله إلا الله ، آدم صفوة الله ، محمد رسول الله) .

وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر هو وأولاده حتى عُمِّرَت الدنيا .

۞ مبعث شيث عليه السلام بالرسالة ونبوته :

قال وهب بن منبه : بعد القضاء على قابيل ، نُبِّئ شيث عليه السلام وأَنْزَلَ اللهُ عليه خمسين صحيفة ، وقيل : ستين صحيفة ، بالإضافة إلى ما كان قد نزل على آدم حيث كَثُرَ الناس .

روى ابن حبان في صحيحه وأبو نعيم في الحلية عن أبي ذر مرفوعاً : أنه أُنزل على شيث خمسون صحيفة[1] .

فكانوا يقرؤونها ويعملون بما فيها من غير عداوة، ولا تباغض ولا تحاسد ، ولا فسق بينهم .

وكان إبليس يحسد شيثاً وأولاده ، فأقبل إبليس إليه في صورة امرأة حسناء ، فقال لها شيث : مَن أنتِ ؟ قالت : أرسلني الله إليك لِتَتَزَوَّج بي ، ولستُ من بنات آدم . فقال : إنَّ ربي لم يأمرني بذلك ، ولا أخبرني عنك ، وما أظنكِ إلاّ إبليس . فضحك إبليس وقال :

---

(١) : ولفظ الحديث عن أبي ذر الغفاري قال : قلت : يا رسول الله ، كم كتاباً أنزله الله ؟ قال : مائة كتاب وأربعة كتب ، أُنزل على شيث خمسون صحيفة ، وأُنزل على أخنوخ ثلاثون صحيفة ، وأُنزل على إبراهيم عشر صحائف ، وأُنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف ، وأُنزل التوراة والإنجيل والزبور والقرآن .

إنما أنا امرأة من نساء الجنة ، ولا تَعْصِ ربك وتـزوّج بي . وجعل إبليـس يَتَـزَيَّن لـه حتى كـاد يفتـنه ، فنادتـه الملائكـة : يـا نـبي الله ، إنـه عـدوك إبليس . فقبـض شـيث عليـه وهَـمّ بقـتـله ، فقال : خَلِّ عني فإني مِنَ المُنْظَرين ، ولكن أُعطيـك الميثـاق أنـي لا أتعـرّض إليـك بعدها . فَـأَطْـلَـقَه ولم يَعُدْ إليه .

۞ وفاة شيث عليه السلام وذِكْرُ ولده :

قال وهب بن منبه : ووُلِدَ لشـيث أَنـوش علـى طولـه وحُسْـنه ، فجعلـه شـيث مكانـه والخليفة من بعده ، وسَلَّمَ إليه التابوت ، وأوصاه بقتال أولاد قابيل[1] .

ومات شيث عليه السلام وله تسعمائة وعشرون سنة .

وقيل : بل عاش بعد آدم مائتي سنة ، وعَهِدَ لابنه أَنوش .

وهو مدفون بين سوريا ولبنان ومقامه يُزار ، ومنطقته كلها يقال لها : قرية النبي شيث .



قبر سيدنا شيث عليه السلام

(١) : فهذا النسل الذي خلّفه قابيل هو الذي انطلق في معاداة الله ومعاداة السماء .

فقام أَنوش على أولاده بالطاعة ثلاثمائة عام ، وعهد من بعده إلى ابنه قَيْنان .

فَعُمِّرَ قَيْنان بعد أبيه مائتين وخمسين سنة ، وعهد إلى ابنه مَهْلائيل .

وكَثُرَ في زمان مَهْلائيل بنو آدم ، وكان منزلهم الحرم فضاق بهم ، فقسّم الأرض بينهم خمسة أقسام ، وأرسل خمسة نفر من صلحاء قومه يُقيمون له شرائع آدمعليه السلام ، ويَتَوَلَّوْن الحكومة بينهم ، وهم : وَدٌّ ، وسُواع ، ويَغوث ، ويَعوق ، ونَسْر .

وهؤلاء الذين لَمّا فُقِدوا بلغ مِن وَجْد قومهم عليهم أنْ جعلوا لهم تماثيل يَتَسَلَّوْن بها ، وتَرامى الأمرُ إلى أنْ عبدها القرن الذي تَلاهُم ، فكان ذلك هو السبب بعبادة الأوثان .

ثم قام بالأمر بعد مَهْلائيل ابنه أَخْنُوخ ، وهو سيدنا إدريسعليه السلام .



سيدنا إدريس
عليه الصلاة والسلام

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾ [مريم] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الأنبياء] .

۞ ذِكْرُ اسمه ومبعثه وبعضٌ من مناقبه :

سيدنا إدريس عليه السلام هو أَخْنوخ ، وإنما سُمِّيَ إدريس لكثرة دراسته الكتب .

وهو أول مَن بُعِثَ من بني آدم على بعض الروايات .

وهو أول مَن خَطّ بالقلم بعد شيث ، وأول مَن كتب في الصحيفة .

وكان مشتغلاً بالعبادة ومجالسة الصالحين حتى بلغ ، فانفرد للعبادة ، فجعله الله تعالى نبياً .

وذكر النويري بأنه كان يعيش مِن كَسْبِ يده ، وكان خيّاطاً ، وهو أول مَن خاط الثياب ولَبِسَها ، وكانوا قبل ذلك يلبسون الجلود .

حتى أتَتْ عليه أربعون عاماً ، فبعثه الله تعالى إلى أولاد قابيل وكانوا جبابرة ، وقد اشتغلوا باللهو والغناء والمزامير والطنابير ... وغير ذلك ، وعبدوا الأصنام .

وكان إدريس يدعوهم ثلاثة أيام ، ويعبد الله أربعة أيام .

وكان لا يَغْرِزُ غُرْزة إلاّ ذَكَرَ عليها اسم الله تعالى .

وذكر وهب بن منبه أنه أول مَن اتّخذ السلاح وجاهد في سبيل الله ، ولبس الثياب ، وأظهر الأوزان والأكيال ، وأنار عِلْمَ النجوم .

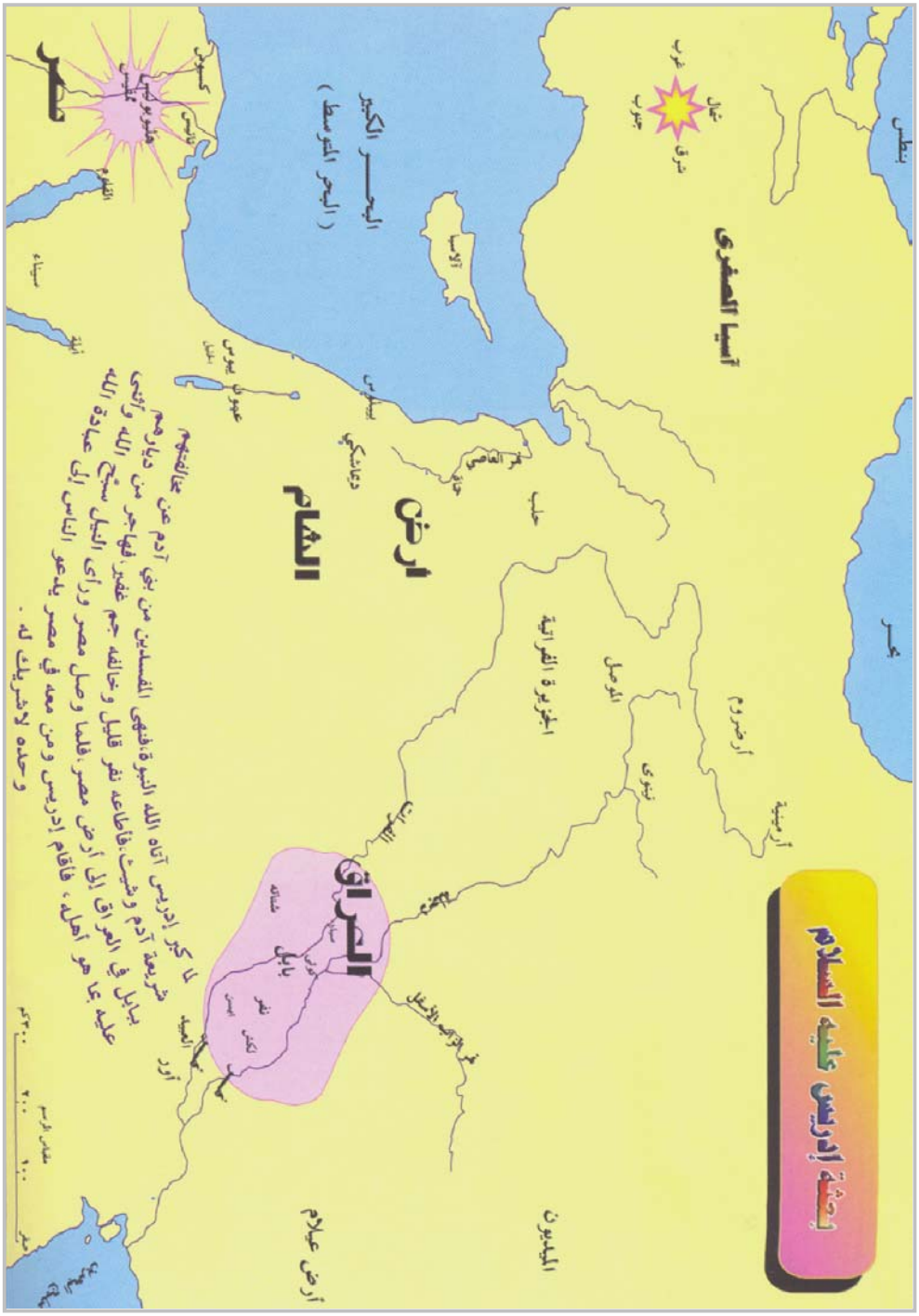

❁ <u>ملاحظة</u> : لا نعلم مصدر هذه الرواية الواردة في الخريطة ، وإنما وضعناها على سبيل الاستئناس بذلك .

وقيل : قد أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة ، كما ذكر ذلك النويري في نهاية الأرب .



نسخة نادرة من الصحائف المنسوبة إلى سيدنا إدريس والذي يُعرف عند اليونان باسم (هرمس) ، وهي محفوظة حالياً بمكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت

۞ خبر رفع إدريس عليه السلام إلى الجنة :

قال الكسائي رحمه الله تعالى : وكان إدريس شديد الحرص على دخول الجنة ، وكان قد رأى في الكتب أنه لا يدخلها أحد دون الموت .

فبينما هو يُسَبِّحُ في عبادته ، إذْ عَرَضَ له مَلَك الموت في صورة رجل في نهاية الجمال ، فقال له إدريس : مَن أنت ؟ قال : عَبْدٌ مِن عبيد الله أعْبُدُهُ كعبادتك .

وقد اصْطَحَبا ، فكان إدريس يأكل مِن رزق الله وهو لا يَطْعَمُ شيئاً ، فسأله إدريس عن ذلك ، فأخبره أنه مَلَك الموت ، فقال له : جئتَ لِقَبْضِ روحي ؟ قال : لا ، ولو أمرني الله بذلك ما أمْهَلْتُكَ ، ولكنه أمرني أنْ أصْحَبَكَ . فسأله إدريس أن يقبض روحه ، فقال له : وما تريد بذلك وللموت كَرْبٌ عظيم ؟ قال : لعلّ الله تعالى يُحْيِيني فأكون أكثر في عبادته . فأمره الله بِقَبْضِ روحه ، فَقَبَضَها ، وأحياه الله تعالى لوقته .

ثم قال إدريس له بعد حين : هل تستطيع أن تَـقِفَني على جهنم ؟ قـال : ومـا حـاجتك إلى ذلك ولها من الأهوال ما لا تُطيق أن تـنظر إليه ؟ وما لي سبيل إلى ذلـك ، ولكـني أَقِـفُكَ على طريق مالكٍ خازنها ، واللهُ أعلم بحاجتك .

فوافق إدريسُ على ذلـك ، ووَقَـفَه مَلَـك المـوت على طريـق مـالك ، فلمـا رآه كشّـر في وجهه ، فأوحى الله تعالى إلى مالك : وَعِزَّتي وجلالي لا رأى عبدي إدريس بعد كَشْرَتِـكَ سوءً ، ارجـع إليـه وقِفْـهُ على شـفير جـهنم لِـيَرى مـا فيـها . فَوَقَـفَه مـالك على شـفيرها ، ونظر إلى مـا فيـها مـن الأهـوال ، فلـولا أنْ ثَـبَّـتَه الله تعـالى لَصُعِـقَ . ثـم أعـاده إلى مكانـه ، فاحتمله مَلَك الموت إلى الأرض .

فعبد اللهعليه السلام حيناً ، ثم قال لِمَلَك الموت : هل لـك أن تُدْخِلَني الجنة لأرى مـا أَعَـدَّه الله تعالى لأهل طاعته من النعيم ؟ فقال : أَحملك وأَقِفُ على طريق رضـوان خـازن الجنـان ، فَسَـلْهُ حاجتك .

ففعل ذلك ، فلما رآه رضوان قال : مَن هذا ؟ قـال مَلَـك المـوت : إنـه إدريـس نـبي الله يريـد أن ينظـر إلى نعيـم الجنـان ، قـال : ذلـك إلى ربـي . فـأوحى الله تعـالى إلى رضـوان : إني قد علمتُ ما يريـد عبـدي إدريـس ، وقـد أمـرتُ غصناً مـن أغصـان شـجرة طوبـى أن يتدلّى إليه ، فيلتـفّ به ويُدخله الجنة ، فإذا دخل فَأَقْعِدْه في أعلى موضع .

فلمّا دخلها إدريسُ ورأى ما فيها من النعيم ، قال له رضـوان : اخـرج الآن ، فقـال لـه إدريس : أَيَدْخُلُ الجنةَ مَن يخرج منها ؟ فحاجّه في ذلك ، فأرسل الله تعالى لـه مَلَـك المـوت ، فقـال لـه إدريـس : مـا حـاجتك ؟ إنـك لـن تُسَـلَّطَ على قبض روحـي مرتـين ، فـاذهب . فرجـع مَلَـك المـوت إلى ربـه وقـال : إلهـي ، قـد علمـتَ مـا قـال إدريـس . قـال الله تعـالى : إنه حاجّك بكلامي ، فَذَرْهُ في جنّتي .

فذلـك قولـه تعـالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾ [مريم] .

وقـد نقـل أبـو إسـحاق الثعلـبي رحمـه الله تعـالى في كتابـه (يـاقوت البيـان في قصـص القرآن) ، وفي تـفسيره أيضاً في سبب رفع إدريس عليه الصلاة والسلام قـال : وكـان سـبب

رَفْعِهِ على ما قال ابن عباس رضي الله عنهما وأكثر الناس : أنه سار ذات يوم وأصابه وهج شمس ، فقال : يا ربّ ، إني مَشَيْتُ يوماً فَتَأَذَّيْتُ منها ، فكيف مَن يَحْمِلُها خمسمائة عام في يوم واحد ؟ اللهم خَفِّفْ عنه مِن ثِقَلِها ، واحمل عنه حَرَّها .

فلما أصبح المَلَك وجد مِن خِفّة الشمس وخِفّة حرّها ما لا يَعرف ، وقال : يا ربّ ، خَلَقْتَني لِحَمْل الشمس ، فما الذي قَضَيْتَ فيَّ ؟ فقال : أَمَا إنَّ عبدي إدريس سألني أنْ أُخَفِّفَ عنك ثِقَلَها وحَرَّها ، فَأَجَبْتُه . قال : يا ربّ ، اجمع بيني وبينه ، واجعل بيني وبينه خُلّة . فَأَذِنَ الله تعالى بذلك .

فأتى حتى إنَّ إدريس لَيَسْأَلُهُ ، فكان مِمّا سأله أنْ قال : أُخْبِرْتُ أنك أكرم الملائكة عند مَلَك الموت وأَمْكَنُهم عنده ، فاشفع لي إليه أن يُؤَخِّرَ أَجَلي فأزداد شكراً وعبادة . فقال المَلَك : لا يُؤَخِّر الله نفساً إذا جاء أَجَلها ، قال إدريس : قد علمتُ ذلك ولكنه أَطْيَب لنفسي ، قال : نعم ، أنا أُكَلِّمُه لك ، فما كان يستطيع أن يفعل لأحد من بني آدم فهو فاعِلُه لك . ثم حمله مَلَك الشمس على جناحه فرفعه إلى السماء ، ووضعه عند مطلع الشمس .

ثم أتى مَلَكَ الموت فقال : لي إليك حاجة ، فقال : أَفْعَلُ كلَّ شيء أستطيع ، قال له : صديقٌ لي من بني آدم يَتَشَفَّعُ بي إليك أن تُؤَخِّرَ أَجَلَهُ ، فقال : ليس ذلك إليّ ، ولكنْ إنْ أَحْبَبْتَ أُعْلِمه أَجَلَهُ متى يموت ، فيتقدّم في نفسه . قال: نعم ، فنظر في ديوانه ، فأخبره باسمه ، فقال : إنك كَلَّمْتَني في إنسان ما أراه يموت أبداً ! ثم قال : إني لأجده يموت عند مطلع الشمس ، قال : فإني أَتَيْتُك وتركتُه هناك ، قال : فَانْطَلِقْ فإنه قد مات ، فوالله ما بقي مِن أَجَلِ إدريس شيءٌ . فرجع المَلَك فوجده ميتاً ..... إلى آخر ما ذكره الثعلبي .

وفي رواية لوهب بن منبه – وقد أضفتُ عليها بعض الروايات لغيره – قال : كان إدريس عبداً صالحاً يُرْفَعُ له في كل يوم من العبادة مِثْل ما يُرفع لأهل الأرض في زمانه ، فَعَجِبَتْ منه الملائكةُ ، واشتاق إليه مَلَك الموت ، فاستأذن الله تعالى في زيارته ، فَأَذِنَ له .

فأتاه في صورة رجل وجلس معه أياماً ، وكان إدريس يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ويُفطر مساءً ، فإذا أراد أن يفطر قال لِلْمَلَك : تعال وكُلْ معي ، فلم يُجِبْهُ في اليوم الأول

والثاني والثالث ، فسأله في اليوم الرابع : مَن أنت ؟ قال : أنا مَلَـك المـوت ، فقـال : مرحباً بك ، أنا مشتاق إليك ، هلاّ استطعتَ أن تـقبض روحي ؟ قال : هذا بِأَمْرِ الله . فجاء الأمـر لِمَلَك الموت من الله : أن اقْبِضْ روحه ليذوق مرارة المـوت ، ولـيزداد عبـادة . فَقَبَـضَ روحـه وذاق مرارة الموت ، ثم عاد إلى الدنيا بأمر الله .

ثم قال إدريس لِمَلَـك المـوت : كمـا فعلـتَ ذلـك هـل لـك أنْ تُرِيَـنِي جـهنم ؟ قـال : لا أستطيع ذلـك إلاّ بِـأَمْـر الله . فأتـاه الأَمْـرُ : أَرِهِ مالكـاً . فقـال مَلَـك المـوت لإدريـس : أنا لا أستطيع أن أُدْخِلَك وأُرِيكَ جهنم ، إنما أجمعك مع أخي مالك المسؤول عن النار .

فوضعه في طريقه في السماء ، فرآه مالك فسأل عنـه ، فقيـل : إنـه نـبي الله إدريـس أراد أن يراك . فرأى إدريسُ خازنَ النار عابساً ، حيث هو كعادته مَلَك عـابس مـا ضحـك يومـاً واحداً ؛ لأنه يعامل النار وجهنم ، ويعامل أهل العقاب ، فهو دائماً في عَبْس مستمر .

فعندما أوحى الله إليه : أنْ يا مالك أَرِ عبدَنا إدريس جهنم وأَمِرَّه على جسرها ، قـال : سمعاً وطاعـة . فـأخذه مـالك وأراه جـهنم ، ومـرَّ عليـها وعلـى جسـرها ، وتحمّـل مـا رأى مِن أهوالها ، ثم أعاده وسلّمه إلى مَلَك الموت ، فردّه إلى بيته .

ثم قال إدريس عليه السلام : بَـقِـيَتْ واحدة ، قال مَلَك الموت : ما هي ؟ قـال : أَرِنـي الجنة ، فبعـد أن ذُقْنـا مـرارة المـوت الصعبـة ومـرارة جـهنم ، فـنريد أن نـرى الجنة لننظـر مـا فيـها مِن نعيم . فقال : لا أستطيع . فكذلك جاءه النداء بِأَمْرِ الله : أنْ أَرِهِ رضوان .

فوضعه على طريق رضوان خازن الجنة ، فرآه رضـوان ، فـأتى الأمـر إليـه : أنْ أَدْخِلْـهُ الجنـة . فَـأَدْخَلَـهُ الجنة ورأى قصورهـا وأشـجارها ، ورأى مـا فيـها مـن نعيـم فجلـس ، ثم قال له رضوان : اخرج ، قال : وهل يدخل أحد الجنة ويخرج منها ؟

فتـناظر رضـوان مـع نـبي الله إدريـس : أن اخْـرُجْ ، قـال : لا أخـرج . ثم قـال إدريس عليه السلام : ربنا قـال : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [آل عمـران: ١٨٥] وقـد ذُقْـتُهُ ، وقال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] وقد وَرَدْتُها ، وقـال تعـالى : ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٨] ، فلستُ أَخْرُج . فقال الله تعـالى لِمَلَـك المـوت : دَعْـهُ ، فإنـه بـإذني دخل الجنة ، وبأمري يخرج .

وهكذا شأن نبي الله إدريس عليه السلام هو هناك في الجنة يذكر الله تعالى كما قال تعالى بحقه : ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] .

وبالإجماع هو يَتَنَقَّلُ ما بين الجنة وما بين السماء الرابعة ، فتارّة يعبد الله في السماء الرابعة ، وتارة يتنعّم في الجنة ؛ لهذا عندما أُسري بنبينا محمد ﷺ رآه ينتظره من جملة المستقبلين بالسماء الرابعة .

روى الإمام أحمد ومسلم في حديث المعراج عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ثم عُرِجَ بنا إلى السماء الرابعة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بُعِثَ إليه ؟ قال : قد بُعِثَ إليه . ففتح لنا ، فإذا أنا بإدريس ، فرحّب ودعا لي بخير » .

وفي رواية ذكرها البيهقي وابن إسحاق عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ثم صعدنا إلى السماء الرابعة ، فإذا أنا بإدريس قد رفعه الله مكاناً عَلِيّاً ، فسلّمتُ عليه ، فسلّم عليّ » .

وبدخول سيدنا إدريس الجنة أصبح يعيش حياة سماوية مَحْضة ، والله تعالى أعلم .



سيدنا نوح
عليه الصلاة والسلام

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأعراف] .

وقال الله تعالى : ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [يونس] .

وقال تبارك اسمه : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ

وَمَن مَّعَهُ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الشعراء][1] .

۞ مولد نوح عليه السلام ونشأته :

قال الكسائي : قال وهب بن منبه : لَمّا رفع الله تعالى إدريس عليه السلام ، ترك إدريسُ في الأرض وَلَدَهُ ماتوشْلَح[2] يقوم بأمره ، فتزوّج بامرأة يقال لها : ميشاخا ، فولدتْ له ولداً سمّاه لَمَك ، وكان يرجع إلى قوة وبطش ، وكان يضرب بيده الشجرة العظيمة فيقتلعها من أصلها ، وكان على وجهه نور نبينا محمد ﷺ .

فخرج في يوم إلى البَرِيّة ، فرأى امرأة في نهاية الجمال ، وبين يديها غنم ترعاها ، فَأَعْجَبَتْهُ ، فسألها عن نفسها فقالت : أنا قَيْنوش بنت بَراكيل بن مَحَويل من أولاد قابيل بن آدم . فقال : ألكِ زوج ؟ قالت : لا ، قال : فما سِنُّكِ ؟ قالت : مائة وثمانون ، قال : لو كنتِ بالغةً لَتَزَوَّجْتُكِ[3] ، فقالت : كان عندي أنك تريد أن تفضحني ، فأمّا إذا أردتَ الزواج فأنا قد أتى عليّ مائتا سنة وعشر سنين .

فخطبها من أبيها وأَرْغَبَه بالمال ، فزوّجه بها ، فحملتْ منه بنوح عليه السلام .

فلما كان وقت الولادة ، وَلَدَتْهُ في غار خوفاً على نفسها وولدها من المَلِك ؛ لِكَوْنِها تزوّجتْ بِمَنْ ليس منهم .

---

(١) : ارجع كذلك إن شئتَ إلى المواضع التالية من القرآن الكريم : آل عمران ٣٣-٣٤ ، النساء ١٦٣ ، الأنعام ٨٤ ، التوبة ٧٠ ، هود ٢٥-٤٩ ، إبراهيم ٩ ، الإسراء ٣ ، الأنبياء ٧٦-٧٧ ، المؤمنون ٢٣-٣٠ ، الفرقان ٣٧ ، العنكبوت ١٤-١٥ ، الأحزاب ٧-٨ ، الصافات ٧٥-٨٢ ، الشورى ١٣ ، الذاريات ٤٦ ، النجم ٥٢ ، القمر ٩-١٧ ، الحديد ٢٦ ، التحريم ١٠ ، وسورة نوح .

(٢) : وقيل بالخاء : ماتوشلخ .

(٣) : حيث كان البلوغ يومئذ لاِسْتِيفاء مائتي سنة .

فلمّا وَضَعَتْه هناك وأرادت الانصراف قالت : وانُوحاه ، وانصرفتْ ، فبقي في الغار أربعين يوماً .

ثم تُوُفِّيَ أبوه لَمَك ، فاحْتَمَلَتْه الملائكة وَوَضَعَتْهُ بين يدي أمه مُزَيَّناً مَكْحولاً ، ففرحتْ به وربَّتْه حتى بلغ .

وكان عليه السلام ذا عقل ، وعِلْم ، ولسان ، وصوت حسن ، واسعَ الجبهة ، أسْيَلَ الخد .

كان يرعى الغنم لقومه مدة ، وربما عالج التجارة ، ثم كَرِهَ مجاورة قومه لعبادتهم الأصنام .

وكان لهم مَلِك يقال له : دَرْمَشيل ، وكان جبّاراً عاتياً قوياً ، هو أول مَن شرب الخمر ، وأول مَن اتّخذ القمار ، وأول مَن قعد على الأَسِرّة واتّخذ الثياب المنسوجة بالذهب ، وأول مَن أمر بصناعة الحديد والنحاس والرصاص ... إلى غير ذلك .

كان هو وقومه يعبدون خمسة من الأصنام : وُدّاً ، وسُواعاً ، ويَغوثَ ، ويَعوقَ ، ونَسْراً[1] .

ثم اتّخذ المَلِك دَرْمَشيل ألف صنم وسبعمائة صنم على صور شتّى ، واتّخذ لها كَراسِيَّ من الذهب والفضة ، وأقام لها الخدم والسَّدَن يخدمونها .

فاعتزلهم نوح إلى البراري ولم يخالطهم حتى بعثه الله تعالى نبياً ، والله أعلم بالصواب .

---

(١) : هذه الأصنام كانت قد خُفِيَتْ بعد الطوفان تماماً في التراب ، فجاء إبليس وأَخْرَجَها وأَظْهَرَها للعرب مرة ثانية في الجزيرة العربية ، وعُبِدَتْ كذلك من دون الله تعالى حتى دَرَسَها وكسّرها سيدنا محمد ﷺ ، سيد الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر .

وقد وَرَدَ ذِكْرُها في كتاب الله في سورة نوح ، وكنا ذكرنا في آخر سيرة سيدنا شيث عليه السلام (ص٩٣) سبب هذه الأصنام وعبادتِها ، فارجع إليه إنْ شئتَ .

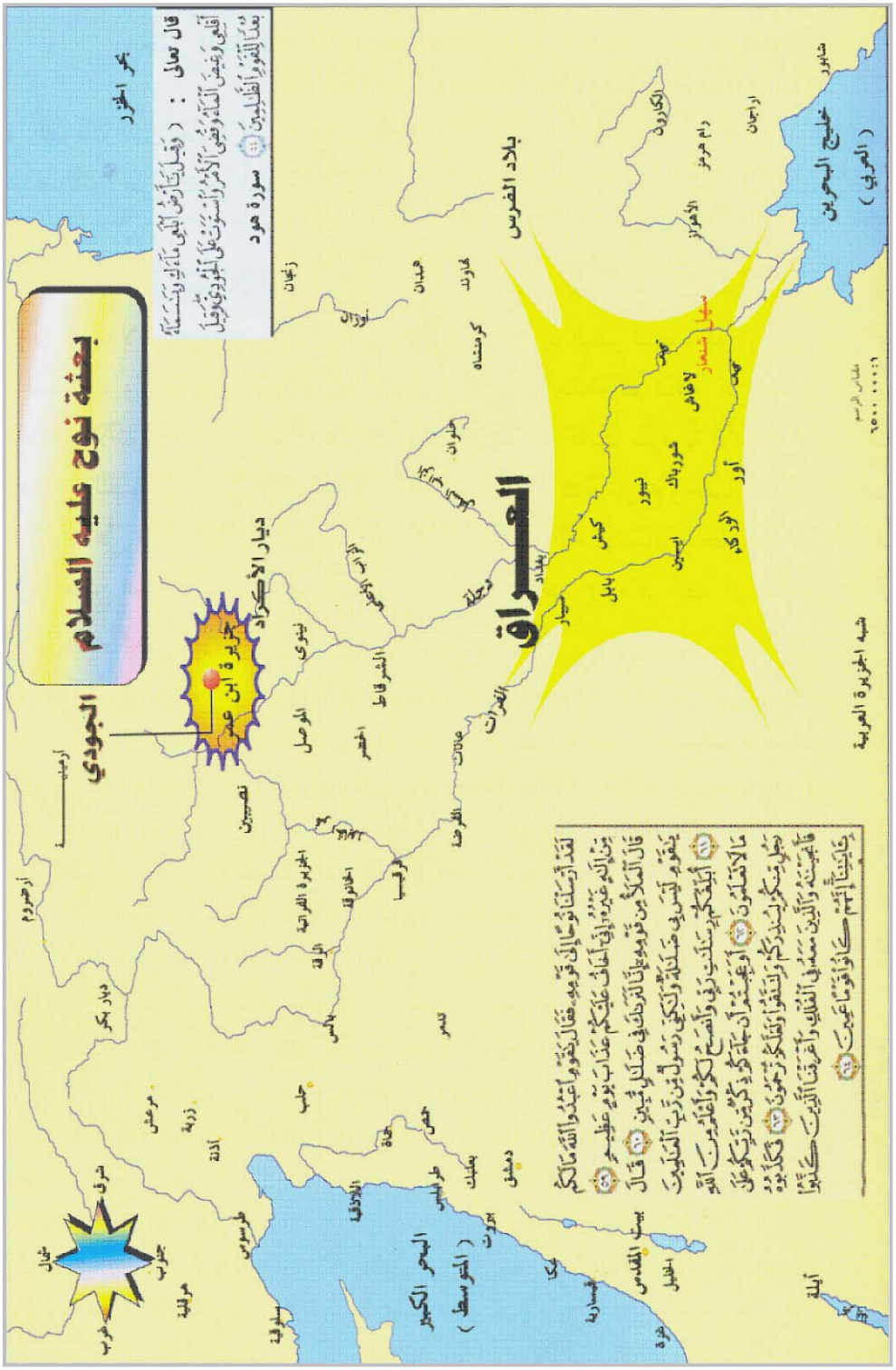
بعثة نوح عليه السلام
بحر الخزر
قال تعالى : (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) سورة هود
الجودي
جزيرة ابن عمر
ديار الأكراد
العراق
بلاد الفرس
خليج البحرين (العربي)
شبه الجزيرة العربية
البحر الكبير (المتوسط)
شمال
جنوب
شرق
غرب
أرمينية
أرضروم
ديار بكر
مرعش
زربة
أذنة
طرسوس
سلوقية
حلب
حماة
حمص
بعلبك
دمشق
بيروت
عكا
قيسارية
بيت المقدس
الخليل
أيلة
الموصل
الحضر
الشرقاط
نينوى
نصيبين
الجزيرة الفراتية
الرقة
بالس
تدمر
قرقيسيا
الفرضة
عانات
الفرات
دجلة
بغداد
سيار
كيش
بابل
نيبور
شورباك
أور
الوركاء
لاغاش
سهل شنعار
الكارون
رام هرمز
الأهواز
أراجان
شابور
زنجان
أوزان
همدان
كرمنشاه
حلوان
الزاب الأعلى
مقياس الرسم

۞ مبعثه بالرسالة وتبليغه الدعوة :

قيل : بُعِثَ على رأس الثلاثمائة .

وقيل : على رأس الأربعين .

قال الكسائي نقلاً عن وهب بن منبه : فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن يهبط إلى نوح ويُبَشِّرَه بالنبوة والرسالة . فهبط جبريل عليه ، وجاءه بوحي الله أن يسير إلى دَرْمَشيل المَلِك وقومِه ، وأن يدعوهم إلى عبادة الله تعالى .

فأقبل نوح إلى قومه مِن يومه ، وكان يومَ عيدهم ، وقد نصبوا أصنامهم على أَسِرَّتها وكَراسِيِّها ، وهم يُقَرِّبون القرابين لها . وكانوا إذا فعلوا ذلك يَخِرُّون لها سُجَّداً ، ويشربون الخمور ، ويضربون بالصَّنْج ، ويأتون النساء كالبهائم مِن غير تَسَتُّرٍ .

فجاءهم نوح وهم يزيدون على تسعين زُمْرة ، كُلُّ زُمْرة لا يُحْصَوْن كثرةً . فاخترق صفوفهم حتى صار في وسط القوم ، وسأل اللهَ تعالى أن ينصره عليهم . فلما أرادوا السجود للأصنام نادى : أيها القوم ، إني جئتكم بالنصيحة من عند ربكم ، أدعوكم إلى عبادته وطاعته ، وأنهاكم عن عبادة الأصنام ، فاتقوا الله وأطيعون . ثم قال : لا إله إلا الله ، وكان ذا صوت مرتفع ، فَخَرَقَتْ دَعْوَتُهُ الأسماع ، وهَوَتِ الأصنام عن كَراسِيِّها ، وسقط المَلِك عن سريره مغشياً عليه . فلما أفاق قال : يا أولاد قابيل ، ما هذا الصوت الذي لم أسمع مِثْلَه ؟ قالوا : أيها الملك ، هذا صوت رجل مِنّا اسمه نوح بن لَمَك ، كان يُجانِبُنا قبل ذلك بجنونه ، والآن قد اشتدّ عليه الجنون .

فغضب المَلِك واستدعاه ، فَأَتَوْا به بعد أن ضربوه ضرباً شديداً ، فقال له المَلِك دَرْمَشيل : مَن أنت ، لقد ذكرتَ الآلهة بالسوء ؟ قال : أنا نوح بن لَمَك رسول رب العالمين ، جئتُكم بالنصيحة من ربكم لتؤمنوا به وبرسوله ، وتَهْجروا هذه الأصنام ، وهذه القبائحَ التي أنتم عليها . فقال دَرْمَشيل : إنك قد جئتَنا بما لا نَعرف ، ولا نعتقد بأنك عاقل ، فإذا شئتَ مُداواة داوَيْناك ، وإذا كنتَ فقيراً واسَيْناك . قال : يا قوم ، ما بي مِن جنون ، ولا حاجة لي إلى ما بأيديكم ، ولكن أريد أن تقولوا : لا إله إلاّ الله وإني نوح عبد الله ورسوله . فغضب دَرْمَشيل وقال : لولا أنه يوم عيد لَقَتَلْناك .

وكان أَوّلَ مَن آمن بـه امـرأة مـن قومـه يقـال لهـا : عَمْـرة ، فَتَزَوَّجَـها فَـأَوْلَدَهـا سـاماً ، وحاماً ، ويافس ، وثلاث بنات .

ثم آمنتْ به امرأة أخرى من قومه يقال لهـا : والعـة ، فتزوّجـها فَـأَوْلَدَهـا كنعـان الـذي هلك بالطوفان بعد ذلك ، وقيـل باسمـه غـير ذلـك . ثـم نـافَقَتْ وعـادت إلى ديـن قومـها ، وأصابها ما أصاب القوم بعد ذلك .

قال الكسائي : قال وهب بن منبه : وكان نوح عليه السلام يخرج في كـل يـوم في أنديـة لقومـه يدعوهـم إلى عبـادة الله تعـالى ، فيضربونـه حتـى يُغشـى عليـه ، ويَجُـرُّون بِرِجْلِـهِ فَيُلْقُونَـهُ على المزابل ، فإذا أفاق عاد إليهم بِمِثْلِ ذلك ويعاملونه بِمِثْلِهِ .

حتـى أتـى عليـه ثلاثمائـة سـنة وهـو علـى هـذه الحـال ، ثـم مـات ملكـهم دَرْمشـيل ، ومَلَكَ بعده ابنه بولين ، وكان أَعْتَى وأَطْغَى من أبيه .

وكان نوح يدعوهم في القرن الرابع على عادته ، ويضربونه ويشتمونه ، ويسفُّون عليـه الـتراب ويقولـون : إليـك عنـا يـا سـاحر ، يـا كـذّاب . ويضعـون أصابعـهم في آذانـهم ، وثيابَهم فوق رؤوسهم[1] ، فينصرف عنهم ويعود إليـهم . وإذا خـلا بـالرجل منـهم دعـاه ، وهم لا يزدادون إلاّ عُتُوّاً وتَمَرُّداً واسْتِكْباراً .

وذلك قوله تعـالى إخبـاراً عنـه : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ﴾[نوح] .

فهذه الآية القرآنية توضح لنا الأسلوب الذي كان يُقابَل به سـيدنا نـوح ، وهكـذا هـي دائماً صفات المُصْلِحين ، يدعون الناس إلى الخير والناس يُقابلونهم بالشر .

قال الكسائي : ثم دعاهم حتى استكمل ستة قـرون ، فلمـا دخـل القـرن السـابع مـات ملكهم بولين ، واستخلف عليهم ابنه طفردوس ، وكان على عُتُوِّ أبيه .

وكان نوح يأتي أصنامهم بالليل وينادي بأعلى صوته : يا قوم ، قولـوا : لا إلـه إلاّ الله

---

(١) : للمبالغة في عدم السماع .

وإني نوح رسول الله . فَتَتَنَكَّسُ الأصنام على وجوهها .

وهكذا بقي على حاله ، هو يُنَكِّسُها مساءً وهم صباحاً يُقْعِدونها ، فيقول لهم : أنتم جماعة تعبدون حجارة ، تجدونها نائمة على وجوهها فَتُقْعِدُونها وتعبدونها من دون الله ! لا تستطيع أن تدافع عن نفسها فكيف تستطيع أن تدافع عنكم يوم القيامة ؟ فكانوا يضربونه ضرباً شديداً ، ويدوسون في بطنه حتى يخرج الدم من أنفه وأذنيه .

وكان الرجل منهم عند وفاته يوصي أولاده ويأخذ عليهم العهد أن لا يؤمنوا به . ويأتي الرجل بابنه إلى نوح ويقول : يا بني ، انظر إلى هذا ، فإنَّ أبي حملني إليه وحذّرني منه ، فاحذره أن يُزِيلك عمّا أنت عليه ، فإنه ساحر كذّاب .

وهكذا مضت حياة نوح عليه السلام كلُّها في هذا المجال وهو لا يخشى في الله لومة لائم ، حتى ضجّت الأرض إلى ربها وقالت : ما حِلْمُك على هؤلاء يا رب ! وضجّ كلُّ شيء إلى ربه مِن عُتُوِّهم .

قال الكسائي : فلما كان في بعض الأيام ، إذا هو برجل من كبار قومه قد أقبل بولده يُحَذِّرُهُ منه ، فأخذ الغلام بيده كفاً من تراب وضرب به وجه نوح ، عند ذلك قال نوح : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾[نوح] ، فأمّنت الملائكة على دَعْوته .

فمنع الله عنهم القَطْر والنبات ، فَعَلِمَ نوح أنَّ الله مُهْلِكٌ قومه ، فأحبّ أنْ يؤمن بعضُهم إنْ لم يؤمنوا كلُّهم ، فأوحى الله تعالى إليه : ﴿ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[هود] .

۞ ذِكْرُ عمل السفينة وقصة الطوفان :

قال الكسائي بِتَصَرُّفٍ في عبارته : وأوحى الله تعالى إليه أن يتّخذها في ديار قومه ، وأن يجعلها ألف ذراع طولاً ، وخمسمائة عرضاً ، وثلاثمائة ارتفاعاً .

فَأَعَدَّ آلات النجارة وشرع في عملها ، وأعانه أولاده ومَن آمن مِن قومه ، والناس يسخرون منه ويقولون : بعد النبوة صِرْتَ نجّاراً ، ونحن نشكو القحط وأنت تبني للغرق ؟!

قال الله تعالى : ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[هود] .

وكانوا يأتون السفينة بالليل فَيُشْعِلُون فيها النار ولا تحترق ، فيقولون : هذا مِن سِحْرك يا نوح .

وقد جعل نوح رأسَ السفينة كرأس الطاووس ، وعنقَها كعنق النسر ، وجُؤْجُؤَها كَجُؤْجُؤ الحمامة ، وكَوْثَلَها كذنب الديك ، ومنقارَها كمنقار البازيّ ، وأجنحتَها كأجنحة العُقاب ، ثم غشّاها بالزِّفْتِ ، وجعلها سبع طبقات ، في كل طبقة باب .

وقيل : جعلها ثلاث طبقات ، في كل طبقة باب .

فلما فرغ من بنائها نَطَقَتْ بإذن الله وقالت : لا إله إلاّ الله إله الأَوَّلِين والآخِرِين ، أنا السفينة مَن ركبني نجا ، ومَن تخلّف عني غرق ، ولا يدخلني إلاّ أهل الإخلاص .

فقال نوح لقومه : أتؤمنون ؟ قالوا : هذا قليل مِن سحرك .

ثم استأذن ربه في الحج ، فَأَذِنَ له .

فلما خرج هَمَّ القوم بإحراقها ، فأمر الله الملائكة فاحتملوها إلى السماء ، فكانت مُعَلَّقة حتى عاد مِن حَجِّه .

ولَمّا قضى مناسكه رأى تابوتَ آدم عن يمين الكعبة ، فسأل رَبَّه في ذلك التابوت ، فأمر الملائكةَ فحملوه إلى دار نوح ، وكانت يومئذ في مسجد الكوفة الحالي .

فالتنور الذي فار فار مِن مكان مسجد الكوفة اليوم ، ومِنْ هناك بدأت ساعة الصفر .

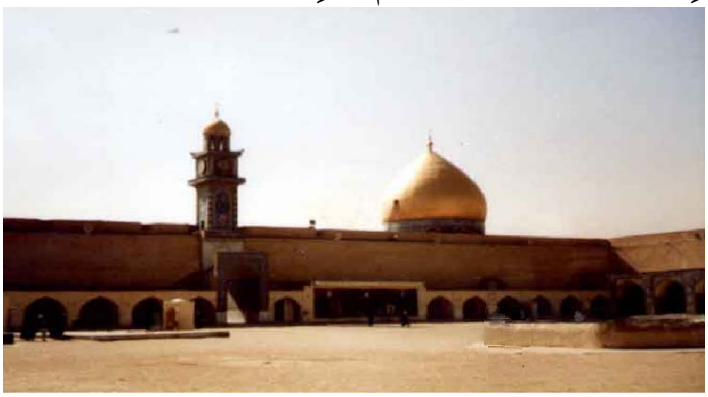

مسجد الكوفة

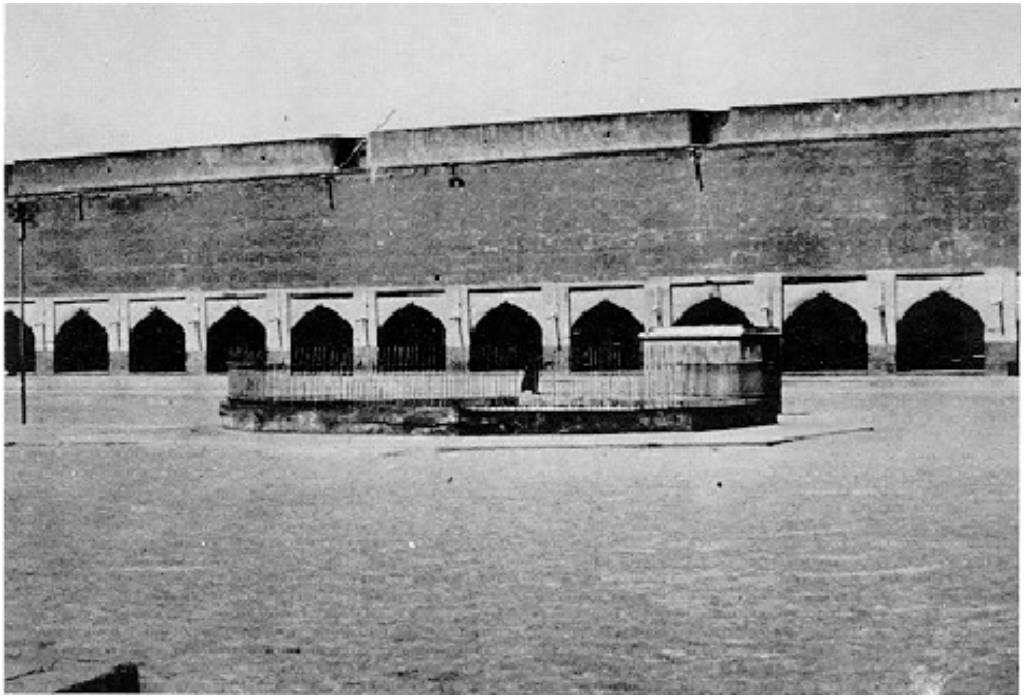

صورة قديمة لمسجد الكوفة تُبَيِّن المكان الذي فار منه التنور
وهو محاط بجدار كما هو مُبَيَّنٌ في الصورة



صورة عن قرب لمكان التنور في مسجد الكوفة حيث نبعت العيون

فلما رجع نوح مِن حَجِّه نزلت السفينة من السماء ، ثم أوحى الله إليه : أنْ قد دنا هلاك قومك .

ثم أمره الله تبارك وتعالى أن ينادي في الوحش والسباع والطير والهوام والأنعام ، فوقف على سطح منزله ونادى : هَلُمّوا إلى السفينة المُنْجِية . فمرّت دعوته إلى الشرق والغرب ، والبُعْدِ والقُرْبِ ، فأقبلتْ إليه أفواجاً ، فقال : إنما أُمِرْتُ أنْ أَحْمِلَ مِن كل زوجين اثنين ، فَأَقْرَعَ بينهم ، فأصابت القرعة مَن أَذِنَ الله له في حَمْلِهِ .

وكان معه من بني آدم ثمانون إنساناً بين رجل وامرأة ، وقيل غير ذلك .

قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۗ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[هود: ٤٠] .

فلما كان في مُسْتَهَلِّ شهر رجب ، نُودِيَ مِن التنور وقت الظهر : قُمْ يا نوح فاحمل في سفينتك مِنْ كل زوجين اثنين ، من الذكر زوجاً ومن الأنثى زوجاً . فحملهم ، وكان معه جسد آدم وحواء حيث أَخْرَجَهُما مِن قَبْرَيْهِما .

وتَبَطَّأَ عليه الحمار في صعوده لأن إبليس تعلّق بذنبه ، فقال نوح باللغة النبطية : " على سيطان " ، بمعنى ادخل يا شيطان . فدخل ومعه إبليس ، فرآه نوح فقال : يا ملعون ، مَن أَدْخَلَكَ ؟ قال : أنت ، حيث قلتَ : على سيطان . فعاهده إبليس أنْ لا يغوي أهل السفينة ما داموا فيها ، فتركه إنما لأمر يريده الله عز وجل .

ثم أوحى الله تعالى إلى جبريل أن يأمر خزنة الماء أن يُرْسِلُوه بغير كَيْل ولا مقدار ، وأنْ تُضْرَبَ المياه بجناح الغضب . ففعل ذلك ، ونبعت العيون ، وهطلت السماء .

قال تعالى : ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾[القمر: ١٢] .

وكان ماء السماء أخضر ، وماء الأرض أصفر .

وأَمَرَ الله الملائكة أن يحملوا البيت (الكعبة) إلى سماء الدنيا ، وكان الحجر يومئذ أشد بياضاً من الثلج ، ويقال : إنه اسْوَدَّ مِن خوف الطوفان ، وقيل : مِن كثرة ذنوب بني آدم .

وقال نوح عند ركوبه السفينة ما أخبرنا الله عز وجل عنه في كتابه العزيز : ﴿ ۞وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [هود] .

وكان ابنه هذا كنعان كما أسلفنا .

فتصوّر هذا الموقف العظيم ، كيف الماء ينزل من السماء بكثرة ، وكيف يملأ الأرض ويرتفع عن الجبال ، حتى إن كنعان بن نوح قال : ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ ﴾ ، حيث لم يكن مؤمناً بأبيه . فقال له نوح : اليوم لا عاصم مِنْ أَمْرِ الله أبداً ، فأغرقه الله سبحانه وتعالى كما أغرق قومه . فقال نوح بعد ذلك : يا رب ، أنت وَعَدْتَني أن تُنَجِّيَني وأهلي . فقال له سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ ﴾ [هود: ٤٦] .

قال الكسائي : فكانوا لا يعرفون الليل من النهار إلاّ بخرزة كانت مركبّة في صدر السفينة بيضاء ، فإذا نقص ضوءُها عَلِموا أنه النهار ، وإذا زاد ضوءُها علموا أنه الليل . وكان الديك يصيح عند كل أوقات الصلاة .

وعلا الماء على الجبال أربعين ذراعاً ، وسارت السفينة حتى بلغت موضع الكعبة ، فطافت سبعاً ونطقتْ بالتلبية . وكانت لا تقف في موقف إلاّ وتُناديه : يا نوح ، هذه بقعة كذا ، وهذا جبل كذا . حتى طافت به المشرق والمغرب ، ورجعتْ إلى ديار قومه فقالت : يا نبي الله ، ألا تسمع صلصلة السلاسل في أعناق قومك ؟

قال الله تعالى : ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴾ [نوح: ٢٥] .

وهكذا انتهت القصة بحادث مؤسف ، إنما لا بد من العلاج . فهناك علاج يكون بحبة

من الدواء ، وهناك علاج يكون بعملية جراحية ، وهناك علاج يكون بالبتر ، وهناك علاج يكون بالكَيِّ ويَقْبَلُه الإنسان ، وهناك كذلك الاستئصال الكامل ، فاستأصل الله قوم نوح وعاقبهم بالغرق .

۞ انتهاء الطوفان واستقرار السفينة على جبل الجودي[1] :

قال الكسائي : ولم تزل السفينة كذلك ستة أشهر آخرها ذو الحجة .

وقيل : كان ركوب نوح ومَن معه السفينة لعشر خلون من شهر رجب ، وذلك لِتَتِمّة ألفي سنةٍ ومائتي سنة وخمسين سنة مِن لَدُن أَهْبَطَ الله تعالى آدمعليه السلام ، وخرجوا منها في العاشر من المحرم بعد مضي ستة أشهر .

وبعد أن انتهت المهمة وانتهى الطعام من السفينة ، دعا نوح ربه أن يوقف مطر السماء المستمر الذي كان كأفواه الأُرَب ، وينابيع الأرض التي كانت تُعادل يومها مطر السماء أو أكثر . فأوقف اللهﷻ تلك الأمطار الهاطلة ، وتلك الينابيع المتفجرة ، وبقيت الأرض تشرب الماء بأمر الله تعالى حتى رست السفينة على الجودي .

قال تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [هود] .

قال الكسائي : ثم فتح نوح باب السفينة ، فنظر إلى الأرض بيضاء من عظام قومه ، وبعث الغراب لينظر ما بقي على وجه الأرض من الماء ، فَأَبْطَأَ لأنه اشتغل بِأَكْلِ ما وجده

---

(١) : يقع إلى الجنوب من جبل أرارات المعروف شرق تركيا ، في المكان المُسَمّى بجزيرة ابن عمر ، والتي وُجِدَتْ عليه السفينة في زماننا وبالتحديد .

أمامه من جِيَف الكفار الذين أُهلكوا بالطوفان ، فدعا عليه أن يجعل اللهُ رِزْقَه من الجِيَف .

ثم بَعَثَ الحمامة فانطلقت شرقاً وغرباً ، وعادتْ مسرعة بغصن من الزيتون ، فقالت : يا نبي الله ، هَلَكَتِ الأرض ومَن عليها ، وأما الماء فإني لا أراه إلاّ ببلاد الهند ، ولم تَبْقَ على وجه الأرض شجرة إلاّ الزيتون ، فإنها على حالها .

فأوحى الله تعالى إلى نوح :﴿ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [هود: ٤٨] .

فخرج مِن السفينة وأَخْرَجَ مَن فيها ، وأعاد الله الليل والنهار ، والشمس والقمر والنجوم ، والأشجار والنبات كما كانت ، وتفرّق الوحوش والسباع والطيور وغيرها في الأرض .

وأمر نوح فَبُنِيَت قرية في أسفل جبل الجودي ، وسُمِّيَتْ قرية ثمانين على عددهم .

قيل : هي الجزيرة[١] ، وهي أول قرية بُنِيَت على وجه الأرض بعد الطوفان .

ثم أَحْضَرَ ما بقي معه في السفينة من الحبوب ، وصنع ما يُسَمُّونه اليوم بِأَكْلَةِ الحبوب .

ثم قسم نوح الأرض بين أولاده الثلاثة : سام وحام ويافس ، فأُعطي سام الحجاز واليمن والشام ، فهو أبو العرب . وأُعطي حام بلاد المغرب ، فهو أبو السودان . وأُعطي يافس بلاد المشرق ، فهو أبو الترك .

يروى عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « سام أبو العرب ، وحام أبو الحبش ، ويافث أبو الروم »[٢] .

ثم أوحى الله عليه السلام إلى نوح أن يَرُدَّ التابوت إلى المكان الذي أُخِذَ منه ، فَرَدَّه .

---

(١) : هي بلد من بلاد سوريا .

(٢) : رواه الترمذي في سننه وقال : حديث حسن ، والإمام أحمد في مسنده ، والطبراني في الكبير ، والديلمي في الفردوس ، وذكره الطبري في تاريخه .

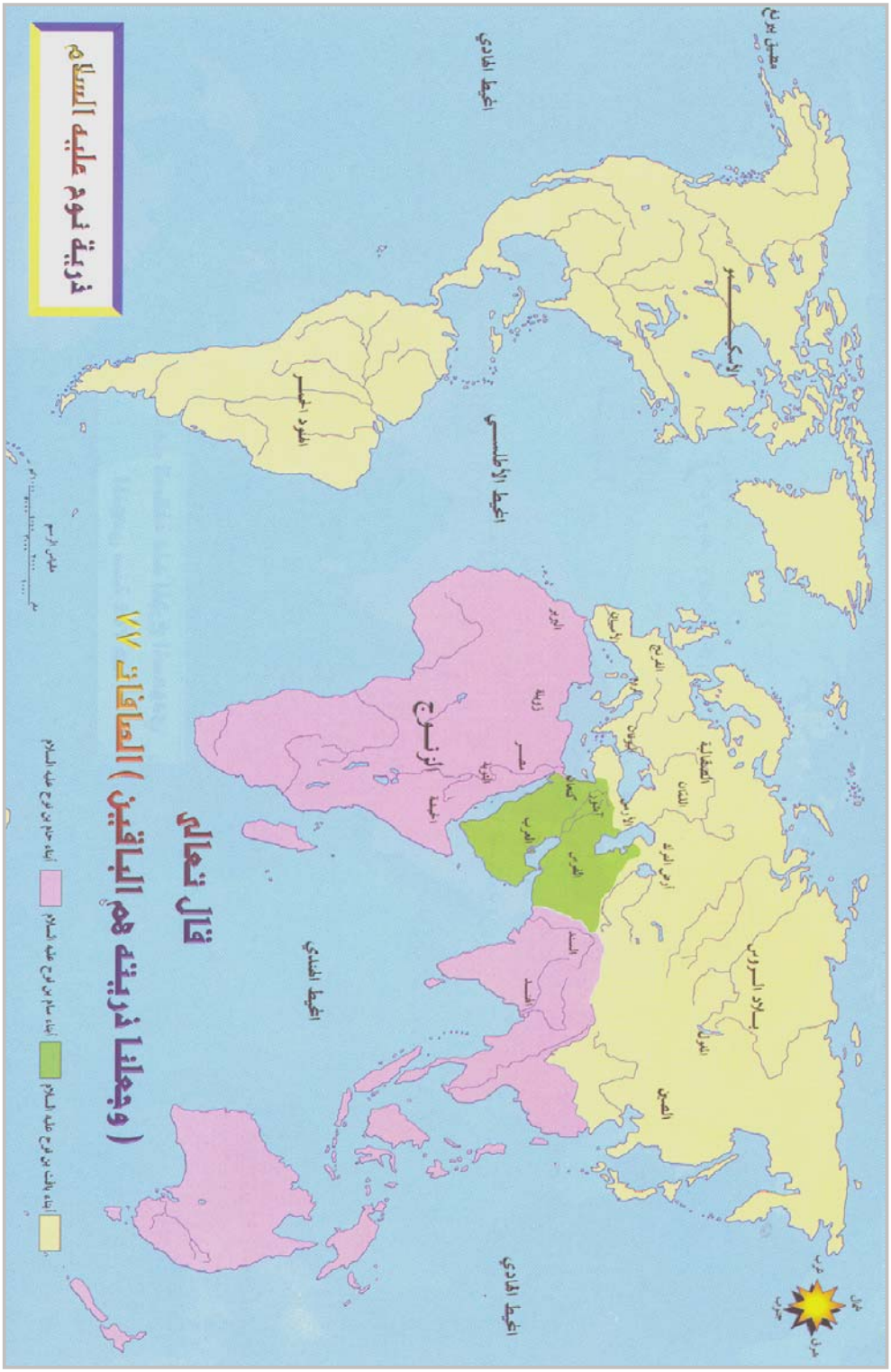
ذرية نوح عليه السلام
قال تعالى
(وجعلنا ذريته هم الباقين) الصافات ٧٧
الخيط الهادي
الخيط الأطلسي
الخيط الهندي
الخيط الهادي
الزنوج
الصقالبة
بلاد الروس
الصين
الهنود الحمر
الأسكيمو
مصيق بيرنغ
أبناء يافث بن نوح عليه السلام
أبناء سام بن نوح عليه السلام
أبناء حام بن نوح عليه السلام

۞ ذِكْر وصية نوح عليه السلام وخبر وفاته :

قال كعب الأحبار : بعث الله عز وجل نوحاً إلى قومه وله مائتان وخمسون سنة ، ولبث فيهم ألف سنة إلاّ خمسين عاماً ، وعاش بعد الطوفان مائتي سنة .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾[العنكبوت: ١٤] .

قال كعب : فلَمّا حضرته الوفاة ، دعا بابنه سام وقال له : أُوصِيك يا بُنَيَّ باثنين ، وأنهاك عن اثنين : أُوصِيك بشهادة أن لا إله إلاّ الله ، فإنها تخرق السماوات السبع لا يحجبها شيء . والثانية أن تُكْثِرَ من قولك : (سبحان الله وبحمده) ، فإنها جامعة الثواب . وأنهاك عن الشرك بالله ، والاتِّكال على غير الله .

فلما فرغ من ذلك أتاه مَلَك الموت ، فسلّم عليه فقال : مَن أنت ؟ فقد ارْتاع قلبي مِن سلامك . قال : أنا مَلَك الموت ، جئتُ لِقَبْضِ روحك . فتغيّر وجهه وجزع ، فقال له : ما هذا الجزع ؟ أَلَمْ تشبع من الدنيا في طول عمرك ؟ قال : ما شَبَّهْتُ ما مضى من عمري في الدنيا إلاّ بدار لها بابان ، دخلتُ من أحدهما وخرجتُ من الآخر . فناوله مَلَك الموت كأساً فيه شراب وقال : اشرب هذا حتى يَسْكُنَ رَوْعُك ، فلما شربه خرّ ميتاً عليه الصلاة والسلام .

وقبره قريب من مكان قبر سيدنا شيث في أعلى بلدة كَرَك من بلاد لبنان ، في مكان خاص داخل جامع الكرك الكبير ، والكرك بلد يسكنه عدد من الشيعة .

وقد زرناه وطوله ثلاثة وثلاثون متراً .

والله الموفق للصواب .





ضريح نبي الله نوح عليه السلام من الخارج والداخل

❁ تنبيه :

إن سفينة نوح التي رَسَتْ على الجودي قد أظهرها الله ﷻ على يد راعٍ للمعز ، ولقد رأينا صورها ، وهناك تعليق كامل على هذا الحدث العظيم الذي يثبت معجزة القرآن الكريم في هذا الزمان الذي نعيشه .

وظهورها هذا كأن الله ﷻ يقول لأهل زماننا : لقد آن لكم أن تعودوا إلى عبادة الله وإلى توحيده ، وإلى تطبيق دينه وشريعته ، وإلى الرجوع إلى كتابه دستوراً يُطَبَّق في جميع أرجاء الحياة ، وكفاكم هذا التمادي بالمخالفات والنُّؤُوِّ عن الأحكام .

أجل ، إنَّ ظهور السفينة اليوم يقول لِعالَمِنا : إنَّ القرآن حقٌّ ، وإن رسالة محمد ﷺ حقٌّ ، وإنّ ما وَعَدَ به حقٌّ ، وإنَّ جزاء المخالفين لأوامره سيكون عقاباً كعقاب مَن خالف مِن الأمم سابقاً أو أكثر .

وظهور السفينة هذه ناطقٌ بلسان حالها : إنَّ الآيات القرآنية التي كانت قد حدّثت بني آدم عن السفينة لأعظم حُجّة على العباد إلى دعوتهم في توحيد الله وحده لا شريك له ، خالق هذا الكون ومُدَبِّر ما فيه من الأمور .

وإن الإنترنت قد بيّن وكشف حقيقة ما كان ذَكَرَهُ القرآن الكريم ، وفسّره النبي ﷺ وبعده علماء الأمة بِذِكْرِ طول السفينة وعرضها ومساحتها .

وإليك أيها القارئ الكريم تفصيلُ بعضِ ما ذكره الإنترنت مع صور لها :

لقد كانت بداية اكتشاف سفينة نوح في المنتصف من عام ١٩٤٨م مِن قِبَل راعٍ تركي كان يرعى في تلك الجبال ، فلاحظ وجود آثار للسفينة قد ظهرت على السطح بعد تعرض المنطقة لأمطار غزيرة وثلاث هزات أرضية متتابعة .

وبعد أحد عشر عاماً في عام ١٩٥٩م ، كان أحد الطيارين العسكريين الأمريكيين يطير في مهمة عسكرية استكشافية بغرض التقاط بعض الصور لجبل أرارات في تركيا ، ومن بين هذه الصور كانت هناك صورة تُبَيِّنُ وجود شيء يُشْبِهُ القارب في الشكل على بعد عشرين ميلاً إلى الجنوب من جبل أرارات على ارتفاع (٦٣٥٠ قدم). فقرّر فريق من العلماء الذهاب لاستكشاف المنطقة وإحضار بيانات أدق ، ولم يتوصلوا إلى أكثر من أنه عبارة عن تكوين

جيولوجي كبير يشبه السفينة ، له حواف وجرف وأبعاد مرسومة بدقة .

وبعمل بعض القياسات الرياضية التقريبية وجدوا أنها بطول ثلاثمائة ذراع ، وعرض خمسين ذراعاً ، وارتفاع ثلاثين ذراعاً .





الصورة التي التقطت لجبل أرارات من الجو ، وفيها يبدو شكل السفينة مدفونة في الأرض

وبعد سبعة عشر عاماً في عام ١٩٧٧م توجّه عالم آثار أمريكي إلى المنطقة لعمل المزيد من الأبحاث حول هذا الموضوع حيث كان مُهْتَمّاً به ، فوصل إلى قرية على بعد حوالي خمسة عشر ميلاً من موقع السفينة ، ووجد بها آثاراً لصخور كبيرة مثقوبة عجيبة الشكل ، اعتقد أنها حجارة مرساة من النوع الذي كانت تجره السفن خلفها في العصور الغابرة ؛ لتعمل على تثبيتها وحفظ توازنها ، وكان عددها ثلاثة عشر .





الصخور التي وُجدت في القرية القريبة من موقع السفينة ، والتي يُعتقد بأنها استُخدمت كمرساة للسفينة . كلُّ صخرة تَزِنُ عدة أطنان ، ويتراوح طولها من ٦–١٠ أقدام ، وهي مثقوبة من الأعلى بتقنية خاصة تُساعد على بقائها مُعَلَّقة في الماء .

وفي منطقة قريبة عَثَرَ على بقايا بيت حجري قديم جداً جداً لم يسكنه أحد منذ فترة طويلة ، فاعتقد أنه البيت الذي كان يسكنه سيدنا نوح عليه السلام .



كما عَثَرَ أيضاً على مقبرة قديمة ، وبقايا عظام بشرية تدل على إنسان بحجم خمسة عشر قدماً ، وعلى شواهد قبور عليها بعض الرسومات كأنها أمواج البحر ، وأمامها رسمة بسيطة لثمانية أشخاص يركبون قارباً : أولهم وأكبرهم كان رجلاً ، والثاني كانت امرأة ، وبعدها ثلاثة رجال أصغر حجماً منها ، ثم ثلاث نساء أصغر حجماً من الجميع . فاستنتج أن هؤلاء الثمانية هم الذين عاشوا بعد الطوفان ، وهم : سيدنا نوح عليه السلام وزوجته ، وأولاده الثلاثة وزوجاتهم .

ثم تابع البحث حتى وصل إلى موقع السفينة ، واعتقد أنها آثار لبقايا سفينة نوح ، لكنه لم يستطع أن يقوم بالأبحاث اللازمة لتأكيد ذلك ، حيث كانت السفينة مدفونة في الأرض .

وفي عام ١٩٧٨م حدث زلزال خفيف في منطقة جنوب جبل أرارات ، أدّى إلى ظهور السفينة إلى السطح بمسافة ثلاثين قدماً . فَقِيسَتْ بدقة ، فكان طولها ٥١٥ قدم ، في عرض ١٣٨ قدم ، وارتفاع ١٤متراً : ستة أمتار فوق الأرض ، وثمانية أمتار تحتها .

وظهرت ضلوع السفينة واضحة ، كما ظهر باب بحجم عشرة أقدام في الجانب

الأمامي ، وخزان ماء بجانب البـاب الرئيسـي ، وأجـزاءٌ للمحافظـة علـى تـوازن السـفينة ، وبقايا ألواح خشبية مُتَحَجِّرة ، وأَحافير لمسامير معدنية .





سفينة نوح كما تبدو الآن على جبل أرارات



ألواح السفينة كما ظهرت بترتيب طولي منتظم على جانبي السفينة

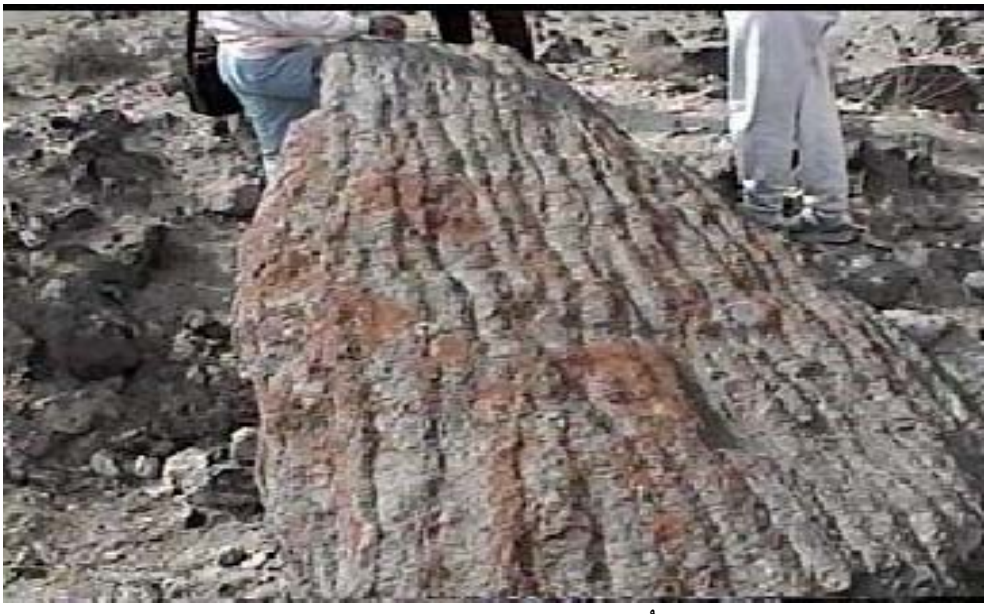

قطعة خشبية متحجرة وُجدت بالقرب من السفينة في مكان يندر فيه وجود الأشجار ، ويُعتقد أنها استُعملت غطاءً للسفينة ، وقد أزيلت بعد أن توقف الطوفان ورَسَتِ السفينة





نماذج لقطع خشبية أخرى متحجرة أُخِذَتْ من موقع السفينة

وبعدها بدأ البحث الجِدِّيّ الـمُتَطَوِّرُ عن السفينة الـتي وُجـد أنَّ عمرهـا يصـل إلى أكـثر من مائة ألف سنة ، وبدأت الصور بالأقمار الصناعية تظهر .

وفي عام ١٩٨٤م قام مجموعة من العلماء بتغطية المنطقة ، وبِمَسْحٍ جيولوجي شامل لهـا عن طريـق الكشـف عـن المعـادن ، أظـهر وجـود فواصـل منتظمـة في السـفينة مـع حضـور معدني وتماسك بالمسامير الكبيرة ، وأيضاً وجود كميات غير معتادة من أكسيد الحديد .

وبناءً على ذلك رسموا مخططاً لموقع السفينة حَدَّدَ حجمها ومقاسها ، وأَوْضَـحَ شـكلها الخارجي ، فهي مغلقة تماماً من الأعلى والأسفل ، وليست كالسفينة العادية .





خريطة موقعية بيانية للسفينة تُوَضِّح شكلها وحجمها ، وقد وُضعت بناء على جهاز الكشف عن المعادن ، حيث وُضِعَ حجر عند كل قراءة مُمَثِّلاً وجود مسمار حديدي ، ثم وُصِلَتْ الأحجار بشريط بلاستيكي ، وقد لوحظ وجود هذه المسامير على أبعاد منتظمة



نموذج تقريبي يُوَضِّح الشكل الخارجي للسفينة

وتَبِعَ ذلك في عام ١٩٨٦م مَسْح راداري وتصوير مَقْطَعي للسفينة أَظْهَرَ تركيبها الداخلي .

فهي عبارة عن ثلاثة طوابق : طابق علوي أُعِدَّ للطيور ، وطابق سفلي أُعِدَّ للدواب والوحش ، وطابق أوسط أُعِدَّ للبشر .

والطوابق جميعاً مُجَهَّزة بغرف ونوافذ صغيرة مساحة كل غرفة منها (٦,٥ قدم٢) ، وفي الطابق الأوسط مَقْصورة لقيادة وهداية السفينة .

وقد وُجِدَ حول السفينة وفي داخلها بقايا عظامٍ وآثارٌ لحيوانات مختلفة ، اعْتُقِدَ أنها التي أنجاها الله من الغرق وخرجتْ من السفينة ، وقد عاشت لفترة حتى ماتت في تلك المنطقة .

فقد كانت السفينة تحمل حوالي ٨١٠ آلاف نوع من الحيوانات ، أي أكثر من مليون حيوان .

وبناء على هذه النتائج التي توصّلوا إليها ، قام عالم الآثار الأمريكي بصناعة نموذج تقريبي يُوَضِّح التركيب الداخلي للسفينة .

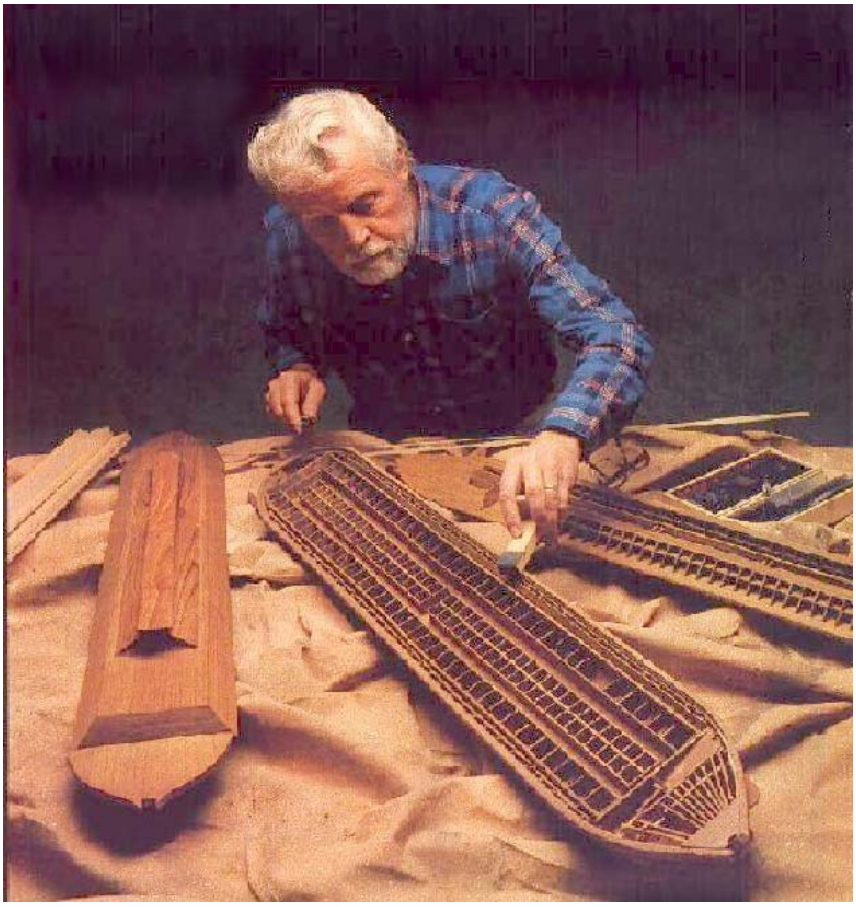

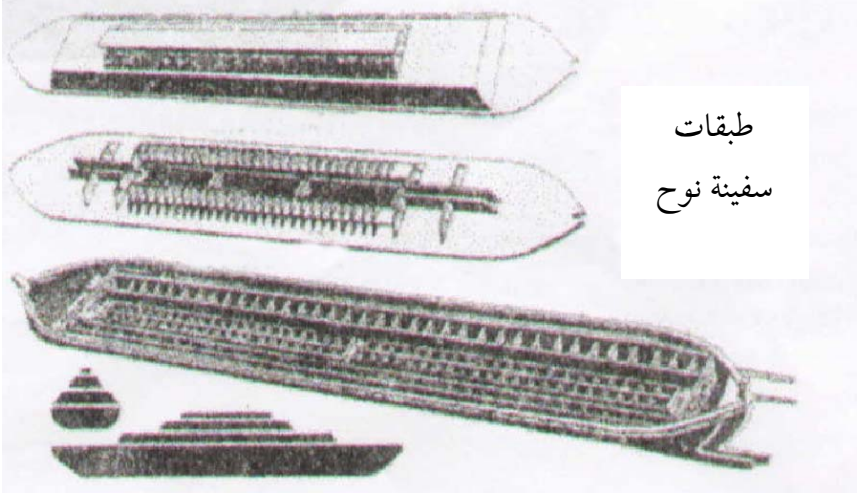

نموذج تقريبي يوضح الشكل الداخلي للسفينة

ومن الأدلة والمعلومات أيضاً أنَّ السفينة كانت قد رَسَتْ على ارتفاع أعلى بمئات الأقدام ، وحدث بعد ذلك بفترات فَوَرانٌ بركاني على بُعْدِ أميال إلى الجنوب من الحدود الإيرانية ، فقذف بِحِمَمِه إلى الجبل الذي رَسَتْ عليه السفينة ، فغطّاها ودفعها بقوة إلى الأسفل حتى استقرت في موقعها الحالي . وهذه الحمم البركانية هي التي حفظتْ بقدرة الله سبحانه السفينة من تأثيرات عوامل الزمن ، وحوّلتها إلى أُحْفورة مُتَحَجِّرة ؛ لِتبقى دليلاً قاطعاً على إعجاز القرآن الكريم .

وإن ظهور السفينة في أيامنا يمثل ضربة موجعة لمصداقية الإنجيل ، حيث تقول بعثة الآثار المكلفة بالتنقيب عن السفينة أنهم وجدوها على جبل الجودي في تركيا ، وقد ذكر الإنجيل المحرف عندهم أنها رست على جبل أرارات ، فكانت خيبتهم كبيرة عندما وُجِدَت على جبل الجودي وهو الموقع الذي حدّده القرآن الكريم ، ليثبت فعلاً أنه دين الحق وأما غيره باطل .

أجل ، أدلةٌ وحقائقُ كثيرة حول هذه السفينة مع أنها لم تظهر بكامل أجزائها حتى يومنا هذا ، وما زالت الأبحاث مستمرة لكشف المزيد .

فكانت السفينة من أعظم الآيات في زماننا التي تدل على صِدْق وعظمة القرآن الكريم ونبينا الرحيم عليه الصلاة والتسليم ، ناطقٌ لسان حالها بأنه لا بد للإنسان في كل العصور والأزمان أن يستجيب لدعوة السماء ، وأن يَنْهَجَ النهج الذي أمر الله به على ألسنة أنبيائه ورسله .

ولكن مع الأسف سمعنا أن المسؤولين العسكريين الرسميين في تركيا العلمانيين ، قابلوا هذا الحدث الجلل الذي يستحق الوقوف أمامه طويلاً وَقْفة اعتبار واتّعاظ ورجوع إلى الخالق ، بأنْ مزّقوا القرآن وألقوه تحت أقدام الراقصات ؛ لهذا عاملهم الله بأنْ خسف المدينة كلها التي كانوا يحتفلون فيها في تلك الليلة الظلماء ، وكان أَوْلى لهؤلاء أن يتّعظوا ويؤمنوا ، ولكنَّ اليهود أينما وُجِدوا أفسدوا وعَثَوْا فساداً .

فنستفيد هنا بأن نهاية الفساد تنتهي ، وأن العاقبة دائماً للمتقين ، رزقنا الله تعالى الاتّعاظ والتقوى .



سيدنا هُوْد
عليه الصلاة والسلام

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [الشعراء] .

وقال تعالى : ﴿ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأحقاف][1] .

---

(١) : ارجع كذلك إن شئتَ إلى المواضع التالية من القرآن الكريم : الأعراف ٦٥–٧٢ ، التوبة ٧٠ ، هود ٥٠–٦٠ ، إبراهيم ٩ ، المؤمنون ٣١–٤١ ، الفرقان ٣٨–٣٩ ، العنكبوت ٣٨ ، فصلت ١٣–١٦ ، الذاريات ٤١–٤٢ ، النجم ٥٠ ، القمر ١٨–٢٢ ، الحاقة ٤–٨ ، الفجر ٦–٨ .

فقوم عاد هم قوم أَتَوْا بعد قوم نوح ، بعد أن كَثُرَ الناس وازداد عددهم ، وتوسّعوا في البلاد العربية والإفريقية وغيرها ، فكان لا بد لهم أن يتّعظوا بما جرى بأسلافهم قومِ نوح وقد كانوا قَرِيبِي عَهْدٍ منهم ، ولكن ومع الأسف إذا طال الأمد على الأمم تراهم يبتعدون عن الدين شيئاً فشيئاً .

وهكذا ابتعد قوم عاد وعبدوا الأصنام من دون الله ﷻ ، جحدوا واغترّوا بقوتهم وعضلاتهم ، وقالوا كما هو نص القرآن الكريم : ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] ؟ فكانت نهايتهم مؤسفة .

وأُحِبُّ قبل أن نبدأ بذكر سيرة نبي الله هود معهم أنْ أُبَيِّن أموراً ، علّنا نستنير بها حول هذا الموضوع إن شاء الله تعالى .

۞ خصائص قوم عاد :

قوم عاد كانوا ثلاث عشرة قبيلة ، وكانوا قد تناسلوا وتوسّعوا كثيراً في بلادهم ، في أراضي حضرموت[1] كما يُرْوَى .

وهم عِدّة ممالك ، وكان ملكهم الأكبر اسمه الخَلجان بن عاد .

كانت أرضهم أرضاً طيّبة من أخصب بلاد الأرض ، قد أُوتوا من الزراعة الواسعة ، وصنعوا البساتين الشاسعة ، وزرعوا وحصدوا ، وكانوا في خَصْب ومياه وأنهار .

كانوا أهل عمارة ، فعمّروا البيوت الكبيرة والقصور ، وعاشوا حياة طيبة .

وكان القوم أهل فصاحة وشعر ونثر .

قال وهب : كانوا ضخاماً بأجسادهم ، رأس أحدهم كالقبة العظيمة ، وعينه يُفَرِّخُ بها السباع والوحوش ، وكذا مَناخِرُهم .

---

(١) : إن المكان الذي كانوا يسكنونه هو الأحقاف ، وهو ما بين عُمان وعدن إلى البحر الأحمر الذي كان يسمى سابقاً ببحر القلزم ، فبعد أن ينتهي الرجل من اختراق أرض عُمان يبدأ بالأحقاف ، أي بالأراضي الرملية الواسعة الشاسعة ، فتلك هي بلاد عاد .

يقول ابن عباس حَبْرُ الأمة : « الطويل منهم كان ابن مائة ذراع[١] ، والقصير فيهم كان ابن ستين ذراعاً » ، فكانوا أطول مِن أجدادهم .

وكانوا أشداء ، فكان الواحد يقتلع الشجرة من الأرض والصخور من الجبال كما يقتلع أحدنا عرق البقدونس والنعنع .

روى شهر بن حوشب عن أبي هريرةﷺ قال : « إنْ كان الرجل من قوم عاد يتّخذ المِصْراعَيْن مِن حجارة ، لو اجتمع عليها خمسمائة رجل من هذه الأمة لم يطيقوه ، وإنْ كان أحدهم لَيَغْمِز برجله الأرض فتدخل فيها »[٢] .

فما هذه العضلات والجماجم التي كانت عليهم ؟! وهذا الذي دفعهم إلى أنْ تكبّروا على اللهﷻ .

قال تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾[العلق] .

وقالﷻ في الحديث القدسي : « وإنَّ مِن عبادي مَن لا يَصْلُحُ إيمانُه إلاّ بالفقر ، ولو أَغْنَيْتُهُ لَكَفَرَ »[٣] .

فهؤلاء عندما وصلوا إلى ذروة الغنى والحضارة والقوة ، كانوا يتراجعون إلى الكفر خطوة خطوة ، حتى وصلوا إلى أعماق الكفر ، وتربّعوا في حضن إبليس تماماً . فكان إبليس يلعب بهم كما يلعب الصبيان بالدمية أو بالكرة ، فسخط اللهﷻ عليهم كما سيأتي معنا إن شاء الله تعالى .

أَتَوْا بالأصنام ونحتوها بأيديهم من حجر ، وذهب ، وفضة ، ونحاس . ثم نصبوا لها

---

(١) : لا أدري بذراعنا الذي هو ٤٦ سم أم بذراعهم .

(٢) : ذكره القرطبي في تفسيره ، وكذا الطبري .

(٣) : طرف من حديث رواه الخطيب في تاريخه عن عمر بن الخطابﷺ ، وخرّجه الطبراني والبزار وابن أبي الدنيا في الأولياء وأبو نعيم في الحلية عن أنسﷺ بلفظ : « وإنَّ مِن عبادي مَن لا يُصْلِحُ إيمانَه إلاّ الفقر ، وإنْ بَسَطْتُ له لأَفْسَدَهُ ذلك »، وقال أبو نعيم : غريب من حديث أنس لم يَرْوِه عنه بهذا السياق إلاّ هشام الكتاني . ورواه الترمذي في النوادر بلفظ : « وإنَّ مِن عبادي المؤمنين مَن لا يصْلحُهُ إلاّ الفقر ، ولو أَغْنَيْتُهُ لأَفْسَدَهُ ذلك ».

الكَراسِيَّ الكبيرة ، ورصّعوها بالذهب والجواهر ، وجعلوا لها سَدَنة[١] بعدد أيام السنة .

وكانوا يرجعون إلى أصنامهم فيُكَلِّمهم إبليس والجن مِن داخلها ، وكانوا يذبحون لها فَيَخْرُجُ الجِنِّيُّ ويأكل اللحم ؛ حيث طعام إبليس وجماعته مِمّا لم يُذكر اسم الله عليه .

هذه كانت البداية ، ثم انطلقوا في تَجَبُّرِهم ، وفي صَلَفِهم وكبريائهم ، من ضلال إلى ضلال ، ومن طغيان إلى طغيان . أَمْهَلَهُم الله فلم يرجعوا ، فأرسل لهم نبيه هوداً بعد أن طَغَوْا كثيراً .

۞ مولد هود عليه السلام ونشأته :

هو هود بن خلود بن معيد بن عاد بن العُون[٢] بن إرم بن سام بن نوح عليهما السلام .

كان له اسمان : فيقال : هود ، ويقال : عابَر ، وهو الاسم الذي سَمَّتْه به أُمُّه .

كان نبي الله هود مِن أواسط قبائل عاد حسباً ، وأفضلهم نسباً وشرفاً . وهكذا الأنبياء كلهم كانوا مِن أشرف مَن أُرْسِلوا إليهم نسباً وحسباً .

قال وهب بن منبه : كان ملك عاد الأكبر اسمه الخَلْجان بن عاد بن العَوْص بن إرم بن سام ، وكان قومه يرجعون إلى فصاحة وشعر ، وكان لهم ثلاثة أصنام : صَدا ، وهَبا ، وصَمو . وكان ملكهم قد حَلّى هذه الأصنام بأنواع الحُلِيّ وطَيَّبَها ، وجعل لها عِدّة من الخدم بعدد أيام السنة . فَعَتَوْا في المعاصي ، وانهمكوا على عبادة الأصنام .

وكان فيهم رجل من أشرافهم اسمه الخلود بن مَعيد بن عاد ، وكان له بَسْطة في الخَلْق ، وقوة في الجسم مع الحُسْن والفصاحة . وكان إذا قيل له : لِمَ لا تَتَزَوَّج ، قد بلغتَ سِنَّ أبيك ؟ يقول : رأيتُ في المنام كأنّ سلسلة بيضاء قد خَرَجَتْ مِن ظهري ولها نور كالشمس ، وقيل لي : إذا رأيتَ هذه السلسلة قد خرجتْ من ظهرك ثانية فتزوّج بالتي تُؤْمَرُ بِتَزَوُّجِها ، ولم أَرَها بعدُ وقد عزمتُ على التَّزَوُّج .

---

(١) : أي خدماً .

(٢) : وبعضهم حرّكها العَوْن .

وقام لِيَعْبُر بيت الأصنام يدعو بالتوفيق في التَّزَوُّج ، فلما هَمَّ بالدخول لم يَقْدِرْ ، وسمع هاتفاً يقول : يا خلود ، ما لِمَنْ في ظهرك والأصنام ؟ فلم يَعُدْ إليها .

ثم رأى بعد ذلك في منامه السلسلة وقد خرجتْ من ظهره ، وقائلاً يقول : قُمْ يا خلود فتزوّج بابنة عمك . فانتبه ، وخطبها وتزوّجها ، وواقعها فحملتْ بهود ، وأصبح القوم وهم يسمعون من جميع النواحي : هذا هود قد حَمَلَتْ به أمه ، ويلكم إنْ لم تُطيعوه هَلَكْتُم .

ووضعتْه أمه في ليلة الجمعة ، فوقعت الرِّعْدة على قبائل عاد ولم يعلموا ما حالهم ، فَعَلِموا أنه قد وُلِدَ لخلود وَلَدٌ ، فقال بعضهم لبعض : لَيَكُونَنَّ لهذا الولد شأن فاحذروه .

فخرج هود أحسن الناس وجهاً ، وأكملهم عقلاً ، وسمّته أمه عابَر كما قدّمنا .

وكان عليه السلام في سنه الأول وفي سن الطفولة يبتعد عن قومه وعن عبادة الأصنام ، وكان يُنكر عليهم ذلك ، فلم يسجد لصنم ، ولم يحتفل معهم بأعيادهم .

وهذه عقيدتنا معشر الأشاعرة بأن الأنبياء معصومون من الذنوب والآثام قبل النبوة وبعدها .

وقد رَأَتْهُ أمه ذات يوم يصلي فقالت : لِمَنْ هذه العبادة يا بني ؟ قال : لله الذي خلقني وخَلَقَ الخَلْق ، قالت : أليس هي لأصنامنا ؟ قال : إنَّ أصنامكم لا تضر ولا تنفع ، وإنما الشيطان قد زَيَّنَ لهم عبادتها . قالت أمه : اعبد إلهك يا بني ، فقد رأيتُ فيك حين كنتَ حَمْلاً وطفلاً عجائبَ كثيرة .

ولَمّا أراد الله تعالى الخير لقوم عاد بعث فيهم نبيه هوداً عليه السلام .

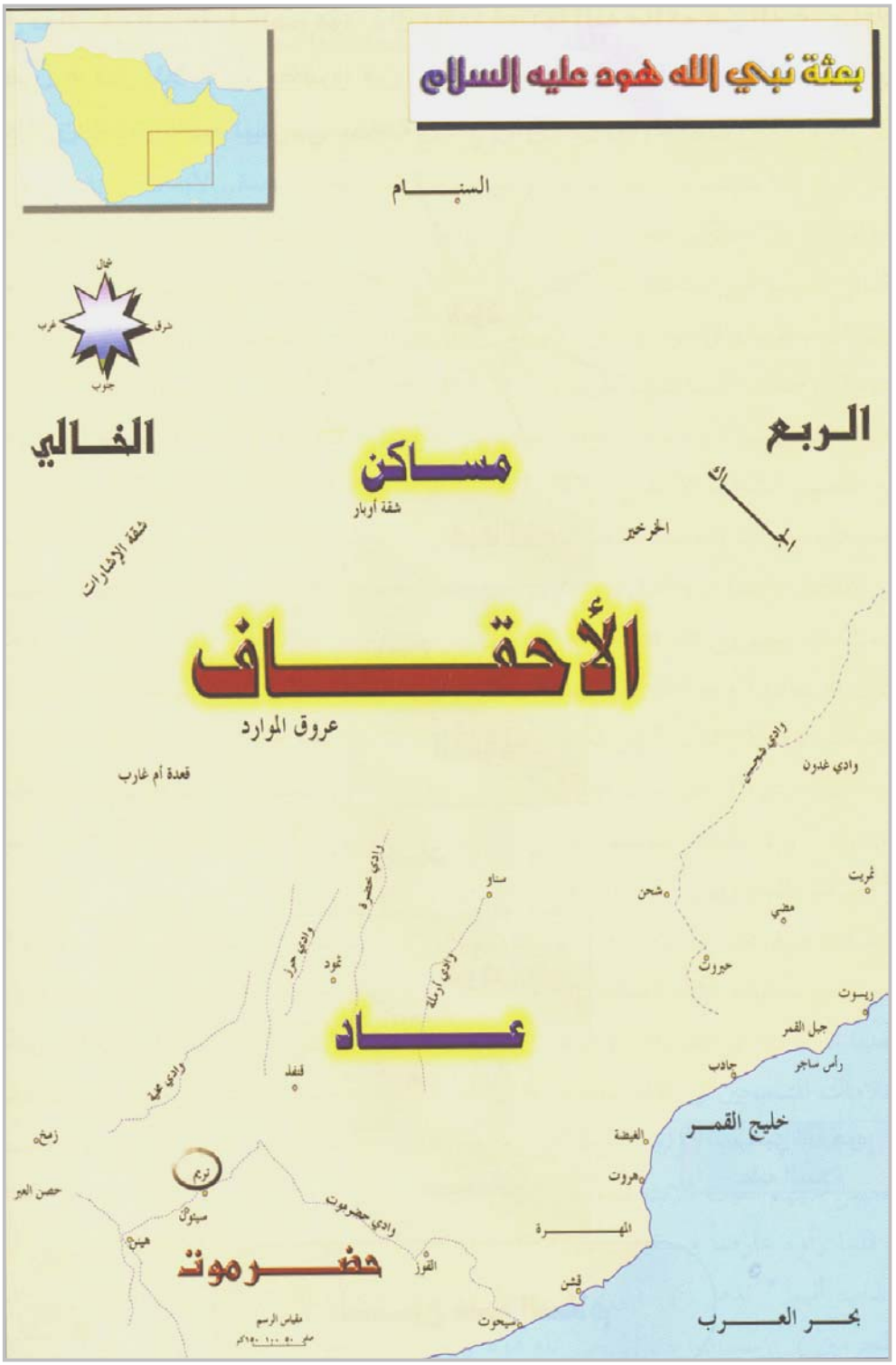
بعثة نبي الله هود عليه السلام
السنام
شمال
شرق
غرب
جنوب
الخالي
الربع
مساكن
شقة أوبار
الخرخير
شقة الإشارات
الأحقاف
عروق الموارد
قعدة أم غارب
وادي غدون
ثمريت
مضي
شحن
حيروت
ريسوت
جبل القمر
رأس ساجر
جادب
خليج القمر
الغيضة
هروت
المهرة
قشن
سيحوت
بحر العرب
سناو
ثمود
قنفذ
عاد
زمخ
حصن العبر
تريم
سيئون
هينن
حضرموت
القوز
وادي حضرموت
مقياس الرسم

۞ مبعثه بالرسالة وتبليغه الدعوة :

قال وهب بن منبه : ولم يزل هود في ديار قومه يجادلهم في أصنامهم حتى أَتَتْ عليه أربعون سنة ، فبعثه الله ﷻ إلى قومه رسولاً ، وأتاه الوحي .

فانطلق إليهم وهم مُتَفَرِّقون في الأحقاف[1] ، فأتاهم في يوم عيد لهم وقد اجتمع الملوك على الأَسِرّة والكَراسِيّ ، ومَلِكُهم الخَلجان على سرير من ذهب وهو مُتَوَّجٌ ، وقد أَحْدَقَتْ به قبائل عاد وهم في اللهو والطرب ، فلم يشعروا إلاّ وهود يقول لهم : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ [هود: ٥٠]، وهذه الأصنام التي تعبدونها هي التي أَغْرَقَتْ قوم نوح ، ولستم أكرم على ربكم منهم ، فاستغفروا ربكم من عبادة هذه الأصنام . وكانت الأصنام تَرْتَجُّ عند قوله ذلك ، فقال له مَلِكُهم : ويحك يا هود ، أَقْبِلْ إليّ .

فتقدّم إليه ، فلمّا صار بين يدي المَلِك صاح صيحة أجابه الوحش والسباع : أَبْلِغْ ولا تَخَفْ[2] ، فامتلأتْ قلوب الناس خوفاً ، فقام إليه رجل منهم وقال : يا هود ، صِفْ لنا إلهك . فوصف عظمة الله وأنه ليس كمِثْلِه شيء وهو السميع البصير .

وكان الذي سأله عَمْرُو بن الحَليّ .

فلما فرغ من كلامه قال له المَلِك : يا هود ، أَتَظُنُّ أن إلهك يَقْدِرُ علينا وهذه كَثْرة جموعنا وشدة قوتنا ؟

قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [فصلت: ١٥] .

فأول مَن آمن بهود رجل مِن قومه اسمه جُنادة بن الأصم ، وأربعون مِن بني عمه ، ثم انصرف إلى منزله .

---

(١) : وهي الرمال والتلال ، وكانت مساكنهم ما بين عُمان إلى حضرموت إلى الأحقاف إلى عالجة كما قدّمنا .

(٢) : وفي رواية : أَقْبِلْ ولا تَخَفْ .

فلما كان من الغد أقبل جنادة وبنو عمه حتى وقفوا على جماعة مِن سادات قومهم ، فقال : يا قوم ، لا تَمْنَعَنَّكُم مرارة الحق أنْ تَقْبَلوه ، ولا حُلْوة الباطل أنْ تَتْرُكوه ، وهذا ابن عمكم هود قد عَرَفْتُم صِدْقه ، وقد أتاكم من عند الله رسولاً وواعظاً ، فاتقوا الله وأطيعوه . وحَذَّرَهُم ، فَحَصَبوه وشتموه ، فرجع إلى هود وكان قد بنى مسجداً بعيداً عن قومه .

فلما كان من الغد ، خرج هود فوقف عليهم وقال : يا قوم ، لا تُبَدِّلوا نعمة الله كفراً . ثم أخذ يَعِظُهُم ، فكذّبوه وواجهوه بالقبائح .

فبقي على ذلك دهراً طويلاً يلاطفهم وهم على كفرهم وعُتُوِّهم ، فَأَعْقَمَ الله أرحام نسائهم ثلاث سنوات[1] ، فما أَنْتَجَت القبائل كلُّها ولداً ولا بنتاً ؛ لِيتّعظوا وليعتبروا فما اتّعظوا ، وما زادهم إلاّ عناداً وإصراراً على كفرهم وطغيانهم وضلالهم .

فَشَكَوْا ذلك إلى الملك ، فأمرهم أن يُخْرِجوا أصنامهم ويُقَرِّبوا القرابين إليها ، ففعلوا ذلك . فأتاهم هود وقال : يا قوم ، ألا تَفْزَعون إلى الله الذي خلقكم وأعطاكم هذه النعمة والقوة ، فإنه يجيبكم إذا سألتموه ، ويزيدكم مُلْكاً إلى مُلْكِكُم ، وقوةً إلى قوتكم ، وهو أن تقولوا معي : (لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وإنّي هود عبده ورسوله) ، وإنْ لم تفعلوا ذلك ضربكم الله بالذل والنقمة ، وَهَبَّتْ عليكم الريح العقيم حتى تَدَرَكم في دياركم هشيماً .

فلمّا سمعوا ذلك منه ضربوه حتى سال الدم على وجهه وهو يقول : إلهي ، قد أَبْلَغْتُ وأَنْذَرْتُ .

ويروى أنَّ قوم هود اجتمعوا في مُتَنَزَّهٍ لهم ومَلِكَهُمْ ، ونصبوا أصنامهم ، فأقبل هود عليهم وقال : يا قوم اعبدوا الله ، فإن هذه الأصنام لا تضر ولا تنفع ، ولا تُبصر ولا تَسمع . فقال الرؤساء من قومه : ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٦] ، قال : ﴿ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن

---

(١) : وقيل : أربع سنوات .

رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأعراف] . فنادَوْهُ من كل ناحية : يا هود ، ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٠] . قال : ﴿ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٧١] .

وهكذا في كل مرة يأتيهم ويدعوهم لتوحيد الله ، فيضربونه ويشتمونه ، ويدوسونه تحت أرجلهم حتى يعتقدوا بأنه قد مات ، فيُوَلُّون ضاحكين . فإذا تركوه قام ورجع إليهم وبلّغهم ، وهو غير مُكْتَرِثٍ بِفِعْلِهم .

فلمّا أَكْثَرَ عليهم هود قالوا : ﴿ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ ﴾ [هود] . فقال عليه السلام : ﴿ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ ﴾ [هود] .

فآمن به في ذلك اليوم رجل يقال له : نُهَيْل .

۞ قصة إيمان مَرْثَد :

قال وهب بن منبه : وأقبل إلى هود بعد انصرافه رجل من قومه يُعرف بمَرْثَد بن عاد ، وقال : يا هود ، إني قد جئتُك في أَمْرٍ ، فإنْ أخبرتَني به فأنت رسول الله . قال هود : يا مَرْثَد ، كنتَ البارحة نائماً مع زوجتك فواقَعْتَها ، فقالت لك : أَتَظُنُّ أنّي قد حملتُ ؟ فقلتَ لها : إني صائر غداً إلى هود ، فإنْ أخبرني بهذا الكلام آمنتُ به . فقال مَرْثَد : أشهد أنك رسول الله حقاً ، ولكنْ أخبرني هل حَمَلَتْ ؟ قال : نعم ، حَمَلَتْ بولدَيْن ذَكَرَيْن يكونان من أمتي ، سيَخرجان من بطنها سَلِيمَيْن مُؤْمِنَيْن ، وستَلِدُ لك عشرة أبطن ، في

كل بطن ذكران ويكونان من أمتي .

فوثب مَرْثَد وقَبَّلَ رأس هود ، وكان من خِيار أصحابه ، وجعل يقول :

مَـن كـان يَصْـدُقُ يومـاً في مقالـته ... فـإنَّ هـوداً رسـولٌ صـادقُ القِيـلِ

نـبيٌّ صِـدْقٍ أتـى بـالحق مِـن حِكَـم ... وقـد أتانـا ببرهـان وتـنزيـلِ

فـالحمد لله حمـداً دائمـاً أبـداً ... مُضاعَفـاً شُـكْرُهُ في كـل تـفصيـلِ

ثم انصرف مَرْثَد إلى امرأته وأخبرها بما قاله نبي الله هود ، فآمنتْ .

وكان مَرْثَد يكتم إيمانه ويجالس قومه ، فإذا سمعهم يذكرون هوداً بسوء يقول : مهلاً يا بني عم ، فإنه كَأَحَدِكُمْ وابنُ عَمِّكُمْ .

۞ خبر وَفْدِ عاد إلى الحرم يَسْتَسْقون لهم :

قال وهب بن منبه : ولم يزل هود فيهم يُحَذِّرُهم ويُنذرهم العذاب سبعين عاماً ، فلما رأى أنهم لا يؤمنون دعا اللهَ تعالى أن يبتليهم بالقحط ، فإنْ آمنوا وإلاّ أنْ يُهلكهم بعذاب لم يُهْلِكْ به أحداً قبلهم ولا بعدهم .

فاستجاب الله تعالى دعوته ، وأمره باعتزالهم بمَن معه مِن المؤمنين ، فاعتزلهم . فأمسك الله عنهم المطر ، وجفّت الأنهار بقدرة خالق النهار ، وأجدبت الأرض ولم تُنْبِت ، ومات عامة المواشي .

كل ذلك وهود يدعوهم صباح مساء : يا قوم ، ارجعوا إلى ربكم واستغفروه وتوبوا إليه ، فإنه يعيد إليكم الحضارة والنضارة ، والحياة الطيبة التي كنتم تَنْعمون بها . وهم يُصِرُّون على كفرهم ، وعلى ما هم عليه من الضلال .

قال وهب : فصبروا على ذلك أربع سنين حتى يئسوا من أنفسهم وهَمُّوا أن يؤمنوا ، فنهاهم الملك عن ذلك وصبّرهم ، فأجمعوا رأيهم أن يبعثوا رجالاً منهم إلى الحرم يَسْتَسْقُون لهم ، حيث الكعبة قديمة يَرجع إليها الناس كلهم .

فجمعوا الهدايا ولباساً للكعبة ، واختاروا سبعين رجلاً مِن وُجَهائهم وخواصّ قبائلهم ، يَرْأَسُهُم رجل منهم يقال له : قَيْل . وقد جعل لكل عشرة منهم رئيساً ،

مِن جملتهم مَرْثَد المؤمن ، فسار وهو يدعو عليهم .

فلما أشرفوا على الحرم إذا بهاتف يقول :

قَبَّحَ اللهُ قومَ عاد وذُلُّوا ... إنَّ عاداً أَشَرُّ أهل الجحيمِ

سَيِّروا الوفدَ كي يُسَقّوا غِياثاً ... فَسَيُسْقَوْنَ مِن شراب الحميمِ

فدخلوا الحرم والمَلِكُ يومئذ معاوية بن بكر ، وكانوا أخواله . فسألهم عمّا جاء بهم ، فأخبروه بخبر هود وبما حَلَّ بعاد ، وأنهم قد لجؤوا إلى الحرم للاستسقاء . فأنزلهم معاوية في منزل الضيافة ، وأَطْعَمهم وسقاهم شهراً .

فشغلهم اللهو عن الاستسقاء ، فبلغ المَلِكَ الخَلجانَ ذلك ، فبعث إلى معاوية يسأله أن يأمرهم بالاستسقاء ، فكَرِهَ مواجهتهم بذلك فيقولون : قد تَبَرَّمَ بضيافتنا ، فدعا بالجرادتَيْن – وهما قَيْنَتان له[1] – ، فقال لهما : إذا شرب القوم ودَبَّ فيهم الشراب فَغَنِّياهم بهذه الأبيات ، وهي :

ألا يا قَيْلُ ويحك قمْ فَهَيْنِمْ[2] ... لعلّ الله يمنحكم غَماما

غماماً صوبها هَطِل مَغيثٌ ... يُرَوِّي السَّهل طرّاً والإكاما

من العطش الشديد فليس نرجو ... بها الشيخَ الكبير ولا الغلاما

وقد كانت نساؤهُمُ بخير ... فقد أمستْ نساؤهُمُ عِياما[3]

وأنَّ الوحش تأتيهم جهاراً ... ولا تخشى لعاديٍّ سهاما

وأنتم ها هنا فيما اشْتَهَيْتُم ... نهارَكُمُ وليلَكُمُ التِّماما

فقُبِّحَ وفدكم مِن وفد قوم ... ولا لَقّوا التحية والسلاما

أفيقوا أيها الوفد السّكارى ... لِقَوْمِكُم فقد أَضْحَوْا هِياما

فقد طال المقام على سرور ... ألا يا قَيْلُ وَيْكَ ذَرِ المُداما

---

(١): أي مُغَنِّيتان.

(٢): هو الدعاء بأصل اللغة ، أي ادْعُ الله .

(٣): أي شديدات الشهوة إلى اللبن.

قال : فانتبه الناس وقاموا فاغتسلوا ، ولبسوا ثياباً جُدَداً ، وكَسوا البيت بالكسوة التي حملوها له ، فجعل يَنْفُضُها ، فقال مَرْثَد : يا قوم ، إنَّ رب هذا البيت لا يقبل الهدية إلاّ مِن مؤمن ، فهل لكم أن تؤمنوا بهود ؟ فقالوا : يا مَرْثَد ، إن كلامك يدل على إيمانك به ، ونحن لا نؤمن به أبداً . فأنشأ يقول :

أرىٰ عاداً تمادىٰ[1] في ضلال ... وقد عَدَلوا عن الأمر الرشيد

بما كفرتْ بربهمُ جهاراً ... وحادوا رغبةً عن دين هود

فأرادوا قتله فلم يستطيعوا ، حيث لا سلطان لهم عليه خارج بلادهم .

ثم اجتمعوا يَسْتَسْقون ، وصار كل واحد من السبعين يدعو بدعاء لقومه ، فقال واحد منهم :

يا ربَّ عادٍ اسْقِيَنَّ عاداً ... إنّك حقّاً ترحم العبادا

فَاسْقِ البساتين وذوي البلادا ... أجوادَ[2] غيث تتبع العِهادا

وقام مَرْثَد وقال : اللهم إنّا لم نَأْتِكَ إلىٰ حَرَمِك إلاّ لأرض تَسْقيها ، أو أُمَّة تُحْيِيها .

وانظر كيف إذا دعا الظالم فإن الله يجيبه عذاباً ، فأوحى الله إلىٰ مَلَك السحاب ميكائيل أن ينشر لهم ثلاث غمامات : بيضاء ، وحمراء ، وسوداء . نشأت هذه من فوق الكعبة ، فارتفعت البيضاء ، وتَبِعَتْها الحمراء ، وبعد ذلك السوداء التي جعلها الله مَشُوبَة بغضبه سبحانه .

فنظروا إليها ففرحوا واستبشروا ، ثم نودوا : يا قَيْل ، اختر لقومك من هذه السحائب . فنظر فقال : أما البيضاء فإنها جَهام لا ماء فيها ، وأما الحمراء فإنها إعصار ريح . ثم قال : إني أختار لقومي السوداء ، فنودي : يا قَيْل ، اخترتَ رماداً أَرْمَدا ، لا يُبقي مِن قومك عاد أحدا ، إلاّ تَراهم في الديار هُمَّدا .

۞ إرسال العذاب على قوم هود :

قال وهب بن منبه : وأوحى الله إلىٰ مالك خازن جهنم أن يقبض على سلاسل السوداء ، وليَكُنْ عليها ألفٌ من الزبانية .

---

(١): أي تتمادىٰ.

(٢): الأجواد هي الأمطار الغزيرة ، واحدها جَوْد بفتح الجيم.

قال كعب الأحبار : إن هذه السلسلة غُمِّسَتْ في سبعين وادياً من أودية الزَّمْهَرِير ، ولولا ذلك لذابت الجبال مِن حَرِّها .

قال وهب : فمدّت الزبانية السلاسل ، وجعلت السحابة ترمي بِشَرَرٍ كالجبال ، وخرجتْ عليهم مِن وادٍ يقال له : وادي الغيث .

فنظروا إليها فاستبشروا بالخير ، فقال بعضهم لبعض : ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤] ، أي هذه إغاثة قومنا فقد أتانا الخير . فقال الله تعالى : ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٤ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف] .

وأَخْرَجَ القوم أصنامهم ونصبوها على أَسِرَّتها ، فأمر الله تعالى خازن الريح العقيم أن يفتح بعض أطباقها ، فانطلقتْ ناشرةً أجنحتها بعدد قبائل عاد .

فلما عاينوا الملائكةَ يطوفون حول السحاب تيقّنوا العذاب ، وأَدْخَلوا النساء والوِلْدان داخل البروج والقلاع ، ثم خرجوا ونشروا أعلام الحرب ، وقالوا : نحن نقاتل الله . ونَثَرَ كل واحد ما عنده من السهام وأحضر قوسه ، وجَثَوْا على الركب ليقاتلوا الله ﷻ ، وأَوْتَروا قِسِيَّهم ، وأفرغوا السهام بين أيديهم ، والرياحُ ساكنة تنتظر أمر ربها .

وهود عليه السلام قائم يُنْذِرُهم العذاب : يا قوم ، اتقوا الله قبل نزول العذاب عليكم . وهم يقولون : ستعلم يا هود مَن أشد منا قوة وبطشاً ، نحن أم ربك[1] .

قال وهب : حتى إذا كانت صبيحة الأربعاء[2] خرجت الريح عليهم في يوم نحس مستمر .

---

(١) : فيا لهم من أغبياء ! ويا لهم من طاغين جبّارين ! يأتيهم العذاب من السماء ويَصْطَفُّون حول ديارهم ليقاتلوا ملائكة السماء ! كان الأجدر بهم أن يتّعظوا ، ووالله لو اتّعظوا وآمنوا لَرَفَعَ الله العذاب عنهم كما رفعه عن قوم يونس بعد ذلك على ما سيأتي ذِكْرُه إن شاء الله تعالى في الجزء الثاني من هذا الكتاب ، ولكنّ قوم عاد ازدادوا كفراً بشقوتهم وطغيانهم وضلالهم .

(٢) : فغالب العذاب الذي نزل من السماء على الأقوام السابقة كقوم نوح ، وقوم عاد ، وقوم لوط ... كان في يوم الأربعاء ، فكان يومَ عذاب مستمر .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما عُذِّبَ قوم إلاّ في يوم الأربعاء .

وقال قتادة ومجاهد في تفسير قوله تعالى :﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [فصلت: ١٦] : كُنَّ آخر شوال من يوم الأربعاء إلى يوم الأربعاء ، وذلك ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ [الحاقة: ٧] ، أي دائمة .

وذكر الإمام القرطبي في تفسيره عن جابر بن عبدالله ﷺ قال : « إذا أراد الله بقوم خيراً أرسل عليهم المطر وحَبَسَ عنهم كثرة الرياح ، وإذا أراد الله بقوم شراً حبس عنهم المطر وسلّط عليهم كثرة الرياح » .

قال وهب : كانت الريح في اليوم الأول شهباء فلم تترك على وجه الأرض شيئاً إلا نَسَفَتْهُ نَسْفاً ، وفي اليوم الثاني صفراء فاقتلعت الأشجار ، وفي اليوم الثالث حمراء فدمّرت كل شيء مَرَّتْ عليه . فلم يزل يجري في كل يوم لون والنساءُ ينظرن إلى فِعْلِها بِقَوْمِهِنَّ ، حتى أهلكت الكل بعد ذلك .

فلما كان في اليوم الثامن اصْطَفَّت القوم صفوفاً ، كل واحد إلى جنب أخيه ، وهم عشرة صفوف . فجعل ملكهم الخَلجان يُشَجِّعُهم ويقول :

ما بال عادِ اليومَ خائفينا أَمِنْ مَهَبِّ الريح يجزعونا ؟
لقد خشيتُ أن يكونوا دونا إنَّ البنين تُعْقِبُ البنينا

هذا والريح تُمَزِّقُهم ، فكانت تدخل في ثوب الرجل فتحمله في الهواء ، ثم ترميه على رأسه ميتاً ، وتحمل الاثنين فتضربهما ببعضهما وتُلْقِيهما في الوادي ، وتدخل الريح من فم أحدهم وتخرج من دبره ، وتدخل من دبره وتخرج من فمه ، ويبقى كجذع النخلة الخاوية .

قال تعالى : ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الحاقة] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [القمر] .

قال : فلم يبق منهم إلاّ المَلِك ، أخرّه الله تعالى لِيَرى مصارع قومه ، وهو يَرُدُّ الريح بصدره ، فجاءت الريح فدخلتْ مِن فيه وخرجتْ من دبره ، فمات .

ثم مرّت الريح نحو الوفد الذين كانوا على الطريق ، فحملتهم من الأرض إلى السماء ، فَأَلْقَتْهُم على وجوههم ، فماتوا عن آخرهم .

قال : وهود في حظيرة بِمَنْ معه من المؤمنين ، لا يصيبهم منها إلاّ ما تَلِين له الجلود .

كانوا ينظرون إلى عذاب قومهم ويقولون : إلهنا وخالقنا ، لا تعاملنا بما فعل ويفعل السفهاء منا .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [هود: ٥٨] .

أجل ، سبع ليال وشيءٌ بسيط من الريح قد فُتِحَ عليهم وانقرض قوم عاد ، ولم يَنْجُ منهم أحد سوى المؤمنين الذين كانوا بعد ذلك صالحين .

فهؤلاء الأشخاص ، وهذه الأجسام الكبيرة ، وهذه الرؤوس التي كالقباب أما كانت تحمل عقولاً ؟! أما كانت تدري ما يدور بينها ؟! أما كانت تؤمن بأن الله واحد ؟! أما آن لها أن تؤمن قبل نزول العذاب ؟! ولكنَّ عنادهم وشِقوتهم وكِبْرَهم منعهم بأن يسجدوا لله وأن يؤمنوا به سبحانه ، فالعناد على الضلال لا ينفع أبداً .

وفي زماننا هذا ألا نرى مِثْل هذه الأمور ؟ أما سمعنا ما حصل في تركيا في القاعدة الحربية على بحر مرمرة ، عندما اجتمع هؤلاء الضباط الأتراك العلمانيون مع الجنرالات الأمريكيين والإسرائيليين الذين أَتَوْا إلى تركيا ليقضوا على الإسلام فيها ، وأحضروا الراقصات والخمور والمزامير ، وتَحَدَّوْا رَبَّ العالمين . أَتَوْا بالقرآن وقُرِئَ أمامهم ، فلما قُرِئَ قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] ، قال اللواء التركي : أين الله ؟ فَلْيَأْتِ وليحفظه . ثم مزّقه وألقاه تحت أقدام الراقصات ، فحالاً رَأَوْا بياضاً ثم صفاراً ، ثم حصل الزلزال الذي سمعنا به وخَسَفَ الله بهم المكان ، وابتلعتهم الأرض بَلْعاً . كانوا ثلاثة آلاف في هذه الأثناء ، فانتقم الله منهم وأَهْلَكَ المنطقة كلها ، ولا زالوا إلى الساعة يُفَتِّشون عن ضباطهم وجماعاتهم ، ولكنهم لم ولن يجدوا لهم طريقاً .

فالذي أهلك قوم عاد البارحة هو الذي أهلك هؤلاء الذين تحدَّوْا رب العالمين بتمزيق القرآن ، فَأَراهُم اللهُ والعيون تنظر ، والآذان تسمع ، لكنَّ الناس شُغِلوا ، وهم في زماننا لا يتّعظون .

۞ وفاة هود عليه السلام :

قال وهب بن منبه : وارتحل هود ومَن معه مِن أرض عاد إلى الشِّحْر من بلاد اليمن ، فنزلوا هناك حَوْلَيْن ثم مات هود عليه السلام .

ويقال : إنه دُفِنَ بأرض حضرموت ، وقبره هناك معروف ويزار ، والله أعلم بالصواب .

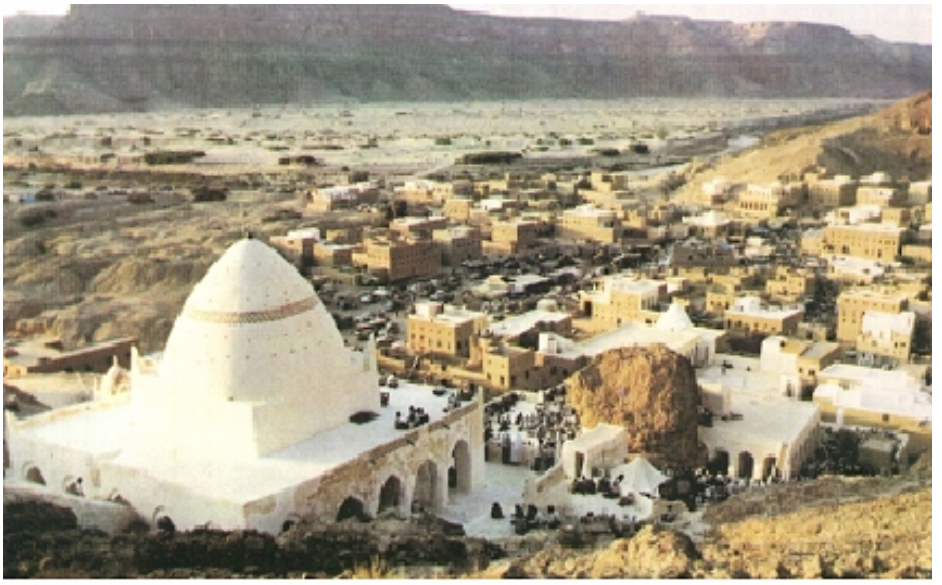

منظر عام لمرقد نبي الله هود -عليه السلام- خلال الزيارة

۞ ذِكْرُ خبر مَرْثَد ولقمان :

قال وهب بن منبه : وخرج مِن قوم عاد مَرْثَدُ ولقمانُ ابنا عاد ، فدخلا مكة مُنْفَرِدَيْن ، فَدَعَوَا اللهَ تعالى لأنفسهما ، فقيل لهما : قد أُعْطِيتُما مُناكُما ، فاختارا لأنفسكما إلاّ أنه لا سبيل إلى الخلود . فقال مَرْثَد : اللهم أعطني بِرّاً وصِدْقاً ، فأُعْطِيَ ذلك .

وقال لقمان : يا رَبّ عُمُراً ، فقيل له : اختر لنفسك بقاء سبع بقرات صُفْر عُفْر في جبل وَعر لا يَمسّهن ذُعْر ، وإنْ شئتَ بقاء سبع نوايات من تمر مُسْتَوْدَعات في صخر لا يمسّهن نَدىً ولا قَطْر ، وإنْ شئتَ بقاء سبعة أَنْسُر كلما هلك نسر أُعقب مِن بعده نسر . فاختار الأنسر ، فكان يأخذ الفرخ منها حين يخرج من بيضته ، فإذا مات أخذ غيره ، فكان كل نسر يعيش ثمانين سنة ، حتى انتهى إلى السابع ، فكان آخرها لُبَد ، فلما مات لُبَدُ مات معه لقمان ، وهو لقمان النسور .

وبهذه السطور انتهت قصة قوم عاد على ما قرأنا ؛ لنتّعظ ونعتبر ، ولِنَعْلَمَ وَبال كل مخالفة ومعصية لله .

واللهَ أسأل أن يرزقنا الاتّعاظ والاعتبار .

۞ ذِكْرُ خبر ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾ وقصة شديد وشدّاد :

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨ ﴾ [الفجر] .

روى أبو إسحاق الثعلبي في كتابه (يواقيت البيان في قصص القرآن) عن منصور عن سفيان عن أبي وائل أن رجلاً يقال له : عبدالله بن قِلابة خرج في طلب إبل له قد شردتْ ، فبينما هو في بعض صحاري عدن في تلك الفَلَوات إذ وقف على مدينة عليها حصن ، حول ذلك الحصن قصورٌ كثيرة وأعلام طِوال . فلما دنا منها ظنّ أنَّ فيها مَن يسأله عن إبله ، فلم يَرَ داخلاً فيها ولا خارجاً منها ، فنزل عن ناقته وعَقَلَها ، وسلّ سيفه ودخل مِن باب الحصن ، فإذا هو ببابين عظيمين لم يُرَ في الدنيا أعظم منهما ولا أَطْيَب رائحة ، وإذا خَشَبُهما مِن أطيب عود ، وعليهما نجوم من ياقوت أصفر وياقوت أحمر ، وضَوْءُها قد ملأ المكان . فلما رأى ذلك عَجِبَ ، فَفَتَحَ أحد البابين فإذا هو بمدينة لم يَرَ الرّاءُون مِثْلَها قط ، وإذا هو بقصور تَتَعَلَّقُ تحتها أعمدة من زبرجد وياقوت ، وفوق كل قصر منها غُرَفٌ مَبْنِيّة بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد ، وعلى كل باب من أبواب تلك القصور مصراع كمصراع باب المدينة مِن عود طَيِّبٍ ، قد نُضِّدت عليه اليواقيت ، وقد فُرِشَتْ تلك القصور باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران . ولم يَرَ هناك أحداً فَأَفْزَعَهُ ذلك ،

ثم نظر إلى الأَزِقّة ، فإذا في كل زُقاق أشجار قد أَثْمَرَتْ ، تحتها أنهار تجري ، فقال : هذه الجنة التي وصفها الله تعالى لعباده في الدنيا ، الحمد لله الذي أدخلني الجنة . فحمل من لؤلؤها وبنادق المسك والزعفران ، ولم يستطع أن يقلع من زبرجدها ولا ياقوتها ؛ لأنها كانت مُشْتَبِكة في أبوابها وجدرانها ، وكان اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران منثورة بمنزلة الرمل في تلك القصور والغرف ، فأخذ منها ما أراد وخرج .

ثم سار يَقْفُو أَثَرَ ناقته حتى رجع إلى اليمن ، فَأَظْهَرَ ما كان معه ، وأَعْلَمَ الناسَ بخبره ، وباع ذلك اللؤلؤ وكان قد اصفر وتغيّر من طول الزمان الذي مرّ عليه .

فَفَشا خَبَرُهُ وبلغ معاويةَ بن أبي سفيان ، فأرسل معاويةُ رسولاً إلى صاحب صنعاء ، وكتب بإِشْخاصه .

فسار الرجل حتى قدم على معاوية ، فخلا به وسأله عمّا عاين ، فقصّ عليه أَمْرَ المدينة وما رأى فيها ، فاستعظم ذلك وأنكر ما حُدِّثَ به ، وقال : ما أظن أنْ يقال حقاً . ثم قال : يا أمير المؤمنين ، معي من متاعها الذي هو مفروش في قصورها وغرفها وبيوتها . قال : ما هو ؟ قال : اللؤلؤ والبنادق . فشمّ البنادق فلم يجد لها ريحاً ، فأمر ببندقة منها فَدُقَّتْ ، فَسَطَعَ ريحُها مسكاً وزعفراناً ، فصدّقه عند ذلك .

ثم قال معاوية : كيف أصنع حتى أسمع باسم هذه المدينة ، ولِمَنْ هي ، ومَن بناها ؟ واللهِ ما أُعْطِيَ أحدٌ مِثْلَ ما أُعْطِيَ سليمان بن داود ، وما أظن أنه كان له مِثْلُ هذه المدينة . فقال بعض جلسائه : ما تَجِدُ خبر هذه المدينة إلاّ عند كعب الأحبار ، فإنْ رأى أمير المؤمنين أن يبعث إليه ويأمر بإشخاصه ، ويُغَيِّبَ عنه هذا الرجل في موضع ، ويسمع كلامه منه وحديثه ووَصْفَ المدينة ، حتى يَتَبَيَّنَ أَمْرُ هذه المدينة ، فإنَّ كعباً سيُخبر أمير المؤمنين بخبرها ، وأَمْرِ هذا الرجل إنْ كان دَخَلَها ؛ لأن مِثْلَ هذه المدينة على هذه الصفة لا يستطيع هذا الرجل دخولها إلاّ أنْ يكون سَبَقَ في الكتاب دخولُه إيّاها ، فَيَعْرِفُ ذلك .

فأرسل معاوية إلى كعب الأحبار وأحضره ، ثم قال له : يا أبا إسحاق ، إني دعوتُك لأَمْرٍ رَجَوْتُ أن يكون عِلْمه عندك . فقال له كعب : يا أمير المؤمنين ، على الخبير سَقَطْتَ ، فَسَلْنِي عمّا بدا لك . فقال له : أَخْبِرْنا يا أبا إسحاق ، هل بَلَغَكَ أنَّ في الدنيا مدينة مبنية بالذهب والفضة ، عَمَدُها زبرجد وياقوت ، وحصى قصورها وغرفها اللؤلؤ ،

وأنهارُها في الأَزِقّة تحت الأشجار ؟ قال : والذي نفس كعب بيده لقد ظننتُ أنْ سَأَتَوَسَّدُ يميني[1] قبل أن يسألني أحد عن تلك المدينة وما فيها ، ولكن أُخبرك بها يا أمير المؤمنين ، ولِمَنْ هي ؟ ومَن بناها ؟

أمّا المدينة فهي حق على ما بَلَغَ أميرَ المؤمنين وعلى ما وُصِفَتْ له ، وأمّا صاحبها الذي بناها فشدّاد بن عاد ، وأما المدينة فهي ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨ ﴾ [الفجر] . فقال له معاوية : يا أبا إسحاق ، حَدِّثْنا بحديثها يرحمك الله . فقال كعب : نعم يا أمير المؤمنين .

إنَّ عاداً كان له ابنان يُسَمّى أحدهما شديداً والآخر شدّاداً ، فهلك عاد ، فبقيا ومَلَكا وتَجَرَّآ ، فَقَهَرا أهل البلاد وأخذاها عنوة حتى دان لهما جميع الناس ، فلم يَبْقَ أحد من الناس في زمانهما إلاّ دخل في طاعتهما ، لا في شرق الأرض ولا في غربها .

وإنهما لَمّا صفا لهما ذلك وقَرَّ قَرارُهما ، مات شديد بن عاد وبقي شدّاد ، فملك وحده ولم ينازعه أحد ، ودانت له الدنيا كلها . وكان مولعاً بقراءة الكتب القديمة ، وكان كلما مرّ فيها بِذِكْرِ الجنة دَعَتْهُ نفسه لتعجيل تلك الصفة لنفسه الدَّنِيّة ، عُتُوّاً على الله وكفراً . فلما وَقَرَ ذلك في نفسه أمر بصنعة تلك المدينة التي هي ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾ ، وأَمَّرَ على صنعتها مائة قَهْرَمان ، مع كل واحد ألفٌ من الأعوان ، ثم قال : انطلِقوا إلى أطيب فلاة من الأرض وأوسعها ، واعْمَلُوا فيها مدينة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ ، تحت تلك المدينة أعمدة من زبرجد ، وعلى المدينة قصور ، مِنْ فوق القصور غرف ، ومن فوق الغرف غرف ، واغرسوا تحت القصور غروساً فيها أصناف الثمار كلها ، وأَجْرُوا فيها الأنهار حتى تكون تحت تلك الأشجار جارية ، فإني أسمع في الكتب صفة الجنة ، وإني أُحِبُّ أنْ أتّخذ مِثْلها في الدنيا ، أَتَعَجَّلُ سُكْناها . فقال له قهارمته : كيف لنا بالقدرة على ما وصفتَ لنا من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة ، نبني منها مدينة كما وَصَفْتَ لنا ؟ فقال لهم شدّاد : ألستم تعلمون أنَّ مُلْكَ الدنيا كلِّها بيدي ؟ فقالوا : بلى ،

---

(١) : كنّى بِتَوَسُّد يمينه عن دفنه بعد الموت .

فقال : انطلِقوا إلى كل موضع فيه معدن من معادن الزبرجد والياقوت والذهب والفضة ، وكَلِّفوا مِن كل قوم رجلاً يُخرج لكم ما في كل معدن من تلك الأرض ، ثم انظروا ما في أيدي الناس من ذلك فخذوه سوى ما يأتيكم به أصحاب المعادن ، فإن معادن الدنيا فيها كثير من ذلك ، وما فيها مِمّا لا تعلمون أكثر وأعظم مِمّا كَلَّفْتُكم مِن صنعة هذه المدينة .

قال كعب : فخرجوا من عنده ، وكتب معهم إلى كل ملك من ملوك الدنيا يأمره أن يجمع لهم ما في بلده من الجواهر ، ويحفر معادنها . وبعث الكتب إلى الملوك بِأَخْذِ كل ما يجدونه في أيدي الناس عشر سنين من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة ، ويبعثون ذلك إلى فَعَلَة ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾. وخرج الفَعَلة يطلبون موضعاً كما وصفه لهم شدّاد .

فقال معاوية رضي الله عنه : يا أبا إسحاق ، كم كان عدد أولئك الملوك الذين كانوا تحت يد شدّاد ؟ قال : كانوا مائتين وستين مَلِكاً .

قال كعب : فخرج عند ذلك الفَعَلة والقهارمة ، فتفرّقوا في الصحاري ليجدوا ما يوافق غرضه ، فوقعوا في صحراء عظيمة نقيّة من الجبال والتلال ، وإذا هم بعيون مطردة ، فقالوا : هذه صفة الأرض التي أُمِرْنا بها . فأخذوا منها بقدر ما أمرهم به من العرض والطول ، ثم عمدوا إلى مواضع الأزقّة فَأَجْرَوْا فيها قنوات الأنهار ، ثم وضعوا الأساس من صخور الجَزْع اليماني ، وعجنوا طين ذلك الأساس من دهن البان والمَحْلَب . فلما فرغوا من موضع الأساس بُعِثَ بالعَمَد والذهب والفضة من جهة الملوك ، فتسلّمها الوزراء والقهارمة ، وأقاموا حتى فرغوا من بنائها على ما أراد شدّاد .

فقال معاوية رضي الله عنه : يا أبا إسحاق ، إني لأحسبهم أقاموا في بنائها زمناً من الدهر ؟ قال كعب : نعم يا أمير المؤمنين ، إني لأجد في التوراة مكتوباً أنهم أقاموا في بنائها ثلاثمائة سنة . فقال معاوية : كم كان عمر شدّاد ؟ فقال كعب : سبعمائة سنة . فقال معاوية : لقد أَخْبَرْتَنا عَجَباً ، فَحَدِّثْنا . فقال كعب : يا أمير المؤمنين ، إنَّ ما سمّاه الله تعالى : ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨ ﴾ ؛ لِلْعَمَد التي تحتها من الزبرجد والياقوت ، وليس في الدنيا مدينة من الزبرجد والياقوت غيرها ؛ فلذلك قال تعالى : ﴿ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴾ .

وقال كعب بعد ذلك : إنهم لَمّا أَتَوْه فأخبروه بفراغهم منها ، قال : انطلِقوا واجعلوا عليها حصناً ، واجعلوا حول الحصن ألف قصر ، عند كل قصر اجعلوا ألف عَلَم ، ويكون في كل قصر وزير من وزرائي ، ويكون كل عَلَم عليه ناطور . فرجعوا فعملوا تلك القصور والأعلام والحصون ، ثم أَتَوْه فأخبروه بالفراغ مِمّا أمرهم به .

قال كعب : فأمر شدّاد ألفَ وزير مِن خاصَّتِه أن يُهَيِّئوا أسبابهم ، ويُعَوِّلوا على النِّقلة إلى ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾ . وأمر رجالاً أن يسكنوا تلك الأعلام ، ويقيموا فيها ليلتهم ونهارهم ، وأمر لهم بالعطاء والأرزاق ، وأَمَرَ مَن أراد مِن نسائه وخَدَمه بالجهاز إلى ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾ .

فأقاموا في جهازهم عشر سنين ، ثم سار الملك شدّاد بن عاد بِمَنْ أراد ، وتخلّف مِن قومه في عدن مَن أمره بالمُقام بها . فلما استقلّ وسار إليها ليسكن فيها ، وبلغ منها موضعاً بقي بينه وبين دخوله إليها مَسِيرة يوم وليلة ، بعث الله تعالى عليه وعلى مَن كان معه صيحة من السماء ، فأهلكتهم جميعاً ولم يَبْقَ منهم أحد ، ولم يدخل شدّاد ولا مَن كان معه ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾ ، ولم يقدر أحد منهم على الدخول فيها حتى الساعة .

قال كعب الأحبار : فهذه صفة ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾ ، وإنه سيدخلها رجل من المسلمين في زمانك ويرى ما فيها ، فَيُحَدِّثُ بما عايَنَ ولا يُسمع منه ولا يُصَدَّق . فقال معاوية : يا أبا إسحاق ، فهل تَصِفُهُ لنا ؟ قال : نعم ، هو رجل أحمر ، أشقر ، قصير ، على حاجبه خال ، وعلى عقبه خال ، يخرج في طلب إبل له نَدَّتْ في تلك الصحارى ، فيقع على ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾ ، فيدخلها ويحمل مِمّا فيها .

وإن الرجل الذي وصفه كعب الأحبار كان جالساً عند معاوية يسمع كلام كعب ، ثم الْتَفَتَ كعب فرأى الرجل فقال : هو هذا يا أمير المؤمنين قد دخلها ، فاسأله عمّا حدّثتُك به . فقال معاوية : يا أبا إسحاق ، إنَّ هذا مِنْ خدمي ولم يفارقني ! قال كعب : قد دخلها وإلاّ سوف يدخلها ، وسيدخلها أهل هذا الدين في آخر الزمان . قال معاوية : يا أبا إسحاق ، لقد فضّلك الله على غيرك من العلماء ، ولقد أُعطيتَ مِن عِلْم الأَوَّلين والآخِرين ما لم يُعْطَه أحد . فقال كعب : والذي نفس كعب بيده ما خَلَقَ الله تعالى في

الأرض شيئاً إلاّ وقد فسّره في التوراة لعبده موسى تفسيراً ، وإن هذا القرآن أشدّ وعيداً ، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[1] ، والله الهادي للصواب .

۞ خبر الرجل من أهل حضرموت الذي اكتشف حفيرة شدّاد بن عاد :

قال أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله تعالى والشعبي : أخبرنا دَغْفَل الشيباني عن رجل من أهل حضرموت يقال له : بِسْطام ، أنه وقع على حَفِيرة شدّاد بن عاد في جبلٍ بحضرموت مُطِلٍّ على البحر ، قال :

وكنتُ أسمع من صباي إلى أن اكْتُهِلْتُ بمغارة في جبل من جبالنا بحضرموت وهَيْبةِ الناس لدخولها ، فلم أحتفل بما كنتُ أسمع من ذلك .

فبينما أنا في نادي قومي ، إذ تناشدوا حديث تلك المغارة وأَطْنَبوا في ذِكْرها ، ووصفوا موضعها ، فقلتُ لقومي : إني غير مُنْتَهٍ حتى أدخلها ، فهل فيكم مَن يساعدني ؟ فقال فتىً منهم حَدَث السن : أنا أُصاحبك . قلت : يا ابن أخي ، أَوَتَجْسُرُ على ذلك ؟ قال : عندي ما عند أشدّ رجل من رباطة الجأش وشدة القلب .

فهيّأنا شمعة ، وحملنا معنا إداوة عظيمة مملوءة ماء وطعاماً مقدار ما قَدَرْنا على حمله ، ثم مضينا نحو ذلك الجبل الذي فيه المغارة ، وكان مُشْرِفاً على المكان الذي يركب أهلُ حضرموت منه البحرَ .

فلما انتهينا إلى باب المغارة حَزَمْنا علينا ثيابنا ، وأشعلنا الشمعة ثم ذكرنا الله تعالى ، ودخلنا ومعنا تلك الإداوة وذلك الطعام ، فإذا بمغارة عظيمة عرضها عشرون ذراعاً ، وطولها عُلُوّاً نحو خمسين ذراعاً . فمشينا فيها هَوْناً في طريق أملس مستوٍ ، ثم أَفْضَيْنا إلى درجات عالية ، عَرْض الدرجة عشرون ذراعاً في سَمْك عشرة أذرع . فحملنا أنفسنا على نزول تلك الدرجات ، فقلت لصاحبي : هلمّ إليّ يَدَيْكَ . فكنتُ آخذ بيده حتى ينزل ، فإذا نزل وقام في الدرجة تَعَلَّقْتُ بطرف الدرجة وتَسَيَّبْتُ حتى تنال رِجْلاي مَنْكِبَيْه .

---

(١) : ذُكِرَتْ هذه الآية في عِدّة مواضع من القرآن الكريم : في سورة النساء الآية ٧٩ والآية ١٦٦ ، وفي سورة الفتح الآية ٢٨ .

فلم نزل كذلك وذلك دَأْبنا عامّة يومنا حتى نزلنا ذلك الدرج ، وكانت مقدار مائة درجة ، فأَفْضَيْنا إلى أَزَجٍّ عظيم محفور في الجبل ، في طول مائة ذراع وعرض أربعين ذراعاً ، وسَمْكه في السماء نحو مائة ذراع ، وفي صدره سرير من ذهب مُفَصَّص بأصناف الجواهر ، وفوقه رجل عظيم الجسم قد أَخَذَ طول هذا الأَزَجِّ وعَرْضَه ، وهو مضطجع على ظهره كهيئة النائم ، وعليه سبعون حُلّة بمقدار طوله وعرضه ، منسوجة تلك الحُلَل بقضبان الذهب والفضة . وإذا في ذلك الأَزَجِّ نَقْب عرضه ذراعان ، وارتفاعه ثلاثة أذرع ، خارجٌ إلى فضاء لم نَدْرِ ما هو . وإذا على رأس السرير لوح مِنْ ذهبٍ فيه كتاب بالمُسْنَد ، وهو كتاب عاد كانت تكتبه في زمانها ، محفور ذلك الكتاب باللوح حَفْراً . فَقَلَعْناه ودَنَوْنا من الرجل ، فَمَسَسْنا تلك الحُلَل فصارت رميماً ، وبقيت قضبان الذهب قائمة ، فجمعناها وكانت مقدار مائة رطل ، فحملناها في أُزُرنا ، وأردنا قَلْع شيء من تلك الجواهر المُفَصَّص بها السرير ، فلم نقدر عليه لِوَثاقته ، فتركناه .

وهجم علينا الليل ونحن في ذلك الأَزَجِّ ، وعرفنا ذلك بذهاب الضوء الذي كان يدخل من ذلك النَّقْبِ ، فَبِتْنا ليلتنا في ذلك الأَزَجِّ ، وطُفِئَت الشمعة التي كانت معنا . فلما أصبحنا قلتُ لصاحبي : ما ترى ؟ قال : أمّا الرجوع من حيث جئنا لا سبيل إليه لارتفاع الدرج ، وإنّا لا نستطيع صعودها لا سيما والشمعة قد طُفِئَتْ ، ولكن هَلُمّ لِنَلْزَم هذا الضوء الذي نراه في هذا النَّقْبِ ، فإني أرجو أن يَخرج بنا إلى الفضاء إن شاء الله تعالى . فقلت له : لَعَمْري إنَّ هذا لهو الرأي .

قال : فانطلقنا بما معنا من تلك القضبان من الذهب ، وحملنا مع ذلك اللوحِ الذهبُ الذي كان عند رأس السرير ، ومشينا في ذلك النَّقْب نتبع ذلك الضوء . فلم نزل نمشي فيه في طريق ضَيِّق مقدار مائة ذراع حتى خرجنا منه إلى كهف في ذلك الجبل كهيئة الحائط ، وقد حَفَّ بذلك الكهف البحرُ . فجلسنا على باب ذلك النَّقْب ثلاثة أيام نَتَمَوَّنُ بقية ما كان معنا من الماء والطعام .

فلما كان في اليوم الرابع نظرنا إلى مركب قد أقبل في البحر ، فَلَوَّحْنا إلى مَن فيه ، فأرسلوا إلينا القارب ، فنزلنا من باب ذلك النَّقْب نزولاً شاقاً حتى وَثَبْنا إلى القارب بما معنا ، ثم خرجنا من البحر ، فقسمنا ذلك الذهب بيننا ، وصار ذلك اللوح إليّ بِقِسْطي .

قال : ثم إنَّ أَنْفُسَنا دَعَتْنا إلى العودة إلى ذلك السَّرَب مما يلي النَّقْب مِن جهة البحر ، فركبنا قارباً وسِرْنا في البحر نحو المكان الذي كنا فيه ، فنزلنا منه ، فَخَفِيَ علينا ، فَعَلِمْنا أنّا لم نُرزق مِنْ ذلك المكان إلاّ ما أخذناه ، فرجعنا .

قال : ومكث ذلك اللوح عندي حَوْلاً وأنا لا أجد مَن يقرؤه ، حتى أتانا رجل حِمْيَريٌّ من أهل صنعاء كان يُحسن قراءة تلك الكتابة ، فَأَخْرَجْتُ إليه اللوحَ فقرأه ، وإذا فيه مكتوب هذه الأبيات :

اعْتَبِرْ بي أيّها المَغْـ ـرور بالعمر المديدِ
أنا شدّاد بن عاد صاحبُ الحصن العتيدِ
وأخو القوة والبَأْ ساء والمُلْك الشديدِ
وبفضل المُلْك والعُدّ ة فيه والعديدِ
دان أهلُ الأرض طُرّاً ليَ مِن خوف وعيدي
ومَلَكْتُ الشرق والغر ب بسلطان شديدِ
فأتى هود وكنّا في ضلال قبل هودِ
فدعانا لو قَبِلْنا ه إلى الأمر الرشيدِ
فعصيناه وناديـ ـنا ألا هل مِن مَحيدِ
فَأَتَتْنا صيحة تَهْـ ـوي من الأُفق البعيدِ
فَتَوافَيْنا كزرع وَسْطَ بيداءَ حصيدِ[1]

قال أبو إسحاق رحمه الله تعالى : قال دَغْفَل الشيباني صاحب القصة : سألتُ علماء

---

(١) : قد ساق أبو إسحاق الثعلبي هذه الأبيات أيضاً بهذا السند دون القصة في تفسيره (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) ، وفيها في البيت الخامس قوله :

دان أهلُ الأرض لي مِن خَوْف وَعْدي ووَعِيدي

حِمْيَر عن شدّاد بن عاد فقلتُ : إنه قد أصيب وكان قد دنا مِن ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾ ، فكيف وُجِدَ شِلْوُهُ في تلك المغارة وهي بحضرموت ؟ فقالوا : إنه لَمّا هلك هو ومَن معه بالصيحة ، مَلَكَ بعده مَرْثَد بن شدّاد ، وقد كان أبوه خلّفه على مُلْكه بحضرموت ، فأمر بِحَمْل أبيه إلى حضرموت ، فحُمِلَ مَطْلِيّاً بالصبر والكافور . فَأَمَرَ أنْ تُحْفَرَ له تلك المغارة ، واسْتَوْدَعَهُ فيها على ذلك السرير الذهبي ، والله تعالى أعلم .

ملاحظة :

قد تقدّم معنا في خبر هود عليه السلام وهلاك عاد بالريح العقيم أنَّ مَلِكَهم القائم بأمرهم في زمن هود كان اسمه الخَلجان بن الوهم بن عاد ، وأنه هلك بالريح العقيم إِثْرَ هلاك قومه ، ولم يَرِدْ أنه آمن بالله تعالى ، وهذه الأبيات تدل على ندم قائلها أو على إيمانه .

ومقتضى هذا السياق فيه دلالة على أنَّ شدّاد بن عاد المذكور آنفاً وابْنَه مَرْثَد بن شدّاد وخبر ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾ كان قبل مبعث هود عليه السلام ، وأنَّ كتابة هذه الأبيات كانت بعد قصة قوم عاد ، والله أعلم بالصواب .

وإنما ذكرتُ لك أيها القارئ هذه القصة لتكون كذلك عِبْرة ، نستفيد منها بأن المُلْك والقوة والمال والدنيا بأكملها يفنى وينتهي ، وأنَّ العمل الصالح خير من كل ذلك ، فافهم واعتبر واتّعظ .

واللهَ أسأل أن يُعَرِّفَنا حقيقة الدنيا ؛ لنجتنب غدرها ومكرها وتَقَلُّبَها على أهلها ، ولنعمل للآخرة التي هي مآلنا وإليها مرجعنا .

ولا يسعني في نهاية هذه القصة إلاّ أن أقول : لا تغتروا أيها الناس واتّعظوا واعتبروا ، فإن العاقبة للمتقين .

۞ تنبيه :

إنَّ ذِكْر قوم عاد في القرآن الكريم يُعتبر أكثر أخبار الأمم البائدة إعجازاً ؛ وذلك لأنهم أُبيدوا إبادة كاملة بعاصفة رملية غير عادية ، فَطَمَرَتْهُم ورَدَمَتْ آثارهم حتى أَخْفَتْ كُلَّ أَثَرٍ لهم على وجه الأرض ، وبسبب ذلك شَكَّكَ الغالبية العظمى من الأثريين والمؤرخين

بوجود قوم عاد .

واسْتَدَلّوا أيضاً على ذلك بأن المنطقة التي ذُكِرَ أنَّ قوم عاد قد عاشوا فيها ، وهي الجزء الجنوبي من صحراء الربع الخالي ما بين عُمان واليمن ، هي منطقة صحراوية تُعتبر من أكثر أجزاء الأرض قُحولة وجفافاً اليوم ، وإنها كذلك منذ أمد بعيد ، فَمِنْ غير المعقول أنَّ حضارة ما قد قامت فيها ، أو أنَّ إنساناً عاش هناك في يوم من الأيام ، حتى جاءت الكشوفات الأثرية المثيرة في الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين بالكشف عن مدينة إرم ، وإثبات صِدْقِ القرآن الكريم في كل ما جاء به عن قوم عاد .

ففي سنة ١٩٨٤م زَوَّدَتْ مؤسسةُ بحوث الفضاء الأمريكية المعروفة باسم ناسا أحدَ مَكُّوكاتها الفضائية بجهاز رادار له القدرة على اختراق سطح الأرض إلى عمق عدة أمتار ، فكشف عن العديد من المجاري المائية الجافة المدفونة تحت رمال الحزام الصحراوي الممتد من موريتانيا غرباً إلى أواسط آسيا شرقاً . وبمجرد نشر نتائج تحليل الصور المأخوذة ، تقدّم أحد هواة دراسة الآثار إلى المؤسسة بطلب الصور التي أُخِذَتْ لجنوب الجزيرة العربية ، وبدراستها اتّضح وجود آثار مدقات للطرق القديمة المؤدية إلى عدد من أبنية مدفونة تحت الرمال التي تملأ حوض الربع الخالي ، وعدد من أودية الأنهار القديمة ، والبحيرات الجافة التي يزيد قطر بعضها عن عدة كيلومترات .

وقد احْتار الدارسون في معرفة حقيقة تلك الآثار ، فلجؤوا إلى الكتابات القديمة الموجودة في إحدى المكتبات المتخصصة في ولاية كاليفورنيا ، وإلى عدد من العلماء المُتَخَصِّصِين في تاريخ شبه الجزيرة العربية ، وبعد دراسة مُسْتَفيضة أجمعوا على أنها آثار مدينة إرم ، وقد قُدِّرَ عمرها بحوالي ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد .

وقد جاءت صور المكوك الفضائي مطابقة لخريطة العالم الفلكي والجغرافي بطليموس الإسكندري الذي عاش في الفترة ١٠٠م – ١٧٠م تقريباً ، والتي كان قد رسمها للمنطقة بأنهارها المُتَدَفِّقَة وطرقاتها المُتَشَعِّبة .

وفي يوليو ١٩٩٠م تَشَكّل فريق أمريكي من وكالة الفضاء ناسا للبحث عن المدينة ، ولكنَّ البحث تأجّل بسبب حرب الخليج .

وفي يناير ١٩٩١م بدأت عمليات الكشف في المنطقة عن الآثار التي حَدَّدَتْها الصور الفضائية ، واستمر إلى مطلع سنة ١٩٩٨م . وخلال ذلك تَمَّ تصوير المنطقة بالقمر الصناعي ، لِتَظْهَرَ الصور وقد أَوْضَحَتْ وجود ما يُشْبِهُ مجرى لنهرين أحدهما من الشرق والآخر من الغرب . وبالتصوير على عمق أكبر وُجِدَ نفس النهرين وكيف أنهما يَصُبّان في بحيرة ، وعلى جانب هذه البحيرة يوجد بقايا لمدينة تَتَمَيَّز بأعمدتها العالية وأسوارها الضخمة ، لم تَعرف البشرية في مِثْل ارتفاعها وعظمتها .

كما أُعْلِنَ أيضاً عن اكتشاف قلعة ثمانية الأضلاع ، سميكة الجدران ، بأبراج في زواياها ، مُقامة على أعمدة ضخمة يصل ارتفاعها إلى تسعة أمتار ، وقطرها إلى ثلاثة أمتار ، وقد ظهرتْ بقايا لأحد هذه الأبراج على السطح .

وقد نُشِرَ خبر العثور على هذه المدينة المفقودة في صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية بتاريخ ١٩٩٢/٢/٥م ، وقالوا : بأنها هي مدينة إرم التي بناها شدّاد بن عاد .

ومع هذا كله كان مُلاحَظاً التَّكَتُّم الشديد مِن قِبَل اليهود القائمين على البحث عن كشف ونشر المزيد من النتائج ؛ محاولةً منهم لتزييف تاريخ تلك المنطقة ، ونِسْبة كل حضارة تُكتشف فيها إليهم .

ولكن تبقى هذه الكشوفات الأثرية الحديثة دليلاً على إعجاز القرآن الكريم ، وأنه كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وما زالت الأبحاث قائمة والتنقيب مستمراً ؛ للكشف عن المزيد من أسرار هذه المدينة المفقودة كما يُسَمُّونَها .



صورة نشرتها صحيفة نيويورك تايمز تبين عمليات التنقيب والاستكشاف في تلك المنطقة

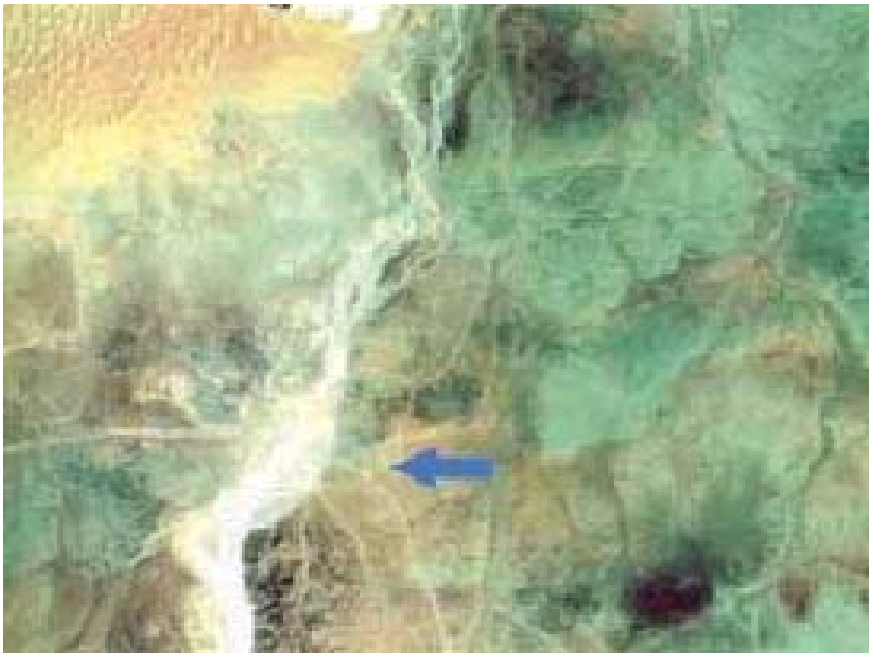

إحدى الصور الرادارية التي التقطت لمنطقة الربع الخالي عبر الأقمار الصناعية

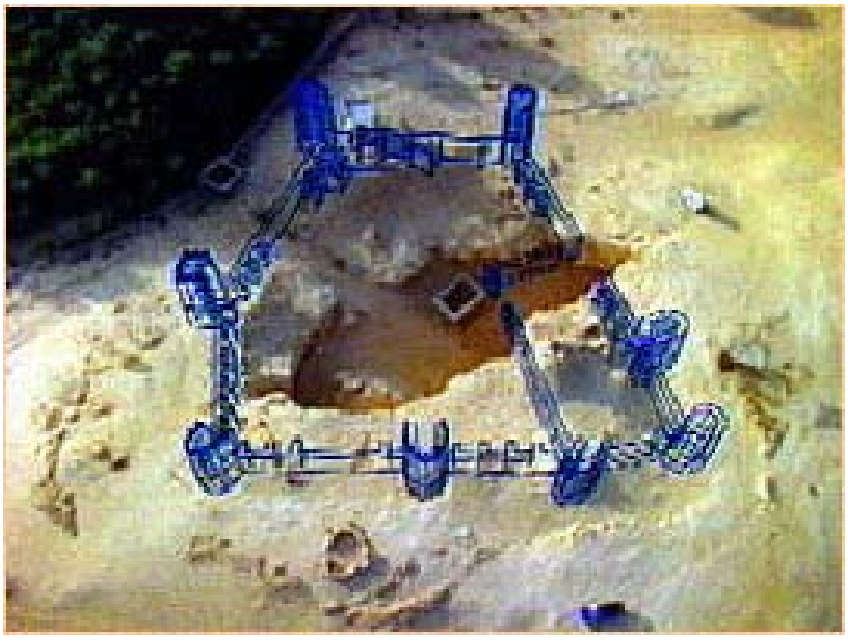

رسم نموذجي لموقع القلعة المكتشفة تظهر فيها الثمانية أبراج التي ظهر واحد منها على السطح





بعض آثار أبراج القلعة التي ظهرت على السطح





صور أخرىٰ لآثار القلعة المكتشفة

كما إنه في الآونة الأخيرة وأثناء عملية التنقيب عن النفط الذي قامت به شركة أرامكو السعودية في صحراء الربع الخالي ، تم اكتشاف هيكل عظمي لإنسان عملاق . ولم تُعَلِّق الشركة علىٰ هذا الحدث العظيم ، ولم تَذْكُرْهُ في نشراتها وأخبارها اليومية علىٰ

صفحات الإنترنت ، بل أَخْفَتْ ذلك وكأنه لم يكن . وقد وَصَلَتْني صورة لهذا الهيكل العملاق ، وقد تناقله البعض عن طريق البريد الإلكتروني في محاولة لمعرفة حقيقة ذلك الإنسان ومَنْ يكون ، ويُعتقد أنه قد يكون من قوم عاد حيث هم سكنوا تلك المنطقة أو قريباً منها ، والله أعلم .

ولقد حاول بعض المُغْرِضين مؤخراً أن يُشَكِّكُوا بهذه الصورة وقالوا : إنها مُزَوَّرة ، وتَكَلَّموا كثيراً في هذا المجال .

والذي يراه كاتب هذه السطور بأنها حقيقة يُريدون تَزْيِيفها وتَغْيِيرها بعد أن ذاعتْ في العالم كله .



سيدنا صالح عليه الصلاة
والسلام ومبعثه إلى قومه ثمود

قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ[1] صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأعراف] .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الحجر][2] .

---

(١) : قال ابن عباس : أي ابن أبيهم .
وقيل : أخاهم في القبيلة ، أي في النسب .
وقيل : صاحبهم .

(٢) : ارجع كذلك إن شئتَ إلى المواضع التالية من القرآن الكريم : التوبة ٧٠ ، هود ٦١–٦٨ ، إبراهيم ٩ ، الإسراء ٥٩ ، الفرقان ٣٨–٣٩ ، الشعراء ١٤١–١٥٩ ، النمل ٤٥–٥٣ ، العنكبوت ٣٨ ، فصلت ١٣–١٤ و ١٧–١٨ ، الذاريات ٤٣–٤٥ ، النجم ٥١ ، القمر ٢٣–٣٢ ، الحاقة ٤–٥ ، البروج ١٧–٢٠ ، الفجر ٩ ، الشمس ١١–١٥ .

۞ خصائص قوم ثمود :

قال الكسائي : قال كعب الأحبار : لَمّا أهلك الله ﷻ عاداً ، جاءت ثمود وعَمَرَت الأرض ، وكانوا بضع عشرة قبيلة ، في كل قبيلة زيادة على سبعين ألفاً سوى النساء والذرية ، وكثروا حتى صاروا في عدد عاد وأكثر .

وكانوا ذوي بطش ، وقوة ، وتجبر ، وكفر ، وفساد .

وكانت منازلهم ما بين الحجاز إلى الشام ، وهي ديار الحِجْر من وادي القرى .

وكان ملكهم جُنْدع بن عمرو بن عاد بن ثمود بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، وقيل في نسبه غير ذلك .

قال الكسائي نقلاً عن كعب الأحبار : وكانت ثمود طائفة مِمَّنْ آمنتْ بهود يذكرون لملكهم جُنْدَع كيف أهلك الله قوم عاد بالريح العقيم ، وكيف كانت سيرة هود فيهم . فيقول : إنما هَلَكَتْ عاد لأنها لم تكن تُشَيِّد بنيانها ، ولا تنصح آلهتها ، وكان بنيانهم على الأحقاف التي هي الرمال ، ونحن أشد قوة وبناءً وبلاداً ، ونحن نتّخذ الجبال بيوتاً فننحتها في الصخر لئلاّ يكون للريح عليها سبيل ، ونحن نعبد آلهتنا حق العبادة .

قال كعب : كانت قوة الرجل منهم أنْ يَنْحتَ في الجبل بيتاً طوله مائة ذراع في عَرْض مِثْل ذلك ، ويضربه بصفائح الحديد ، ويُغَلِّق باباً مِن حديد مُصْمَتٍ لا يفتحه إلاّالقوي منهم .

وكانت منازلهم أولاً بأرض كُوش في بلاد عالِج ، فانتقلوا منها إلى هذه البلاد لكثرة جبالها .

قال الإمام القرطبي في تفسيره الكبير : أول مَن نَحَتَ الجبال والصخور والرخام ثمود . فَبَنَوْا مِن المدائن ألفاً وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة ، ومِن الدور والمنازل ألفي ألف وسبعمائة ألف كلها من الحجارة . وقد قال ربنا تبارك وتعالى في كتابه العزيز : ﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر : ٨٢] . وكانوا لِقُوَّتِهِم يُخْرِجون الصخور ، وينْقبون الجبال ، ويجعلونها بيوتاً لأنفسهم .

قال الكسائي نقلاً عن كعب الأحبار : ثم اجتمع كُبَراؤهم إلى مَلِكهم جُنْدَع وقالوا :

نريد أن نتّخذ لأنفسنا إلهاً نعبده ، لم يكن مِثْله لقوم عاد ولا قوم نوح .

فَأَذِنَ في ذلك ، فنحتوا صنماً من جبل يقال له : الكثيب ، وجعلوا وجهه كوجه الإنسان ، وعنقه وصدره كالبقر ، ويديه ورجليه كالخيل ، وضربوه بصفائح الذهب والفضة ، وعقدوا على رأسه تاجاً ، ورصّعوه بالدر والجوهر .

فلما كَمُلَ خَرُّوا له سُجَّداً ، وقرَّبوا القُرْبان ، وأقبلوا إلى الملك فقالوا له : اخْرُجْ إلى هذا الإله الذي أَتْعَبْنا أنفسنا في اتّخاذه . فخرج الملك إليه في زينته وأصحابه ، فلما رَأَوْه خَرُّوا له سُجَّداً .

ثم أمر الملك أن يَتَّخِذوا له بيتاً ، وأن يُسَقِّفوه بصفائح الذهب والفضة ، ويُرَصِّعوه بالجوهر ، ويَفْرِشوا أرضه بالديباج .

وأمر أن يَتَّخِذوا لسائر الأصنام بيوتاً ، وأن يَتَّخذوا سريراً من العاج والآبنوس على عرض البيت ، قوائمه من الفضة ، وأن يُعَلِّقوا قناديل الفضة بسلاسل الذهب .

وأمر أن يَجعلوا للبيت مصراعين ، في كل مصراع مائة حَلْقة من الذهب والفضة ، وأن يُعَلِّقوا عليهما سِتْران ، وسمّاهما ستور العز .

ووضعوا الصنم على ذلك السرير ، وسائر الأصنام الصغار على كراسيّ العاج والآبنوس .

وأمر أن يُنْدَبَ لخدمة الأصنام رجال من أشراف قومه وأحسنهم وأنسبهم ، فقالوا : ليس في ثمود أشرف نسباً وأجمل وجهاً مِن كانوه .

وقيل في اسمه : كانول ، وقيل : عبيد ، وهو والد صالح عليه السلام كما ذكر ذلك القرطبي والرازي وابن حبان في البحر وغيرهم .

قال كعب : فاستدعاه وقَرَّبَه ، وتَوَّجَهُ وسَوَّدَهُ ، وجعله على خدمة الأصنام ، فقَبِلَ ذلك وتفرّغ لخدمتها وعبادتها .

وقومُ ثمود يعبدون ذلك الصنم وقد ازدادوا عُتُوّاً وتجبّراً ، وكفراً وفساداً ، والله تعالى يزيدهم سَعة وخَصْباً ، وهم يَرَوْن أن ذلك كله من بركات الأصنام .

وساد هذا الأمر ، مما كان لا بد مِن أن يظهر الداعية الذي يدعوهم إلى توحيد الله تعالى .

۞ مولد صالح عليه السلام ونشأته :

قال الكسائي نقلاً عن كعب الأحبار : فبينما كانوه في بيت الأصنام إذْ تحرّكتْ نطفة صالح في ظهره ، وصار لها نور على عينيه ، وسمع هاتفاً يقول : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ، ألا بُعْداً وسُحْقاً لثمود لكفرهم ، وهذا صالح بن كانوه يُصْلِحُ اللهُ به الفساد .

ففزع من ذلك كانوه ، وذهب لِيَتَقَدَّم إلى الصنم الأكبر ، فنطق بإذن الله وقال : ما لي وما لك يا كانوه ، مِثْلُكَ يَخْدِمُني ، وقد اسْتَنارت الأرض بنور وجهك للنور الذي في ظهرك . ثم تَنَكَّسَ الصنم عن سريره ، فأعاده كانوه وأعوانُه إلى السرير .

وبَلَغَ المَلِكَ ذلك فاغْتَمَّ له ، فقال له أصحابه : إنَّ هذه لِسوء خدمة كانوه ، فإنه لا يُوَفِّي الآلهة حَقَّها في الخدمة .

وهَمُّوا بقتله ، فأخفاه الله تعالى عن عيونهم .

فلما كان الليل ، هبط عليه مَلَك من السماء ، فاحْتَمَلَه وهو نائم وألقاه في وادٍ على أميال من ديار قومه ، وهو لا يدري في أي موضع هو . فنظر غاراً في جبل هناك ، فدخله لِيُكِنّه من حَرِّ الشمس ونام ، فضرب الله على أُذُنِهِ مائة سنة ، والله قادر على كل شيء سبحانه .

وفَقَدَهُ قومُه ، ونصبوا لخدمة أصنامهم رجلاً منهم يقال له : داود بن عمرو .

فبينما هم كذلك وقد خرجوا في يوم عيد لهم ، إذ نَطَقَتِ الأشجار بإذن الله وقالت : يا آل ثمود ، ألا تَعْتَبِرون ؟ إنَّ الله يُخْرِجُ لكم في السنة من الثمار مرّتين ثم تكفرون بنعمة ربكم وتعبدون سواه ؟ ونطقت المواشي كذلك ، فعمدوا إلى الأشجار فقطّعوها ، وعقروا المواشي .

فنطقت السباع ونادت من رؤوس الجبال : ويلكم يا آل ثمود ، لا تقطعوا هذه الأشجار ، ولا تذبحوا هذه المواشي ، وقد نَطَقَتْ بالحق . فخرجوا إلى السباع بالأسلحة وهي تهرب مِن بين أيديهم ، وتستغيث بالله وتقول : اللهم طَهِّرْ أرضك بنبيك صالح ، وارفع به الفساد . وإنَّ القوم يسمعون ذلك ويقولون : قد كفر هؤلاء بآلهتنا .

قال الكسائي : قال كعب الأحبار : وكان لكانوه في ديار قومه امرأة يقال لها : رَعوم ، وهي كثيرة البكاء عليه منذ فَقَدَتْه .

فبينما هي ذات ليلة وإذا بغرابٍ نَعَقَ ، فقامت لتنظر إليه ، فرأته على مثال الغراب ،

ورأسه أبيض ، وظهره أخضر ، وبطنه أسود ، وهو أحمر الرجلين والمنقار ، وأخضر الجناحين . فقالت : أيها الطائر ، ما أحسنك ! فقال : أنا الغراب الذي بُعِثَ إلى قابيل فَأَرَيْتُه كيف يُواري سَوْءة أخيه ، وأنا من طيور الجنة ، وإني أراكِ باكية حزينة ؟ فقالت : إني فقدتُ زوجي منذ مائة عام ، فقال : اتبعيني ، فإني أَرْشُدُكِ إليه .

فَتَبِعَتْه وطُوِيَتْ لها الطريق حتى وقفها على باب الغار ، ونادى الطائر : قُمْ يا كانوه ، قُمْ بقدرة الله . فقام ودخلتْ إليه زوجته ، فواقعها فحملتْ بإذن الله تعالى بصالح ، وقبض الله كانوه لوقته ، وعادتْ رَعوم والغرابُ يدلّها على منزلها .

فلما انقضتْ مدة حملها ، وَضَعَتْ في ليلة الجمعة من شهر المحرم ، فوقعتْ هزّة شديدة في بلاد ثمود لمولده ، وخَرَّت الوحوش والسباع ساجدة لله تعالى .

وأصبحت الأصنام وقد تَنَكَّسَتْ ، فأقبل داود وأخبر المَلِكَ بخبرها ، فجاء بأشراف القوم ورفعوها على مراتبها وأَسِرَّتِها ، وتقدّم الملك إلى الصنم الأكبر وقال : ما دَهاك ؟ فناداه إبليس منه : قد وُلِدَ فيكم غلام يدعوكم إلى دين هود ، ليس عليكم منه بأس . فخرج المَلِك ومَن معه مُسْتَبْشِرين .

ونشأ صالح حتى إذا بلغ سبع سنين ، أقبل على قومه وهو يقول : يا آل ثمود ، تُنْكِرون حسبي ونسبي ؟ أنا فلان بن فلان . فيقولون : إنك مِن أَحْسَبِنا وأَنْسَبِنا .

حتى إذا بلغ عشر سنين ، إذْ أقبل عليهم مَلِك من أولاد سام ، كان يَغْزوهم في كل سبع سنين مرة فيسلب أموالهم ، فوثب صالح إلى سيف أبيه وسلاحه ، وخرج يعدو وإذا هو بالمَلِك جُنْدع وسادات قومه قد اجتمعوا ، وقد انْتَزَعَ المَلِكُ منهم أموالهم ، وهم لا يستطيعون دَفْعَه عنها ؛ لكثرة جموعه . فصاح بهم صالح صيحة أزعجتهم ، وألقى الله الرعب في قلوبهم ، واسْتَنْقَذَ منهم جميع ما أخذوه مِن قومه .

فعجب جُنْدع وأصحابُه منه ، وأقبلوا يُقَبِّلون صالحاً ويُكْرِمونه .

فخشي المَلِك على مُلْكه أنْ يعزلوه ويُوَلُّوا صالحَ بن كانوه ، فَهَمَّ أن يقتله ودَسَّ إليه جماعة مِن خَواصِّه ، فدخلوا منزله ، فأَيْبَسَ الله أيديهم عنه ، وأَخْرَسَ ألسنتهم .

فَعَلِمَ الملك أنه معصوم ، فبعث يسأله فيهم ، فدعا لهم ، فأَطْلَقَ الله أيديهم وألسنتهم ، وبقي صالح مُكَرَّماً مُعَظَّماً في قومه .


بعثة نبي الله صالح عليه السلام
الزاوية
الديسة
قلعة الأظلم
البويضة
الدكدك
الوجه
شعب
شواق
جبل الغارة
أبا القزاز
ام حرب
البني
بداء
الكر
طويل الكبيرت
جبل الرعل
خرباء
جبال العشيرة
أغنب
أبا الدور
جيدة
الأسعد
قلعة المعظم
حلة البدر
جبل رأس ساق
العلا
الدار الحمراء
المطلع
الخشيبوات
هضاب الشرج
الحجر
وادي حشيش
البدائع
مركز مطران
جبل مريخة
كنيفة مصادر
جبل فهر
مشهد
قلعة زمرد
الصور
طويرة
الشهيرة
قرن الشطب
الجهراء
تيماء
المخيمرية
حفيرة الأبداء
قلبان عشرة
الصحن
جبال الجوة
مملكة
تهامة

۞ مبعثه بالرسالة وتبليغه الدعوة :

قال الكسائي : ولَمّا أتى عليه أربعون سنة بعثه الله ﷻ رسولاً إلى قومه ، فجاء جبريل بالوحي عن الله تعالى وأمره أن يدعوهم إلى قول : لا إله إلاّ الله ، والإقرار بأن صالحاً عبده ورسوله ، وتَرْكِ عبادة الأصنام . وأَعْلَمَه بما سيظهر على يديه من العجائب .

فأقبل صالح عليه السلام إلى قومه في يومِ عيدٍ لهم ، وقد نصبوا أصنامهم واجتمعوا على يمينها وشمالها ، والمَلِك جُنْدع مُشْرِفٌ عليهم ينظر إليهم وإلى قُرْبانهم . فتقدّم حتى وقف على الملك وقال : قد عَلِمْتَ نصحي لك دائماً ، وقد جئتُك رسولاً أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله ، وأنّي صالح رسول الله . فقال المَلِك له : إنَّ قبائل ثمود لا ترضى أن يكون مِثْلُك رسولاً إليهم[1] ، غير أني أنظر فيما تقول ، فَعُدْ إليّ غداً .

قال الكسائي : ثم أصبح المَلِك ودعا بأشراف قومه وأخبرهم بخبر صالح ، فقالوا : أَحْضِرْهُ حتى نسمع ما يقول .

فأحضره فقال : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود: ٦١] . فقال له نفر منهم : ﴿ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [هود: ٦٢] . قال : ﴿ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ [هود: ٦٣] . فقال له المَلِك : كيف خَصَّك ربك بالرسالة مِن بيننا ورفعك علينا وفي قبائل ثمود مَن هو أَعَزُّ منك ؟ فقال : ذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء . ثم قال : يا قوم ، ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ[2] ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ[3] ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ

---

(١) : فإذا كان رب العالمين رَضِيَهُ رسولاً ، فمَنْ هي ثمود كي تقول : لا ؟!

(٢) : أي لَيِّن .

(٣) : أي حاذقين .

﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الشعراء] . فقالوا : ﴿إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الشعراء] .

قال الكسائي : فأقبل المَلِك عليهم وقال : قد عَرَفْتُم صالحاً في حَسَبه ونَسَبه ، وأنا رجل منكم ، فما تقولون وما عندكم مِن الرأي في أَمْره ؟ قالوا : أيها الملك ، ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾﴾ [القمر] .

قال تعالى : ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾ [القمر: ٢٦] .

قال الكسائي : فآمن به منهم جماعة ، وخرج صالح مِن عند المَلِك ، فَأَمَرَهُ الله تعالى أن يبني مسجداً لنفسه ولِمَنْ معه مِن المؤمنين .

فأعانته الملائكة على بنائه ، فلما كَمُلَ جاءه جبريل بشجرة فغرسها على باب المسجد ، وأَنْبَعَ الله له عيناً من الماء العذب .

قال الكسائي : وكان صالح يخرج في كل يوم إلى قبيلة من قومه يدعوهم إلى عبادة الله تعالى ، ويَعِظُهُم بأيام عادٍ وما حَلَّ بهم . وكان المستكبرون يَرُدّون عليه كما قال تعالى : ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ(١) لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ(٢) أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ(٣) قَالُوا(٤) إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأعراف] .

❁ لقد أَمْهَلَ الله تعالى ثمود كثيراً :

قال الكسائي : ولم يزل صالح يدعوهم حتى استكمل سبعين عاماً ، ثم أَعْقَمَ الله نساءهم ،

---

(١) : أي تَكَبَّروا عن الإيمان به .

(٢) : أي من قومه ، بَدَلٌ مِمّا قبله بإعادة الجار .

(٣) : إليكم .

(٤) : نعم .

وجفّت أشجارهم فلم تُثْمِر ، ولم تضع لهم كذلك الدواب والبهائم ، عقاباً على شركهم وظلمهم . ولكنهم مع هذا لم يتّعظوا ، ولم يزدادوا إلاّ بُعْداً وكفراً بالله تعالى وبنبيه صالح .

ثم لم يزل يدعوهم حتى استكمل مائة سنة ، وهم لا يزدادون إلاّ كفراً .

فلما أَيِسَ منهم خرج يريد أن يدعو عليهم بالهلاك ، وقال لقومه : لا تبرحوا من المسجد حتى أعود إليكم . وقصد جبلاً فطاف به حتى أمسى ، فنظر إلى عين ماء ، فتقدّم وتوضّأ ، وقام ليصلي ويدعو على قومه ، فرأى في الجبل كهفاً فدخله ، فرأى فيه سريراً من ذهب عليه فُرُش الحرير ، وفي وسط الكهف قنديل . فعجب من ذلك وصعد على السرير ، فضرب الله على أُذُنِهِ فنام أربعين سنة .

وأخذ قومُه في العبادة ، فكان يموت منهم الواحد بعد الواحد فيُدْفَنُ إلى جانب المسجد ، ويُكتب على قبره : هذا فلان بن فلان .

قال الكسائي : ثم بعث الله عزّ وجلّ صالحاً مِن نَوْمَتِه ، فخرج من الكهف وتوضّأ وصلّى ركعتين ، وأراد أن يدعو على قومه ، فقيل له : لا تَعْجَلْ عليهم ، فإنّ عَجَلَتَكَ غَيَّبَتْكَ عن قومك أربعين سنة .

فانظر إلى إمهال وحِلْم الله تعالى ، لم يُرِدْ أن يدعو عليهم سيدنا صالح ، وليمنعه من الدعاء في وقتها أنامه أربعين عاماً .

قال الكسائي : فعاد إلى قومه وإذا برسوم وآثار لا يعرفها ، وأشرف على مسجده وهو خراب ليس فيه إلاّ الملائكة يَحْفَظونه مِن فُسّاق أهل ثمود . فقال : إلهي ، ما فعل أهل هذا المسجد ؟ فنادته الملائكة : مات بعضهم ، ورجع الباقون إلى دينهم الأول لَمّا أَيِسُوا منك .

ثم أمره الله تعالى أن يأتي قومه ويدعوهم إلى عبادة الله والكَفِّ عن عبادة الأصنام ، فأقبل وهم مجتمعون في يوم عيدهم ومعهم مَلِكهم ، فناداهم : قولوا : لا إله إلاّ الله وإنّي صالح رسول الله . ثم قال : يا قوم ، إني أُرْسِلْتُ إليكم مرة وهذه أخرى . فَتَحَيَّروا وتساقطتْ أصنامُهم ، ونَطَقَتِ الدواب : جاء الحق مِنْ ربنا ، فقال له المَلِك : مَن أنت ؟ قال : أنا صالح ، قال : أليس قد بَقِيَ صالحٌ فينا طويلاً وغاب عنّا منذ مدة طويلة ؟ ما أنت إلاّ ساحر جئتَنا بعده ، وهَمَّ بقتله .

۞ من معجزات صالح عليه السلام إحياء الموتى وذِكْرُه لهم بعض المُغَيَّبات :

قال الكسائي : وكان للملك ابن عم يقال له : هُذَيْل ، فقال : يا صالح ، لا نحتاج إلى نصحك ، فانصرف عنا . فقال : يا هذا ، أَمَا إنك مَيِّت في يومك هذا ، أنت وأهلك وولدك ، في وقت كذا وكذا ، وفي غد يموت أبوك وأمك ، فبادر إلى الإيمان ، فإنْ آمنتَ أحياك الله وجعلك حُجّة على قبائل ثمود . فانصرف الرجل وهم ينظرون إلى الوقت الذي ذكره صالح .

فلما جاء الوقت مات الرجل وأهله وولده ، وانتشر الخبر في قبائل ثمود ، ومات أبوه وأمه مِن الغد ، فعَجِبَ الناس وجزعوا ، وخاف المَلِك .

وأقبل صالح فقال : يا آل ثمود ، كيف كان هذا المَيِّت عندكم ؟ قالوا : خير رجل حتى مات ، قال : فإنْ أحياه الله بدعائي أتؤمنون بي وبإلهي وتَبْرَؤون مِن أصنامكم ؟ قالوا : نعم .

فجاء صالح إلى المَيِّت ، فدعا رَبَّه ثم ناداه باسمه ، فقال : لبيك يا نبي الله ، وقام وهو يقول : لا إله إلاّ الله صالح عبد الله ورسوله .

فلما عاين قومُه ذلك ازدادوا كفراً ، ودخلوا على صنمهم وشَكَوْا ما يَلْقَوْنَهُ من صالح ، فنطق إبليس مِن جوفه وقال : انصرفوا إلى ما أنتم عليه ، وإذا رأيتم صالحاً فقولوا : ائْتِنا ببرهان كما أتى به هود ونوح .

فخرجوا مسرورين حتى أتَوْا صالحاً ، فقال لهم : قد رأيتم وسمعتم كلام الوحش والطير ، وإحياء الموتى ، وغير ذلك من الآيات ما فيه كفاية ، فأيّ آية تريدون ؟ قالوا : نَخْرُجُ نحن وأنت إلى هذا الوادي ، وندعو وتدعو ، وننظر أيّ الدَّعْوَتَيْن تُسْتَجاب . وتواعدوا إلى يوم عيدهم .

۞ سؤال ثمود الناقة :

قال الكسائي : فلما كان في ذلك اليوم اجتمعوا ، وخرجوا بأصنامهم وزينتهم ، وأقبل صالح يخترق صفوفهم حتى وقف أمام مَلِكهم ودعاهم إلى الإيمان بالله ، قالوا : أَرِنا

آية ، قال : ما تريدون ؟ قالوا : أَخْرِجْ لنا ناقة من هذه الصخرة نؤمن بك ونَعْلَمُ أنك صادق ، قال : إنَّ ذلك هَيِّنٌ على ربي ، ولكنْ صِفُوها لي .

فأقبل القوم يَصِفُ كلٌّ منهم صفة وكلهم تَجَبُّر وصَلَف وابتعاد حتى أكثروا ، فقال المَلِك : إن هؤلاء قد أكثروا ، وأنا أَصِفُها بما في قلبي . تكون ناقة ذات فَرْثٍ ، ودمٍ ، ولحمٍ ، وعَظْمٍ ، وعَصَبٍ ، وعروق ، وجِلْدٍ ، وشَعْرٍ يُخالطه وَبَر . وتكون شَكْلاء[1] ، شقراء ، هيفاء ، ولها ضرع كأكبر ما يكون من القلال ، يَدرّ مِن غير أن يُسْتَدَر ، يَشْخُبُ لبناً غزيراً صافياً ، ويكون لها فصيل يَتْبَعُها على مِثالها ، فإذا رَغَتْ أجابها بِمِثْلِ رُغائها ، ويكون حَنِينها الإخلاص لربك بالتوحيد ، والإقرار لك بالنبوة . فإنْ أَخْرَجْتَها على هذه الصفة آمَنّا .

فأوحى الله إليه : أنْ أَعْطِهِم ما سألوه ، فقال لقومه : يا قوم ، إن الله قد شفّعني في حاجتكم ، فإنْ أَخْرَجْتُها تؤمنون ؟ قالوا : نعم ، على شرط أنْ يكون لبنها أَلَذّ من الخمر ، وأحلى من العسل . قال : إنْ أَخْرَجَها ربي تؤمنون ؟ قالوا : نعم ، على شرط أن يكون لبنها في الصيف بارداً ، وفي الشتاء حارّاً ، لا يشربه مريض إلاّ بَرِئَ ، ولا فقير إلاّ استغنى . قال : إنْ أَخْرَجَها ربي أتؤمنون ؟ قالوا : نعم ، على شرط ألاّ ترعى من مراعينا ، بل في رؤوس الجبال وبطون الأودية ، وتَذَر ما على الأرض لمواشينا . قال : إنْ أَخْرَجَها ربي أتؤمنون ؟ قالوا : نعم ، على شرط أن يكون الماء لنا يوماً ولها يوماً ، وألاّ يَفُوتنا اللبن ، وأن تدخل علينا عِشاء في بيوتنا تُسَمِّي كُلَّ واحدٍ مِنّا باسمه وتُنادي : ألا مَن أراد اللبن ، فَيَخْرُجُ ويَضَعُ ما يريد تحت ضرعها ، فيمتلئ لبناً مِن غير احْتِلاب . قال : أتؤمنون حقيقة ؟ قالوا : نعم .

قال صالح : قد شرطتم شرائط كثيرة ، وأنا أشترط عليكم أن لا يركبها أحد منكم ، ولا يرميها بحجر ولا سهم ، ولا يمنعها مِن شربها ، ولا فصيلها . قالوا : هذا لك يا صالح .

---

(١) : أي في لونها بياض مخالط بحمرة . وفي القاموس : شَكِلَ اللونُ شَكَلاً : خالطه لون غيره ، فهو شَكِلٌ وأَشْكَل ، وهي شَكِلة وشَكْلاء .

۞ خروج الناقة :

قال الله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ﴾ [الإسراء: ٥٩] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [القمر] .

قال الكسائي : فلمّا انتهت شروطهم وشروطه وأَخَذَ عليهم المواثيق ، قام وصلّى ركعتين ودعا ، فاضطربت الصخرة وتَمَخَّضَتْ ، وتفجّر مِن أصولها الماء ، والقومُ ينظرون . وسمعوا دَوِيّاً كدَوِيِّ الرعد ، فرفعوا رؤوسهم فإذا بِقُبّة تَنْقَضّ من الهواء ، فانحدرتْ على الصخرة وحولها الملائكة ، ثم تقدّم صالح إلى الصخرة فضربها بقضيب كان في يده ، فاضطربتْ وتشامختْ صعوداً ، ثم تَكامَنَتْ إلى موضعها ، ثم خرج رأس ووثبتْ مِن جوفها على الصفة كأنها قطعة جبل ، فوقفتْ بين يدي الملك وقومه وهي أحسن مِمّا وصفوا ، وهي تنادي : لا إله إلاّ الله صالح رسول الله .

ثم مرّ جبريل على بطنها بِحَرْبة ، فخرج فصيلها على لونها ، ثم نادتْ : أنا ناقة ربي ، فسبحان مَن خلقني وجعلني آية من آياته الكبرى .

روى الإمام القرطبي في تفسيره عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : « ذهبتُ إلى مدائن صالح وقِسْتُ صدر الناقة ، فكان ستين ذراعاً » .

قال الكسائي : فلما رأى المَلِك ذلك قام عن سريره وقَبّل رأس صالح وقال : يا معشر قبائل ثمود ، لا عَمى بعد الهُدى ، أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن صالحاً رسول الله .

وآمن معه في ذلك اليوم خَلْقٌ كثير من أهل مملكته .

فلما رأى داود خادم الأصنام ذلك نادى بصوت رفيع : يا آل ثمود ، ما أسرع ما صَبَوْتُم إلى هذا الساحر ! إنْ كانت الناقة قد أَعْجَبَتْكم ، فهلمّوا إلى آلهتكم فَسَلُوها حتى تُخْرِجَ لكم أحسن منها . فوقفوا عن الإيمان ، وعمدوا إلى شهاب أخي المَلِك فَمَلّكُوه عليهم .

ودخل جُنْدع المدينة فكسر الصنم الذي كان يعبده ، وفرّق أمواله على المؤمنين ، ولبس الصوف ، وعَبَد الله حقّ عبادته .

قال : وكانت الناقة تَتْبَعُ صالحاً كاتّباع الفصيل لأمه .

فلما كان بعد ذلك أقبلت ثمود على صالح وقالوا : إنْ لم نَمَسَّ الناقة بسوء يَصْرِفْ ربك عنا عذابه ؟ قال : نعم ، إلى منتهى آجالكم .

وكانت الناقة تَخْرُجُ وفصيلُها خلفها ، فتصعد إلى رؤوس الجبال ، ولا تمرّ بشجرة إلاّ الْتَفَّتْ عليها أغصانها ، فتأكل أطايب أوراقها ، ثم تهبط إلى الأودية فترعى هناك ، فإذا أمستْ تدخل المدينة وتطوف على دور أهلها ، وتنادي بلسان فصيح : ألا مَن أراد منكم اللبن فليخرج ، فيَخرجون بآنيتهم فيضعونها تحت ضرعها ، واللبن يشخب حتى تمتلئ الآنية ، فإذا اكْتَفوا عادت إلى المسجد ، وتُسَبِّح الله حتى تصبح ، ثم تَخرج إلى المراعي ، وهذا دَأْبُ الناقة .

قال الكسائي : وكان للقوم بئر يشربون منها ليس لهم سواها ، فإذا كان يوم الناقة تأتي وتُدَلّي رأسها ، فتشربه وتقول : الحمد لله الذي سقاني مِن فَضْل مائه وجعلني حُجّة على آل ثمود . وكانت تَمُجُّ مِن فيها إلى فم الفصيل حتى يَرْوَى . فإذا كان يوم القوم أَتَوا البئر ونزحوا ما فيها .

وهكذا بقيت الناقة على ما هي عليه ، وصالح يقول لهم : إياكم أن تقربوا الناقة بسوء وإلاّ أَخَذَكُم الله بعذاب من عنده ، ولكنهم ازدادوا كفراً وضلالاً وطغياناً .

قال الكسائي : وكانت الناقة تقول إذا أَصْبَحَتْ : إلهي ، كُلُّ مَن شرب مِن لبني وآمن بك وبرسولك فزِدْه إيماناً ويقيناً ، ومَن لم يؤمن بك وبرسولك فاجعل ما يشرب مِن لبني في بطنه داءً لا دواء ، إنك على كل شيء قدير .

فلمّا كانت تدعو بذلك ، صار القوم إذا شربوا مِن لبنها اعْتَرَتْهم الحِكّة في أبدانهم ، فاجتمعوا وقالوا : ليس لنا في هذه مِن خير ، وأَجْمَعوا على عَقْرِها .

۞ عقر الناقة وهلاك ثمود :

قال الله تبارك وتعالى : ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾

فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأعراف] .

وقال تبارك وتعالى : ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِىُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا۟ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾ [هود] .

وقال تعالى : ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الشعراء] .

وقال عز وجل : ﴿وَكَانَ فِى الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النمل] .

قال الكسائي : وكانت فيهم[1] امرأة يقال لها : عُنَيْزة بنت غُنْم بن مَجْلَد[2] ، وتُكَنّى أم غُنْم ، وهي مِن بنات عبيد بن المَهْل ، وكانت امرأةَ ذُؤاب بن عمرو ، وهي عجوز مُسِنّة ، ولها أموال ومَواشٍ ، ولها أربع بنات من أجمل النساء .

وبجوارها امرأة يقال لها : صَدوف بنت المُحَيّا بن فهر ، ولها أيضاً مَواشٍ كثيرة .

فَدَعَتا قومَهما إلى عَقْر الناقة ، فلم يُجيبوهما إلى ذلك .

---

(١) : أي في ثمود .

(٢) : وفي رواية ذكرها الطبري في تفسيره : مَحْلَد .

فبينما صَدوف كذلك إذْ مَرَّ بها رجل يقال له : الحُباب[١] ، وكان مُولَعاً بالنساء ، فَعَرَضَتْ نفسَها عليه على أن يَعْقِرَ الناقة ، فامتنع . فقالت له : لقد جَبُنَ قلبك وقَصُرَتْ يدك ، وتَرَكَتْهُ .

وأقبلتْ على ابن عم لها يقال له : مِصْدع ، فكشفتْ عن وجهها وعَرَضَتْ نفسها عليه على أنْ يُصْدِقَها عَقْرَ الناقة ، فأجاب .

وأقبلتْ صَدوف إلى عُنَيْزة فَأَخْبَرَتْها بذلك ، ففرحتْ بهذا الخبر .

قالت[٢] : إلاّ أنه مُنْفَرِدٌ ، ولكنْ قُومِي إلى عزيز ثمود قُدار فإنه شاب لم يَتَزَوَّجْ ، فاعْرِضِي عليه بناتَك لعلّه يفعل .

ففعلتْ عُنَيْزة ذلك وزَيَّنَتْ بناتها ، وأقبلتْ بهنّ إلى قُدار وكان أقبح رجل في ثمود ، وكانت في عينه زُرْقة وكأنها عدستان ، وأنفه أفطس ، ولحيته بطوله ، غير أنه كان يمر بالشجرة العظيمة فينطحها برأسه فيكسرها .

فلمّا رأته عُنَيْزة رجعتْ ببناتها إلى صَدوف وقالت : مَن تَطِيب نفسه أن يُزَوِّجَ مِثْلَ هؤلاء مِن هذا ؟ فلم تزل بها حتى رجعت بهنّ إليه وعَرَضَتْهُنّ عليه ، فاختار منهنّ الرَّباب ، وأجاب إلى عَقْرِ الناقة .

واجتمع إليه مِصْدع ، وأخوه رُعَيْن[٣] ، وداود خادم الأصنام ، ورَيّان ، ولَبيد ، والمِصْرَد ، وهُدَيْل ، ومفرّج .

فهؤلاء التسعة الذين ذكرهم الله في كتابه العزيز : ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾[النمل] .

---

(١) : وفي رواية ذكرها الطبري في تفسيره : الجناب .

(٢) : أي صدوف .

(٣) : وفي نسخة ذكرها العيني في تاريخه : دعبل .

قال الكسائي : فطافوا بأجمعهم على قبائل ثمود وأَعْلَموهم بما أجمعوا عليه مِن عَقْرِ الناقة ، فَرَضِيَ بذلك كبيرهم وصغيرهم .

فالكل أصرّوا على أن يعقروا الناقة ، والله ﷻ لا يعاقب أمة بذنبِ واحدٍ .

قال الكسائي : واجتمع هؤلاء التسعة بسيوفهم وقِسِيِّهم ، وذلك في يوم الأربعاء ، وقعدوا ينتظرون الناقة ، فأقبلتْ حتى قَرُبَتْ من البئر ، فنادتْ عُنَيْزَةُ : يا قُدار ، اليوم يومك ، فأنت السيد في قومك .

قال الله تعالى : ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ [القمر : ٢٩] .

قال الكسائي : فَشَدَّ قُدار قوسه ورماها بسهم فأصاب لَبَّتها ، وهو أول مَن رماها ثم مِصْدَع ، وأقبلوا عليها بالسيوف فقطّعوها ، وهرب فصيلها إلى رأس جبل ودعا باللّعنة على ثمود ، فَأَتْبَعَه القوم وعقروه ، وتقاسموا لحمه .

ثم صاح قُدار بأصحابه : هَلُمّوا ، فقَدِموا ، فأمرهم أن يقطعوا لحم الناقة ، فقطّعوا وطبخوا وقعدوا للأكل والشراب .

وصالحٌ لا يعلم بذلك ، فنادتْه الوحوش : يا صالح ، هَتَكَتْ ثمودُ حُرْمة ربها وتعدّوا أَمْرَه . فأقبل بالمؤمنين مِن قومه ، فلما رآها بكى وقال : إلهي ، أسألك أن تُنْزِلَ على ثمود عذاباً من عندك ، فأوحى الله إليه : أنْ أَنْذِرْ قومك بالعذاب . فَبَشَّرَهم بعذاب الله فقالوا له : افعل ما بدا لك فقد عقرناها ، وقد أَنْذَرْتَ بالعذاب منذ بعيد وما نرى له أثراً . فقال لهم : ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥] .

وحكى الثعلبي في كتابه (ياقوت البيان في قصص القرآن) أنَّ الفصيل لَمّا عُقِرَتِ الناقة أتى جبلاً مَنيعاً يقال له : صور ، وقيل : اسمه فارِه .

وأنَّ صالحاً لَمّا بلغه عَقْر الناقة أقبل إلى قومه ، فخرجوا يَتَلَقَّوْنه ويعتذرون إليه ويقولون : إنما عقرها فلان وفلان ولا ذنب لنا ، فقال لهم صالح : انظروا هل تُدْرِكون فصيلها ؟ فعسى أنْ تُدْرِكوه فَيُرْفَع عنكم العذاب .

فخرجوا يطلبونه ، فلما رأَوْه على الجبل ذهبوا ليأخذوه ، فأوحى الله تعالى إلى الجبل أن يتطاول ، فتطاول في السماء حتى ما يناله الطير ، وجاء صالح ، فلما رآه الفصيل بكى

حتى سالت دموعه ، ثم دعا ثلاثاً فانفرجت الصخرة حتى دخلها ، فقال صالح : بِكُلِّ دعوة أَجَلُ يومٍ ، ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥] .

قال الكسائي : وبات القوم ليلتهم ، فلما أصبحوا تَفَجَّرَتْ آثار وَطْء الناقة بعيون الدم ، وظهرت الصفرة في ألوانهم ، فقالوا : يا صالح ، ما هذا التَّغَيُّر في ألواننا وبلادنا ؟ قال : غَضِبَ رَبُّكم عليكم ، فأجمعوا على قتله وقالوا : إذا قتلناه امتنع عنا سِحْره ، ولا تُمْكِنه الإساءة إلينا .

فتقدّم التسعة لقتله عندما أقبل الليل ، فوقف لهم جبريل ورمى كُلَّ واحد منهم بحجر فقتله .

فلما كان من الغد ، نظرتْ ثمود إليهم وقد قُتِلوا ، فقالوا : هذا مِن فِعْلِ صالح ، فعزموا على الهجوم عليه وقَتْله ، فأمره الله تعالى بالخروج من المسجد ، فجاءوا ليقتلوه فما رَأَوْه .

وأصبحوا في اليوم الثاني وقد احمرّتْ وجوههم ، وفي اليوم الثالث اسودّتْ ، فأيقنوا بعذاب الله ، وحفروا لأنفسهم حفائر ولأهليهم وأولادهم ، ولبسوا الأنطاع ، وجلسوا في الحفائر ينتظرون العذاب ، وصالح يُخَوِّفُهم ويُنْذِرُهم عذاب الله وهم لا يبالون به .

فلما كان في اليوم الرابع وهو صبيحة الأحد ، أرسل الله تعالى جبريل فنشر جناح غضبه ، وأتاهم بشرارة من نار لَظى ، وجعل يرميهم منها بحمر مُتَوَهِّج كأمثال الجبال ، وثمودُ باركة في حفائرها . وأخذ جبريل بتخوم الأرض فَزُلْزِلَتْ بيوتهم وقصورهم ، ثم نشر جناح غضبه على ديار ثمود ، وصاح صيحة فكانوا كما قال الله تعالى : ﴿ فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴾ [القمر: ٣١] ، ثم أقبلت سحابة سوداء على ديارهم ، فَرَمَتْهُم بوهج الحريق سبعة أيام حتى صاروا رماداً .

فلما كان في اليوم الثامن انْجَلَتِ السحابة وطلعت الشمس ، وجاء صالح بِمَنْ معه مِن المؤمنين فطاف بديارهم ، واحتملوا ما قدروا عليه من أموالهم ، وارتحل بقومه إلى أرض الشام .

ملاحظة :

وهذه رواية أخرى في قصة عَقْر الناقة رأيتُها في بعض الكتب :

يروى أن رئيساً من رؤساء قوم صالح خطب على ابنه بنتَ آخر مِثْله في الرياسة

فَزَوَّجَهُ ، فوُلِدَ بينهما عاقر الناقة وهو قُدار بن سالف ، فلم تَتَمَكَّن القبائل مِن قَتْله لشرف أبويه وجَدَّيْهِ فيهم . فنشأ نشأة سريعة ، فكان يشب في الجمعة كما يشب غيره في شهر ، حتى كان مِن أمره أنْ خرج مطاعاً فيهم ، رئيساً بينهم .

فسوّلت له نفسه عَقْر الناقة ، واتّبعه على ذلك ثلاثمائة من أشرافهم ، وفيهم التسعة اللذين أرادوا قَتْل صالح .

فلمّا وقع مِن أَمْرِهم ما وقع من عقر الناقة ، وبلغ ذلك صالحاً عليه السلام ، جاءهم باكياً عليها ، فَتَلَقَّوْه يعتذرون إليه ويقولون : إنَّ هذا لم يقع عن ملأ منا ، وإنما فعل هذا هؤلاء الأحداث فينا .

فقال راوي هذه القصة : فيقال إنه أَمَرَهم باستدراك ولد الناقة ؛ حتى يُحْسِنوا إليه عِوَضاً عنها . فذهبوا وراءه ، فصعد جبلاً . فلما تصاعدوا فيه وراءه ، تعالى الجبل حتى ارتفع فلا يناله الطير ، وبكى الفصيل حتى سالت دموعه ، ثم استقبل صالحاً عليه السلام ودعا ثلاثاً . فعندها قال صالح : ﴿ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ [هود: ٦٥] ، وأخبرهم أنهم يصبحون مِن غَدِهم صُفْراً ، ثم تَحْمَرّ وجوههم في الثاني ، وفي الثالث تَسْوَدّ .

فلما كان في اليوم الرابع أَتَتْهم صيحة فيها صوت كل صاعقة ، فأخذتهم ﴿ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ [هود: ٦٧] .

وقد أتيتُ بهذه القصة التي قِيلَتْ في هذا الموضوع ، وذكرها علماء التفسير على ما فيها من نظر ومخالفة لبعض ظواهر ما يُفهم من كتاب الله في شأنهم وقصتهم ، والله تبارك وتعالى هو وحده العالم بالصواب .

وهكذا نهاية مَن عصى الله عز وجل وكفر ، وهكذا نهاية الظالمين الذين يتجاوزون الحد ، ماتوا وكانوا عِبْرة للمُعْتَبِرين .

ومَن يمرّ في يومنا هذا بديارهم يرى بيوتاً عظيمة وآثاراً كثيرة ، وكُلُّ ذلك إنما يدل على سوء نهاية الكافرين والظالمين ، فاعْتَبِروا يا أُولي الألباب ، فاعْتَبِروا يا أُولي الأبصار .

۞ وفاة صالح عليه السلام :

قال الكسائي : بعد هلاك قوم ثمود ، ارتحل صالح عليه السلام بقومه إلى أرض الشام كما قدّمنا ، فنزل بأرض فلسطين يعبد الله ﷻ حتى مات عليه الصلاة والسلام .

وهناك بفلسطين يوم معروف في كل سنة يُسَمّى بعيد صالح ، يجتمع فيه الناس من القرى والضياع ، ويجلسون عند قبر النبي صالح عليه السلام .

۞ رسول الله ﷺ ينهى عن دخول أماكن العذاب :

روى الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « لَمّا نزل رسول الله ﷺ بالناس عام تبوك ، نزل بهم الحِجْر عند بيوت ثمود ، فاستسقى الناسُ من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود ، فعجنوا منها ونصبوا القدور باللحم ، فأمرهم رسول الله ﷺ فَأَهْراقوا القدور ، وعَلَفوا العجينَ الإبلَ ، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر الذي كانت تشرب منه الناقة ، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عُذِّبوا . قال : إني أخشى أن يصيبكم مِثْل ما أصابهم ، فلا تدخلوا عليهم » .

وفي رواية للبخاري والنسائي وكذا الإمام أحمد : « لا تدخلوا على هؤلاء القوم المُعَذَّبِين إلاّ أنْ تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أنْ يصيبكم مِثْل ما أصابهم »[1] .

وفي بعض الروايات أنه عليه الصلاة والسلام لَمّا مَرَّ بمنازلهم قَنَعَ رأسَه وأَسْرَعَ راحلتَه ، ونهى عن دخول منازلهم إلاّ أن يكونوا باكين[2] .

---

(١) : أصل هذا الحديث مُخَرَّجٌ في الصحيحين وغيرهما من غير وجه .

(٢) : رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « لَمّا مَرَّ النبي ﷺ بالحِجْر قال : لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلاّ أن تكونوا باكين ، ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي » .

ورواه مسلم وابن حبان في صحيحيهما بلفظ : « مررنا مع رسول الله ﷺ على الحِجْر ، فقال لنا رسول الله ﷺ : لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلاّ أن تكونوا باكين ؛ حَذَراً أن يصيبكم مِثْل ما أصابهم . ثم زجر فأسرع حتى خلفها » .

=

وفي رواية عن أبي كبشة عامر بن سعد ﷺ قال : « لَمّا كان في غزوة تبوك ، تسارع الناسُ إلى أهل الحِجْر يدخلون عليهم ، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فنادى في الناس : الصلاة جامعة . قال : فأتيتُ رسول الله ﷺ وهو مُمْسِكٌ بعيره وهو يقول : ما تَدْخُلون على قوم غضب الله عليهم ؟ فناداه رجل منهم : نعجب منهم يا رسول الله ، قال : أفلا أُنْذِرُكم بأعجب من ذلك ؟ رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم ، وما هو كائن بعدكم ، فاستقيموا وسَدِّدوا ، فإن الله ﷻ لا يَعْبَأ بعذابكم شيئاً ، وسيأتي قوم لا يدفعون عن أنفسهم بشيء »[1] .

❁ تنبيه :

قال الله تبارك وتعالى : ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [غافر : ٢١] .

فمدائن صالح أو ما يُعرف بالحِجْر هي من أهم وأروع الأماكن الأثرية الباقية ، والتي يمكن أن يُطْلَقَ عليها المتحف المفتوح . فهي تقع على بعد ٢٢ كم شمال شرق مدينة العُلا في المنطقة الشمالية الغربية السعودية ، وكانت تسمى قديماً بوادي القرى .

وهي تضم آثاراً قائمة فريدة من نوعها ، وأخرى تَنْتَظِرُ الكشفَ عنها ، تَتَمَثَّل في كهوف منحوتة في الصخر ، ومقابر ، وأماكن العبادة . والتي تَتَمَيَّز بالواجهات المعمارية ذات الأنماط والنقوش الصخرية المُمَيَّزة بأشكالها الهندسية الجميلة ، والتي تُسَمّى محلياً بالقصور .

ولقد أُقيمت حفريات أثرية في تلك المنطقة أَسْفَرَتْ عن اكتشافات هامة لمستوطنة قديمة ، تحتوي على مساكن عُثِرَ بداخلها على أَوانٍ حجرية وفخارية وزجاجية متعددة :

ورواه النسائي في سننه الكبرى والبخاري أيضاً بلفظ : « أن النبي ﷺ لَمّا مَرَّ بالحِجْر قال : لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلاّ أن تكونوا باكين أنْ يصيبكم مِثْل ما أصابهم ، وتَقَنَّعَ بردائه وهو على الرَّحْل » .

(١) : رواه الإمام أحمد وإسناده حسن ، ولم يُخَرِّجْهُ أحد من أصحاب السنن . ورواه كذلك الطبراني وابن أبي شيبة في مصنفه .

كالكؤوس ، والقدور ، والجرار ، والقوارير . وعلى معثورات نحاسية من مسامير ، وفواصل أبواب ، ومقابض ، والعديد من العملات .

وإنَّ ما ذكرتُه إنما هو جزء بسيط مِمّا هو على أرض الواقع .

وهذه بعض الصور التي تُوَضِّحُ بعضَ المعالم الحضارية الموجودة في مدائن صالح .



صورة من بعيد لموقع مدائن صالح



قصر الفريد ، وهو الاسم المحلي عند أهل المنطقة . وسُمِّيَ بهذا الاسم لانفراده بكتلة صخرية ضخمة مستقلة ، وكذلك انفراده بواجهة كبيرة ومميزة

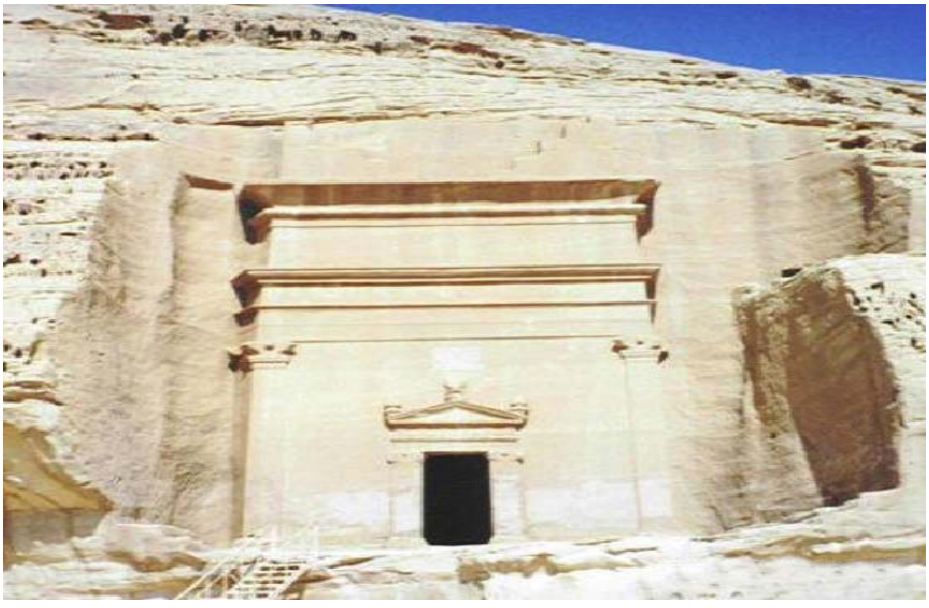

قصر البنت ، وهو الاسم المحلي عند أهل المنطقة

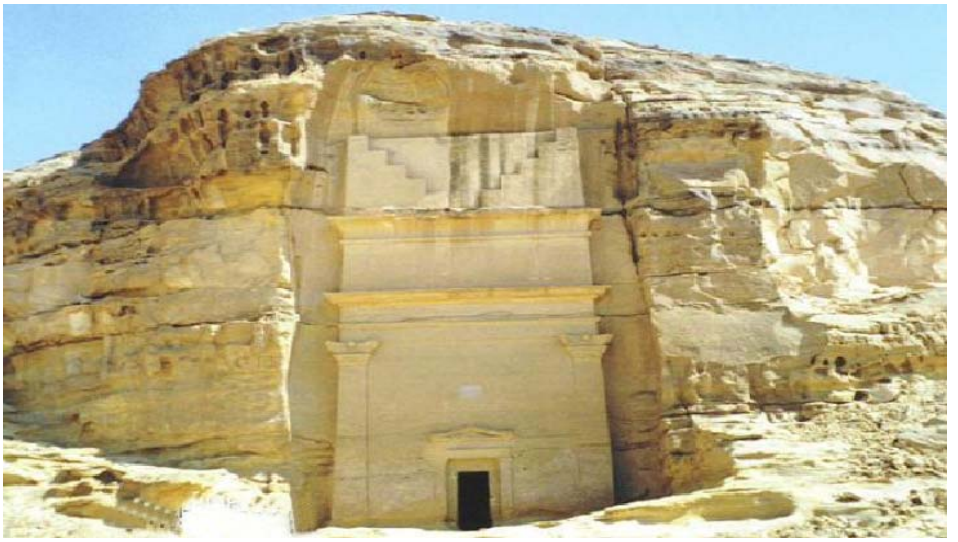

قصر الصانع

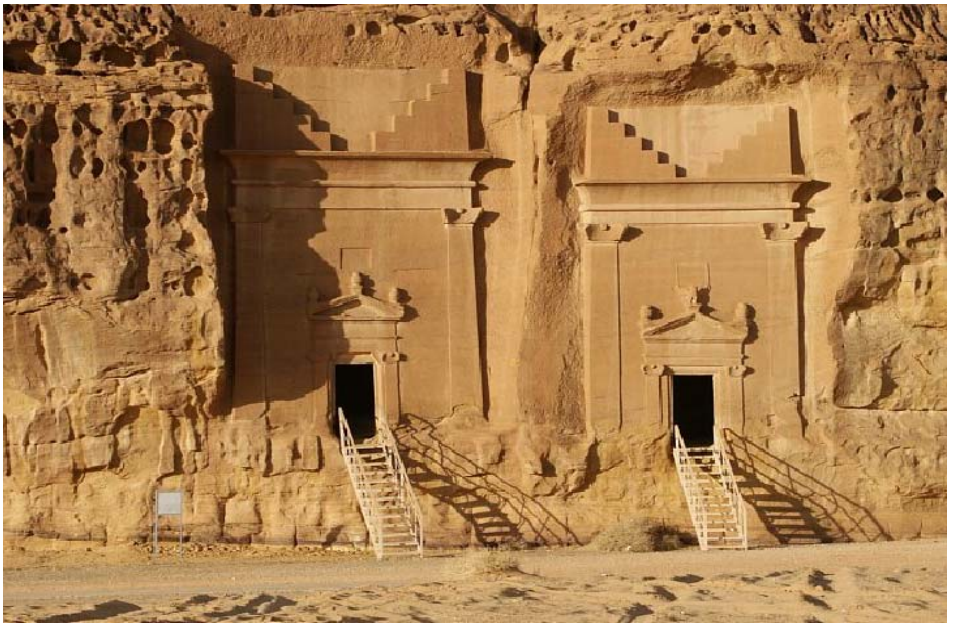

واجهة لمقبرتين متجاورتين



قصر العجوز ، وهو الاسم المعروف به عند أهل المنطقة ، ويحتل كتلة صخرية مستقلة وسط الرمال ، ذو واجهة شمالية



محلب الناقة ، وهو حوض حجري كبير يبلغ قطره أربعة أمتار ويزيد عمقه عن المترين

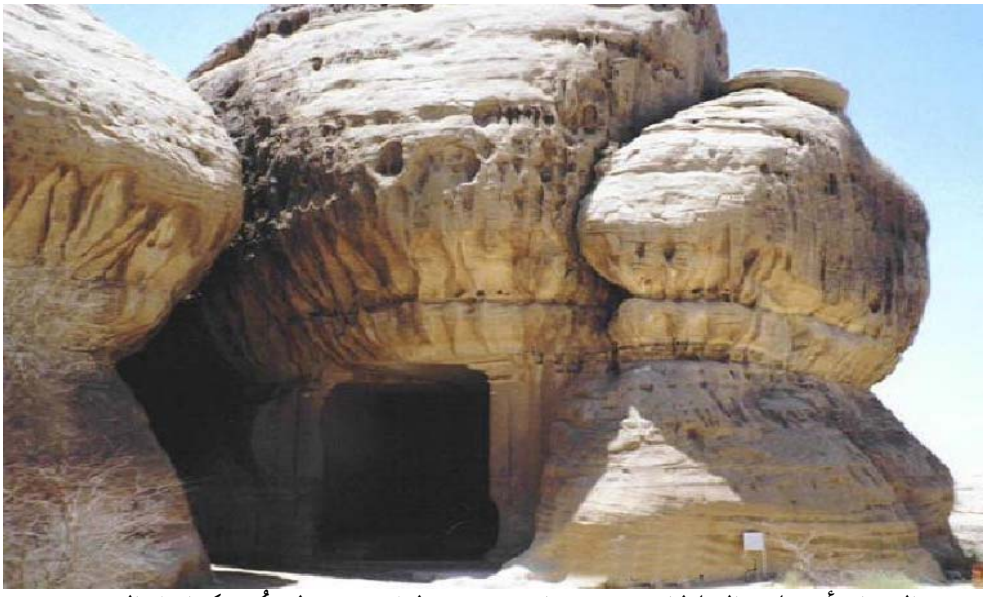

الديوان أو مجلس السلطان ، وهو عبارة عن مستطيل غير منظم نُحِتَ داخل الصخر

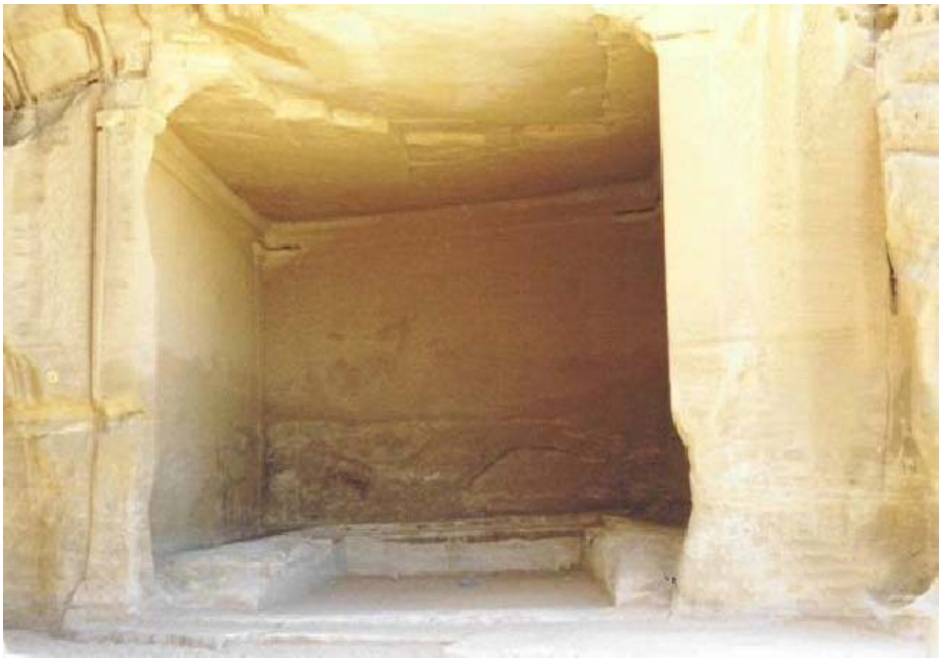

غرفة الديوان كما تبدو من الداخل،
ويبغ طولها ١٢,٨ م، وعرضها ٩,٨م ، وارتفاعها ٨م





واجهة لمجموعة مدافن متجاورة

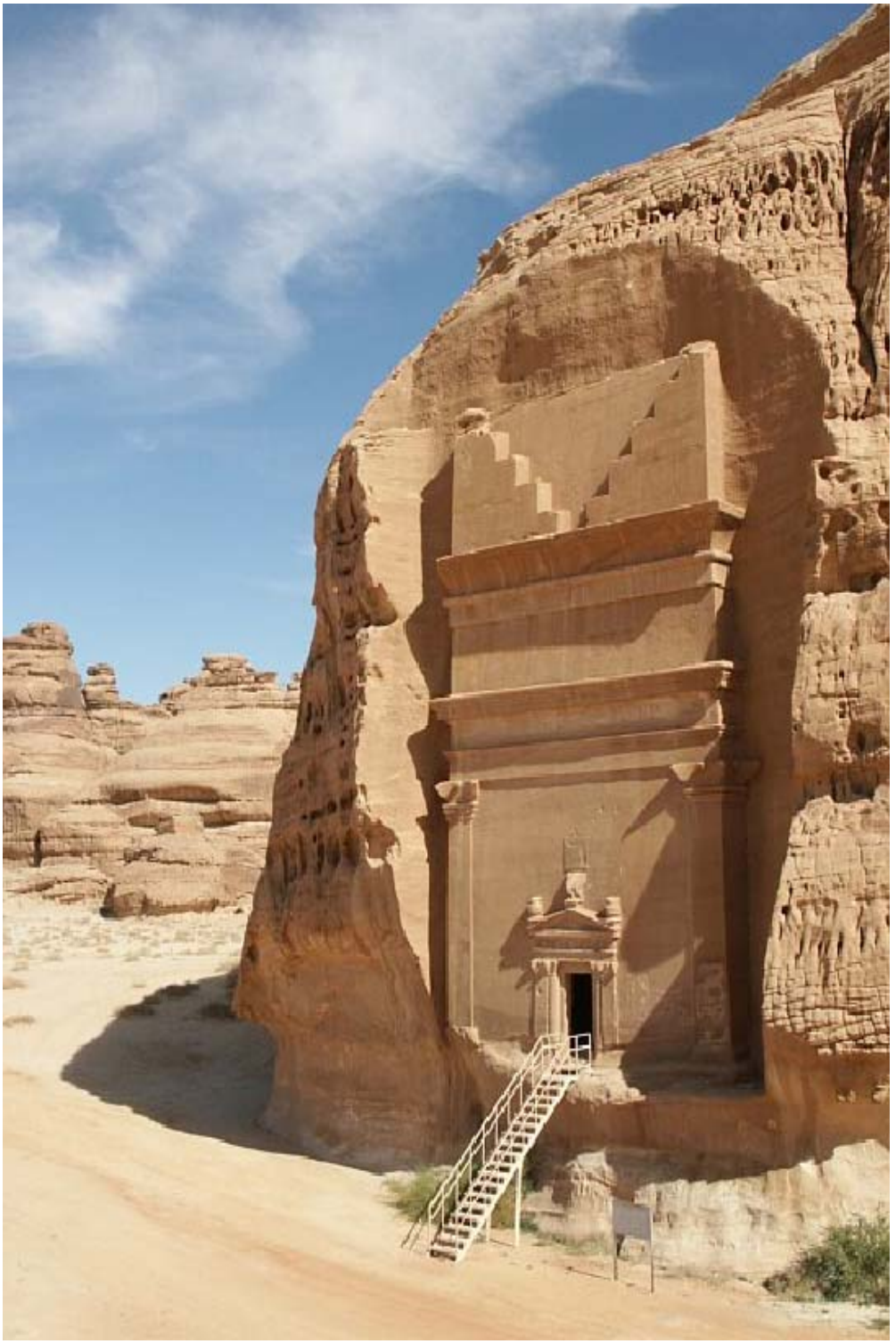

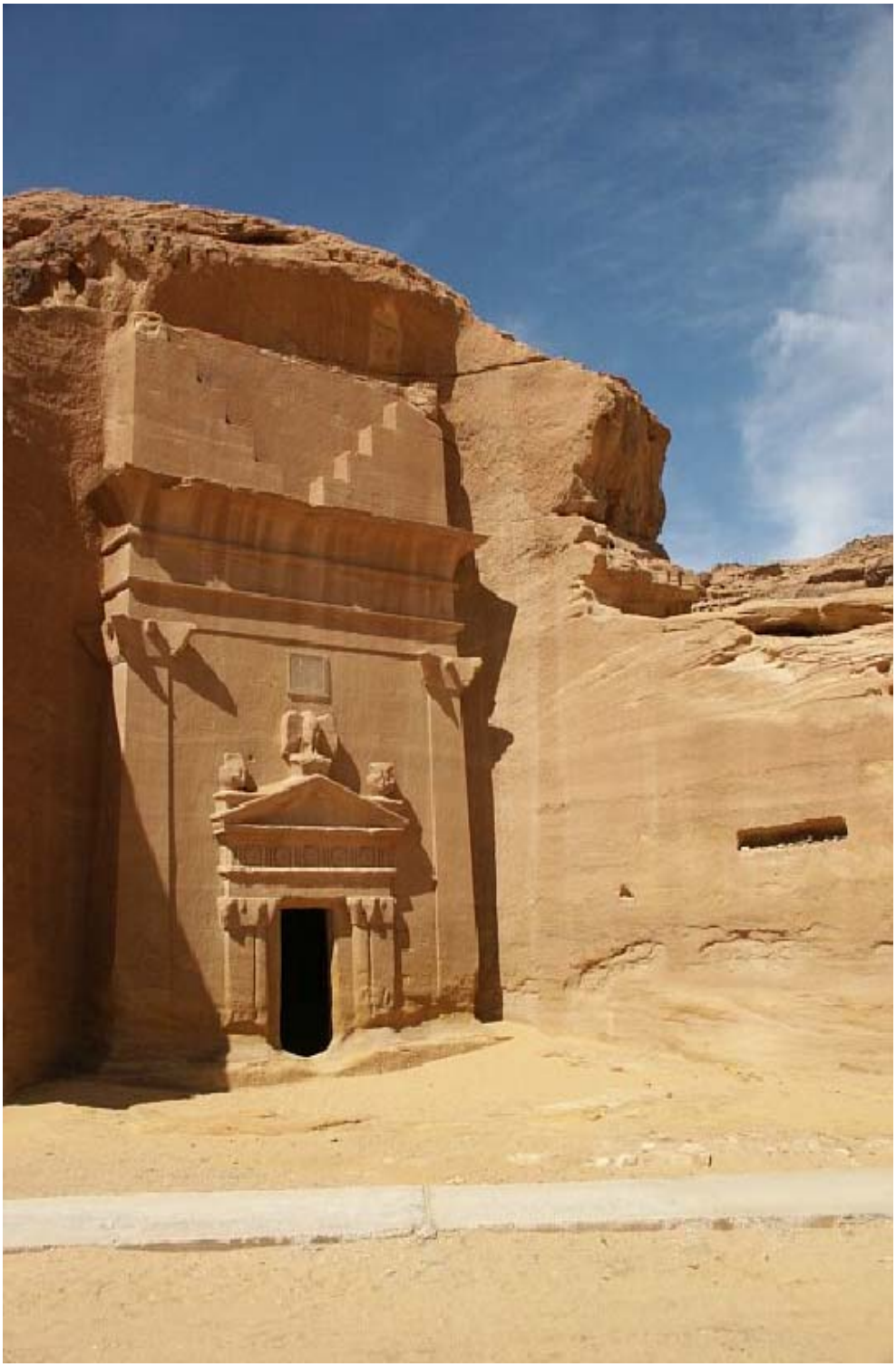





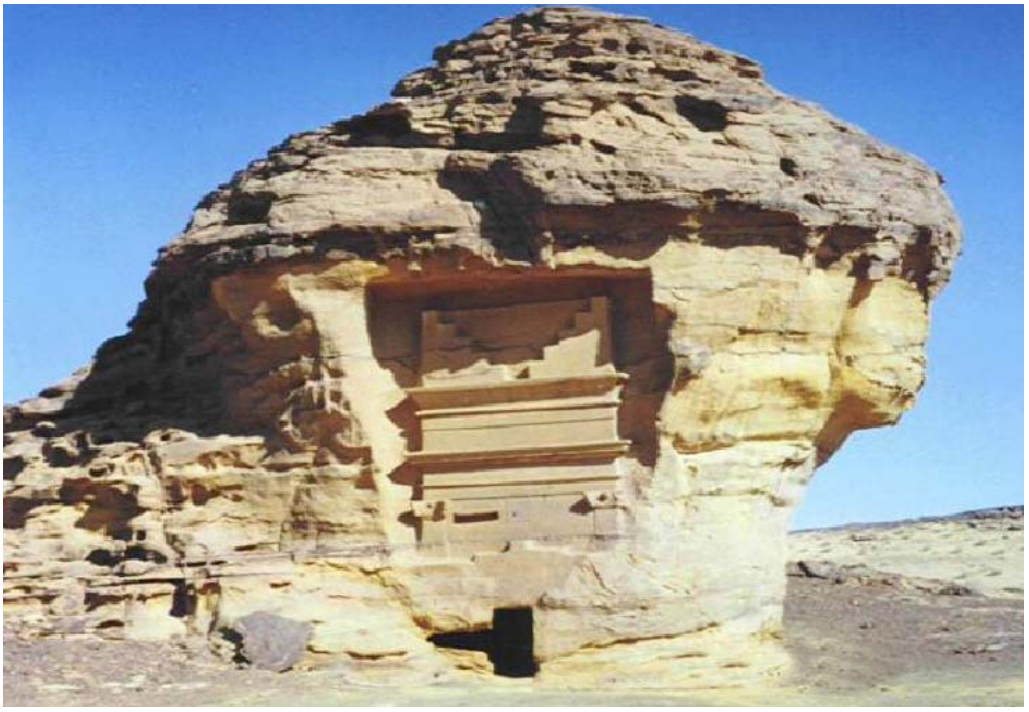









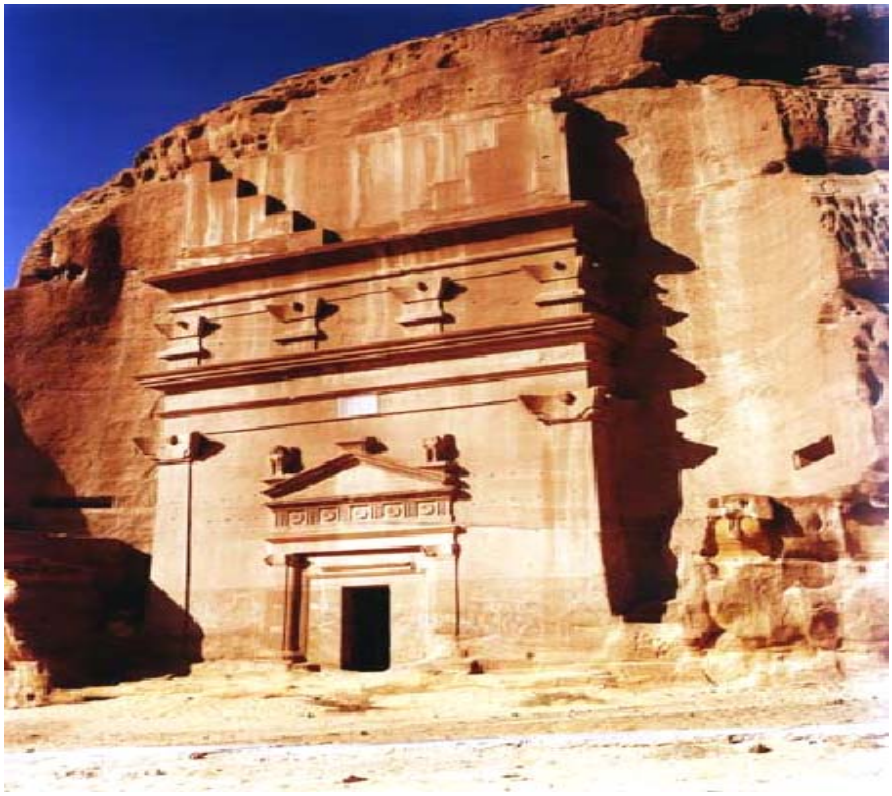

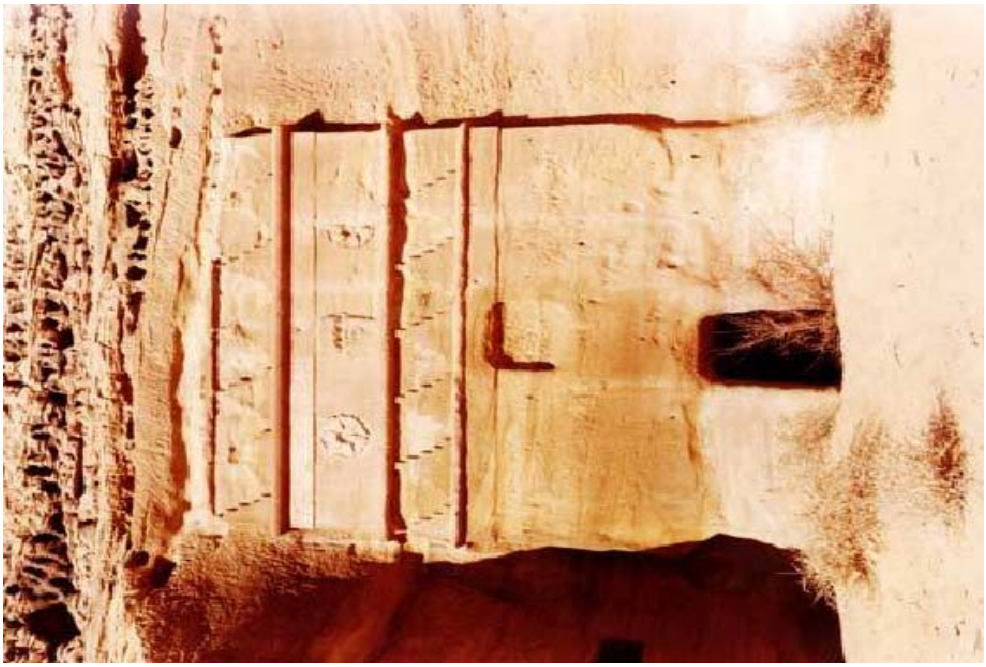

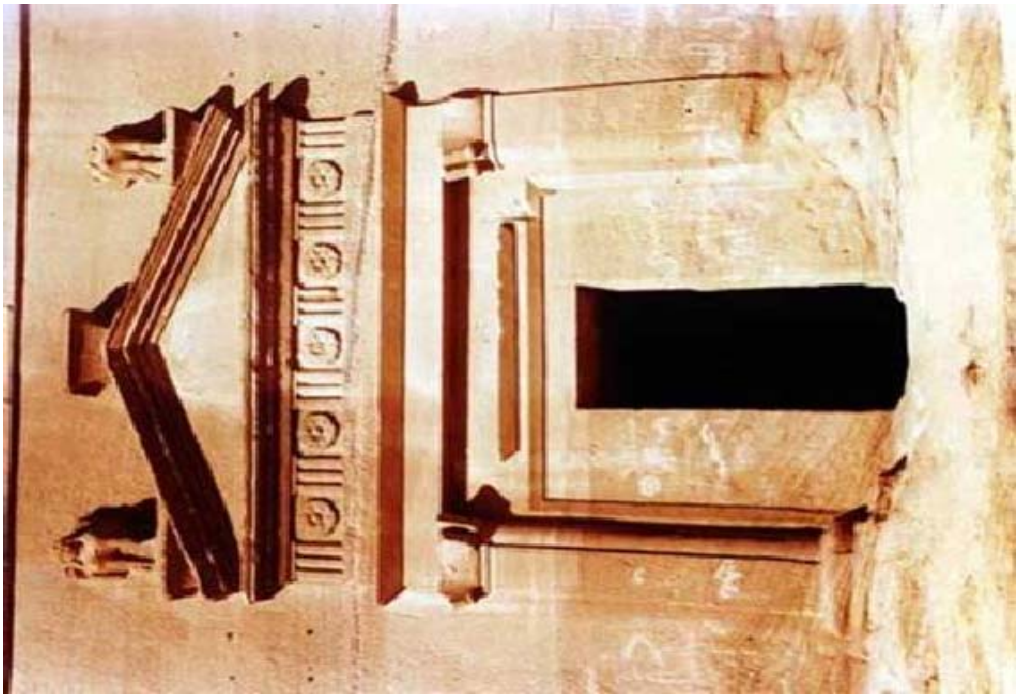





المكان الذي يقال إن الناقة قد عُقِرَتْ عليه ، وقد عَلَّمَتْ على الحجر آثار وطأة أقدامها ، وهي في مكان يسمى الدحقة نسبةً لدحقة ناقة نبي الله صالح.

فهذه الصور تدل على حضارة كانت قائمة آنذاك ، حيث العِلْم المعماري اليوم لا يستطيع أن يفعل أكثر مِمّا فعل قوم صالح في مجال الحضارة العمرانية ، والنقوش التي تشاهد في هذه الصور .

ومع هذا كله فإن حضارتهم هذه كانت فارغة من المضمون الروحي الصحيح ، حيث عبدوا الأصنام من دون الله ، واشتغلوا بزخارف الدنيا عن الحقيقة التي وُجِدوا من أجلها على ظهر هذه اليابسة ، ألا وهي عبادة الله وحده . واستطاع الشيطان أن يملأ قلوبهم بالأوهام ، وأن يُشْغِلَهم بعقائد فاسدة حتى تعمّقوا بانحرافهم الديني ، وأصرّوا بجهلهم وطغيانهم على ما هم عليه من الباطل ، وبعد ما رأوا من الآيات الواضحة التي دَلَّتْ على صِدْق نبيهم صالح عليه السلام ، حيث دعاهم كغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لتوحيد الله ونَبْذ ما سواه ، وأتاهم بالدلائل الواضحة والبراهين القاطعة التي تُثبت صِدْقَه ودَعْوَته .

طلبوا منه تعجيزاً له ناقة بصفات مستحيلة أن تكون عليها إبل زمانهم ، ومع هذا دعا رَبَّه وخرجت الناقة أمامهم من الجبل ، وهم ينظرون هذا الحدث الجلل الذي تقشعر له الأبدان ، وتتصدّع عند رؤياه القلوب ، أنْ تخرج ناقة بصفات ما عُهِدَ مِثْلها في التاريخ كله ، ثم أن تَلِدَ أمامهم ، وأن تخاطبهم بلغتهم ، وتعطيهم اللبن اللازم لهم في كل يوم وهي تمر على بيوتاتهم !

نعم ، إنها حُجّة دامغة ، كان من الواجب عليهم أن يتركوا ما هم عليه ، وأن يتبعوا نبيهم صالحاً الذي نصحهم بكل وسعه ، ولكنهم اغترّوا بحضاراتهم وقوتهم وأموالهم ، حتى نزل بهم هذا العذاب الذي قرأتَه أيها القارئ الكريم .

فأقول في النهاية كما قال تعالى في كتابه العزيز : ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [الحشر: ٢] .



سيدنا إبراهيم
عليه الصلاة والسلام
مولده ونشأته ومبعثه إلى نمروذ وقومه

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ
قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾
قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾
قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ
لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ
يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ
يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ
هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟
يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ
رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾
قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ
إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنبياء] .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ
ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾

قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [العنكبوت] .

وقال تعالى : ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الصافات][1] .

۞ لمحة تاريخية عن النمروذ :

هو النمروذ بن كنعان بن كوش .

يقول عامة أهل الأخبار : إن نمروذ كان عاملاً للأزدهاق ، الذي زعم بعضُ مَن زعم أن نوحاً أُرسل إليه .

وأما جماعةٌ مِنْ سلفٍ مِنَ العلماء فإنهم يقولون : كان مَلِكاً برأسه .

وقال ابن إسحاق : وكان مُلْكه قد أحاط بمشارق الأرض ومغاربها ، وكان ببابل .

وقال ابن الأثير : ويقال : لم يجتمع مُلْك الأرض إلاّ لثلاثة ملوك : نمروذ ،

---

(١) : ارجع كذلك إن شئتَ إلى المواضع التالية من القرآن الكريم : البقرة ٢٥٨ و٢٦٠ ، آل عمران ٣٣-٣٤ ، النساء ١٦٣ ، الأنعام ٧٤-٨٣ ، التوبة ٧٠ و١١٤ ، مريم ٤١-٤٨ ، الشعراء ٦٩-١٠٤ ، الأحزاب ٧-٨ ، الشورى ١٣ ، الزخرف ٢٦-٢٨ ، الحديد ٢٦ ، الممتحنة ٤-٦ .

وذي القرنين ، وسليمان بن داود[١] .

قال الكسائي : قال وهب بن منبه : لَمّا أهلك الله تعالىٰ أهل الرَّسِّ بالمسخ ومَن تقدّمهم كذلك ، أنشأ قروناً آخرين ، فكان مِمّنْ أنشأ مِنْ وَلَدِ حامِ بن نوح كوشَ بن قرظ بن حام ، وكان جبّاراً شديد القوة ، عظيم الخَلْق ، له مخالب كالسباع ، وهو الذي أنشأ كوثَرَبّا من أرض العراق ، ووُلِدَ له بها ولد سمّاه كنعان ، وكان له ولد آخر يقال له : الهاص .

فلما مات كوش ، استقلّ الهاص بالمُلْك دون كنعان ، واستقلّ كنعان بالصيد وولع به حتىٰ ألهاه عن طلب المُلْك ، وكان مع ذلك شديد البطش والقوة.

فبينما هو يتصيّد إذ رأىٰ امرأة ترعىٰ بقرات فَأَعْجَبَتْه ، فراودها عن نفسها فامتنعتْ واعتذرتْ بزوجها ، فقال : ويلك ، وهل علىٰ وجه الأرض مَن يُطاولني وأنا ولد كوش ، ونحن ملوك الأرض ؟ فضحكت المرأة كالمستهزئة وقالت : لا تذكر الملوك وأنت رجل صيّاد . ثم أقبل زوجها فقتله كنعان ، وأخذ المرأة ووَطِئَها ، فحملتْ بنمروذ ، ونقلها كنعان إلىٰ قصره فكانت مِن أحظىٰ نسائه .

ثم قتل أخاه بعد ذلك واستقلّ بالمُلك .

ثم رأىٰ في منامه كأنه صارع إنساناً فصرعه وقال : أنا مشؤومُ أهل الأرض ومنزلي الظلمة ، وقد أجّلتُك حتىٰ أَخرج مِن ظلمتي هذه إلىٰ ضوء الدنيا . فانتبه مُرْتاعاً وأحضر أصحاب النجوم ، وقصّ رؤياه عليهم فقالوا : سَيُولَدُ مولود هو الآن في بطن أمه ، يكون هلاكُك علىٰ يديه .

وتَبَيَّنَ حَمْل الراعية وكان اسمها شلخاء ، وكانت تَسمع مِن بطنها صوتاً عجيباً . فسمعه كنعان فقال : ويحكِ هذا ليس بآدمي ، وإنما هو شيطان . وهَمَّ كنعان أن يدوس بطنها ليقتل مَن فيه ، فهتف به هاتف : مَهْ يا كنعان ، ليس إلىٰ قَتْلِه سبيل .

فلما كَمُلَتْ مدة الحمل وَضَعَتْه أسود ، أَحْوَل ، أَفْطَس ، أزرق العين ، وخرجت حيّةٌ من جُحْر فدخلت في أنفه .

---

(١) : وأضاف غيره إليهم بختنصّر ، وبعضهم أضاف : شدّاد بن عاد .

ففزعتْ شلخاء وأخبرتْ كنعان بخبره ، فقال : اقتليه فإنه مشؤوم ، فقالت : لا تطيب نفسي بقتله ، قال : فاحْتَمِليه واطرحيه في البَرِّية . فاحْتَمَلَتْهُ إلى البريّة ، فَمَرَّتْ براعي بقرات ، فَعَرَضَتْهُ عليه فأخذه ، وعادت إلى منزلها .

فلما وضعه الراعي بين البقرات نَفَرَتْ وعَسُرَ عليه جَمْعها ، وأقبلت امرأته فأخبرها بخبر الغلام ، فقالت : اقْتُلْه إنه شؤم ، فأبى وقال : اطرحيه في النهر ، فطرحته في نهر عظيم .

فألقاه الماء إلى البَرِّ ، فَقَيَّضَ الله له نَمِرة فأرضعته وانصرفت ، فَرَأَتْهُ امرأةٌ من قرية هناك ، فعجبت وأخبرت أهل القرية ، فخرجوا إليه واحتملوه ، ورَبَّوْه وسَمَّوْه نمروذ .

فلمّا بَلَغَ جعل يقطع الطريق ، ويُغِير على النواحي ، واجتمع له جَمْع كثير .

فبلغ خبرُه كنعانَ ، فجعل يبعث إليه بقائد بعد قائد وهو يهزمهم ، وعَظُمَ أمره حتى صار في جيش عظيم ، فسار إلى كوثَرَبّا وقاتل كنعان ، فهزم جيوشه وظفر به ، وقتله وهو لا يعلم أنه أبوه ، واحْتَوَى على مُلْكه .

ثم أخذ في غزو الملوك حتى ملك الشرق وسائر ممالك الدنيا .

ثم رجع إلى كوثَرَبّا ، فاستدعى وزراءه وقال : أريد أن أبني بنياناً عظيماً لم أُسْبَق إلى مِثْله ، فَدَلُّوه على تارَح[1] ، وذكروا أنه عارفٌ بأمر النجارة والبناء . فأحضره ومكّنه من خزائنه ، وأمره بإنشاء قصر عظيم .

فخرج تارَح وشرع في بنائه ، وتأنّق فيه وأجرى فيه الأنهار . فلما كَمُلَ ورآه نمروذ ، خلع على تارَح وجعله وزيراً .

وأخذ نمروذ في التَّكَبُّر بعد ذلك حتى ادّعى الألوهية ، فكان يدعو الناس لعبادته من دون الله . وكان الناس يأتونه ليأخذوا الميرة حيث كانوا يعيشون في قحط ، فيسألهم نمروذ : مَن ربكم ؟ فإذا أقرّوا له بالربوبية وسجدوا له أعطاهم .

وكان نمروذ مُولَعاً بعِلْم النجوم فأتقنه ، فجاءه إبليس في صورة شيخ وسجد له

---

(١) : وقيل بالخاء : تارخ . وهو آزر والد إبراهيم عليه السلام ، إنما البعض يقول : إنه عمه .
قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٧٤] .

وقال : إنك قد أتْقَنْتَ عِلْمَ النجوم ، وعندي عِلْمُ ما هو أحسن منه ، وهو السحر والكهانة . فعلّمه ذلك ، ثم حسّن له عبادة الأصنام ، فدعا بتارَح وأمره أن يتّخذ له صنماً على صورته ، ويتّخذ لقومه أصناماً أخرى .

فاتّخذ تارَح من الجوهر والذهب والفضة والقوارير والخشب على أقدار الناس ، وكلها على صورة نمروذ ، حتى اتّخذ سبعين صنماً .

وأمر نمروذ قومه أن يتّخذوها ، ففعلوا ذلك وانهمكوا في عبادتها ، وكلّمهم الشياطين من أجوافها ، فعبدوها حتى لم يعرفوا سواها ، وطغوا وبغوا وأكثروا الفساد في الأرض ، حتى ضجّت الأرض والسماء والوحش والطير إلى ربها منهم .

۞ الآيات والمنامات التي رآها نمروذ قبل مولد إبراهيم عليه السلام :

قال الكسائي نقلاً عن وهب بن منبه : كان أول ذلك أنه صعد في بعض الأيام إلى سريره ، فانتفض مِن تحته انتفاضاً شديداً ، وسَمِعَ هاتفاً يقول : تَعِسَ مَن كفر بإله إبراهيم . فقال نمروذ لتارَح وهو واقف عنده : أسمعتَ ما سمعتُ ؟ قال : نعم ، قال : مَن هو إبراهيم ؟ قال : لا أعرفه . فأرسل إلى السحرة فسألهم عن إبراهيم ، وأخبرهم بما سمع ، فقالوا : لا نعرف إبراهيم ولا إلهه .

ثم توالت عليه الهواتف ، ونطقت الوحش والطير والسباع بِمِثْلِ ذلك .

ثم رأى ذو الضلال والفساد الرُّؤَى المزعجة في منامه ، وكان منها أنه رأى كأنّ القمر قد طلع مِن ظَهْر تارَح ، وأُلْقِيَ نوره كالعمود الممدود بين السماء والأرض ، وسمع قائلاً يقول : جاء الحق ، ونظر إلى الأصنام وهي ترتعد خوفاً من هذا النور .

فاستيقظ وهو خائف من هذه الرؤيا ، وقصّها على وزيره تارَح فقال : أيّها الملك ، إني في الأرض كالقمر لكثرة عبادتي لهذه الأصنام .

ثم انصرف تارَح ودخل بيت الأصنام ، فإذا هي قد سقطتْ عن كراسِيِّها مُنْكَبّة على وجوهها ، فأمر خَدَمها بإعادتها ، وعجب من ذلك .

ثم رأى نمروذ في منامه كأنّ نوراً ساطعاً بين السماء والأرض وقوماً يسلكون فيه ، ينزلون إلى الأرض ويصعدون إلى السماء ، وإذا برجل هو مِنْ أحسن الناس وجهاً وهو

في داخل هذا النور ، ورأى هؤلاء القومَ الذين حوله يقولون لهذا الوجه الجميل : نَصَرَكَ إله السماء ، فَبِكَ تحيى الأرض بعد موتها .

فانتبه نمروذ ودعا بالسحرة والكهنة والمُنَجِّمين ، وذكر لهم رؤياه ، وأقسم لئن كتموه تأويلها لَيُعَذِّبَنَّهم ، ولَيَجْعَلَنَّهم طعاماً للسباع الجائعة . فطلبوا أمانة فأَمَّنهم ، فقالوا : رؤياك تدل على مولود مِن أقرب الناس إليك يَرِثُ مُلْكَك ، ويرتفع ذِكْرُه إلى السماء ، والشرق والغرب ، ويُهْلِكُكَ . وإنَّ هذا الإنسان لا يأتيك ومعه سلاح ، إنما يحاربك بدون سلاح وبدون جند . فتبسّم نمروذ وقال : إنْ كان كذلك بدون سلاح فَأَمْره هَيِّن ، وكان يجهل حقيقة السماء . ثم قال لهم : فَمَنْ يكون ؟ قالوا : مِنْ ظهر أقرب الناس إليك ، ولا نعلم أكثر مِن هذا . قال : ليس أحدٌ أقرب إليّ من ابني كوش ووزيري تارَح .

ثم أمر بابنه كوش فضرب عنقه ، وأمر بِقَتْل الأطفال حتى قَتَل مائة ألف طفل ، ثم دعا بالمُنَجِّمين فقال : انظروا هل استرحتُ مِمّن كنتُ أخافه ؟ قالوا : ما حَمَلَتْ به أمه بَعْدُ . وأخذ في ذبح الأطفال حتى قتل ثلاثمائة ألف طفل وضجّت الخلائق إلى الله تعالى .

وأما الحقيقة فهي أعلى مِنْ أنْ تكون بين يدي نمروذ ، ولو ذبح كُلَّ مَن ذبح فستكون الحقيقة التي يريدها الله عزّ وجلّ ، والله إذا أراد أمراً هيَّأ أسبابه .

فعالَم الأرض لا يستطيعون القضاء على عالَم السماء ، وملوك الأرض لا يستطيعون أن يقطعوا رأس إنسان لم يَنْتَه عمره . فالنمروذ قتل ثلاثمائة ألف طفل وإبراهيم عليه السلام يظهر على الساحة ، وكما سنرى بأنه سيتحدّاه ويدخل قصره ، ولن يستطيع أن يقتله .

وهكذا لِيَعْلَم كل واحد من المسلمين أن الأرزاق والأعمار بيد ملك الملوك ، لا بيد أب ، ولا بيد حاكم . خَسِئَ الأب والحاكم أنْ يحيي ويميت ، وأن يرزق . الله هو المحيي ، وهو المميت ، وهو الرزّاق سبحانه .

لا يَقطعُ الرأسَ إلا مَن يُرَكِّبُه ولا يَرُدُّ المَنايا كثرة المالِ

وأقصد بذلك أن تثق بالخالق جيداً ، وبأنه لا يستطيع أحد أن يقطع رزقك أو يُجْرِيَهُ إلاّ بأمر منه جلّ جلاله .

۞ مولد إبراهيم عليه السلام ونشأته :

قال ابن الأثير في تاريخه الكامل : هو إبراهيم بن تارح بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليهما الصلاة والسلام .

وقال ابن عساكر في ترجمة إبراهيم الخليل عليه السلام من تاريخه عن إسحاق بن بشر الكاهلي صاحب كتاب (المبتدأ) : إن اسم أم إبراهيم أُمَيْلة .

وقال الكلبي : اسمها بُونا بنت كَرْبنا بن كوثى من بني أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام .

قال عامة أهل العلم : كان مولده في عهد نمروذ بن كوش .

وقال ابن الأثير : واخْتُلِفَ في الموضع الذي كان فيه ، والموضع الذي وُلِدَ فيه .

فقيل : وُلِدَ بالسوس من أرض الأهواز .

وقيل : ببابل .

وقيل : بكوثى .

وقيل : بحرّان ، ولكنَّ أباه نقله .

وذكر علماء التاريخ أنه لَمّا كان عمر تارَخ خمساً وسبعين سنة وُلِدَ له إبراهيم عليه السلام ، وناحور ، وهاران . ووُلِدَ لهاران لوط عليه السلام .

وذكر كذلك المؤرخون أن إبراهيم عليه السلام هو الأوسط ، وأن هاران مات في حياة أبيه في أرضه التي وُلِدَ فيها ، وهي أرض بابل .

وهذا هو المشهور الصحيح عند أهل السير والتواريخ والأخبار ، وصحّح ذلك الحافظ ابن عساكر .

وهناك رواية ثانية صحّحها كذلك ابن عساكر بعد ما روى من طريق هشام بن عمّار عن الوليد عن سعيد بن عبد العزيز عن مكحول عن ابن عباس قال : وُلِدَ إبراهيم بغوطة دمشق ، وفي قرية يقال لها : برزة ، في جبل يقال له : قاسيون . ثم قال : والصحيح أنه وُلِدَ ببابل ، وإنما نُسِبَ إليه هذا المقام لأنه صلّى فيه إذْ جاء مُعِيناً للوط عليهما السلام .

ونُعْطي أضواء قليلة حول مولده ، حيث قدرة الله أعظم من أي قدرة .

قال الكسائي نقلاً عن وهب بن منبه : وعَبَرَ تارَح يوماً إلى الأصنام فاضطربت

اضطراباً شديداً ، فسجد لها ، فأنطقها الله فقالت : يا تارَح ، جاء الحق وزهق الباطل ، ووافى نمروذَ ما كان يَحْذَرُه .

فخرج خائفاً وَجِلاً حتى دخل على امرأته وذكر لها ذلك ، فقالت : وأنا أُخبرك بِعَجَبٍ ، كنتُ قعدتُ عن الحيض منذ كذا وكذا ، وقد حِضْتُ في يومي هذا . فقال : اكتمي أمرك لِئَلاّ يَبْلُغَ المَلِك .

فلما طهرتْ هتف به هاتف : يا تارَح ، سِرْ إلى زوجتك ليخرج النور الذي على وجهك . فلما سمع ذلك مرّ هارباً على وجهه ، فإذا هو بمَلَك يقول : أين تريد ؟ ارجع فرُدَّ الأمانة التي في ظهرك .

فانصرف إلى منزله ، ولم يَجْسُر أن يَقْرَبَ امرأتَه ، فأصبح وإذا بنور ساطع على وجهه .

وكان هو الذي يُقَرِّب إلى الأصنام الطعام والشراب كل ليلة ، وينصرف إلى منزله فتأكله الشياطين . فقرّب الطعام إليها ، فأقبلت الشياطين لتأكله ، فَرَأَوا الملائكة هناك ، فوَلَّوْا هاربين ، وبقي الطعام على حاله .

فلما أصبح تارَح رآه على حاله ، فظنّ أن الأصنام ساخطة عليه ، فعكف عليها لترضى عنه ، فأبطأ عن منزله فَأَتَتْه امرأته ، فلمّا خَلَتْ به في بيت الأصنام تحرّكتْ شهوتُه وهَمَّ بمواقعتها ، فقالت : ألا تستحي ؟ أتفعل هذا بين يدي آلهتك ؟ فواقعها ، فحملتْ منه بإبراهيم عليه السلام .

فنُكِّسَت الأصنام ، وظهر نجم إبراهيم وله طرفان ، أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب . فعجب الناس منه ، ورآه نمروذ فتحيّر ، فلما أصبح سأل المنجمين عنه ، فقالوا : هذا نجم جديد طلع ، يدل على مولود جديد من أولاد الأكابر ، يُرْفَعُ شأنه ، ويُخشى عليك منه . فهتف به هاتف يقول : يا عدو الله ، هذا المولود قد حملتْ به أمه ، واللهُ مُهْلِكُكَ على يديه .

قال الكسائي رحمه الله نقلاً عن وهب بن منبه : فلما استكملتْ أمه تسعة أشهر قالت لأبيه : إني أُحِبّ أن أدخل بيت الأصنام فأسألها أن تُخَفِّفَ عني أمر الولادة. فأَذِنَ لها في ذلك ، وتربّص بها إلى الليل خوفاً أن يعلم الناس بِحَمْلها.

فلما دخلتْ بيت الأصنام تـنكّستْ عن كراسِـيِّها ، فخرجـت فزعـة فـإذا هـي بنمـروذ في قومه ، وبين أيديهم الشموع والمشاعل ، فقـال نمـروذ : مَـن هـذا ؟ قـالت : زوجـة عبـدك تارَح ، فأراد أن يقول : اقبضوها ، فقال : خَـلُّوها .

فـأقبلت إلى منزلهـا مذعـورة ، فجاءهـا الطـلـق ، فـأقبل إليـها مَلَـك مـن عنـد الله تعـالى وقال : لا تخافي ، وانهضي فضعي ما في بطنك .

فَتَبِعَـتْهُ حتى أدخلها الغار، وهو الذي وُلِدَ فيه إدريس ونوح عليهما السلام.



صورة لمكان الغار الذي ولد فيه سيدنا إبراهيم كما يقال ، وهو موجود في مدينة أورفا الواقعة في الجهة الجنوبية الشرقية من تركيا ، وقد بُنِيَ عليه مسجد يزوره الناس ويتبرّكون به



مدخل الغار الذي ولد فيه سيدنا إبراهيم



صورة للغار من الداخل حيث مصلى النساء

قال الكسائي : قال وهب بن منبه : ودخلتْ أمه الغار فوجدت فيه جميع ما تحتاج إليه ، وخفّف الله عنها الطلق ، فولدته في ليلة جمعة ، وهي ليلة عاشوراء .

فلما سقط إلى الأرض قطع جبريل سُرَّتَه ، وأَذَّنَ في أذنه ، وكساه ثوباً أبيض . ثم عاد بها المَلَك إلى منزلها ، فرجعت خفيفة كأنْ لم تَلِدْ ، وقال لها المَلَك : اكتمي ما قد رأيتِ .

فدخلتْ منزلها ، وجاء تارَح فرآها نشيطة خفيفة ، فقالت : إنَّ الذي كان في بطني لم يكن ولداً وإنما كان ريحاً ، وقد ذهب عني . ففرح بذلك ، وبهذا اعْتَقَدَ .

وألقى الله تعالى على نمروذ النسيان في أمر إبراهيم .

فلما كان في اليوم الثالث خرجتْ أمه إلى الغار ، فرأت الوحوش والسباع على بابه ، فتوَهَّمتْ أن يكون هَلَكَ ، فدخلتْ فَرَأَتْهُ على فراش من السندس ، وهو مَدْهونٌ مَكْحولٌ ، فتحيَّرت وعلمتْ أنَّ له رَبّاً .

ورجعت إلى منزلها وأخبرت تارَح الخبر ، فنهاها عن العَوْد إلى الغار . فكانت تروح إليه سراً في كل ثلاثة أيام ، تنظر إليه وتعود .

حتى تَمَّ له حَوْلان ، فأتاه جبريل بطعام من الجنة ، فَأَطْعَمَهُ وسقاه .

فلما استكمل أربع سنين ، جاءه مَلَك بكسوة من الجنة ، وسقاه شربة التوحيد وقال : اخرج الآن منصوراً .

۞ خروج إبراهيم عليه السلام من الغار واستدلاله على وحدانية الله ومُحاجَجَتُه لأبيه وقومه :

قال الكسائي نقلاً عن وهب بن منبه : ولَمّا قال له المَلَك ذلك خرج عند غروب الشمس ، فجعل ينظر إلى السماوات ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ[1] فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنعام] .

قال الكسائي : وهبط جبريل عليه السلام وقال له : انطلق إلى أبيك وأمك ولا تَخَفْ ، فإن الله معك .

فخرج إبراهيم وجبريل معه ، حتى وَقَفَهُ على الباب وقال : هذا بيت أبيك ، فدونك هو . فاستأذن إبراهيم وقال : أَدْخُلُ ؟ قال تارَح : ادْخُلْ .

فلما دخل نظر إليه ، فعجب مِن حُسْنه وجماله ، وقامت أمه مسرعة إليه واعْتَنَقَتْهُ ، وقالت : ولدي وعِزَّة نمروذ ، فقال لها إبراهيم عليه السلام : لا تحلفي بعزة نمروذ ، فإن العزة لله الذي خلقني في بطنكِ ، وأخرجني منكِ ، وكَلأَني ، وربّاني ، وهداني . فارتعد تارَح من كلامه ، وقال لأمه : أخشى أن تزول عني هذه المنزلةُ بسببه ، ونظر إليه وقال : ما أحسنك! فلولا ما وقع في قلبي مِن محبتك لَرَفَعْتُ خبركَ إلى نمروذ . ثم بكى تارَح خوفاً عليه أن يُقتل ، فقال له : يا أَبَتِ ، لا تَخَفْ عليّ من القَتْل ، فإن الله يعصمني من نمروذ .

---

(١) : يعني على سبيل الاستفهام ، أي : أهذا ربّي ؟

قال له : أَلَكَ رَبٌّ غير نمروذ ، وله مملكة الأرض شرقها وغربها ، وله ثلاثمائة صنم ؟ فقال إبراهيم : بل ربي الله الذي لا إله إلاّ هو ، خالق السماوات والأرض وما بينهما ، لا شريك له .

وبلغ خبرُ إبراهيم بعضَ أقارب تارَح ، فدخل عليه وقال : ما هذا الغلام الجميل ؟ قال : هو ابني ، وُلِدَ لي على كِبَرٍ . قال : فمّا الذي بلغني مِن قوله عن نمروذ وأصنامنا ؟ قال تارَح: هو ما بلغكم ، فكَلِّموه حتى يعود إلى ديننا .

فحاجّه قومُه وخوّفوه بعذاب نمروذ ، وهو يجادلهم ويَحْتَجّ عليهم ، ويذكر عظمة ربه حتى عجزوا عنه ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأنعام] .

وقال تعالى كذلك : ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنبياء] .

قال الكسائي : فانصرفوا عنه ، وخاف تارَح أنْ يَسْعَوْا به وبولده إلى نمروذ ، فقال : يا إبراهيم ، كُفَّ عن هذا الكلام حتى أَسْتَخْلِفك على خزانة الأصنام فقد كبرتُ . فقال : يا أبتِ ، إن المعبود هو الله ، والأصنام لا تضر ولا تنفع .

فغضب تارَح وأقبل على نمروذ ، فسجد له وقال : إنَّ المولود الذي كنتَ تحذره هو ولدي ، ولم يُولَدْ في داري ، ولا أعلم به حتى الآن ، وقد جاءني وهو غلام يَعْقِل ويفهم ، ويزعم أن له رَبّاً سواك ، وقد أَعْلَمْتُك فاصنع ما أنت صانع . فلما سمع نمروذ ذلك داخله الرعب وقال : صِفْهُ ، فَوَصَفَهُ . قال نمروذ : هو الذي رأيتُه في منامي . وقال لأعوانه : ائتوني به ، فَأَتَوْهُ به ، فرَدَّدَ النظر إليه وقال : احبسوه إلى غد .

فلما أصبح أحضره وقد أمر بتزيين قصره بأعظم زينة ، وهَوَّلَ عليه بجنوده وأصناف السلاح ، فالتفت إبراهيم إلى الناس يميناً وشمالاً وقال : ما تعبدون ؟

فذلك قوله تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الشعراء] .

ثم التفت إبراهيم إلى أبيه وقال : ﴿ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الشعراء] .

قال : فلما فرغ من كلامه قال له نمروذ : يا إبراهيم ، تقع في ديني وأنا الذي خلقتُك ورزقتُك ؟ قال : كذبتَ ، إنَّ خالقي ورازقي وخالق الخَلْق ورازقهم هو الله الذي لا إله إلاّ هو . فَبُهِتَ الناس ووقعتْ في قلوبهم محبته ؛ لِحُسْنه وحُسْن كلامه ، فالتفت نمروذ إلى تارَح وقال : إنَّ ولدك صغير لا يدري ما يقول ، ولا يجوز لِمِثْلي في قُدْرَتي وعِظَم مملكتي أنْ أُعَجِّلَ عليه ، فَخُذْه إليك وأَحْسِنْ إليه ، وحَذِّرْه بأسي حتى يرجع عمّا هو فيه .

فأخذه تارَح وانصرف إلى منزله وقال : يا بُنَيَّ ، إن لي عليك حقاً ، وأسألك بحقي عليك أن تُلازمني في عملي وبيع هذه الأصنام كما يفعل إخوتك . قال : كيف أبيع ما أبغضه ؟ قال : ما عليك أن تبيعها . وأَخْرَجَ له صنمين صغيراً وكبيراً ، وقال : بِعْ هذا بكذا وهذا بكذا . قال : يا أبتِ ، أنت تعبد هذه الأصنام على أنها ترزقك وهي التي خَلَقَتْك ؟ قال : نعم ، فقال له ما أخبر الله تعالى به في قوله : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ

جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾ [مريم] . فغضب تارَح مِن قوله وقال : ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦] . قال إبراهيم : ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾ [مريم] .

۞ مِن خوارق العادة التي ظهرت على يد إبراهيم عليه السلام قبل النبوة :

قال وهب بن منبه : وكان إبراهيم يخرج ومعه غلامان ومعهما صنمان ، فيقول : مَن يشتري ما لا يضر ولا ينفع ، ولا يدفع الذباب عن نفسه ؟ وكان يَغْمسهما في الماء ويقول : اشربا ، ويشدّ الحبل في أرجلهما ويجرّهما ، والناس يُعْظِمون ذلك ولا يَجْسُرون يُكَلِّمونه ؛ لِمكان أبيه من نمروذ .

قال الكسائي نقلاً عن وهب بن منبه : بينما إبراهيم قاعد ، إذ جاءته امرأة عجوز فقالت : بِعْني أحد هذين الصنمين ، واخْتَرْ لي أَجْوَدهما . فقال لها : هذا أكثر حطباً ، فقالت : لستُ أريده للوقود ، إنما أريد أن أشتري هذا الصنم فأعبده حتى يَرُدَّ عليّ رَحْلي ، فقد كان لي إله وسُرِقَ في جملة ثياب كثيرة لي . فقال لها إبراهيم : يا امرأة ، إنَّ الإله الذي يُسرق لو كان إلهاً لَحَفِظَ الثياب ولَحَفِظَ نفسه ، فمنذ كم تعبدينه ؟ قالت : منذ كذا وكذا – وذكرتْ فترة طويلة – ، فقال لها : بِئْسَ ما صَنَعْتِ ، هلاّ عبدتِ رب السماء والأرض حتى يردّ عليك ما سُرِقَ مِن متاعك ؟ ثم قال : فإنْ رَدَّ الله عليك متاعك أتؤمنين بالله رب السماوات ؟ قالت : نعم .

فدعا إبراهيمُ رَبَّه ، فإذا بالمسروق بين يديها قد جاء به جبريل ، فقال لها : أهذا رَحْلك ؟ قالت : نعم ، فأخذته وكسّرت الصنم ، وقالت : تبّاً لك ولِمَنْ عبدك مِن دون الله ، وآمنتْ .

ثم جعلتْ تطوف في المدينة وتقول : يا أيها الناس ، اعبدوا الله الذي خلقكم ورزقكم ، وذَرُوا ما أنتم عليه من عبادة الأصنام . فَعَلِمَ بها نمروذ فأحضرها ، وجمع الناس كلَّهم وإبراهيمُ واقفٌ معهم ، فأمر بِقَطْع يديها ورجليها وأذنيها ، وأمر بِفَقْءِ عينيها

كذلك أمامهم حتى لا يفعلوا مِثْلها . فرفع إبراهيم يديه إلى السماء ودعا ربه ﷻ أن يُصَبِّرَ هذه المرأة على ما نزل بها ، فقال : إلهي ، إنك قد هَدَيْتَها ، فأسألك أن تجعلها آية وعبرة وعِظة . فردّ الله عليها عينيها ويديها ورجليها ، وارتفعت في السماء وهي تنادي : ويلك يا نمروذ ، أنا الذي قد فعلتَ بي ما فعلتَ ، هداني ربي ، وهذا ربي يرفعني إلى الجنان بعد أنْ قَتَلْتَني . والناس ينظرون ويشاهدون .

وكان لنمروذ خازنٌ للمال ، فلمّا رأى ذلك قال : آمنتُ برب العالمين . فقتله نمروذ ورماه للأسود الجائعة ، وارتجّت المدينة يومها بزلزلة عظيمة .

ثم ترادفت معجزات إبراهيم عليه السلام ، ورأى نمروذ منها الأشياء الكثيرة كما سيأتي معنا إن شاء الله تعالى ، فَكُلُّ ما ذكرتُ كان مقدمة لمعركة سيخوضها نبي الله إبراهيم مع نمروذ .

۞ مبعث إبراهيم عليه السلام بالرسالة وتبليغه الدعوة :

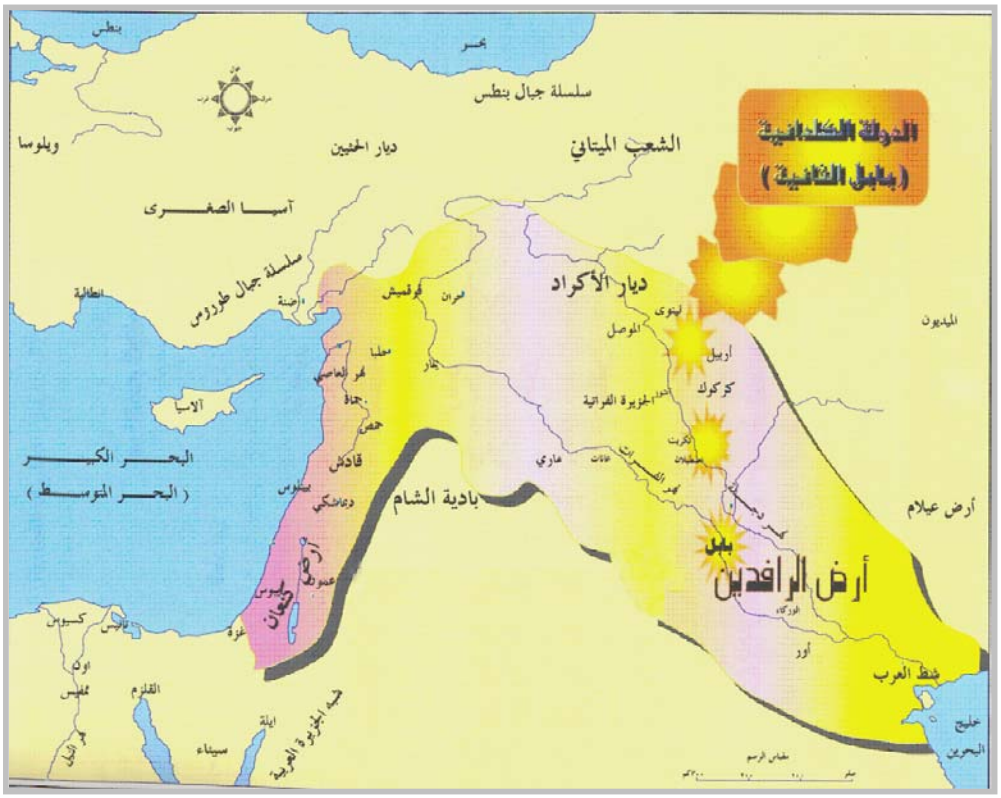

قال الكسائي : قال وهب بن منبه : فلما تَمَّ لإبراهيم أربعون سنة ، جاءه جبريل بالوحي من الله ، وأرسله إلى نمروذ .

فأقبل إبراهيم عليه السلام ووقف على باب نمروذ ، ونادى بأعلى صوته: يا قوم ، قولوا : لا إله إلاّ الله وإني إبراهيم رسول الله . فانتشر الصوت على جميع الحاضرين ، فأَحضر نمروذُ الوزراءَ وكبار قومه وأَجْلَسَهم في مجالسهم ، وأَحضر الأُسود والفِيَلة بالسلاسل ، وأُقِيمَتْ صفوف الجنود عن يمينه ويساره ، ثم أَمَرَ بدخول إبراهيم .

فدخل إبراهيم وقال : باسم الله العظيم ، فلمّا توسّط الدار قال بصوت رفيع : يا قوم ، قولوا : لا إله إلاّ الله خالق كل شيء .

ثم تقدّم إلى نمروذ فقال له بعض وزرائه : مَن أنت ؟ قال : أنا إبراهيم بن تارَح رسول رب العالمين ، أدعوكم إلى عبادته . فقال له الوزير : مَنْ ربك ؟ قال : خالق الناس جميعاً ، فقال له نمروذ : إنَّ مُلْكي أعظم مِن مُلْك ربك ، فقال إبراهيم : المُلك والسلطان لله رب العالمين ، فقال نمروذ : لقد تَجَرَّأْتَ عليّ يا إبراهيم ، وأنت تعلم أني خلقتُك ورزقتُك . فاضطرب سرير نمروذ وقال إبراهيم : كذبتَ يا نمروذ ، إنَّ الله هو الذي خَلَقَك وخَلَق الناس أجمعين ، ورَزَقَك ورَزَقَ الناس أجمعين ، وأنت تكفر بنعمته وقد رأيتَ بعض الآيات ؟ فقال : هاتِ غير ذلك ، فوصف له إبراهيم قدرة الله تعالى ، ثم قال : فما الذي يفعل نمروذ ؟ فقال نمروذ : ماذا يفعل ربك ؟ قال : ﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ [البقرة: ٢٥٨] ، فقال : هذا هَيِّنٌ ، ﴿ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ [البقرة: ٢٥٨] . قال : كيف تفعل ؟ قال : أُخْرِجُ مِن الحَبْس مَن قد وجب عليه القَتْل فأُطْلِقهُ ، وأَقْتُل الذي لم يجب عليه . فقال إبراهيم : إن ربي لا يفعل كذلك ، بل المَيِّت يُحْيِيه ، والحَيّ يُمِيتُه مِن غير قَتْلٍ ، ولكنْ يا نمروذ ، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾ [البقرة: ٢٥٨] . وحَجَّه إبراهيمُ أمام الناس ، ففشل وانخزى .

فذلك قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨] .

۞ نمروذ يسأل إبراهيم عليه السلام في إحياء الموتى :

قال الكسائي نقلاً عن وهب بن منبه : ثم قال نمروذ لإبراهيم : أنتَ رأيتَ ربك يُحْيِي الموتى ؟ وحصل ما ذكره تعالى في محكم كتابه العزيز : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٠] .

قال : فأخذ ديكاً أبيض ، وغراباً أسود ، وحمامة خضراء ، وطاووساً . وقطع رؤوسها ، وخلط الدم بالدم ، والريش بالريش ، ثم جزّأها أجزاء متساوية ، وجعل على كل جبل منهنّ جزءاً ، وجعل رؤوسها بين أصابعه . ثم دعاها ، فانضمّ كل جزء إلى بعضه ، وخرجت الرؤوس مِن بين أصابع إبراهيم ، فصار كل رأس إلى بدنه .

قال الكسائي : والتفت إبراهيم إلى نمروذ وقال : كيف ترى قدرة إلهي ؟ قال : ليس هذا ببديع مِن سِحْرك ، وأَمَرَ به فقُيِّدَ وغُلَّتْ يداه ، وأُدْخِلَ المضيق تحت الأرض وفيه الحيّات والعقارب ، فلم يَضُرّهُ ذلك .

وجاءه جبريل فبشّره عن الله تعالى بالنصر ، وأَلْبَسَه حُلّة خضراء ، وفرش له فَرْشاً من السندس ، وأتاه بطعام فَأَكَلَ ، وقال له : اصبر كما صبر الأنبياء مِن قبلك .

۞ مِن معجزات إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن :

قال الكسائي : قال وهب بن منبه : وكان إبراهيم يُسَلِّي أهلَ السجن ويُذَكِّرهم بالجنة والنار ، فقام إليه رجل وقال : يا إبراهيم ، أنا مِن ملوك العرب ، وأنا ابنُ مَلِكهم ، وكنا أربعة إخوة ، فغضب المَلِك علينا ، فحبسني ها هنا ، وحبس الآخر بالمشرق ، والآخر بالمغرب ، والرابع باليمن ، فهل يقدر ربك أن يجمع بيننا ؟ قال : نعم ، ودعا إبراهيمُ ربَّه ، فإذا بالأخوين قد انقضّا من المشرق والمغرب .

فبلغ ذلك نمروذَ ، فأحضرهم وقال : مَن جمع بينكم ؟ قالوا : إلهنا بدعاء إبراهيم . فأحضر إبراهيمَ وقال : ائْتِنا بالأخ الرابع من اليمن ، فقال : إنه قد مات ودُفِنَ ، فقال نمروذ : ادْعُ ربك حتى يأتينا بقبره .

فدعا إبراهيمُ ، فأمر اللهُ المَلَكَ المُوَكَّل بالأرض أن يخترق بالقبر إلى إبراهيم ، فخرج القبر من تحت الأرض إلى دار نمروذ ، فقال إبراهيم للثلاثة : هذا قبر أخيكم . فقالوا : أيّها المَلِك ، إنْ كان حقاً ما يقول فلْيَدْعُ ربَّه لِيُحْيِيه ، وينظر إليه ويكلّمه .

فصلّى إبراهيم ركعتين وسأل الله أن يُحْيِيه ، فانشقّ القبر وخرج الرجل منه وهو يشتعل ناراً ويقول : هذا جزاء مَن عبد الأصنام ورغب عن دين الله .

فقام بَهْرامُ الخازنُ لنمروذ ونزع ما كان عليه من لباس نمروذ ، وآمن بالله وبإبراهيم ، فقال له نمروذ : لقد عَمِلَ سِحْرُه فيك .

وأمر بهم نمروذ فشُدَّتْ أيديهم وأرجلهم ، وَوُضِعَتْ عليهم أساطين[1] ، فلم يؤلمهم ثقلها ، فبهت نمروذ ثم قال : عودوا لطاعتي ، فأنا الذي خَفَّفْتُ عنكم ثِقَلَ هذه . فقال خازنه : قُمْ حتى نضع عليك واحدة منها وخَفِّفْها عن نفسك .

فغضب نمروذ وأحرقهم بالنار حتى صاروا رماداً ، فردّ الله عليهم أرواحهم ، فقاموا على أرجلهم يُقِرُّون بعظمة الله ، فعجب الناس .

ولم يَدْرِ نمروذ ما يفعل ، فأمر بهم فأُلْقوا في الحبس بين حيّات وعقارب ، فبقوا فيه أربعين يوماً لم يطعموا شيئاً ، فجاءت أم إبراهيم إلى نمروذ وسألته في إطلاقه ، فأمر بإخراجه هو ومَن آمن به ، وفي ظنّه أنهم قد ماتوا .

فأُخرجوا ، فإذا هم في أحسن صورة ، فعَجِبَ وقال : يا إبراهيم ، مَن أَطْعَمَكَ وسقاك ؟ قال : ربي أطعمني وسقاني ، فآمِنْ به يا نمروذ ، فقد رأيتَ آياتِه وعَظَمَتَه .

فغضب نمروذ ثم أقبل على تارَح وقال له : قد كنتُ أَتَخَوَّف مِن ابنك لأني كنتُ أظنّ أن له شوكة من الجنود ، والآن فليس عنده إلاّ السحر ، وقد وهبتُه لك .

فأخذه أبوه وأخرجه من دار نمروذ وقال له : يا بني ، امْشِ حتى أُدْخِلَكَ على هذه الأصنام ، لعلّك تميل إليها . فقال إبراهيم : سَوْءةٌ لك أيها الشيخ ، ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ [الصافات: ٩٥] ؟ ثم قال : يا قوم ، قولوا : لا إله إلاّ الله وإني إبراهيم رسول الله تُفْلِحوا .

---

(١) : جمع أسطوانة وهي العمود أو السارية ، وفي الهندسة جسم قاعدتاه دائرتان مستويتان ، والجمع أساطين وأسطوانات . وهي هنا عبارة عن جدران مستديرة من حديد أو خشب أو غيرهما تزن أطناناً .

فكذّبوه ، فقال له أبوه : يا بني ، ما تَخْشى سطوة المَلِك ؟ فقال : يا أبتِ ، إن الله يعصمني مِن مكائده .

قال الكسائي نقلاً عن وهب بن منبه : ثم ابتلاهم الله عليه السلام بالقحط ، وقلّت عندهم الأقوات .

وكان بظاهر المدينة كثيب من الرمل ، فتعبّد إبراهيم فيه ودعا ربه أن يُحَوِّله طعاماً ، فحوّله الله ، فكان المؤمنون ينالون منه ما يريدون ، والكافرون يسجدون لنمروذ ويأخذون منه القوت .

وكان نمروذ قد جمع الأقوات في سراديب عنده ، فأَطْعَمَهم حتى نفد أكثرها ، ولم يَبْقَ إلاّ قوت أهله وعشيرته .

فشرع الناس يؤمنون ويزيدون في كل يوم ، فشقّ ذلك على نمروذ ، وطلب إبراهيمَ وقال له : اخْرُجْ مِن بلدي ، فقد أفسدتَ قومي بسحرك . فقال إبراهيم : لِمَ أَخْرُج وأنا أحقّ منك ؟ وخرج مِن عنده .

فأحضر نمروذُ تارَح وقال له : إن ابنك قد آذاني في أهل مملكتي ، ولولا منزلتك عندي لبطشتُ به . فقال : إنني قد هَجَرْتُه ، ولستُ راضياً بِصُنْعِهِ ، فافعل به ما بدا لك .

كل ذلك كان يجري والمعجزات تتوالى على نمروذ وقومه ، ولكنهم لا يزدادون إلاّ كفراً وطغياناً وضلالاً .

وأقول : أهذا الحد وصلتْ قساوة هؤلاء الناس ؟! [1]

---

(١) : فالآن أمريكا وأوروبا والذين يحاربون الإسلام ويُذبِّحون المسلمين في كل مكان ألا يعرفون بأن الإسلام هو الدين الصحيح ؟ هم يعرفون ذلك تماماً ولكنهم أصرّوا أن يكونوا تلاميذ إبليس ، أصرّوا أن يناصروا الرذيلة ، وأن يحاربوا الله .

وأُبَشِّرك أيها المسلم بأن نهايتهم لن تكون مُسِرَّة ، ولن تكون بالنهاية الجميلة . وإذا أحياك الله فسترى ما يُثْلِجُ صدرك إن شاء الله تعالى ، والعاقبة للمتقين .

فرب العالمين يُمْهِل ولا يُهْمِل ، لا يشغله سمع عن سمع ، ولا بصر عن بصر ، يرى الكل سبحانه ما أحلمه !

۞ خبر تكسير إبراهيم الأصنام وإلقائه في النار :

لقد وقف إبراهيم عليه السلام وحده أمام قومه وتحدّاهم ، تحدّى الملك فَمَنْ دونه . في أعيادهم ، في أفراحهم ، في أَتْراحهم ، في يُسْرهم ، في عُسْرهم ، وفي مواطنهم كلها . كان يقف أمامهم ويدعوهم لتوحيد الخالق ونَبْذ الأصنام ، يدعوهم للتمسك بالفضيلة وكُلِّ خُلُق حميد .

قال تعالى : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [العنكبوت] .

هكذا كان إبراهيم عليه السلام دائماً يبيّن لهم الحقيقة والفضيلة ، وأظهر الله على يديه الكثير من المعجزات والآيات .

ولا نقول : لم يؤمن به أحد ، إنما آمن به نفر من نساء ومن رجال ، ولكنهم كانوا قِلّة ، بل قِلّة القِلّة مِن قومه ، منهم لوط ابن أخيه[1] .

قال كعب الأحبار : وكان لأهل كوثَرَبّا عيد يَخرجون إليه في كل سنة فيتعبّدون هناك أياماً ، وكان بعيداً من البلد .

فلمّا حضر ذلك العيد ، قال تارَح لإبراهيم : اخْرُجْ معنا إلى عيدنا ، فقال : ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ[2] ﴾ [الصافات: ٨٩] ، ﴿ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ[3] ﴾ [الصافات: ٩٠] ، ولم يَبْقَ في بلدهم إلاّ الصغار والهَرِمون .

---

(١) : وقيل : ابن عمه ، وقيل : ابن خالته .

(٢) : يعني لعبادتكم الأصنام .

(٣) : أي إلى عيدهم .

فقام إبراهيم ودخل بيت الأصنام ، وكان القوم قد وضعوا الطعام بين أيديها ، فقال : ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الصافات] ؟ استهزاءً بهم ، ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾ [الصافات: ٩٣] .

وكانت في جانب البيت فأس ، فأخذها وكسّر بها هذا الصنم ، ويد هذا ، ورِجْل هذا ، ورأس هذا ، وترك كبيرهم كما أخبر الله تعالى : ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٨] ، ثم علّق الفأس في عنق الصنم الأكبر[(١)] .

وأقبل القوم بعد فراغهم من عيدهم فرأَوْا أصنامهم على ذلك ، فقالوا : ﴿ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٥٩] ؟ قالوا : ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ [الأنبياء: ٦٠] . وبلغ الخبرُ إلى نمروذ ، قال : ﴿ فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ[(٢)] ﴾ [الأنبياء: ٦١] .

فلما أَتَوْا به قالوا : ﴿ أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ [الأنبياء: ٦٢] ؟ قال : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦٣] .

قال تعالى : ﴿ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنبياء] .

وصاحوا من كل ناحية : أفتأمرنا بذلك وأنت تعلم أنها لا تسمع ولا تبصر ؟ فقال إبراهيم : ﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ[(٣)] لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الأنبياء] .

قال كعب : فقال القوم لنمروذ ما أخبرنا الله تعالى به عنهم : ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا

---

(١) : وأقول : أوَلا تجد أخي القارئ ذلك تَحَدِّياً أنْ يقف إبراهيم عليه السلام وحده ويتحدّاهم ، ويُكَسِّر الأصنام وهو يعلم بأنهم سيأتون إليه ؟ لكنه عَلِمَ بأن ربه سيحميه منهم .
لم ينظر إلى قوتهم ، فقد عَلِمَ أنَّ قوة الله أقوى . ولم ينظر إلى جبروتهم ، فقد عَلِمَ أنَّ ربه ﷻ ناصره عليهم .

(٢) : أي يشهدون عذابه .

(٣) : هي كلمة تضجر منهم .

ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ٦٨] .

قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما : أشار بتحريقه رجلٌ من أعراب فارس . قيل له : وللفُرْس أعراب ؟ قال : نعم ، الأكراد هم أعرابهم .

قيل: كان اسمه هَيْزَن ، فخُسِفَ به ، فهو يَتَجَلْجَل فيها إلى يوم القيامة .

قال كعب : وكان لنمروذ تَنّور من حديد يُحَرِّق فيه مَن غضب عليه ، فأمر به فأُسْجِرَ ، فطرح إبراهيم فيه ، فلم تضرّه النار بقدرة الله .

فلما رأى نمروذ ذلك جمع أهل مملكته واستشارهم ، فأشاروا أن يحبسه ، ويجمع له الحطب الكثير ويُضْرِم فيه النار ، ثم يُلقيه فيه إذا صار جمراً ، وقالوا : إنه لا يقدر أن يسحر النار الكبيرة ، ولا يعمل سِحْرُه فيها .

فعند ذلك حبسه ، وأمر بجمع الأحطاب .

فيقال : إنَّ الدواب امتنعتْ مِن حَمْلها إلاّ البغال ، فأعقمها الله عقوبة لذلك .

فجمعوا من الأحطاب ما لا يُحصى كثرة ، وأَمَرَ أن تُحْفَر حفيرة واسعة ، وبنى حولها حائطاً عالياً ، وألقى فيها تلك الأحطاب ، وأضرم فيها النار والنفط ثلاثة أيام ، فكان لَهَبُها يصل الطائر في الجو فيُحرق .

قال كعب وقتادة والزهري : ولم تَبْقَ يومئذ دابة إلاّ أَطْفَأَتْ عنه النار إلاّ الوزغ ، فإنها كانت تنفخ عليه ؛ فلذلك أمر رسول الله ﷺ بِقَتْلِها وسمّاها فُوَيْسقة[1] .

روي عن سعيد بن المسيب عن أم شريك أن رسول الله ﷺ أمر بِقَتْل الوزغ وقال : كان ينفخ على إبراهيم[2] .

وروى أحمد أن نافعاً مولى ابن عمر أخبره أنَّ عائشة أخبرتْه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « اقتلوا الوزغ ، فإنه كان ينفخ على إبراهيم عليه السلام النار » . قال : وكانت عائشة تقتلهنّ .

وروي عن نافع أيضاً قال : حدّثتني سائبة مولاة الفاكه بن المغيرة قالت : « دخلتُ

---

(١) : ذكره القرطبي في تفسيره والطبري .

(٢) : أخرجه البخاري ومسلم ، ورواه النسائي وابن ماجة والضحاك في الآحاد والمثاني .

على عائشة فرأيتُ في بيتها رمحاً موضوعاً ، قلت : يا أُمَّ المؤمنين ، ما تصنعون بهذا الرمح؟ قالت : هذا لهذه الأوزاغ نقتلهنّ به ، فإنَّ رسول اللهﷺ حدّثنا أنَّ إبراهيم حين أُلْقِيَ في النار لم تكن في الأرض دابة إلاّ تُطْفِئ النار عنه ، غير الوزغ كان ينفخ عليه ، فأمرنا رسول اللهﷺ بِقَتْله »[١] .

وقد ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرةرضي الله عنه عن النبيﷺ قال : « مَنْ قتل وزغاً في أول حصول كُتِبَتْ له مائة حسنة ، وفي الثانية دون ذلك ، وفي الثالثة دون ذلك »[٢] .

وفي رواية أخرى : « مَن قتل وزغة بالضربة الأولى فله كذا وكذا حسنة ، ومَن قتلها في الضربة الثانية فله كذا وكذا حسنة لِدون الأولى ، ومَن قتلها في الضربة الثالثة فله كذا وكذا حسنة لِدون الثانية »[٣] .

قال كعب : وهمّوا بطرح إبراهيم فيها فلم يقدروا يَقْرَبوا منها ، فيقال : إن إبليس أتاهم في صورة شيخ وصنع لهم المنجنيق[٤] ، ولم يكونوا يعرفونه قبل ذلك . ووضعوا إبراهيم في كفة المنجنيق ، ورَمَوْه به وهو يدعو الله أن ينصره عليهم .

فعارضه جبريل وهو في الهواء وقال له : ألك حاجة يا إبراهيم ؟ قال : أمّا إليك فلا ، بل حسبي الله ونِعْمَ الوكيل[٥] .

قال ابن كثير صاحب (البداية والنهاية) : ثم وضعوا إبراهيمعليه السلام في كفة منجنيق صَنَعَه لهم رجل من الأكراد يقال له : هَيْزَن ، وكان أول مَن صنع المجانيق ، فخسف الله به الأرض ، فهو يَتَجَلْجَل فيها إلى يوم القيامة .

ثم قال ابن كثير في سيرته : ثم أخذوا يُقَيِّدونه ويُكَتِّفونه وهو يقول : لا إله إلاّ أنت

---

(١) : إسناده صحيح ، رواه الإمام أحمد وابن ماجة وابن حبان وأبو يعلى وابن أبي شيبة في مسنده ، وله شاهد في الصحيحين وغيرهما من حديث أم شريك المتقدم .

(٢) : وفي رواية أخرى لمسلم وأبي داود : له سبعون حسنة .

(٣) : حديث حسن صحيح رواه مسلم وأحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجة .

(٤) : هو المدفع الثقيل .

(٥) : ذكره كذلك بعض السلف . أي كفاني الله ونِعْمَ الكافي ، وأنا متوكل على ربي .

سبحانك ، لك الحمد ولك المُلْك لا شريك لك .

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « حسبنا الله ونِعْمَ الوكيل ، قالها إبراهيم حين أُلْقِيَ في النار ، وقالها محمد حين قيل لـه : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [آل عمران] »[1] .

وروى أبو يعلى والبزار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَمّا أُلْقِيَ إبراهيم في النار قال : اللهم إنك في السماء واحد ، وأنا في الأرض واحد أعبدك » .

وفي رواية قال : عِلْمُه بحالي يُغني عن سؤالي ، الله أقرب إليّ مني إلى نفسي ، هو يعلم لماذا أُلْقِيتُ في النار ، ولماذا يَنتقمون مني ، فإذا كان يريد أنْ أُحْرَقَ فالحرق عندي كأنه جنة ، وإذا أراد أنْ أَسْلَمَ فيفعل ما يريد ، ويأمر ما يشاء . ثم قالها وهي لِمَنْ بعده آية : حسبي الله ونِعْمَ الوكيل .

وهكذا تكون قوة الإيمان وقوة اليقين ، وتكون العقيدة الصحيحة .

فسيدنا إبراهيم عليه السلام كان مطمئناً تمام الاطمئنان ، وفي قمة توكله على الله عز وجل ، وهذا ما يُسَمّى بمقام التسليم الكامل ، قال تعالى : ﴿ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] .

قال كعب : فلما قَرُبَ إبراهيم من النار قال الله عز وجل : ﴿ يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩] .

وقال سعيد بن جبير : يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لَمّا أُلْقِيَ إبراهيم جعل خازن المطر يقول : متى أُومَرُ بالمطر فأُرْسِله ؟ قال : فكان أَمْر الله أسرع مِنْ أمره ، قال الله : ﴿ يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩] » .

قال علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه : أي لا تَضُرّ به .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لو لم يَقُلْ : ﴿ وَسَلَٰمًا ﴾ لَمات إبراهيم مِن شدة البرد .

---

(١) : وروى بنحوه أيضاً الحاكم في المستدرك ، والنسائي في سننه الكبرى ، والبيهقي في شعبه ، وابن أبي شيبة في مصنفه .

وقال كعب الأحبار : لم ينتفع أهل الأرض يومئذ بنار ، ولم يُحْرق منه سوى وثاقه[١] .

قال كعب : فبرد حرّها ، واخضرّت الأشجار التي أُحْرِقَتْ ، ورَسَتْ بعروقها .

فلما أصبح نمروذ جلس في مكان مُشْرِفٍ ينظر إلى ما أصاب إبراهيمَ مِن النار ، فكُشِفَ عن بصره فإذا هو برجل في وسطها على سرير ، عليه ثياب خُضْر ، وإلى جنبه رجل آخر ، وخَلْقٌ كثير وُقوفٌ مِن ورائهما . فدعا بصاحب المنجنيق وقال له : كم أَلْقَيْتَ في النار ؟ قال : إبراهيم وحده ، فَعَجِبَ وعَجِبَتِ الناسُ ، وقال : اذهبوا وانظروا مَن القاعد على السرير ؟ ومَن إلى جنبه وحوله ؟

فأَتَوْا فإذا هم بإبراهيم على أحسن صورة ، فأخبروا نمروذ فقال : ائتوني به ، فقالوا : لا نستطيع الوصول إليه لِحَرِّ النار ، فنادَوْه : يا إبراهيم ، اخْرُجْ إلينا . فخرج إلى نمروذ وقال له : ما أعجب سحرك يا إبراهيم ! قال : ليس هذا بسحر ، وإنما هو من قدرة الله تعالى . قال : فمَن الذي عن يمينك ؟ قال : مَلَك جاءني مِن عند ربي ، بشّرني أنَّ الله اتّخذني خليلاً . فقال نمروذ : لأَصْعَدَنَّ إلى السماء وأقتل إلهك .

ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « أحسن كلمة قالها أبو إبراهيم إذْ قال لَمّا رأى ولده على تلك الحال : نِعْمَ الرب ربك يا إبراهيم »[٢] .

وروى ابن عساكر عن عكرمة أنَّ أم إبراهيم نظرتْ إلى ابنها فنادته : يا بني ، إني أريد أن أجيء إليكَ ، فادْعُ الله أن يُنْجِيَني مِن حرّ النار حولك . فقال : نعم ، فأقبلتْ إليه لا يَمَسّها شيء مِن حَرِّ النار ، فلما وصلتْ إليه اعتنقته وقبّلته ، ثم عادت .

وفي رواية ذكرها ابن الأثير في تاريخه قال : فأمر نمروذ بجمع الحطب من أصناف الخشب ، حتى إنْ كانت المرأة لَتَنْذر بإنْ بَلَغَتْ ما تطلب أنْ تَحْتَطِبَ لنار إبراهيم . حتى إذا أرادوا أن يُلْقوه فيها قدّموه ، وأشعلوا النار حتى إنْ كانت الطير لتمر بها فتحترق مِن شدّتها وحرّها .

---

(١) : ومن هنا نقول : إنَّ الأشياء لا تُؤَثِّر وحدها ، إنما المؤثر في الكائنات هو الله سبحانه . فلو كانت النار تؤثر وتحرق لحرقت سيدنا إبراهيم ، ولكنه ما احترق منه سوى وثاق يديه ورجليه . ومَنْ يستطيع أن يقول أن هذه القصة تدجيل ؟ هي نص قرآني ، ومَن يقول غير ذلك يكون مُرْتَداً .

(٢) : ذكره الطبري ، وابن كثير في تفسيره .

فلما أجمعوا لِـقَذْفه فيها ، صاحت السماء والأرض وما فيها مِن الخَلْق إلاّ الثَّقَلَيْن إلى الله صيحة واحدة : أيْ ربنا ، إبراهيمُ ليس في أرضك مَن يعبدك غيره يُحْرَق بالنار فيك ؟ فائذن لنا في نَصْره . قال الله تعالى : إن استغاث بشيء منكم فلينصره ، وإنْ لم يَدْعُ غيري فأنا له .

فلما رفعوه على رأس البنيان ، رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم أنت الواحد في السماء ، وأنت الواحد في الأرض ، حسبي الله ونِعْم الوكيل .

وعَرَض له جبرائيل وهو يُوَثَّق فقال : ألك حاجة يا إبراهيم ؟ قال : أمّا إليك فلا .

فقذفوه في النار ، فناداها[1] فقال : ﴿ يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩] .

فلو لم يَتْبَعْ بردَها سلامٌ لَمات إبراهيم من شدة بردها ، فلم يَبْقَ يومئذ نار إلاّ طُفِئَتْ .

وبعث الله مَلَك الظل في صورة إبراهيم ، فقعد فيها إلى جنبه يؤنسه .

فمكث نمروذ أياماً لا يشكّ أن النار قد أكلتْ إبراهيم ، فرأى كأنه نظر فيها وهي تحرق بعضها بعضاً ، وإبراهيمُ جالس إلى جنبه رجلٌ مِثْله ، فقال لقومه : لقد رأيتُ كأنّ إبراهيم حَيٌّ ، ولقد شُبِّهَ عليّ ، ابنوا لي صرحاً يُشْرِف بي على النار .

فَبَنَوْا له صرحاً وأشرف منه ، فرأى إبراهيمَ جالساً وإلى جنبه رجل في صورته ، فناداه نمروذ : يا إبراهيم ، كبيرٌ إلهك الذي بَلَغَتْ قدرته وعِزّته أنْ حال بينك وبين ما أرى ، هل تستطيع أن تخرج منها ؟ قال : نعم ، قال : أتخشى إنْ أقمتَ فيها أن تضرّك ؟ قال : لا .

فقام إبراهيم فخرج منها ، فلما خرج قال له : يا إبراهيم ، مَن الرجل الذي رأيتُ معك مِثْل صورتك ؟ قال : ذلك مَلَك الظل ، أرسله إليّ ربي ليؤنسني . قال نمروذ : إني مُقَرِّبٌ إلى إلهك قرباناً ؛ لِما رأيتُ مِن قدرته وعِزّته ، وما صنع بك حين أَبَيْتَ إلاّ عبادته . فقال إبراهيم : إذاً لا يقبل الله منك ما كنتَ على شيء من دينك . فقال : يا إبراهيم ، لا أستطيع تَرْك مُلْكي .

وقرّب أربعة آلاف بقرة ، وكفّ عن إبراهيم ، ومَنَعَه اللهُ منه .

وآمن مع إبراهيم رجال من قومه حين رَأَوْا ما صنع الله به على خوف من نمروذ ومَلإِهم ، وآمن له لوط بن هاران وهو ابن أخي إبراهيم .

---

(١) : وقيل : ناداها جبريل .



بحيرة إبراهيم الموجودة في مدينة أورفا في تركيا ، والتي يُعتقد أنها مكان النار التي أشعلت لسيدنا إبراهيم . فعندما أُلقي فيها أنبع الله له عين ماء ، ومع مرور الأيام والزمان تكاثر الماء وصارت بحيرة. وقد أقيم في طرفها مسجد يسمى بمسجد خليل الرحمن

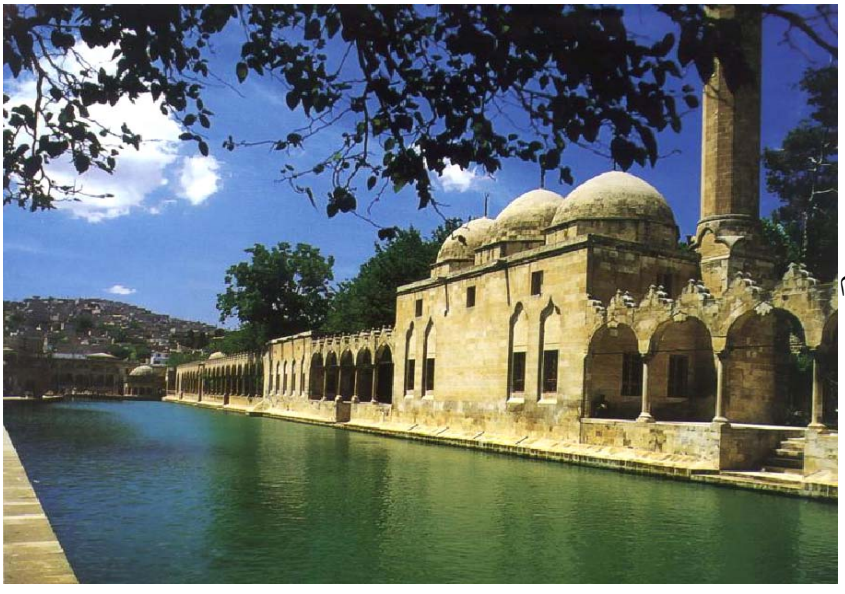

صورة أخرى لبحيرة إبراهيم في تركيا

يروى عن المنهال بن عمرو أنه قال : أُخْبِرْتُ أن إبراهيم مكث هناك إمّا أربعين وإمّا خمسين يوماً ، وإنه قال : ما كنتُ أياماً وليالي أطْيَب عيشاً إذْ كنتُ فيها ، ووَدِدْتُ أنَّ عيشي وحياتي كلَّها مِثْل إذْ كنتُ فيها ، صلوات الله وسلامه عليه .

فأرادوا أن ينتصروا فخُذِلوا ، وأرادوا أن يرتفعوا فاتَّضَعوا ، وأرادوا أن يَغْلبوا فغُلِبوا .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٠] .

وفي آية أخرى : ﴿ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ [الصافات: ٩٨] .

۞ خبر صعود نمروذ إلى السماء :

قال كعب الأحبار : وأمر نمروذ أن يُتّخذ له تابوت مُرَبَّع ، ويكون له بابان : باب إلى السماء ، وباب إلى الأرض . وجَوَّعَ أربعة نسور ، وسَمَّرَ أربعة رماح في أركان التابوت ، وعَلَّقَ اللحم في أعلاها ، وشدّ النسور بأوساطها إلى الرماح ، وجلس في التابوت ومعه وزيره ، وحمل معه قوساً ونُشّاباً ، وأطبق البابين .

فرفعت النسور رؤوسها ، فنظرت إلى اللحم فطارت صاعدة ، وارتفعت في الهواء[1] . فقال لوزيره : افتح الباب الذي يلي الأرض وانظر كيف هي ؟ قال : أراها كأنها قرية . قال : انظر إلى السماء ، فقال : هي كما رأيناها ونحن على الأرض .

فلم يزل يصعد حتى قال : أمّا الدنيا فلا أراها إلاّ سواداً ودخاناً ، والسماء كما رأيناها .

وارتفعت النسور حتى كادت تسقط إلى الأرض ، فعارضه مَلَك وقال : ويلك يا نمروذ ، إلى أين ؟ قال : أريد محاربة إله إبراهيم ، قال : ويحك ، إن بينك وبين سماء الدنيا خمسمائة عام ، ومِن فوق ذلك ما لا يعلم إلاّ الله . فخرّ الوزير ميتاً ، فأخذ نمروذ القوس ووضع فيه السهم وقال : أنا لك يا إله إبراهيم ، ورمى بالسهم إلى الهواء .

فيقال : إن ذلك السهم عاد إليه مُلَطَّخاً بالدم بإذن الله تعالى .

وأمر الله جبريل أن يضرب التابوت بجناحه ويلقيه في البحر ، فضربه ، فمرّ يَهْوِي به حتى ألقاه في البحر ، وأمر الله الأمواج أن تلقيه إلى الساحل .

---

(١) : يُعَدُّ النسر من أكثر الطيور طيراناً وقوة .

فلما وصل إلى البر خرج وقد ابيضّت لحيته ؛ لِما عاين من الأهوال . وتوصّل من بلد إلى بلد حتى أتى المدينة ، فدخل منزله ليلاً ، فأنكره الناس لِشَيْبه ثم عرفوه .

وجاءه إبراهيم فقال : كيف رأيتَ قدرة ربي ؟ قال : قد قتلتُ ربك ، قال : إن ربي أعظم من ذلك ، ولكن هل لك قوة مع كثرة جنودك أنْ تقاتلني ؟ قال : نعم ، فقال : موعدنا غداً في الصحراء .

۞ خبر إرسال البعوض على نمروذ وقومه :

قال كعب الأحبار : وأمر نمروذ جنوده فاجتمعوا لحرب إبراهيم وهم لا يُحْصَوْن كثرة ، وخرج إبراهيم في سبعين من قومه الذين آمنوا إلى الصحراء ، فأرسل الله عليهم البعوض حتى امتلأت منه الدنيا ، ولَدَغَتْ جيش نمروذ ، فمات مِن لَدْغِها خَلْقٌ كثير ، والتجأ الباقون إلى الدُّور ، وأغلقوا الأبواب ، وأَسْبَلوا الستور ، فلم تُغْنِ عنهم شيئاً .

وانفرد نمروذ عن جيشه ودخل منزله ، وأُغْلِقَتِ الأبواب ، وأُرْخِيَتِ الستور ، واستلقى على سريره ، فجاءت بعوضة فَقَعَدَتْ على لحيته ، فَهَمَّ بِقَتْلها فَدَخَلَتْ منخره وصعدتْ إلى دماغه . فعذّبه الله بها أربعين يوماً ، لا ينام ولا يَطْعَم ، ثم شقّتْ رأسه وخرجت في كِبَر الفرخ ، فمات .

وقيل : إنه اتّخذ إِرْزَبّة من حديد ، فكان صديقه الذي يضرب بها رأسَه ، فانفلق رأسُه بضربة ، فخرجتْ كالفرخ وهي تقول : هكذا يُهْلِكُ الله أعداءه ، وينصر أنبياءه ، ويُسَلِّط رُسُلَه على مَن يشاء . وأرسل الله الزلزال على المدينة فخُرِّبَتْ .

أجل ، لقد تركه رب العالمين وهرب حتى يُرِيه ويُرِي الناس أنه أضعف من ضعيف ، أراد أن يقول لهم : انظروا إلى هذا المتكبر المتجبر الذي ادّعى الألوهية ، ماذا جرى به بعد كل هذه المعجزات والآيات ؟ الجندي الذي قتله هو أضعف جندي برأي الناس وأَحْقَره ، ومع ذلك قتله وخرج سالماً ، فاعتبِروا يا أولي الألباب والأبصار .

قال كعب الأحبار : وجاء لوط وهو ابن أخي إبراهيم وآمن به ، وآمنتْ سارة فتزوّج بها إبراهيم .



سيدنا إبراهيم
عليه الصلاة والسلام
ذِكرُ صفته وهجرته وزواجه من سارة
والصحف التي نزلت عليه

قال الله ﷻ في كتابه العزيز : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥] .

وقال ﷻ : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النحل] .

وقال تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧١] .

وقال ﷻ : ﴿ ۞ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٢٦][1] .

۞ هجرة إبراهيم عليه السلام وما حصل معه من معجزات :

بعد المعارك القاسية التي خاضها سيدنا إبراهيم مع جبّار زمانه نمروذ وانتصر عليه ، وَجَدَ قومه مُصِرِّين على الكفر والشرك بالله ، وملازمين عبادة الأصنام ، فما كان منه إلا أن ينوي مفارقتهم .

---

(١) : ارجع كذلك إن شئتَ إلى المواضع التالية من القرآن الكريم : آل عمران ٦٥–٦٨ ، الأنعام ١٦١–١٦٣ ، النجم ٣٧ ، الأعلى ١٨–١٩ .



فهاجر من بلده كوثى التي وقعت فيها المعركة إلى بلدة يقال لها : حرّان[1] ، فجلس هناك فترة من الزمن يعبد الله تعالى مع القِلّة الذين آمنوا مِن قومه ، وهناك تزوّج بسارة بعد أن آمنت به وحَسُن إيمانها على أحد الأقوال .

وقيل : بل تَزَوَّجَها في كوثى البلد الأول لمولده كما قدّمنا في رواية كعب الأحبار .

وقال أهل التواريخ والسِّيَر والأخبار : فتزوّج إبراهيم سارة ، وناحور مَلْكا ابنة هاران – يعنون بابنة أخيه – . قالوا : وكانت سارة عاقراً لا تلد .

وفي رواية ذكرها صاحب النهاية ابن كثير نقلاً عن أهل السِّيَر والتواريخ قال : وانطلق تارَخ بابنه إبراهيم وامرأته سارة وابن أخيه لوط بن هاران ، فخرج بهم من أرض

---

(١) : ويقال لها أيضاً : حاران ، وهي قرية تقع في الأراضي التركية على الحدود السورية ، وفيها يحتفلون كل عام بعيد إبراهيم .

الكلدانيِّين إلى أرض الكنعانيين ، فنزلوا حرّان ، فمات فيها تارَخ وله مائتان وخمسون سنة . ثم ارتحلوا قاصدين أرض الكنعانيين وهي بلاد بيت المقدس ، فأقاموا بحرّان وهي أرض الكشدانيين في ذلك الزمان ، وكذلك أرض الجزيرة والشام أيضاً . وكانوا آنذاك يعبدون الكواكب السبعة .

وإن الذين عمروا مدينة دمشق كانوا على هذا الدين يستقبلون القطب الشمالي ، ويعبدون الكواكب السبعة بأنواع من الفِعال والمقال ، ويعملون لها أعياداً وقرابين ؛ ولهذا كان على كل باب من أبواب دمشق السبعة القديمة هيكل لكوكب منها .

وهكذا كان أهل حرّان يعبدون الكواكب والأصنام .

وإنَّ كل مَن كان على وجه الأرض كان كافراً سوى إبراهيم الخليل ، وامرأته ، وابن أخيه لوط .

وكان سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام هو الذي أزال الله به تلك الشرور ، وأبطل به ذلك الضلال .

فإن الله تعالى آتاه رُشْده في صغره ، وابْتَعَثَهُ رسولاً ، واتّخذه خليلاً في كِبَره .



أحد الأبواب الأصلية لمدينة حاران والباقية حتى يومنا هذا ، فقد كانت محاطة بسور له اثنتا عشرة بوابة ، خمسة منها فقط لا زالت موجودة

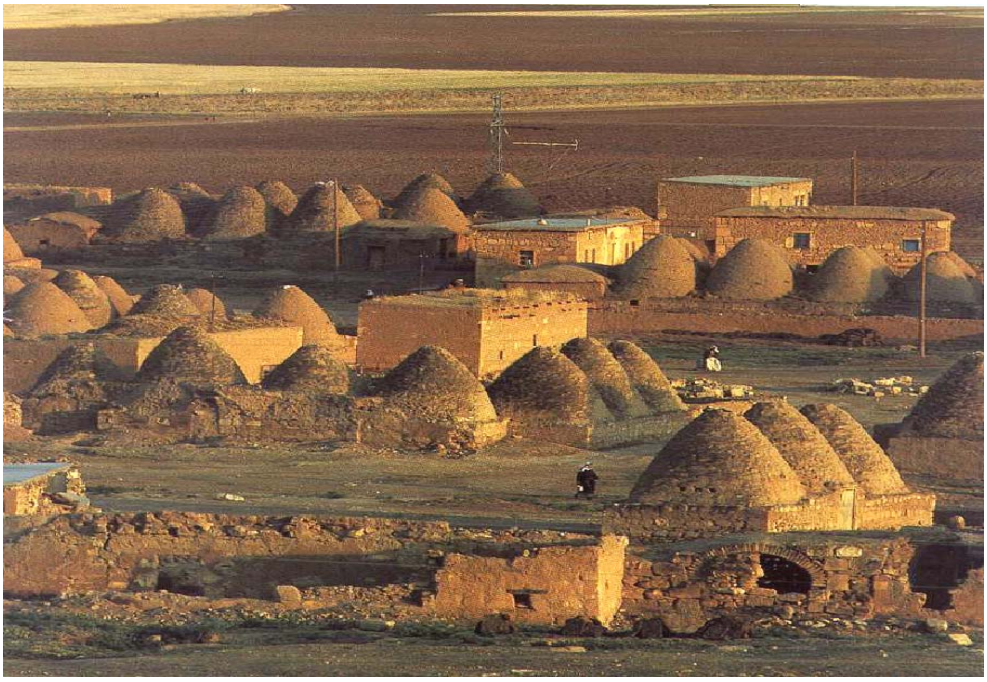



قرية حران كما تبدو اليوم ، والتي تتميز بمنازلها ذات الشكل المخروطي والمصنوعة من الطين، بحيث تكون باردة صيفاً ودافئة شتاء ، وهي من معالمها الأثرية القديمة الباقية حتى يومنا هذا ، وقد كان مسكن إبراهيم عليه السلام على تل في وسط القرية

قيل : ثم أُمِرَ إبراهيم عليه السلام أن يَخرج من حرّان ، وأن يتوجّه منطلقاً إلى بلاد الشام . فغادرها بعد أن ترك فيها قِلّة من المؤمنين ، ومعه زوجته سارة وعبده ، وابن أخيه لوط ولم يكن قد نُبِّئَ بعد .

فانطلق إبراهيم عليه السلام إلى بلاد الشام كما أمره ربه ﷻ ، فوجد القحل فيها .

فانطلق إلى مصر ، وعندما مرّ على منطقة بئر سبع في فلسطين وجد هناك بئراً كانت جافة ، فجلس عليها ففاض ماؤها ، وجاء أهل المنطقة واغترفوا من الماء . ثم أرادوا طرده بعد أن أخذوا الماء منه فحاربوه ، فتركهم وسار ، فجفّ البئر . حاولوا أن يأخذوا منه ماء فلم يجدوا به قطرة واحدة ، فعندما أَيِسوا تبعوا إبراهيم عليه السلام وهرولوا خلفه ، وقالوا : أَقْبِلْ إلينا . قال : لقد ذهبتُ فلن أعود ، ولكن خذوا هذه السخلات الأربعة ، فإذا وصلتْ إلى الماء فإنه سيعود كما كان ، إنما وصيتي أن لا تغترف منه حائض ، فإذا اغترفتْ منه حائض غار ماؤه . فأخذوا هذه السخلات ، فما أنْ وصلتْ إلى البئر الجاف حتى فاض ماؤه . وهكذا تَنَعَّمُوا بمائهم كثيراً حتى اغترفت منه حائض ، فغار البئر .

وكانت هذه من المعجزات الكثيرة الواضحة التي ظهرتْ على يديه عليه الصلاة والسلام .

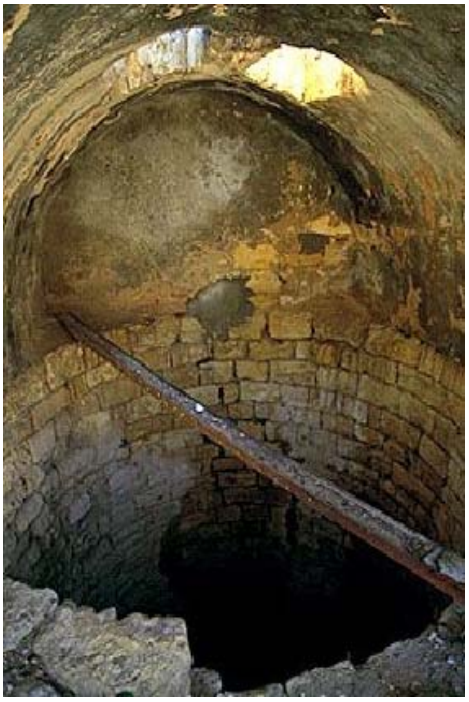



بئر إبراهيم كما هو معروف في بئر السبع





صورة أخرى لبئر آخر في منطقة بئر سبع يقال : إنه هو بئر إبراهيم

وذكر كعب الأحبار وأيّده النويري في نهاية الأرب حيث قال : وجمع إبراهيم أصحابه الذين آمنوا به وسار يريد الشام ، فجاء إلى حرّان فأقام بها مُدّة مِن عُمُره ، وترك بها طائفة من المؤمنين وسار حتى أتى الأردن ، وكان اسم مَلِكها صادوق ، فمرّ به وهو في مَنْظَرة له ، فنظر إلى سارة مع إبراهيم ، فأحضرهما وقال لإبراهيم : مَن أنت ؟ قال : أنا خليل الله إبراهيم ، وذكر له ما كان مِن أمره مع نمروذ . فقال له : مَن هذه ؟ قال : هي أختي ، فقال : زَوِّجْنِيها ، قال : هي أعلم بنفسها منّي ، وإنها لا تَحِلُّ لك . فاغتصبها منه وقام إلى مجلس آخر ، وأَمَرَ بِحَمْلِها إليه ، فدعا إبراهيمُ اللهَ تعالى ، فارتجّ المجلسُ بالمَلِك ويَبِسَتْ يده ، فقال لسارة : ألا تَرين ما أنا فيه ؟ قالت : لأنك أغضبتَ خليل الله .

قال كعب : فَتَضَرَّعَ إلى إبراهيم ، فسأل اللهَ في رَدِّ يده عليه ، فأوحى الله إليه : لا أُطْلِقُه دون أن أُخْرِجَه مِنْ مُلْكه ويُسْلِمَ . فَأَسْلَمَ وخرج عن المُلْك ، ووهب سارةَ هاجر ، وهي أم إسماعيل[1] . قال : وارتحل إبراهيم حتى أتى الأرضَ المقدسة فنزلها[2] .

وروى الإمام مسلم في صحيحه بسنده إلى محمد بن سيرين عن أبي هريرةرضي الله عنه أن رسول اللهﷺ قال : لم يَكْذِبْ إبراهيمُ النبيُّ عليه السلام قَطُّ إلاّ ثلاث كذبات : ثِنْتَيْن في ذات الله : قولُهُ : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [الصافات: ٨٩] ، وقولُه : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ [الأنبياء: ٦٣]. وواحدةً في شأن سارة ، فإنه قَدِمَ أرضَ جبّارٍ ومعه سارة ، وكانت أحسن الناس ، فقال لها :

---

(١) : فأمنا هاجر كانت مصرية؛ لذلك يروى عن عمرو بن العاصرضي الله عنه قال: حدثني عمر أنه سمع رسول اللهﷺ يقول: « إن الله سَيَفْتَتِحُ عليكم بعدي مصر ، فاستوصوا بقبطها خيراً ، فإن لهم منكم صهراً وذمة » – ذكره ابن يونس في تاريخ مصر – .

وروى الطبراني في الكبير بإسنادَيْن رجالُ أحدهما رجال الصحيح عن كعب بن مالك الأنصاري قال : سمعت رسول اللهﷺ يقول : « إذا فَتَحْتُم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً ، فإن لهم دماً ورَحِماً – وفي رواية : إن لهم ذمة – » ، يعني أنَّ أم إسماعيل كانت منهم .

فالنبيﷺ أَوْصانا بمصر وأهلها كثيراً قبل أن يكونوا مسلمين ، فكيف بعد أن أصبح كثيرٌ منهم أولياء وصالحين ؟ فعلينا أن نحفظ وصية رسول اللهﷺ فيهم .

(٢) : وقد روى هذه القصة بهذا السند البخاري .

إنّ هذا الجبّار إنْ يَعْلَمْ أنكِ امرأتي يَغْلِبْني عليكِ ، فإنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِريهِ أنكِ أختي ، فإنكِ أختي في الإسلام ، فإني لا أعْلَمُ في الأرض مُسْلِماً غيري وغيرك .

فلمّا دخل أرضَه رآها بعضُ أهل الجبّار ، فأتاه فقال له : لقد قَدِمَ أرضَكَ امرأةٌ لا ينبغي لها أن تكون إلاّ لك . فأرْسَلَ إليها ، فَأُتِيَ بها ، فقام إبراهيمُ عليه السلام إلى الصلاة .

فلمّا دخلتْ عليه لم يَتَمالَك أنْ بَسَطَ يده إليها ، فقُبِضَتْ يَدُهُ قبضةً شديدةً ، فقال لها : ادْعِي اللهَ أنْ يُطْلِقَ يدي ولا أَضُرُّكِ . ففعلتْ ، فعاد ، فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِن القبضة الأولى ، فقال لها مِثْلَ ذلك ، ففعلتْ ، فعاد ، فقُبِضَتْ أَشَدَّ مِن القَبْضَتَيْن الأُولَيَيْن ، فقال : ادْعِي اللهَ أنْ يُطْلِقَ يدي ، فَلَكِ اللهَ أنْ لا أَضُرَّكِ . ففعلتْ ، وأُطْلِقَتْ يَدُهُ .

ودعا الذي جاء بها فقال له : إنكَ إنّما أَتَيْتَني بشيطان ولم تَأْتِني بإنسان ، فَأَخْرِجْها مِن أرضي وأَعْطِها هاجر .

قال : فأقبلتْ تمشي ، فلمّا رآها إبراهيمُ عليه السلام انصرف ، فقال لها : مَهْيَمْ ، قالت : خيراً ، كَفَّ اللهُ يَدَ الفاجر وأَخْدَمَ خادماً .

قال أبو هريرة : فتلك أُمُّكُمْ يا بَنِي ماءِ السماء .

وفي رواية ذكرها النويري في نهاية الأرب[1] قال : قال إبراهيم بن القاسم الكاتب في سياقة أخباره : لَمّا فارق إبراهيمُ عليه السلام قومَه والنمروذَ بن كنعان نزل الشام ، ثم خرج إلى مصر ومعه سارة امرأته ، وخلّف ابنَ أخيه لوطاً بالشام وسار إلى مصر ، وكانت سارة أحسن نساء العالمين في وقتها ، ويقال : إنَّ يوسف الصديق وَرِثَ جزءاً من حُسْنها ؛ لأنها جَدّة أبيه .

قال : فلما سار إبراهيم إلى مصر ، وأتى الحرسُ المقيمون على أبواب المدينة ، فَرَأَوْا سارةَ وعَجِبوا مِن حُسْنها ، ورفعوا خبرها إلى طُوطِيس[2] .

---

(١) : ج١٥ ص١٠٤ .

(٢) : راجع شرح البخاري للقسطلاني ج٤ ص١٢٢ طبعة بولاق : إنَّ اسم هذا الملك صاروق ، وقيل : سنان بن علوان ، وقيل : عمرو بن امرئ القيس بن سبأ ، وكان حاكم مصر يومها . وقال ابن الأثير في الكامل : هو سنان بن عُلوان بن عبيد بن عولج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام .

وقد روينا في ذلك حديثاً بسندنا الذي قدّمناه إلى أبي عبدالله البخاري رحمه الله[١] قال : حدثنا أبو اليمان قال : أخبرنا شعيب قال : حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرةﷺ قال : قال النبيﷺ : هاجر إبراهيمعليه السلام بسارة ، فدخل بها قرية[٢] فيها ملك من الملوك أو جبّار من الجبابرة ، فقيل : دخل إبراهيم بامرأة هي مِن أحسن النساء ، فأرسل إليه : أنْ يا إبراهيم ، مَن هذه التي معك ؟ قال : أختي ، ثم رجع إليها فقال : لا تُكَذِّبي حديثي ، فإني أخْبَرْتُهم أنك أختي ، واللهِ إنْ[٣] على الأرض مِن مؤمن غيري وغيرك .

فَأرْسَلَ بها إليه ، فقام إليها ، فقامت تَوَضَّأ وتُصلي ، فقالت : اللهم إنْ كنتُ آمنتُ بك وبرسولك وأحصنتُ فرجي إلاّ على زوجي ، فلا تُسَلِّط عليّ هذا الكافر . فَغُطَّ[٤] حتى ركض برجله .

قال الأعرج : قال أبو سلمة بن عبد الرحمن : إن أبا هريرة قال : قالت : اللهم إنْ يَمُتْ يقال : هي قَتَلَتْه .

فَأُرْسِلَ ، ثم قام إليها ، فقامت تَوَضَّأ وتُصلي وتقول : اللهم إن كنتُ آمنتُ بك وبرسولك وأحصنتُ فرجي إلاّ على زوجي ، فلا تُسَلِّط عليّ هذا الكافر . فَغُطَّ حتى ركض برجله .

قال عبد الرحمن : قال أبو سلمة : قال أبو هريرة : فقالت : اللهم إنْ يَمُتْ فيقال : هي قَتَلَتْه .

فَأُرْسِلَ في الثانية - أو في الثالثة - ، فقال : واللهِ ما أَرْسَلْتُمْ إليّ إلاّ شيطاناً ، أرْجِعوها إلى إبراهيم ، وأعْطُوها آجر[٥] .

---

(١) : راجع صحيح البخاري ج٣ ص٣٥ طبعة بولاق سنة ١٢٩٠ .

(٢) : في شرح البخاري للقسطلاني : هي مصر ، وقال ابن قتيبة : هي الأردن .

(٣) : إنْ هنا بمعنى ما .

(٤) : أي أُخِذَ بمجاري نَفَسه حتى سُمِعَ له غَطيط .

(٥) : هي هاجر أم إسماعيل .

فرجعت إلى إبراهيم عليه السلام فقالت : أَشَعَرْتَ أنَّ الله كَبَتَ الكافر وأَخْدَمَ وليدة ؟

قال النويري : قال الكاتب : وقد ورد في أخبار طُوطِيس زيادات ، وهي : أنَّ المَلِك لَمّا أَطْلَقَتْه في المرة الثالثة قال لها : إن لكِ رَبّاً عظيماً لا يُضَيِّعُكِ ، وأَعْظَمَ قَدْرَها ، وسألها عن إبراهيم فقالت : هو قريبي وزوجي ، قال : فإنه ذَكَرَ أنك أخته ! قالت : صَدَقَ ، أنا أخته في الدين ، وكلُّ مَن كان على ديننا فهو أخ لنا . قال : نِعْمَ الدين دينكم ، ووجّهها إلى ابنته حوريا ، وكانت من العقل والكمال بمكان كبير ، فألقى الله تعالى محبة سارة في قلبها ، فعظّمتها حوريا وأَضافَتْها أحسن ضيافة ، ووهبتْ لها جوهراً ومالاً .

فأتت به إبراهيم عليه السلام فقال لها : رُدِّيه ، فلا حاجة لنا به . فردّته ، فذكرتْ حوريا ذلك لأبيها ، فَعَجِبَ منها وقال : هؤلاء مِن قومٍ كِرامٍ ، ومِنْ أهل بيتِ طهارةٍ ، فَتَحَيَّلِي في بِرِّها بكل حيلة .

فوهبتْ لها جارية قبطية من أحسن الجواري يقال لها : آجر ، وهي هاجر أم إسماعيل عليه السلام . وعملتْ لها سلالاً من الحلوى وقالت : يكون معك هذا للزاد ، وجعلتْ تحت الحلوى جوهراً نفيساً ، وحُلِيّاً مصبوغاً مُكَلَّلاً . فقالت سارة : أُشاور صاحبي ، فأتت إبراهيم عليه السلام فشاورته ، فقال : إذا كان مأكولاً فَخُذِيه ، فَقَبِلَتْه منها .

وخرج إبراهيم عليه السلام ، فلما أمعنوا في السير أخرجت سارة بعض تلك السلال ، فأصابت الجوهر والحُليّ ، فَعَرَّفَتْ إبراهيمَ ذلك ، فباع بعضه وحفر من ثمنه البئر التي جعلها للسبيل ، وفرّق بعضه في وجوه البِرِّ ، وكان يُضِيف كلَّ مَن مرّ به .

قال إبراهيم بن القاسم : وعاش طُوطِيس إلى أنْ وَجَّهَتْ إليه هاجرُ مِن مكة تُعَرِّفُه أنها بمكان جَدْب وتستغيثه . فأمر بحفر نهر في شَرْقِيِّ مصر يمر بسفح الجبل حتى ينتهي إلى مرفأ السفن في البحر المالح[1] ، فكان يحمل إليهما الحِنْطة وأصناف الغَلاّت فتصل إلى جدة ، وتُحمل مِن هناك على المطايا ، فأحيى بلد الحجاز مُدّة .

قال النويري : ويقال : إنَّ كل ما حُلِّيَتْ به الكعبة في ذلك العصر هو مِمّا أهداه مَلِك مصر .

---

(١) : أي البحر الأحمر .

ويقال : إن لكثرة ما كان طوطيس يحمله إلى الحجاز سَمَّتْه العربُ جُرْهُمَ الصادق ، وكذلك يُسَمِّيه كثير من أهل الأثر .

ويقال : إنه سأل إبراهيمعليه السلام أن يبارك له في بلده ، فدعا بالبركة لمصر ، وعرّفه إبراهيم أن ولده سيملكها ويصير أَمْرُها إليه .

قال : وطوطيس أول الفراعنة بمصر[1] ؛ وذلك أنه أكثر القَتْلَ حتى قَتَل قَرابَتَه ، وأهلَ بيته ، وبني عمه ، وخَدَمَه ، ونساءه ، وأكثرَ الكهنةِ والحكماء .

وكان حريصاً على الولد ، فلم يرزقه الله ولداً غير ابنته حوريا ، وكانت عاقلة حكيمة ، تأخذ على يده كثيراً ، وتمنعه من سفك الدماء .

فَأَبْغَضَتْهُ وأَبْغَضَهُ الخَلْق الخاص والعام ، فلمّا رأتْ أَمْرَه يزيد خافت على زوال مُلْكِهم ، فَسَمَّتْه ، فَهَلَكَ ، وكان مُلْكه سبعين سنة .

ولَمّا مات اختلفوا فيمن يُمَلِّكوه عليهم بعده ، واعتمدوا على تمليك ابنته لِصَنِيعَتِها فيه ، ولِما كانت تُنْكِر عليه ، فَتَمَّ الأمرُ لها .

ثم انطلق إبراهيمعليه السلام بزوجه ورجع إلى بلاد الشام ، حيث أُمِرَ أن ينطلق إلى حبرون[2] .

فجلس فيها يعبد الله تعالى ، وقد وصل إليها ومعه الأموال الكثيرة ، فاشترى الإبل والبقر والغنم والمعز ، وجعل عليها الرعاة ، وكانت أمواله بعد ذلك أكثرَ مِن أنْ تحصى وتَتَوالد .

وهناك بدأ يُبَلِّغ دَعْوَته ، فآمن به أهلها ، وكان يُكْرِمُهم .

---

(١) : قيل : كان الفراعنة ستاً ، وقيل : كانوا سبعاً .

(٢) : هي بلد من بلاد فلسطين اسمها الآن الخليل ، ويسمونها أيضاً خليل الرحمن .

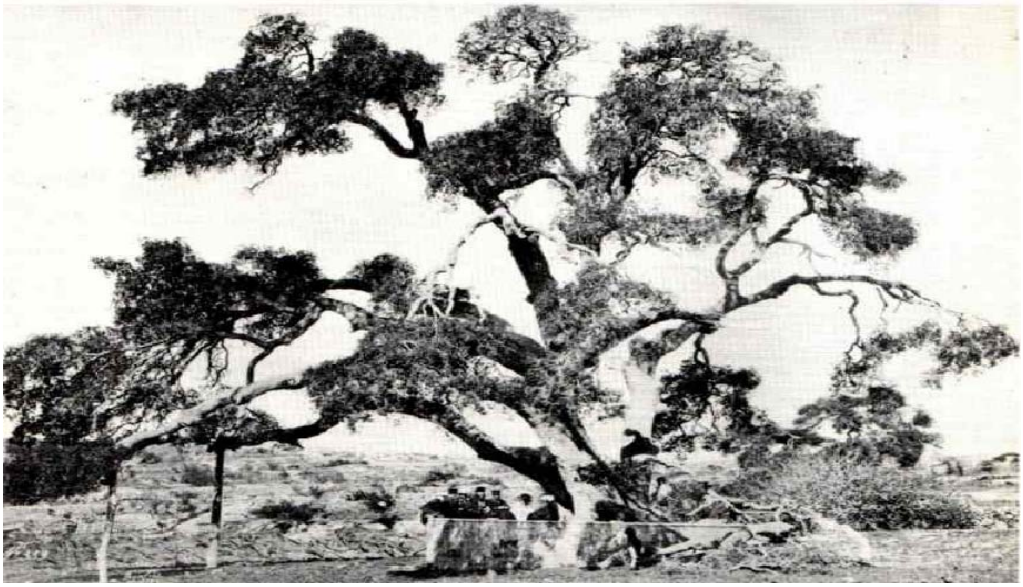





صور قديمة وحديثة لشجرة إبراهيم ، وهي شجرة بلوط تقع على بعد ٢ كم إلى الغرب من حبرون ، ويُعتقد بأنها المكان الذي نصب فيه إبراهيم الخليل خيمته وسكن فيه أول ما وصل حبرون

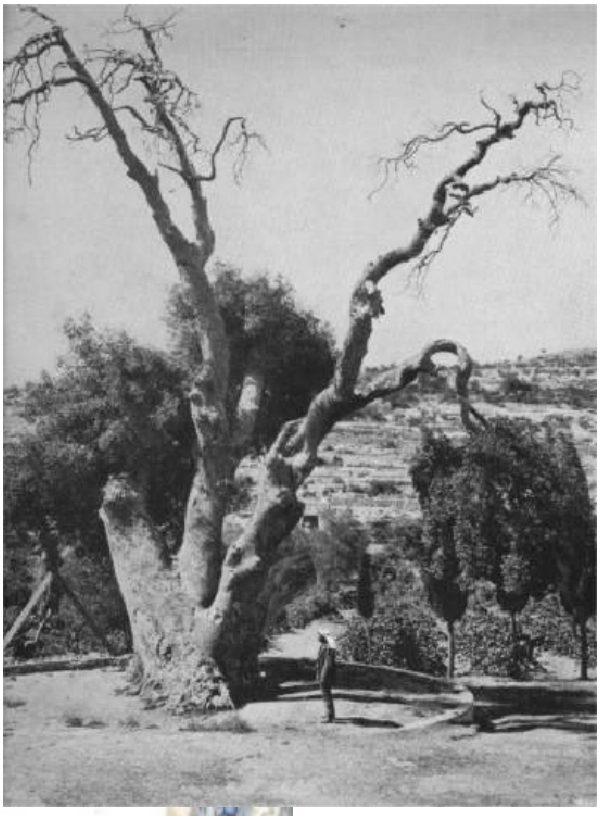

صورة قديمة لشجرة إبراهيم
في حبرون

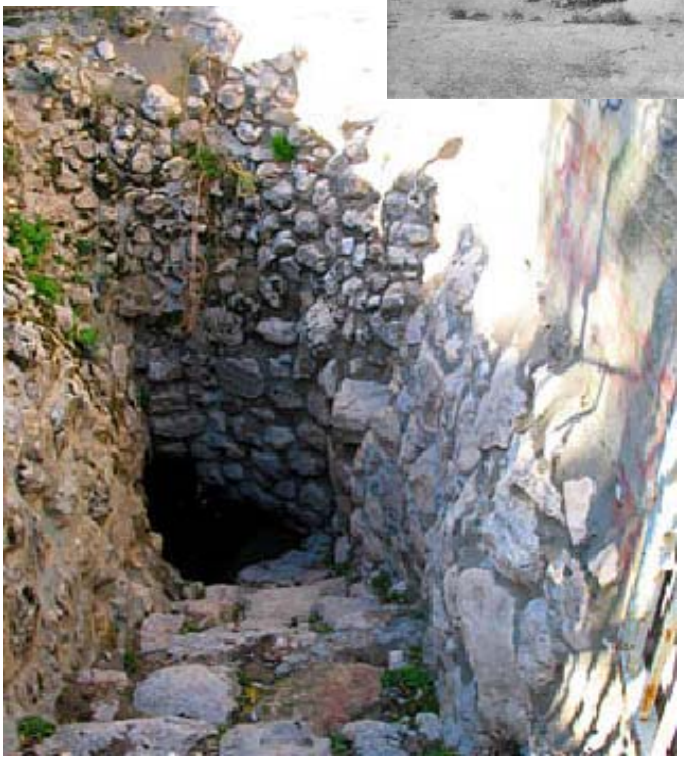

بئر من صناعة الإنسان
يُعتقد بأنه من آثار سيدنا
إبراهيم عليه السلام الموجودة
في حبرون

۞ ذكر صفة إبراهيم عليه السلام :

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « عُرِضَ عليّ الأنبياء ، فإذا موسى ضَرْبٌ من الرجال كأنه من رجال شنوءة . ورأيتُ عيسى بن مريم ، فإذا أقرب ما رأيتُ به شَبَهاً عروة بن مسعود . ورأيتُ إبراهيمَ ، فإذا أقرب مَنْ رأيت به شَبَهاً صاحبكم – يعني نفسه – ورأيتُ جبريل ، فإذا أقرب مَنْ رأيتُ به شَبَهاً دحية »[١] .

وعن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيتُ عيسى بن مريم وموسى وإبراهيم ، أما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر ، وأما موسى فآدم جسيم سبط كأنه من رجال الزطّ . قالوا له : فإبراهيم ؟ قال : انظروا إلى صاحبكم – يعني نفسه – »[٢] .

وعن ابن عباس كذلك وذكروا له الدجالَ بين عينيه مكتوبٌ كافر أو ك ف ر ، قال : لم أسمعه ، ولكنه قال : « أمّا إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم . وأما موسى فَجَعْدٌ آدَمُ على جمل أحمر مَخْطوم بخُلْبة ، كأني أنظر إليه انحدر في الوادي »[٣] .

ومن هذه الأحاديث نفهم أنَّ أشْبَه الناس بسيدنا إبراهيم سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام .

وفي رواية وردت عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إنا نُشَبِّه عثمان بأبينا إبراهيم عليه السلام »[٤] .

---

(١) : إسناده حسن رواه الإمام أحمد ، ومسلم واللفظ له ، والترمذي في سننه وقال : حسن صحيح غريب ، وابن حبان في صحيحه ، وأبو يعلى في مسنده ، وغيرهم .

(٢) : رواه أحمد في مسنده ، والطبراني في الكبير .

(٣) : رواه أحمد والبخاري ومسلم والبيهقي بإسناد حسن ، واللفظ للبخاري . وفي رواية : (انحدر في الوادي يُلَبّي) .

(٤) : رواه الديلمي وابن عدي والذهبي ، وذكره ابن حجر .

۞ ذِكْرُ بعض مناقب إبراهيم الخليل عليه السلام :

لقد شُهر إبراهيم عليه السلام بالكرم ، فكان بيته دائماً مفتوحاً للضيفان .

كان له أبواب أربعة ، فمِن أي جهة جاء الضيف دخل .

يروى أنه جاءه في مرة ضيف مجوسي ، فقال له إبراهيم عليه السلام : لا أُطْعِمُكَ حتى تُؤْمِنَ ، فقال له المجوسي : لا أُغَيِّرُ ديني من أجل غَدْوة أتغدّاها . فنزل جبريل معاتباً إبراهيم وقال له : يا خليل الرحمن ، ربك يُقْرِئُك السلام ويقول لك : إن هذا المجوسي منذ سبعين عاماً يعبد غيري ويأكل من رزقي ، أما تحمّلته يا إبراهيم غدوة واحدة ؟ فبكى إبراهيم ، وتبع المجوسي وقال : أرجوك أن تعود لتناول الطعام ، قال : أنت طردتني ثم الآن ترجوني ! قال : ويحك ، لقد عاتبني فيك ربي من فوق سبع سماوات ، ارْجِعْ يا هذا . فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنك رسول الله .

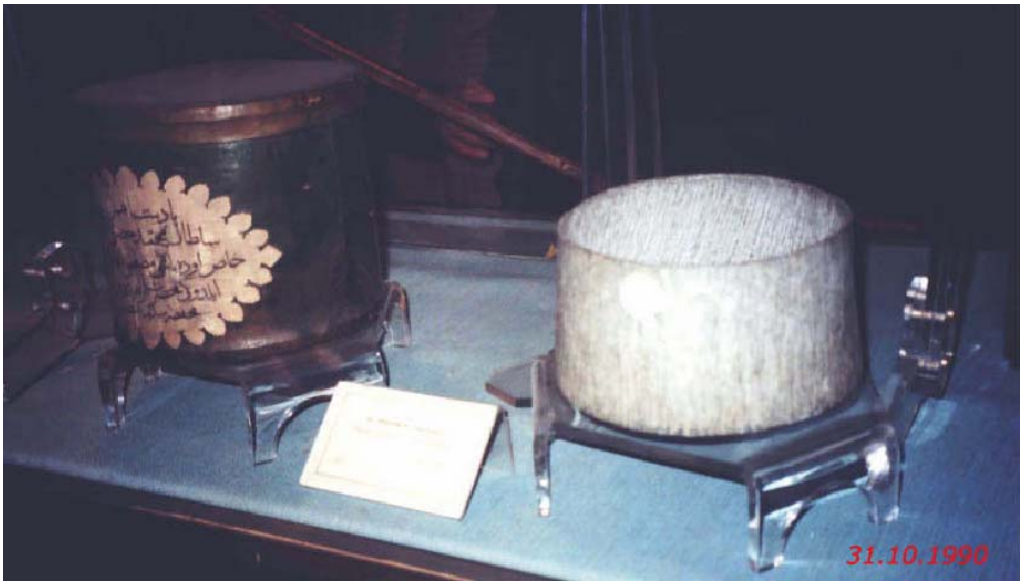

وعاء حجري موجود في متحف توب كابي باستنبول ويقال : إنه لسيدنا إبراهيم عليه السلام

وكان إبراهيم عليه السلام كما وصفه تعالى حليماً ، أوّاهاً ، رحيماً ، يأمر بالبِرِّ والتقوى ، ويأمر بتوحيد الله ، فحيث وُجِدَ كان داعية إلى الله سبحانه .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود: ٧٥] .

وكان حنيفاً مسلماً ولم يكن من المشركين ، فهو القائل : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٩] .

وهو القائل أيضاً : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام] .

وكان عليه السلام خليلاً لربه ، وكان حُبُّ ربِّه قد مَلَكَ جوارحه ، ومَلَكَ عليه أَمْرَه . فما مال بعمره إلى مرتبة ، ولا مال إلى الغير أبداً .

فقالت الملائكة : يا رب ، إنه خليلك لأنك أعطيته هذا المال . فقال عليه السلام : يا جبريل ، اذهب وامتحن خليلي إبراهيم .

فنزل جبريل بصورة رجل ، ووقف أمام إبراهيم وقال بصوت جميل : لا إله إلاّ الله ، فقال إبراهيم : أحسنتَ يا أخي ، لَكَ كُلُّ مالي ، قُلْها مرة ثانية وأنا عَبْدٌ عندك . فقال جبريل : أَبْقِ عليك مالَكَ يا إبراهيم ، أَشْهَدُ بأنك خليل الرحمن ، لا تُقَدِّم شيئاً على حب ربك .

۞ ذكر صفة قصر إبراهيم عليه السلام في الجنة :

يروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ في الجنة قصراً مِن دُرٍّ لا صدع فيه ولا وَهْن[1] ، أعدّه الله لخليله إبراهيم عليه السلام نُزُلاً »[2] .

۞ ذِكْر الصحف التي نزلت على إبراهيم خليل الرحمن :

قال الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعلى] .

يروى عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في حديث طويل : وأنزل الله على إبراهيم

---

(١) : أي لا كسر ولا شق .

(٢) : رواه الطبراني في الأوسط والبزار بنحوه ، ورجالهما رجال الصحيح .

عشر صحائف . قال : قلت : يا رسول الله ، ما كانت صحف إبراهيم ؟ قال : كانت أمثالاً كلها : أيّها المَلِك المُسَلَّط المبتلى المغرور ، إني لم أَبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكني بعثتُك لِتَرُدّ عني دعوة المظلوم ، فإني لا أردّها ولو كانت من كافر .

وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عَقْلِه أن يكون له ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكر فيها في صُنْع الله ، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب .

وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً إلاّ لثلاث : تَزَوُّدٍ لِمعاد ، أو مَرَمّة لِمعاش ، أو لذّة في غير مُحَرَّم .

وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه ، مُقْبِلاً على شأنه ، حافظاً للسانه .

ومَن حسب كلامَه مِنْ عَمَلِهِ قلّ كلامُه إلاّ فيما يعنيه[1] .

---

(١) : رواه ابن حبان في صحيحه واللفظ له ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

وهو في أوله ذِكْر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ذُكِرَتْ منه هذه القطعة لِما فيها من الحِكَم العظيمة ، والمواعظ الجسيمة .

سيدنا إبراهيم خليل الرحمن
وولده إسماعيل والبشارة بإسحاق
عليهم الصلاة والسلام

قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ [إبراهيم] .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾ [مريم] .

وقال ﷻ : ﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾ [الصافات][1] .

---

(١) : ارجع كذلك إن شئتَ إلى المواضع التالية من القرآن الكريم : البقرة ١٢٤-١٤٠ ، آل عمران ٨٤ و٩٥-٩٧ ، النساء ١٦٣ ، الأنعام ٨٦ ، هود ٦٩-٧٦ ، الحجر ٥١-٦٠ ، الأنبياء ٨٥-٨٦ ، الحج ٢٦-٢٧، ص ٤٥-٤٨ ، الذاريات ٢٤-٣٠ .

۞ ميلاد إسماعيل عليه السلام ونشأته في مكة :

قال صاحب نهاية الأرب في كتابه نقلاً عن كعب الأحبار : وأقام إبراهيم بالأرض المقدسة ما شاء الله أن يقيم ، حتى كَبُرَتْ سارة وأَيِسَتْ من الولد ، فخافت انقطاع نسل إبراهيم عليه السلام ، فوهبته هاجر ، فَقَبِلَها وواقعها ، فحملتْ بإسماعيل ، ووضعته كالقمر وفي وجهه نور نبينا محمد ﷺ .

فأحبّته سارة حتى بلغ من عمره سبع سنين ، فداخلت الغيرةُ سارةَ ، ولم تُطِقْ أن ترى إبراهيم مع هاجر ، فقالت : يا نبي الله ، إني لا أُحِبُّ أن تكون هاجر معي في الدار ، فَحَوِّلْها حيث شئتَ .

فأوحى الله إليه أن انقلها إلى الحرم ، وجاءه جبريل بفرس من الجنة[1] ، فقال له : يا إبراهيم ، احمل هاجر وإسماعيل على هذا الفرس .

فَأَرْكَبَ إبراهيمُ هاجرَ وإسماعيلَ مِن ورائها ، وسار بهما حتى بلغ الحرم ، فأوحى الله تعالى إليه : أن انزل بهما ها هنا ، فأنزلهما بالقرب من البيت وهو يومئذ أَكَمة حمراء كالربوة من تخريب الطوفان[2] . ثم قال إبراهيم لهاجر : كُوني ها هنا مع ولدك فإني راجعٌ ، فبذلك أمرني ربي .

فلما أراد إبراهيم أن ينصرف قال : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧] .

ثم رجع وتركهما هناك ، ولا ثالث لهما إلاّ الله تعالى .

فلمّا علا النهار واشتدّ الحرّ ، ونفد ما معهما من الماء ، قامت هاجر تعدو يميناً وشمالاً في طلب الماء فلم تجده ، فعادت إلى إسماعيل فرأته يبحث بأصابعه في موضع بئر زمزم وقد

---

(١) : هو البراق على إحدى الروايات .

(٢) : فقد كانت عَلَتْها سيول الطوفان وجعلتها كثيباً رملياً ، فالكعبة كانت تحت الكثيب الرملي ولا يدري أحد بوجودها .

نبع الماء ، فسجدتْ لله ، وأخذتْ تجمع الحصى حول العين لئلاّ ينتشر الماء وهي تقول : زُمَّ زُمَّ يا مبارك ، فناداها جبريل : لا تخافي وأبشري ، فإن الله سيعمر هذا المكان .

قال وهب بن منبه : لولا أنَّ هاجر جمعت الحصى حول الماء لَتَمَّتِ العينُ نهراً جارياً على وجه الأرض إلى يوم القيامة .

وهكذا عاشت هاجر وولدها إسماعيلُ حياة طيبة ، وجلسا فترة يعيشان على ماء زمزم ، حتى مَرَّتْ بهم رفقة من قبيلة جُرْهُم تريد المرعى الجميل ، والمياه لغنمها وإبلها .

وروى البخاري[1] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أَوَّلُ ما اتّخذ النساءُ المِنْطَق مِن قِبَلِ أم إسماعيل ، اتّخذتْ مِنْطَقاً لِتُعَفِّيَ أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي تُرْضِعُه حتى وضعها عند البيت ، عند دَوْحة فوق زمزم في أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء . فوضعهما هنالك ، ووضع عندهما جِراباً فيه تمر ، وسِقاءً فيه ماء .

ثم قَفَّى إبراهيمُ منطلقاً ، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إسماعيل فقالت : يا إبراهيم ، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس[2] ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مراراً ، وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت له : آاللهُ الذي أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذن لا يُضَيِّعُنا ، ثم رجعتْ .

فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنيّة حيث لا يَرَوْنَه ، استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ، ورفع يديه فقال : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧] .

وجعلتْ أُمُّ إسماعيل تُرضع إسماعيلَ وتَشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفد ما في السِّقاء عطشتْ وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يَتَلَوّى – أو قال : يَتَلَبَّط[3] – ،

---

(١) : كذلك النسائي والبيهقي في سننهما ، واللفظ للبخاري كما في صحيحه ج٣ ص١٢٢٧ .

(٢) : وفي رواية : أنيس .

(٣) : أي يتمرغ ويضرب بنفسه الأرض ، وقيل : يُحَرِّك لسانه وشفتيه كأنه يموت .

فانطلقتْ كراهيةً أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يَلِيها ، فقامتْ عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترىٰ أحداً؟ فلم تَرَ أحداً . فهبطت من الصفا ، حتىٰ إذا بلغت الوادي رفعتْ طرف دِرْعِها ، ثم سَعَتْ سعي الإنسان المجهود حتىٰ جاوزت الوادي ، ثم أَتَتِ المروة فقامت عليها ونظرت هل ترىٰ أحداً؟ فلم تَرَ أحداً . ففعلت ذلك سبع مرات .

قال ابن عباس : قال النبيﷺ : فذلك سَعْيُ الناس بينهما .

قال : فلما أشرفت علىٰ المروة سمعتْ صوتاً فقالتْ : صَهٍ – تريد نفسها – ، ثم تَسَمَّعَتْ فَسَمِعَتْ أيضاً ، فقالت : قد أَسْمَعْتَ إنْ كان عندك غَواثٌ[1] ، فإذا هي بالمَلَك عند موضع زمزم ، فبحث بِعَقِبِه – أو قال : بجناحه – حتىٰ ظهر الماء ، فجعلتْ تُحَوِّضُه وتقول بيدها هكذا ، وجعلتْ تَغْرِفُ من الماء في سِقائها وهو يفور بعد ما تغرف .

قال ابن عباس : قال النبيﷺ : يرحم الله أم إسماعيل ، لو تركتْ زمزم – أو قال : لو لم تغرف من الماء – لكانت زمزم عيناً مَعِيناً .

قال : فشربتْ وأَرْضَعَتْ ولدها ، فقال لها المَلَك : لا تخافوا الضَّيْعة ، فإنّ ها هنا بيت الله ، يبني هذا الغلامُ وأبوه ، وإن الله لا يُضِيعُ أَهْلَه .

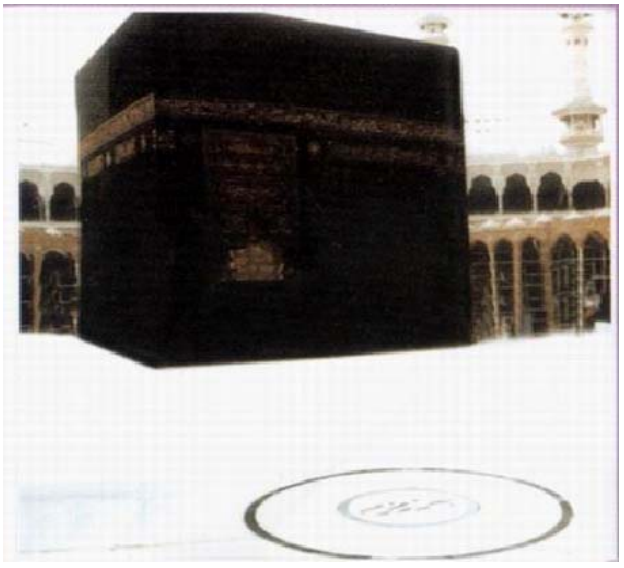

هذه الصورة تبين موضع بئر زمزم بالنسبة للكعبة حيث بحث المَلَك بعقبه أو جناحه حتىٰ ظهر الماء ، أو بسبب كثرة حركة أقدام سيدنا إسماعيل

(١) : من الإغاثة ، وهي الإعانة .



بئر زمزم قديماً



بئر زمزم عام ١٣٤٦هـ

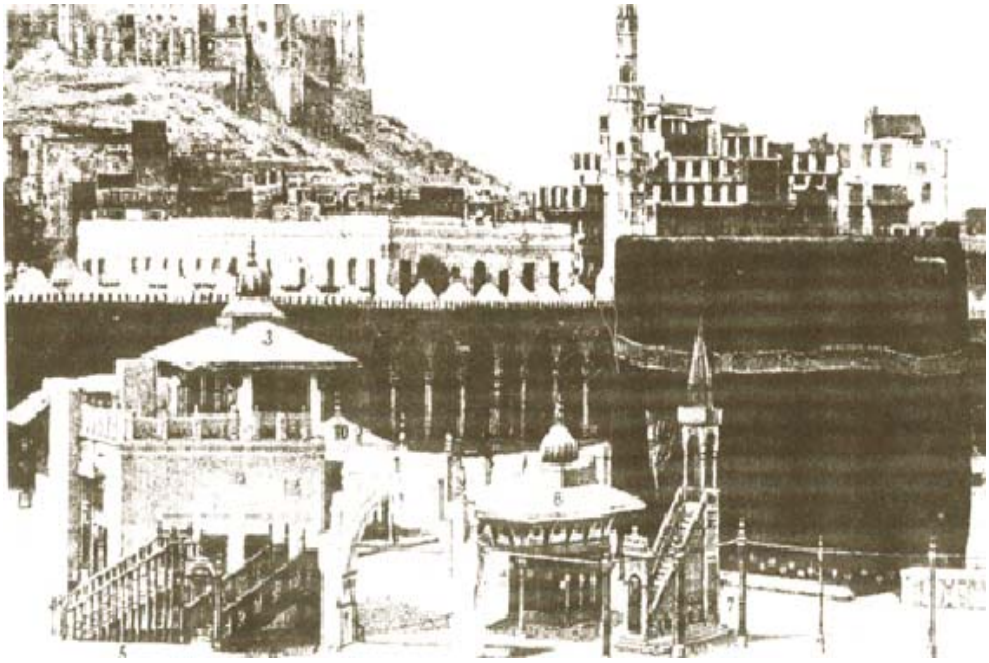

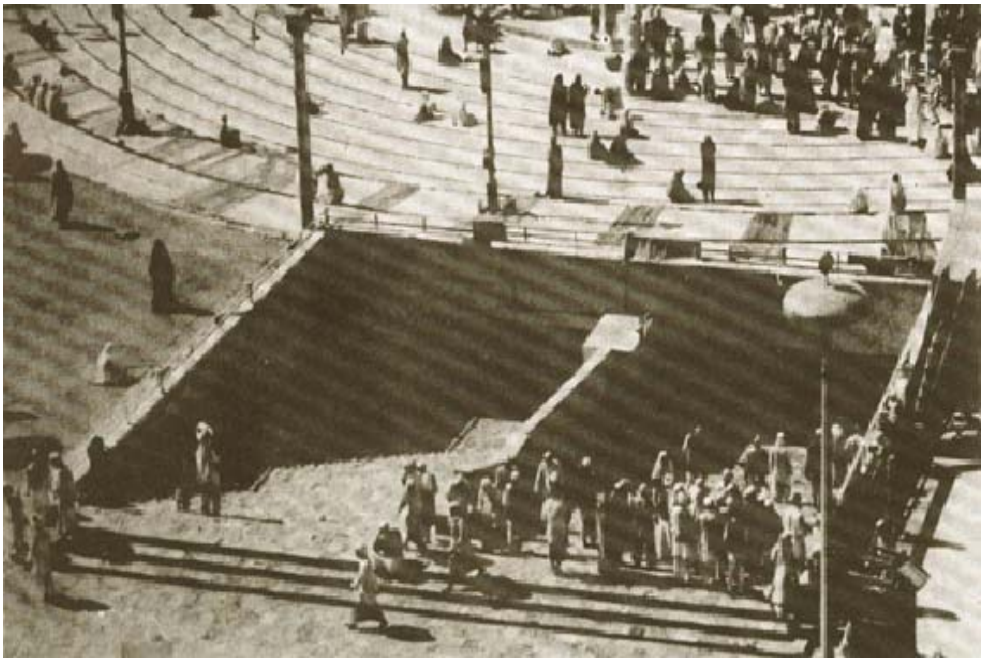

صورتان قديمتان لبئر زمزم بجانب الكعبة في فترات زمنية مختلفة



صورة قديمة لبئر زمزم



صورة حديثة لبئر زمزم



صورة لبئر زمزم من الداخل تُبَيِّن آلِيّة تجميعه وضَخِّه من بين الصخور



ماء زمزم وهو ينبع من بين الصخور



الصفا قديماً

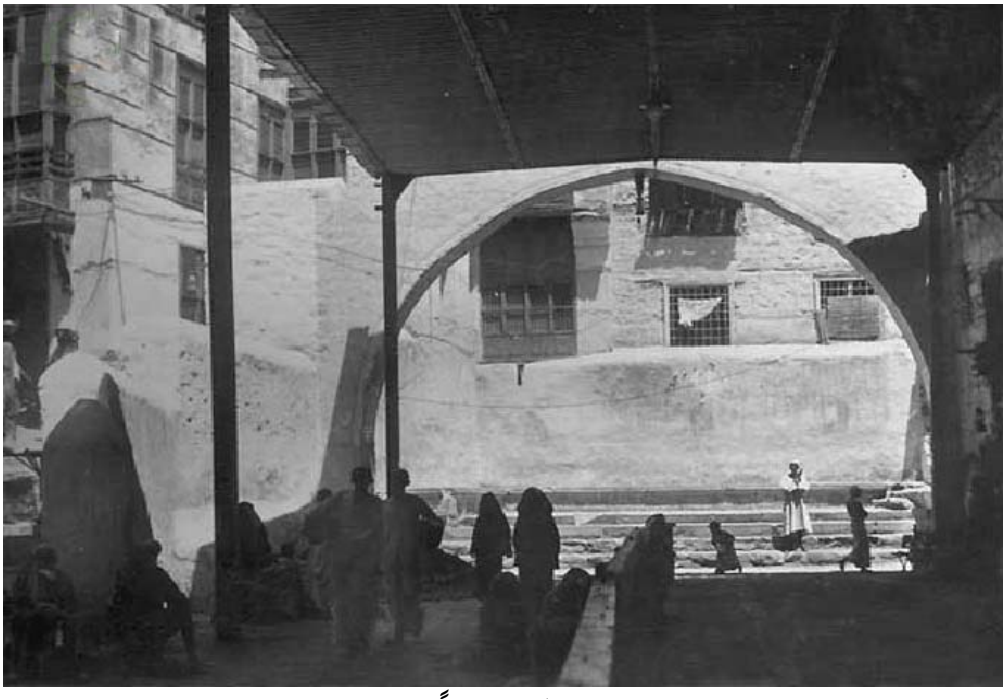

المروة قديماً



صورة للمسعى قديماً



صورة للمسعى حديثاً

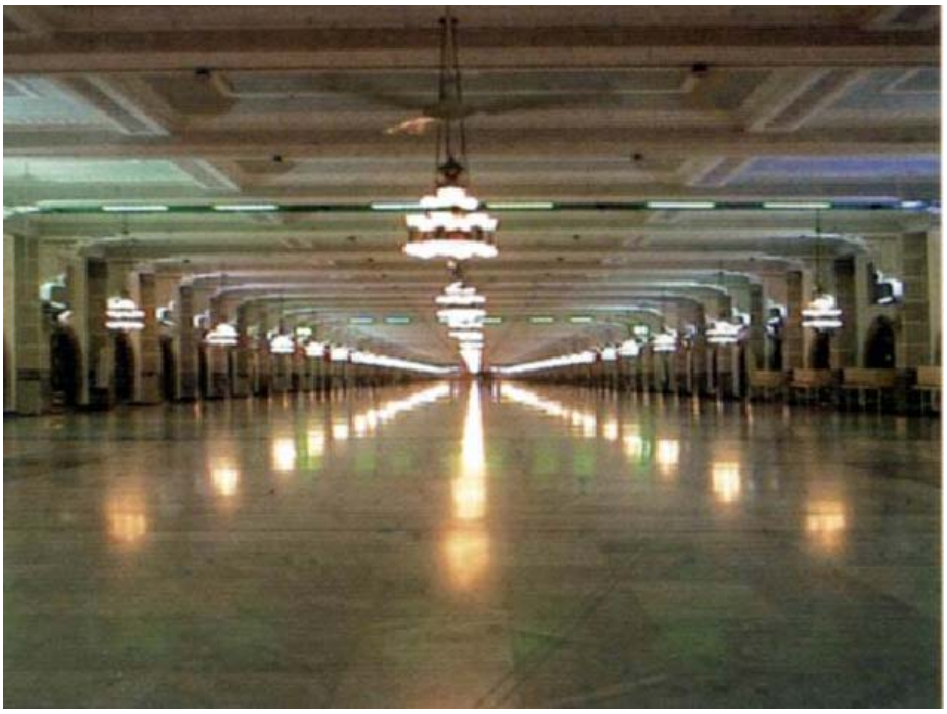

صورة للمسعى حديثاً في الطابق العلوي

قال ابن عباس : وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية ، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله . فكانت كذلك حتى مَرَّتْ بهم رُفْقة من جُرْهُم – أو أهلُ بيتٍ مِن جُرْهُم – مُقْبِلين من طريق كَداء ، فنزلوا في أسفل مكة ، فرَأَوْا طائراً عائفاً فقالوا : إن هذا الطائر لَيَدور على ماءٍ ، لَعَهْدُنا بهذا الوادي وما فيه ماء . فأَرْسَلوا جَرِيّاً أو جَرِيَّيْن[1] فإذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا .

قال : وأم إسماعيل عند الماء ، فقالوا : أَتَأْذَنين لنا أن ننزل عندك ؟ قالت : نعم ، ولكنْ لا حق لكم في الماء . قالوا : نعم .

قال ابن عباس : قال النبيﷺ : فَأَلْفَى ذلك أمَّ إسماعيل وهي تُحِبُّ الأُنْسَ .

---

(١) : الجَرِيّ الرسول ، ويُطلق على الوكيل والأجير ، وسُمِّيَ بذلك لأنه يجري مجرى مُرْسِلِه ، أو لأنه يجري مسرعاً في حوائجه .

فنزلوا ، وأرسلوا إلى أَهْلِيهم فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهلُ أبيات منهم ، وشَبَّ الغلام وتعلّم العربية منهم ، وأَنْفَسَهم وأَعْجَبَهم حين شَبَّ ، فلمّا أَدْرَكَ زَوَّجوه امرأة منهم ، وماتت أم إسماعيل .

وفي رواية لوهب بن منبه قال : وأقبل ركب من اليمن يريدون الشام وطريقهم على الحرم ، فرأوا الطير تهوي إلى الأرض وقالوا : إن الطير لا تنقضّ إلاّ على الماء والعمارة ، ولا نعلم في هذا المكان ماء ! فأقبلوا فَرَأَوْا هاجر وإسماعيل والعين ، فسألوها : مَن أنت يرحمك الله ؟ قالت : أنا جارية خليل الله إبراهيم وهذا ابنه ، خلّفنا وانصرف إلى الشام . فاستأذنوها في الماء فَأَذِنَتْ لهم ، ثم قالوا : هل أحد ينازعك على هذا الماء ؟ قالت : لا ، فإن الله أَخْرَجَه لي ولولدي . قالوا : إنْ حضرنا بأهلينا وسَكَنّا في جواركم هل تمنعيننا من هذا الماء ؟ قالت : لا ، فإنه لله يشربه خَلْق الله .

فرجعوا إلى بلدهم واحتملوا أهاليّهم ، وأتوا الحرم بهم وبمواشيهم ، فصاروا لهما أُنساً .

ونشأ إسماعيل بينهم حتى بلغ مبلغ الرجال ، فكان يخرج إلى الصيد معهم ويرجع ، حيث كان رجلاً قوياً يستطيع أن يأخذ بعرقوب الحصان وهو في قمة سرعته ، فيوقفه عند حده رغماً عنه .

وكان إبراهيم عليه السلام يزور زوجه وولده إسماعيل كل فترة ليطمئن عليهما ، ولِيُوَجِّهَهُما التوجيه الروحي الذي أُمِرَ به .

۞ خبر وفاة هاجر وزيارة إبراهيم لولده إسماعيل عليهما السلام :

قال وهب بن منبه : وماتت هاجر ودُفِنَتْ عند الكعبة ، وتزوّج إسماعيل منهم .

وبلغ إبراهيمَ خبرُ موت هاجر ، فاشتاق إلى إسماعيل ، فاستأذن سارةَ في ذلك ، فَأَذِنَتْ له على ألاّ ينزل عن الجواد .

فجاءه جبريل بفرس[1] رَكِبَه ، وسار حتى وقف على بيت ولده إسماعيل في الحرم ،

---

(١) : قيل : هو البراق .

فقال : السلام عليكم يا أهل المنزل ، فقالت له المرأة : إن صاحب البيت غائب[١] ، فقال إبراهيم : إذا رجع فقولي له : أَبْدِلْ عتبة دارك فإني لا أرضاها لك ، وانصرف إلى الشام .

فلما عاد إسماعيل أَخْبَرَتْه زوجته بالخبر ، فقال : صِفِيه لي ، فَوَصَفَتْهُ ، فقال : الْحَقِي بأهلك . فجاء أهلُها وقالوا : ما الذي كَرِهْتَ منها ؟ قال : لأنها لم تعرف لِخليل الله قَدْراً[٢] .

ثم تزوّج امرأةً من جُرْهُم ، فَأَوْلَدَها إسماعيلُ ستة أبطن .

فاشتاق إبراهيم إلى ولده ، فجاءه جبريل بفرس ، فركبه وسار إلى الحرم ، وقد عُمِّرَ ذلك المكان بجُرْهم . فوقف على باب إسماعيل فقال : السلام عليكم يا أهل المنزل ، فبادرت المرأةُ وسلّمتْ عليه وقالت : فَدَتْكَ نفسي ، إنَّ صاحب المنزل غائب ، وإنه يعود عن قريب . قال : هل عندك طعام ؟ قالت : نعم ، عندنا خير كثير . فجاءته بطبق عليه لحم مشوي من الصيد ، وبقدح فيه ماء . قال : فهل غير هذا من حَبٍّ أو زبيب ؟ قالت : يا عمّاه ، ما هذا طعام بلدنا ولكنه يُجْلَبُ إلينا ، فانزل بنا وتناول طعامنا . قال : إني صائم ، ولكنْ عليّ ذَرق الطير فاغسليه . وحوّل قدمه عن الفرس ووضعه على المقام ، فَغَسَلَتْهُ[٣] . فقال : إذا جاء زوجك فَسَلِّمي عليه وقولي : الْزَمْ عتبة بابك فقد رضيتُها لك ، وانصرف .

فلما رجع إسماعيل من الصيد أخبرته الخبر ، فقال : لقد كنتِ كريمة عليّ ، وقد صرتِ الآن أكرم بإكرامك أبي خليل الله إبراهيم .

قال وهب : ثم اشتاق إبراهيم إلى ولده ثالثاً ، وذلك بعد ثلاث وعشرين يوماً . فجاء إليه ولَقِيَه ، وأمره الله تعالى أن يبني البيت فبناه ، وأتاه جبريل فعلّمه مناسك الحج ، كما سنذكر ذلك إن شاء الله تعالى .

---

(١) : وفي رواية غيرها قالت : إنّا في قِلّةٍ من العيش وفي حاجة ، فذهب زوجي إلى الصيد.

(٢) : وهكذا الولد البار يطيع والده ، ويُنَفِّذُ أوامره ، ويُجري وصيته ، وإنْ كان ذلك يخالف هواه ويخالف شهوة عنده .

(٣) : وفي كتاب النسائي : فغسلتْ رأسه .

قال وهب : ورجع إبراهيم إلى البيت المقدس ، وأوحى الله إليه أن يرسل لوطاً نبياً إلى سدوم ، فأرسله . وسيأتي معنا ذِكْر ذلك وشرحه إن شاء الله تعالى في سيرة سيدنا لوط عليه السلام .

وفي رواية البخاري المُتَقَدِّمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : فجاء إبراهيم بعد ما تزوّج إسماعيلُ يُطالع تَرِكَتَه ، فلم يجد إسماعيل ، فسأل امرأتَه عنه فقالت : خرج يبتغي لنا . ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت : نحن بِشَرٍّ ، نحن في ضيق وشدة . فشَكَتْ إليه ، قال : فإذا جاء زوجك فَاقْرَئي عليه السلام وقولي له : يُغَيِّر عتبة بابه .

فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم ، جاءنا شيخ كذا وكذا ، فَسَأَلَنا عنكَ فأَخْبَرْتُه ، وسألني : كيف عيشنا ؟ فأَخْبَرْتُه أنّا في جَهْد وشِدّة . قال : فهل أَوْصاكِ بشيء ؟ قالت : نعم ، أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول : غَيِّرْ عتبة بابك . قال : ذاك أبي ، وقد أمرني أنْ أُفارقكِ ، الْحَقِي بأهلك . فطلّقها .

وتزوّج منهم أخرى ، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ، ثم أتاهم بعدُ فلم يجده ، فدخل على امرأته فسألها عنه ، فقالت : خرج يبتغي لنا ، قال : كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت : نحن بخير وسَعة ، وأَثْنَتْ على الله . فقال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم ، قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء ، قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء .

قال النبي ﷺ : ولم يكن لهم يومئذ حَبٌّ ، ولو كان لهم دعا لهم فيه .

قال : فهما لا يَخْلو عليهما أحدٌ بغير مكة إلاّ لَمْ يُوافِقاه .

قال : فإذا جاء زوجك فاقْرَئي عليه السلام ، ومُريه يُثْبِت عتبة بابه .

فلما جاء إسماعيل قال : هل أتاكم مِن أحد ؟ قالت : نعم ، أتانا شيخ حَسَن الهيئة ، وأَثْنَتْ عليه . فسألني عنكَ فأخبرتُه ، فسألني : كيف عيشنا ؟ فأخبرتُه أنّا بخير . قال : فأَوْصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تُثْبِتَ عتبة بابك . قال : ذاك أبي وأنتِ العتبة ، أمرني أن أُمْسِكَكِ .

ثم لبث عنهم ما شاء الله ، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيلُ يَبْري نَبْلاً له تحت دَوْحة قريباً من زمزم . فلما رآه قام إليه ، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد ، والولد بالوالد ، ثم قال :

يا إسماعيل ، إنَّ الله أمرني بِـأَمْرٍ ، قال : فاصنع ما أمرك ربك ، قال : وتُعِينُني ؟ قال : وأُعِينُك ، قال : فإنَّ الله أمرني أن أبني ها هنا بيتاً ، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها .

قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيلُ يأتي بالحجارة وإبراهيمُ يبني ، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧] .

قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧][1] .

۞ خبر بشارة إبراهيم بإسحاق عليهما السلام :

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰٓ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود] .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الحجر] .

وقال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى

---

(١) : وسيأتي معنا تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى في ذِكْر خبر بناء البيت ص ٢٦٨ .

صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الذاريات] .

قال وهب بن منبه : وبعث الله ﷻ الملائكة إلى إبراهيم حين بعثهم بالعذاب إلى قوم لوط ، وأمرهم أن يبشروه بإسحاق ومِن وراء إسحاق بيعقوب . فأتوه على صورة البشر ، وهم : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، ودريائيل .

فَأَتَوْه مفاجأة على خيولهم ، ودخلوا عليه منزله ، ففزع منهم حتى قالوا : ﴿ سَلَامًا ﴾، فسكن خوفه وقال : ﴿ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٥] . ورحّب بهم وأجلسهم ، وقام إلى زوجته سارة وأمرها بخدمتهم ، فقالت : عَهْدي بك وأنت أَغْيَرُ الناس يا إبراهيم ؟ قال : هو كما تقولين ، وإنما هؤلاء أضياف أخيار .

ثم قام إلى عِجْل سمين فذبحه وشواه ، وقرّبه إليهم . ووقفت سارة لخدمتهم ، فجعل إبراهيم يأكل ولا ينظر إليهم وهو يظنّ أنهم يأكلون ، فَرَأَتْ سارة أنهم لا يأكلون ، فنبّهته على ذلك فقال : ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٧] ؟ وداخله الخوف من ذلك ، ثم قال : لو علمتُ أنكم لا تأكلون ما قَطَعْتُ العِجْل عن البقرة . فمدّ جبريل يده نحو العِجْل وقال : قُمْ بإذن الله ، فاشتدّ خوف إبراهيم وقال : ﴿ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾ [الحجر: ٥٢] ، قالوا : ﴿ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ [الحجر: ٥٣] ، قال : ﴿ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ [الحجر: ٥٤] ؟ قالوا : ﴿ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴾ [الحجر: ٥٥] ، قال : ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦] .

قال : وكانت سارة واقفة هناك في خدمة الأضياف فقالت : أوَّه ، ﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ [الذاريات: ٢٩] ، ولم تَعْلَمْ أنهم ملائكة . فقال لها جبريل : يا سارة ، ﴿ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ [الذاريات: ٣٠] .

قال إبراهيم : ﴿ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ [الذاريات: ٣١][1] ؟ قالوا : ﴿ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ

(١) : ووردت كذلك في سورة الحجر آية ٥٧ .

﴿ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٣﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٤﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الذاريات] .

ثم عاد جبريل إلى صورته فَعَرَفَهُ إبراهيم ، وعرّفه أنهم يقصدون قوم لـوط بـالعذاب ، فاغتمّ إبراهيم شفقة على لوط وأهله ، ثم قال : امضوا حيث تؤمرون .

قـال الله تعـالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [هود] .

وفي رواية لابن الأثير قال : فلما نزلوا على إبراهيم ، وكان الضيف قد أبطأ عليه عن خمسة عشر يوماً حتى شقّ ذلك عليه ، وكان يُضيف مَن نزل به وقد وَسَّعَ الله عليه الرزق ، فَرِحَ بهم ورأى ضيفاً لم يَرَ مِثْلَهم حُسْناً وجمالاً ، فقال : لا يخدم هؤلاء القوم أحد إلاّ أنا بيدي .

فخرج إلى أهله ، فجاء بعجل سمين قد حَنَّذَه[1] ، فقرّبه إليهم ، فأمسكوا أيديهم عنه .

قال الله تعـالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ[2] قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ[3] فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود] .

وكانت ابنةَ تسعين سنة ، وإبراهيمُ ابنَ عشرين ومائة .

ثم مضت الملائكة ، وسيأتي معنا إن شاء الله تعالى ذِكْر قصة قوم لوط .

قال وهب بن منبه : وحملت سارة بإسحاق في الليلة التي خَسَفَ الله فيها بقوم لـوط ،

---

(١) : أي شواه وأنضجه .

(٢) : أي سارة .

(٣) : لِما عرفتْ مِن أَمْر الله ، ولِما تعلم من قوم لوط . فقيل : ضحكت من البشارة ، وقيل : الضحك بلغة العرب هو الحيض ، فبعد أن وصلت تسعاً وتسعين من عمرها حاضت ، فَعَلِمَتْ أنَّ هناك إشارة بولادتها .

وَوَضَعَتْهُ وعلى وجهه نور أضاء منه ما حولها ، فدخل إبراهيم وقال : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٣٩] .

۞ ذِكْرُ خبر الذبيح وفدائه :

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ [الصافات] .

فكما ورد أنَّ إبراهيم الخليل رأى في المنام أنه يذبح ولده ، وسبب هذه الرؤيا أن الملائكة قالت : يا رب ، هذا خليلك ومطيعك لأنك أَكْرَمْتَه بالولد ، فقال تعالى : جَرِّبوه بولده ، وأَمَرَهُ الله بذبحه .

وللعلماء هنا قولان : هل الذبيح هو إسماعيل ، أم هو إسحاق ؟

فروى سعيد بن جبير ، ويوسف بن مهران ، والشعبي ، ومجاهد ، وعطاء بن أبي رباح ، كلهم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : إن الذبيح إسماعيل ، وهو قول الجمهور .

وقال : زعمت اليهود أنه إسحاق ، وكذبت اليهود .

وقال محمد بن كعب : إنَّ الذي أَمَرَ اللهُ إبراهيمَ بذبحه مِن ابْنَيْه إسماعيل ، وإنّا لَنَجِدُ ذلك في كتاب الله ، في قصة الخبر عن إبراهيم وما أُمِرَ به مِن ذَبْحِهِ ابْنَهُ أنه إسماعيل ، وذلك أنَّ الله تعالى حين فرغ من قصة المذبوح مِن ابنَيْ إبراهيم قال : ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات: ١١٢] . وقال : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود: ٧١] ، أيْ بابنٍ وابنِ ابنٍ ، فلم يَكُنْ يَأْمُرُهُ بِذَبْحِ إسحاق وله فيه مِن الله ﷻ ما وَعَدَهُ ، وما الذي أُمِرَ بِذَبْحِهِ إلاّ إسماعيل .

وقد ذكر ذلك محمد بن كعب لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة ، فقال : إنَّ هذا الشيء ما كنتُ أنظر فيه ، وإني لأراه كما قلتَ .

قال محمد بن إسحاق : وإنَّ إبراهيم قال لابنه حين أُمِرَ بذبحه : يا بني ، خذ الحبل والمدية ثم انطلق بنا إلى هذا الشِّعْب لِنَحْتَطِبَ لأَهْلِكَ . فلما توجّه اعترضه إبليس ليصدّه عن ذلك ، فقال : إليك عني يا عدو الله ، فواللهِ لأَمْضِيَنَّ لأَمْرِ الله .

فاعترض إسماعيلَ ، فأَعْلَمَهُ ما يريد إبراهيمُ يَصْنَعُ به ، فقال : سمعاً لأَمْرِ ربي وطاعة .

فذهب إلى هاجر فأَعْلَمَها ، فقالت : إنْ كان رَبُّهُ أَمَرَهُ بذلك فتسليماً لأَمْرِ الله . فرجع بغيظه لم يُصِبْ منهم شيئاً .

وفي رواية غير هذه : أنَّ إسماعيل تَبِعَ أباه إبراهيم حتى وصلا إلى جمرة العقبة الأولى ، فأتى عدوُّ الله إبليسُ وقال لإسماعيل : إن أباك يريد أن يذبحك ، لأنه يعتقد أنَّ ربه أمره بذلك . فقال إسماعيل : إذاً وَجَبَ على والدي أنْ يُنَفِّذَ أمر ربي . فالتفت إبراهيمُ إلى إبليس ورماه ، فهناك نرمي جمرة العقبة . ثم تبعه إلى الجمرة الوسطى فرجمه الثانية ، ثم إلى الجمرة الصغرى فرجمه الثالثة .



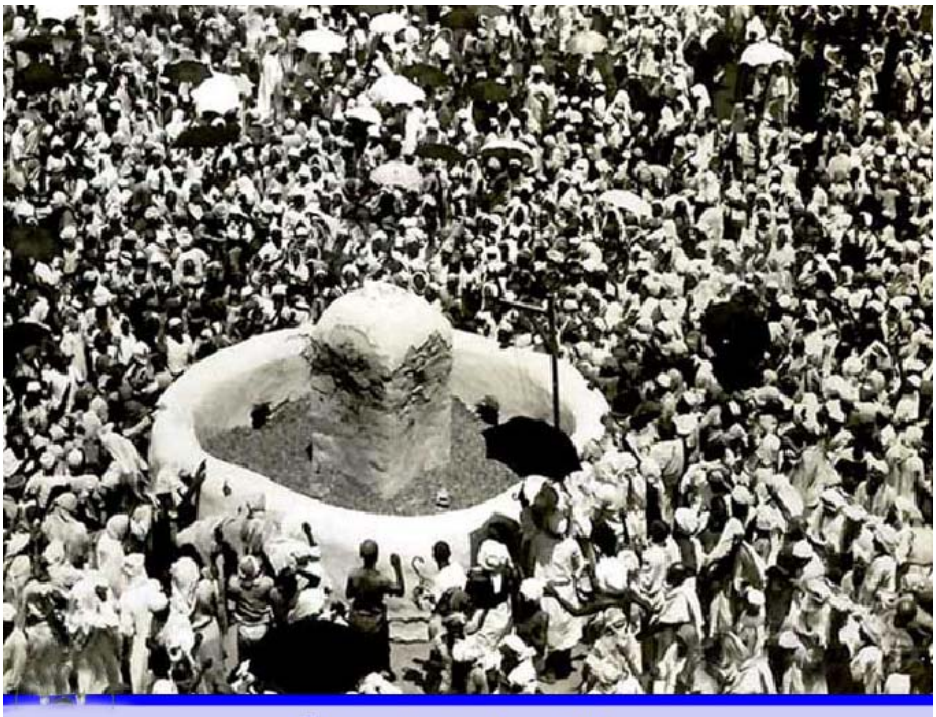

الجمرات قديماً

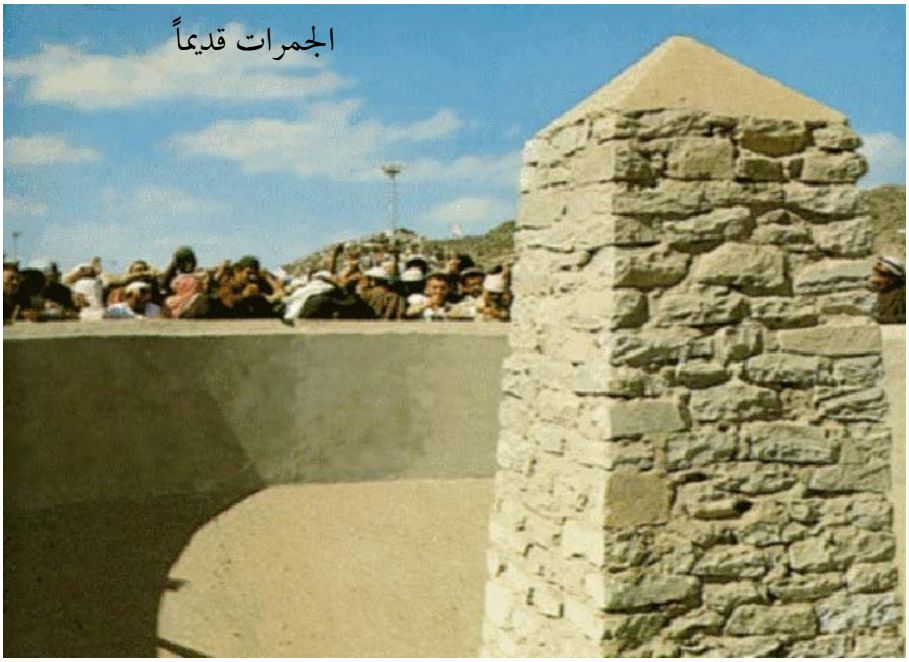



موضع رمي الجمرات بمنى



من أعلى الجسر



من أسفل الجسر



من أعلى الجسر



من أسفل الجسر



من أعلى الجسر



من أسفل الجسر

قامت الحكومة السعودية في العام الحالي باستحداث منطقة رمي الجمرات ، وذلك من خلال إنشاء جدار بيضاوي الشكل بطول ٢٢ متراً وعرض متر وربع المتر في مركز الجدار ؛ لضمان عدم التدافع وعودة الحاج إلى الخلف بعد رمي الجمرات ، ولاستيعاب أكبر قدر ممكن من الحجاج عند الرمي دون حدوث تزاحم بينهم .

وكان بود المؤلف لو كان هؤلاء المسؤولون يريدون الله واليوم الآخِر ، لَنَظّموا الأمور بشكل أفضل ومنذ خمسين عاماً ، حيث ناقشنا هذه المواضيع وبِجِدٍّ ، ولكن كانت الآذان لا تُصغي . وكان من المفروض منذ فترات طويلة أن يجعلوا الرمي دخولاً وخروجاً ، علماً بأن الألوف من الناس المسلمين المؤمنين قد ماتوا بسبب هذا الإهمال ، وكل ذلك متعلق برقابهم يوم القيامة . والله أسأل أن يُلْهِمَ الجميع مصلحة المسلمين العامة وما فيه النفع ، والابتعاد عن كل أذىً ومضرّة ، والله مِن وراء القصد .



الجمرات كما كانت عليه قبل استحداثها

قال ابن إسحاق : فلما خلا إبراهيمُ بالشِّعْب – وهو شِعْب ثبير – ، قال له :﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢] .

ثم قال له : يا أبتِ ، إنْ أردتَ ذبحي فاشْدُدْ رباطي ، لا يُصِبْكَ مِن دمي شيءٌ فينقص أجري ، فإن الموت شديد . وأَشْحِذْ شفرتك حتى تُريحني ، فإذا أَضْجَعْتَني فَكُبَّني على وجهي ، فإني أخشى إنْ نظرتَ إلى وجهي أن تُدْرِكَكَ رحمةٌ ، فَتَحُول بينك وبين أمر الله . وإنْ رأيتَ أن تردّ قميصي إلى هاجر أمي ، فعسى أن يكون أَسْلى لها عني فافعل . فقال إبراهيم : نِعْمَ المُعين أنت أيْ بني على أمر الله .

فربطه كما أَمَرَهُ ثم حَدَّ شفرته ، قال تعالى: ﴿ وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾ [الصافات: ١٠٣].

ثم أدخل الشفرة لِحَلْقِه ، فقلبها الله لِقفاها . ثم اجتذبها إليه ليفرغ منه ، فنودي : ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الصافات] ، هذه ذبيحتك فداءً لابنك فاذبحها .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : خرج عليه كبش من الجنة قد رعى فيها أربعين خريفاً .

وقيل : هو الكبش الذي قرّبه هابيل .

وقال علي رضي الله عنه : كان كبشاً أَقْرَن ، أَعْيَن ، أبيض .

وقال الحسن : ما فُدِيَ إسماعيل إلاّ بتيس من الأروى هبط عليه من ثبير ، فذبحه بالمقام .

وقيل بمنى في المَنْحَر ، وهو ما يُعرف بِمَجَرِّ الكبش .



مجر الكبش بمنى ، فلو وقفتَ عند جمرة العقبة وجعلتَها أمامك ، وجعلتَ وجهك لمسجد الخَيْف ، كان مَجَرُّ الكبش على يسارك في أعلى الجبل الذي يحاذي جمرة العقبة

وبعضهم قال : كان وعلاً[1] أتى منحدراً من الجبل وقال : اذبحني مكان ولدك .

وقيل : جعل الله على حَلْقِهِ صفيحة من نحاس .

والمعتمد أنه فُدِيَ بكبش لقوله تعالى : ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠٧] .

فذبحه إبراهيم عليه السلام ، وأَتَتْ نار من السماء لا دخان لها ، فأخذت اللحم كله ولم تُبْقِ سوى الرأس ، فوُضع في الكعبة وبقي فيها إلى عهد رسول الله ﷺ .

قال أبو الطفيل الشعبي : رأيتُ قَرْنَي الكبش في الكعبة .

فسيدنا إبراهيم كعادته كان دائماً يُلَبّي رَبَّه فيما أَمَرَه به ، إذْ كان ناجحاً في كل اختباراته ، وفي كل ما أمره به الله تعالى ، فجعله الله إماماً كما سيأتي معنا إن شاء الله تعالى ، وإنَّ قصة ذَبْحِ ولده لأعظم دليل على ذلك .

ونستطيع أن نستشف مِن هذه القصة ثلاثة أمور :

الأول : أنَّ رؤيا الأنبياء وَحْيٌ .

الثاني : هو إجراء أمر الله وتنفيذه بدون تَلَكُّؤٍ مِن قِبَل المأمور ، كما رأينا سيدنا إبراهيم فَعَلَ ذلك .

والثالث : هو بِرُّ الوالدين ، كما أشارت الآية القرآنية إخباراً عن إسماعيل عليه السلام : ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢] .

فبتنفيذ أمر الله وإطاعة الوالدين يصل الإنسان إلى مرتبة رفيعة عند ربه ، وفّقنا الله لذلك .

۞ ذِكْرُ إمامة إبراهيم عليه السلام والكلمات التي اختبره الله بها :

قال الله تعالى : ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤] .

ولقد اخْتَلَفَ السلف من العلماء الأئمة في هذه الكلمات .

فقال ابن عباس من رواية عكرمة عنه في قوله تعالى : ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ ﴾ :

---

(١) : الوعل ذكر الغزال الكبير .

لم يُبْتَلَ أحدٌ بهذا الدين فأقامه إلاّ إبراهيم ، وقال الله : ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧] .

قال ابن عباس : والكلمات : عشر في براءة ، وهي : ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢] . وعشر في الأحزاب ، وهي قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥] . وعشر في سورة المؤمنون ، مِن أولها إلى قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩].

وقال آخرون : هي عشر خصال .

قال ابن عباس رضي الله عنهما من رواية طاووس وغيره عنه : « ابتلاه الله بالطهارة ، خمس في الرأس ، وخمس في الجسد . في الرأس : قَصّ الشارب ، والمضمضة ، والاستنشاق ، والسواك ، وفَرْق الرأس . وفي الجسد : تقليم الأظافر ، وحَلْق العانة ، والختان ، ونَتْف الإبط ، وغَسْل مكان الغائط والبول بالماء »[1] .

وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « عشرٌ من الفطرة : قَصُّ الشارب ، وإعْفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقَصُّ الأظافر ، وغَسْلُ البَراجِم ، ونَتْفُ الإبط ، وحَلْقُ العانة ، وانْتِقاص الماء »[2] .

قال مصعب أحد رواة الحديث : ونَسِيتُ العاشرة إلاّ أنْ تكون المضمضة .

والمقصود أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يُشْغِلُه القيامُ بالإخلاص لله عز وجل وخشوع العبادة العظيمة عن مراعاة مصلحة بَدَنِه ، وإعطاء كل عضو من أعضائه ما يستحقه من

---

(١) : حديث صحيح رواه الحاكم والبيهقي من حديث ابن عباس مرفوعاً .

(٢) : رواه الإمام أحمد والبيهقي والأئمة الستة إلاّ البخاري ، وقال الترمذي : حديث حسن . زاد قتيبة في روايته : قال وكيع بن الجراح : انتقاص الماء يعني الاستنجاء .

الإصلاح والتحسين ، وإزالة ما يشين مِنْ زيادةِ شعرٍ أو ظفرٍ ، أو وجود قَلَح[١] أو وسخ .

وقال آخرون من السلف : هي مناسك الحج ، وقوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البقرة: ١٢٤] . وهو قول أبي صالح ومجاهد .

وقال آخرون : هي ست ، وهي : الكواكب ، والقمر والشمس ، والنار ، والهجرة ، والختان ، وذَبْح ابنه . وهذا هو قول الحسن البصري .

قال الحسن : ابتلاه الله بذلك ، فَعَرَفَ أنَّ رَبَّه دائمٌ لا يزول ، فوجّه وَجْهَهُ لِلّذي فطر السماوات والأرض ، وهاجر مِن وطنه ، وأراد ذَبْحَ ابنه ، وختَن نفسه .

قيل : وإبراهيم أول مَن صافح وعانق ، وفَرَقَ الشعر بالمشط ، ونَتَفَ الإبط ، واسْتاك ، واكْتَحَلَ ، واخْتَتَنَ بالقَدوم[٢] .

ويروى عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ﷺ قال : كان إبراهيمُ أَوَّلَ مَن تَسَرْوَلَ ، وأَوَّلَ مَن فَرَقَ ، وأَوَّلَ مَن اسْتَحَدّ ، وأَوَّلَ مَن اخْتَتَنَ بالقَدوم وهو ابن عشرين ومائة سنة ، وعاش بعد ذلك ثمانين سنة . وأَوَّلَ مَن قَرَى الضيفَ ، وأَوَّلَ مَن شاب .

وروى البخاري ومسلم والإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ أن النبيﷺ قال : « اختتن إبراهيم النبيﷺ وهو ابن ثمانين سنة بالقَدوم » .

وعلى الروايتين هو أول مَن اخْتَتَنَ ، فاختتن بالقَدوم حالاً ، فناداه رب العزة : يا إبراهيم ، لماذا لم تنتظر ؟ قال : يا ربّ ، خشيتُ أنْ أُؤَجِّلَ أَمْرَكَ .

فسيدنا إبراهيمعليه السلام ما حاز الإمامة إلاّ عن جدارة وقوة ، فطبّق حالاً ما أمره الله تعالى به ، وعندما نجح قال له : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ .

ثم أراد إبراهيمعليه السلام أن يضمنها لذريته فقال : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ ، قال تعالى : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ ، فالصالح له المرتبة .

---

(١) : القلح هو تَغَيُّرُ الأسنان بصفرة وخضرة تعلوها .

(٢) : القَدوم آيةٌ للنحت والنَّجْر ، جمعه قُدُم وقدائم . وروى ابن حبان عن عبد الرزاق أنه قال : القَدوم اسم القرية .

فكان هذا المقام لسيدنا إبراهيم ولذريته من بعده ؛ لهذا أَكْرَمَهُ الله تعالى بأنْ جعل الأنبياء بأكملهم من نسله مباشرة إلى سيدنا محمد عليهم الصلاة والسلام ، فإبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء .

لهذا قال ربنا ﷻ : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً(١) قَانِتًا لِّلَّهِ(٢) حَنِيفًا(٣) وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ(٤) ٱجْتَبَىٰهُ(٥) وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[النحل] .

۞ خبر بناء الكعبة ونداء الحج :

قال تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ۖ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران] .

---

(١) : أي قُدْوة ، إماماً ، مهتدياً ، داعياً إلى الخير يُقتدى به فيه .

(٢) : أي خاشعاً له في جميع حالاته وحركاته وسَكَناته .

(٣) : أي مُخْلِصاً على بصيرة .

(٤) : أي قائماً يشكر ربه بجميع جوارحه من قلبه ولسانه وأعماله .

(٥) : أي اختاره الله لنفسه ، واصطفاه لرسالته ، واتّخذه خليلاً ، وجمع له بين خَيْرَي الدنيا والآخرة .

وقال تعالى أيضاً :﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحج] .

فقد أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يبني له بيتاً .

وكما أسلفنا الكعبة كانت موجودة ، وكانت مبنية بناء متواضعاً .

قيل : بَنَتْها الملائكة قبل وجود آدم بألفي عام .

وقيل : بناها آدم ، إنما مع الأيام كان قد طمرها الرمل الكثير .

قال الإمام القرطبي في تفسيره[1] : واختلف الناس فيمن بنى البيت أولاً وأسّسه .

رُوِيَ عن جعفر بن محمد قال : سُئِلَ أبي وأنا حاضر عن بَدْءِ خَلْق البيت فقال : إن الله عز وجل لَمّا قال : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠] ، قالت الملائكة : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [البقرة: ٣٠] ؟ فغضب عليهم ، فعاذوا بعرشه وطافوا حوله سبعة أشواط يَسْتَرْضون ربهم حتى رَضِيَ عنهم ، وقال لهم : ابْنُوا لي بيتاً في الأرض يَتَعَوَّذُ به مَن سخطتُ عليه مِن بني آدم ، ويطوف حوله كما طفتم حول عرشي ، فَأَرْضى عنه كما رَضِيتُ عنكم . فَبَنَوْا هذا البيت .

وذكر عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء وابن المسيب وغيرهما : أنَّ الله عز وجل أوحى إلى آدم : إذا هبطتَ ابْنِ لي بيتاً ، ثم احْفُفْ به كما رأيتَ الملائكة تَحُفُّ بعرشي الذي في السماء .

قال عطاء : فزعم الناس أنه بناه مِن خمسة أجبل : من حراء ، ومن طور سينا ، ومن لبنان ، ومن الجودي ، ومن طور زيتا . وكان رُبْضُه[2] من حراء .

وذكر الإمام الماوردي عن عطاء عن ابن عباس قال : لَمّا أُهْبِطَ آدم من الجنة إلى الأرض ، قال له ربه : يا آدم ، اذهب فَابْنِ لي بيتاً وطُفْ به ، واذكرني عنده كما رأيتَ الملائكة تصنع حول عرشي . فأقبل آدم يتخطّى ، وطُوِيَتْ له الأرض ، وقُبِضَتْ له

---

(١) : ج٢ ص١٢٠-١٢٢ .

(٢) : الرُّبض بضم الراء وسكون الباء وضمها : الأساس ، وبفتحهما الرَّبَض : ما حول المدينة . قال الخليل : والرُّبض ها هنا هو الأساس المستدير للبيت من الصخر .

المفازة ، فلا تقع قدمه على شيء من الأرض إلاّ صار عمراناً ، حتى انتهى إلى موضع البيت الحرام . وأنَّ جبريل عليه السلام ضرب بجناحيه الأرض ، فَأَبْرَزَ عن أساس ثابت على الأرض السابعة السفلى ، وقذفت إليه الملائكة بالصخر ، فما يُطيق الصخرةَ منها ثلاثون رجلاً . وأنه بناه من خمسة أجبل كما ذكرنا .

وقد روي في بعض الأخبار من طريق وهب بن منبه أنه أُهْبِطَ لآدم عليه السلام خيمة من خيام الجنة ، فضُرِبَتْ في موضع الكعبة ليسكن إليها ويطوف حولها ، فلم تزل باقية حتى قبض الله عز وجل آدم ، ثم رُفِعَتْ .

وفي رواية ذكرها الحَليمي في كتاب (منهاج الدين) عن قتادة : أنه أُهْبِطَ مع آدم بيت ، فكان يطوف به والمؤمنون مِن ولده كذلك إلى زمان الغرق ، ثم رفعه الله تعالى فصار في السماء ، وهو الذي يُدْعى البيت المعمور .

ويجوز أن يكون معنى ما قاله قتادة : أنه أُهبط مع آدم بيت ، أي أُهْبِطَ معه مقدار البيت المعمور طولاً وعرضاً وسُمْكاً ، ثم قيل له : ابْنِ بِقَدْرِهِ ، وتحرّى أن يكون بحِياله . فكان حِياله موضع الكعبة ، فبناها فيه .

وأما الخيمة فقد يجوز أن تكون أُنْزِلَتْ وضُرِبَتْ في موضع الكعبة ، فلمّا أُمِرَ ببنائها كانت حول الكعبة ؛ وذلك طمأنينة لقلب آدم عليه السلام ما عاش ، ثم رُفِعَتْ . وبذلك تَتَّفِقُ هذه الأخبار في المعنى .

فهذا بناء آدم ثم بناه إبراهيم عليهما السلام .

قال ابن جريج : قال ناس : أرسل الله تعالى سحابة فيها رأس ، فقال الرأس : يا إبراهيم ، إن ربك يأمرك أن تأخذ بقدر هذه السحابة . فجعل ينظر إليها ويَخُطُّ قَدْرَها ، ثم قال الرأس : إنه قد فَعَلْتَ ، فَحَفَرَ ، فَأَبْرَزَ عن أساس ثابت في الأرض .

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن الله تعالى لَمّا أمر إبراهيم بعمارة البيت ، خرج من الشام ومعه ابنه إسماعيل وأمه هاجر ، وبعث معه السكينة[1] ، لها لسان تتكلّم به ،

---

(١) : السَّكِينة بفتح فكسر : هي ريح خجوج ، أي سريعة المَرِّ .

يغدو معها إبراهيم إذا غَدَتْ ، ويروح معها إذا راحَتْ ، حتى انتهتْ به إلى مكة ، فقالت لإبراهيم : ابْنِ عليّ موضع الأساس . فرفع البيت هو وإسماعيلُ حتى انتهى إلى موضع الركن ، فقال لابنه : يا بني ، آبْغِني حجراً أجعله عَلَماً للناس . فجاءه بحجر ، فلم يَرْضَهُ وقال : آبْغِني غيره . فذهب يلتمس ، فجاءه وقد أُتِيَ بالركن فوضعه ، فقال : يا أبتِ ، مَن جاءك بهذا الحجر ؟ فقال : مَن لم يَكِلْني إليك .

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : صاح أبو قبيس[1] : يا إبراهيم ، يا خليل الرحمن ، إنَّ لك عندي وديعة فَخُذْها . فإذا هو بحجر أبيض من ياقوت الجنة[2] ، كان آدم قد نزل به من الجنة . فلما رفع إبراهيمُ وإسماعيلُ القواعد من البيت ، جاءتْ سحابة مُرَبَّعة فيها رأس ، فنادت : أن ارْفَعا على تربيعي .

فهذا بناء إبراهيم عليه السلام .

وعندما ارتفع بناء البيت ، وقف إبراهيم عليه السلام على حجر مرتفع ليصل إلى الغاية التي يريدها في البناء ، فعلّمت فيه أخمصاه .

وهو الحجر الذي نراه في زماننا ويُنعت بمقام إبراهيم .

وقد كان هذا الحجر مُلْصَقاً بحائط الكعبة على ما كان عليه من قديم الزمان إلى أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأخّره عن البيت قليلاً لئلاّ يُشْغِلَ المُصَلُّون عنده الطائفين بالبيت ، واتُّبِعَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذا ، فإنه قد وافق ربه تبارك وتعالى في أشياء كثيرة ، منها قول عمر لرسول الله ﷺ : لو اتّخذنا من مقام إبراهيم مُصَلّى ؟ فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة ١٢٥] .

---

(١) : هو الجبل المشرف على مكة .

(٢) : هو الحجر الأسود ، ثم اسودّ بعد ذلك من كثرة ذنوب بني آدم أو بسبب الطوفان كما كنا قدّمنا قبلُ .



مقام إبراهيم
وأثر قدمه الشريف
مُعَلِماً بالصخر





مقام إبراهيم قديماً





مقام إبراهيم حديثاً

وهنا لا بد لنا من تعليق بسيط : وهو أن الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام بنى أشرف المساجد في أشرف البقاع في وادٍ غير ذي زَرْع ، وأنه دعا لأهلها بالبركة ، وأن يُرزقوا من الثمرات مع قلة الماء وعدم الأشجار والزروع والثمار ، وأن يجعله ربنا تبارك وتعالى حَرَماً مُحَرَّماً وآمِناً مُحَتَّماً . فاستجاب له ربه تبارك وتعالى مَسْأَلَتَهُ ، ولبّى دَعْوَته ، واستجاب طُلْبَته ، له الحمد والمِنّة ، فقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٧] ، وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ [القصص: ٥٧] .

ولقد سأل إبراهيمُ كذلك رَبَّه ﷻ أن يبعث فيهم رسولاً منهم مِن جِنْسِهم ، وعلى لغتهم الفصيحة البليغة ؛ لِتَتِمّ عليهم النعمتان الدنيوية والدينية ، سعادة الأولى والأخرى . وقد استجاب الله ﷻ فبعث فيهم رسولاً وأيّ رسول ؟ خَتَمَ الله به أنبياءه ورسله ، وأكمل له من الدين ما لم يُؤْتِ أحداً قبله ، وعَمَّ بدعوته أهل الأرض على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم ، في سائر الأقطار والأمصار والأعصار إلى يوم القيامة .

وكان هذا من خصائصه من بين سائر الأنبياء ؛ لِشَرَفِه في نفسه ، وكمال ما أُرسل به ، وشَرَف بُقْعَتِهِ ، وفصاحة لغته ، وكمال شفقته على أمته ، ولُطْفِه ورحمته .

ولهذا استحق إبراهيم الخليل عليه السلام إذْ كان باني الكعبة لأهل الأرض أن يكون منصبه ومحله وموضعه في منازل السماوات ورفيع الدرجات ، عند البيت المعمور الذي هو في السماء السابعة ، حيث هو كعبة أهل السماء السابعة المبارك ، الذي يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبّدون فيه ، ثم لا يعودون إليه إلى يوم البعث والنشور .

وروى عبد المنعم بن إدريس عن وهب بن منبه قال : أول من بنى البيت بالطين والحجارة شيث عليه السلام .

وأما بنيان قريش له فمشهور ، وخبر الحية في ذلك مذكور ، وسيأتي معنا ذِكْر ذلك إن شاء الله تعالى مُفَصَّلاً في سيرة سيدنا محمد ﷺ في الجزء الثالث مِن هذا الكتاب .

وبعد الفراغ من بناء الكعبة ، قال رب العزة لإبراهيم : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾ [الحج ٢٧] . فقال : يا رب ، ومَن يسمعني في هذا المكان النائي ؟ قال : منك النداء ونحن نوصل إلى كل العالم ذلك .

فامتثل إبراهيم عليه السلام أَمْرَ ربه ، ووقف على جبل أبي قبيس – وقيل : وقف مكانه – وقال : يا أيها الناس ، قد فرض ربكم عليكم الحج ، وجعل لكم كعبة ألا فَحُجُّوا . فأوصل الله تعالى صوته إلى جميع آذان المؤمنين في العالم ، وإلى كذلك عالم الذَّرِّ في أَصْلاب الرجال ، وأَرْحام النساء ، وإلى الذَّرِّ الذي سيوجد . فكل مَن قال : (لبيك) حجّ من المؤمنين ، فالذي لبّى مرة حجّ مرة ، والذي لبّى مرتين حجّ مرتين ، فَبِقَدْر ما لبّى سيدَنا إبراهيمَ حجّ .

ثم قام جبريل وعلّم إبراهيم المناسك كلها ، ففي يوم التروية خرج إبراهيم وبات في مِنى ، ثم صلّى الصبح وانطلق إلى عرفات الله ، وجبريل يسير أمامه والملائكة ، وولده إسماعيل معه . ثم وقف على حدود عرفات إلى بعد الزوال ، ثم وقف عند الصخرات المفترشات إلى غروب الشمس ، ثم سار إلى المزدلفة ، ومنها إلى مِنى ، ورمى جمرة العقبة ، ثم نزل وطاف حول الكعبة وهو يُلَبِّي ، ثم حلق رأسه ، ثم رجع وبات في مِنى .

وإسماعيل يفعل كما يفعل أبوه تماماً .

۞ الخيل ميراث أبينا إسماعيل عليه السلام :

قال القرطبي في تفسيره : ورُوِيَ أن إبراهيم وإسماعيل لَمّا فَرَغا مِن بناء البيت ، أعطاهما الله الخيل جزاءً عن رَفْع قواعد البيت .

روى الترمذي الحكيم بسنده عن ابن جريج عن ابن أبي مُلَيْكة عن ابن عباس قال : كانت الخيل وحشاً كسائر الوحش ، فلما أَذِنَ الله لإبراهيم وإسماعيل برفع القواعد ، قال الله تبارك اسمه : إني مُعْطِيكُما كنزاً ادَّخَرْتُهُ لكما . ثم أُوحي إلى إسماعيل : أن اخرج إلى أجياد ، فادْعُ يَأْتِكَ الكنز .

فخرج إلى أجياد وكانت وطناً ، ولا يدري ما الدعاء ولا الكنز ، فَأُلْهِمَهُ ، فلم يَبْقَ على وجه الأرض فرس بأرض العرب إلاّ جاءته فَأَمْكَنَتْهُ مِن نواصيها وذلّلها له[1] .

فارْكَبوها واعْلِفوها فإنها ميامين ، وهي ميراث أبيكم إسماعيل ، فإنما سُمِّيَ الفرس عربياً ؛ لأن إسماعيل أُمِرَ بالدعاء وإيّاه أتى[2] .

۞ خبر وفاة سارة :

قال ابن الأثير في تاريخه : لا يدفع أحد من أهل العلم أنَّ سارة تُوُفِّيَتْ بالشام ولها

---

(١) : فإسماعيل عليه السلام هو أول مَن رَوَّضَ الخيل ، وقبله كانت الخيل برية تنفر من الإنسان وتبتعد عنه . كانت تَفِرُّ منه فَيَتْبَعُها ، فإذا أخذ بها وَقَفَتْ .

(٢) : ذكره القرطبي في تفسيره ج٢ ص١٢٢ .

مائة وسبع وعشرون سنة .

وقيل : إنها كانت بقرية الجبابرة من أرض كنعان .

ودُفِنَتْ في المغارة التي في مزرعة عَفْرون بن صخر الحَيْثي ، والتي اشتراها إبراهيم منه بأربعمائة مثقال ، وهي موقع المسجد الإبراهيمي اليوم .

وقيل : عاشت هاجر بعد سارة مدة ، والصحيح أن هاجر توفيت قبل سارة .

۞ ذِكْرُ أولاد إبراهيم عليه السلام :

لقد أنجب إبراهيمُ عليه السلام إسماعيلَ من أمنا هاجر القبطية المصرية ، وأنجب بعده إسحاق بقرابة ثلاثة عشر عاماً من زوجته سارة . فإسماعيل أكبر من إسحاق ؛ لهذا فإن التابوت بقي عند إسماعيل حتى أمره الله تعالى أن يرسله إلى أخيه إسحاق .

وبعد وفاة سارة تزوّج إبراهيم من فتاة كنعانية اسمها قطورة ابنة يقطن ، وأنجب منها ستاً من الولد .

وفي تسمية أولاد قطورة أقوال مختلفة :

فقيل : مدين ، وزمران ، وسرج ، ويقشان ، ونشق ، ولم يُسَمَّ السادس .

وقيل : زمران ، ويقشان ، ومارادان ، ومدين ، وشياق ، وشوح .

وذكر الطبري في تاريخه أنهم : يقشان ، وزمران ، ومديان ، ويسبق ، وسوح ، وبسر .

وذكر ابن الأثير في تاريخه أنهم : نفشان[١] ، ومران[٢] ، ومديان ، ومدن ، ونشق ، وسرح .

ثم ماتت قطورة وتزوّج إبراهيم من فتاة اسمها حُجون بنت أمين ، وأنجب منها خمساً من الولد : كيسان أو كِيسة ، وسروج ، وأميم ، ولوطان ، ونافس . ومن هؤلاء كان الروم والعجم والأتراك ، ومنهم يكون يأجوج ومأجوج كذلك .

---

(١) : وفي رواية : لفشان .

(٢) : وفي رواية : زمران .

۞ وفاة إبراهيم عليه السلام :

روى ابن عساكر عن غير واحد من السلف عن أخبار أهل الكتاب في صفة مجيء مَلَك الموت إلى إبراهيم عليه السلام أخباراً كثيرة الله أعلم بصحتها .

وقد قيل : إنه مرض ثم مات عن مائة وخمس وسبعين .

وقيل : مائة وتسعين سنة .

وورد كذلك ما يدل على أنه عاش مائتي سنة كما قاله ابن الكلبي وغيره .

قال الكسائي نقلاً عن وهب بن منبه : فبينما إبراهيم عليه السلام على باب داره ، وإذا هو بمَلَك الموت وقد وافاه في أحسن صورة ، فسلّم عليه ، فأجاب وقال : مَن أنت ؟ قال : أنا مَلَك الموت ، أمرني الله بِقَبْض روحك . فَكَرِهَ إبراهيم الموت .

ثم تصوّر له مَلَك الموت في صورة شيخ كبير ، ودخل عليه وقال : هل مِن طعام ؟ فقُدِّمَ إليه طعام على طبق ، فجعل مَلَك الموت يتناول الطعام ويُخَيِّلُ إلى إبراهيم أنه يُلَوِّثُ وجهه وعنقه ، وأنه لا يستقر في بطنه . فقال له إبراهيم : أيها الشيخ ، ما بال هذا الطعام لا يستقر في بطنك ؟ قال : يا خليل الله ، إني قد شِخْتُ ، ولستُ أَتَمَكَّنُ منه إلاّ على هذا الوجه . قال : فكم تَعُدُّ مِنَ السنين ؟ قال : قد جُزْتُ مائتي سنة ، قال إبراهيم : وأنا في المائتين إلاّ سنة ، وإذا مضى عليّ ذلك أصير كذا ؟ قال : نعم . فدعا إبراهيمُ ربَّه أن يقبضه ، فجاءه مَلَك الموت ، فقال : يا مَلَك الموت ، قد اشتقتُ إليك منذ رأيتُ ذلك الشيخ على تلك الصورة ، فَاقْبِضْ روحي . فَقَبَضَ روحه عليه الصلاة والسلام .

وقيل : إن داود وسليمان وإبراهيم عليهم الصلاة والسلام ماتوا بموت الفُجْأة .

فَتُوُفِّيَ إبراهيم الخليل عليه السلام في حبرون ، ودُفِنَ عند امرأته سارة في المغارة المذكورة ، وتولّى دفنه ولداه إسماعيل وإسحاق .

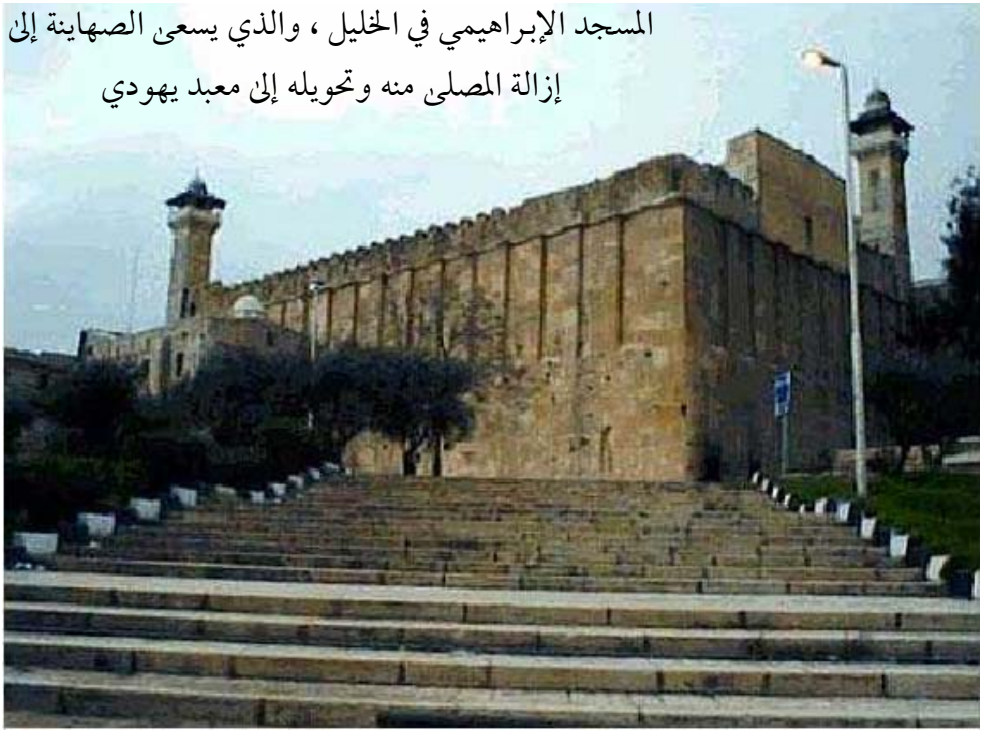
المسجد الإبراهيمي في الخليل ، والذي يسعى الصهاينة إلى إزالة المصلى منه وتحويله إلى معبد يهودي





صورتان لقبر سيدنا إبراهيم في الخليل


بعثة إسماعيل عليه السلام
آسيا الصغرى
الأموريون
الآسيا
الآراميون
البحر الكبير
(المتوسط)
الفينيقيون
مؤاب
أرض
كنعان
مؤتة
أيلة
سيناء
مدين
ديار ثمود
أرض
خيبر
يثرب
بدر
النوبة
الحجاز
البحر الأحمر (القلزم)
أرض السودان
مكة المكرمة
الطائف
جرهم
ديار نجد
شبه الجزيرة العربية
نبع زمزم المبارك وهو آت من جهة الكعبة المشرفة
شمال
غرب
شرق
جنوب
مقياس الرسم

۞ ذِكْر أولاد إسماعيل عليه السلام ومبعثه ووفاته :

ذكر ابن الأثير في تاريخه – كما قدّمنا – أن إسماعيل عليه السلام تزوّج امرأة من جُرْهم وفارقها بِأَمْرِ أبيه ، ثم تزوّج أخرىٰ وهي السيدة بنت مضاض الجُرْهمي ، وهي التي قال لها إبراهيم خليل الرحمن : قولي لزوجك : قد رضيتُ لك عتبة بابك .

فولدتْ لإسماعيل اثني عشر رجلاً : نابت ، وقيدار[١] ، وأذيل ، وميشا ، ومسمع ، ورما ، وماش ، وآذر[٢] ، وقطورة ، وقافس[٣] ، وطميا ، وقيدمان[٤] .

وكان عمر إسماعيل فيما يزعمون سبعاً وثلاثين ومائة سنة .

ومِن نابت وقيدار ابني إسماعيل نَشَرَ اللهُ العرب .

وبعد وفاة إبراهيم خليل الرحمن بُعِثَ إسماعيل نبياً ، وأرسله الله تعالىٰ إلىٰ العمالق وقبائل اليمن ، وكان يتلو عليهم الصحف التي نزلت علىٰ أبيه إبراهيم .

ولّما حضرت إسماعيل الوفاة ، أوصىٰ إلىٰ أخيه إسحاق ، وزوّج ابنته نسمة من العيص بن إسحاق ، فولدتْ له الروم بن عيص ، وكلُّ بني الأصفر مِن وَلَدِه .

ودُفِنَ إسماعيل عليه السلام عند قبر أمه هاجر بالحجر .


اعمال الترميم في حجر اسماعيل

(١) : وفي رواية : قيذار .
(٢) : وفي رواية : آزر .
(٣) : وفي رواية : قاقس .
(٤) : وفي الطبري اختلاف في رواية الأسماء .

وهكذا نكون قد جعلنا أضواء بسيطة على ما تَيَسَّرَ لنا من قصة إبراهيم خليل الرحمن وولده إسماعيل .

فسيدنا إبراهيم في الحقيقة أدّى مهمته حيث وُجِدَ ، وبلّغ دعوى ربه ، وأثبت بجدارة أنه عبد الله وخليله ، ما قدّم مالاً ولا ولداً ولا نفساً على حبه لله . تحدّى الملوك ، وتحدّى الصناديد والجبابرة ، وامْتُحِنَ كما مرّ معنا بأكثر مِن أَمْر ، فكان نِعْمَ الناجح والمتفوق حتى في أَحْلَكِ ظروفه .

وهكذا كل واحد منا إذا كان خالصاً ، فإن الله مع المهتدين .

فعلينا أن نكون دائماً مُوَحِّدِين أقوياء باللهﷻ ، باذلين النفس والوقت والمال في خدمة الدعوة الإسلامية الخالصة من كل الشوائب والأهواء .

واللهَ أسأل أن يكرمنا بذلك .



سيدنا لوط
عليه الصلاة والسلام
ومبعثه إلى أهل المدائن

والقصة كما قصها علينا ربنا ﷻ في كتابه الكريم : ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأعراف] .

وقال تعالى : ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود] .

وقال عز وجل : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى

﴿ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾[الشعراء][1] .

۞ ذِكْرُ مدائن لوط :

هي مدن خمس ، وقيل : سبع ، تقع ما بين الأردن وفلسطين ، وبالتحديد تحت البحر الميت ، وهي : سدوم ، صامورة ، صابورة ، دوما ، وعامورة .

أكبرها وأعظمها بلدة سدوم ، وعلى الكل ملك يقال له : سدوم باسم البلدة ، وهو من نسل نمروذ بن كنعان .

وحدودها الآن تقع مع ثلاث جهات : مع الأردن ، والسلطة الفلسطينية ، واليهود .

هذا مكانها الجغرافي ، وأما الزمان التاريخي فإنه كان قبل الميلاد بقرابة ألفي عام .

كان يُشَكِّلُ عدد الأهل فيها ما يزيد على الأربعمائة ألف ، وبعضهم أوصلهم إلى الستمائة ألف ، وفي ذلك الوقت هو عدد ليس بالقليل .

كانوا حِسان الوجوه ، وبناة أقوياء ، جعلوا على كل مدينة سوراً ضخماً عظيماً من الحجارة المطلية بالرصاص ؛ حتى لا يُحفر ولا يُؤَثِّرَ به المنجنيق .

كانوا يعبدون الأصنام والحجارة من دون الله تعالى ، وكانوا على بخل شديد فلا يَدْخُلُ بيوتَهم ضيفٌ أبداً .

وبالإضافة إلى شركهم خُصُّوا كذلك بحذف الحجارة إذا مرّ بهم غريب ، والحَبَق[2] في مجالسهم ، والتناكش من الأسفل ، والصفير ، وغيرها من الأمور التي تكون بين السفهة والسفلة من الناس .

أما سبب هذه الأمور وكيف وُجِدَتْ فيهم ، فقال وهب بن منبه : إنَّ إبليس أَدْخَلَ لهم ذلك .

---

(١): ارجع كذلك إن شئتَ إلى المواضع التالية من القرآن الكريم : الأنعام ٨٦ ، التوبة ٧٠ ، الحجر ٥٧-٧٧ ، الأنبياء ٧٤-٧٥ ، الفرقان ٤٠ ، النمل ٥٤-٥٨ ، العنكبوت ٢٨-٣٥ ، الصافات ١٣٣-١٣٨ ، النجم ٥٣-٥٤ ، القمر ٣٣-٤٠ ، الممتحنة ١٠ ، الحاقة ٩-١٠ .

(٢) : هو خروج الريح من الدُّبر بصوت ، فكانوا يفعلون ذلك ويضحكون .

فقيل : أصاب بلادَهم قحطٌ شديد وهي أرض خصبة طيبة ، فجاء إبليس بصفات رجل وقال لهم : ألا أَدُلُّكم على سبب ذلك ؟ أنتم جرىٰ بكم القحط لأنكم منعتم الناس من دُوركم ، إنما لم تمنعوهم من بساتينكم ؛ فلهذا عاقبكم الله . قالوا : وكيف نمنع الناس من بساتيننا وهي مفتوحة ، وبلادنا مطروقة ؟ فقال : أنا أَدُلُّكم ، كُلُّ مَن أتىٰ مِن غريب إلىٰ بلادكم أعْرُوه من ثيابه السفلىٰ ، ورغماً عنه افعلوا فيه اللواطة ، فإذا فعلتم ذلك فرّ الناس منكم ، وحفظتم بذلك بساتينكم كما حفظتم دوركم .

ثم ذهب إبليس وتمثّل بصفات فتىٰ جميل بباب المدينة ، فلما رَأَوْه هرولوا إليه وفعلوا فيه ، فإذا انتهىٰ الفوج الأول ذهب وجاء الفوج الثاني ، ثم الثالث ، ... وهكذا .

فاسْتَحْسَنوا هذا الفعل الإبليسي الخبيث والقبيح واسْتَشْرىٰ بينهم ، فصار كلما أتىٰ غريب إليهم أو مرّ ببلدهم ، بالقوة بعضهم يمسك بيده ، والبعض الآخر يؤدي المهمة . فكان صِيتُهم في كل المجالات ، وأصبح الناس في حرج .

ثم أصبحت العادة بينهم علىٰ هذا وهجروا النساء ، وكانوا يفعلون ببعضهم البعض ، فكان الواحد منهم يفتخر أن يَفْعَلَ ويُفْعَلَ به هذا الفعل الشنيع .

وبعد أن تمادوا بذلك أرسل الله إليهم نبيه لوطاً عليه السلام .

۞ نسب لوط عليه السلام ومرافقته لإبراهيم الخليل :

لوط عليه السلام كما مرّ معنا هو ابن أخ إبراهيم علىٰ أرجح الأقوال ، فهو لوط بن هاران بن تارَح ، وقيل : تارَح هو آزر الذي ورد ذِكْره في القرآن[1] .

قال صاحب نهاية الأرب : وكان لوط قد شخص مع عمه إبراهيم عليهما السلام من المدائن إلىٰ أرض الشام مؤمناً به ، مهاجراً معه ، ومع إبراهيم تارَح وسارة بنت ناحور . فلما انتهوا إلىٰ حرّان هلك تارَح بها وهو باقٍ علىٰ كفره ، وسار إبراهيم ولوط وسارة إلىٰ الشام ، ثم مضوا إلىٰ مصر وبها فرعون من الفراعنة يقال له : سنان بن علوان بن عبيد بن عوج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ، وكنا قدّمنا ذلك في سيرة سيدنا إبراهيم خليل الرحمن .

---

(١) : وذلك في قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام] .


بعثة لوط عليه السلام
الفينيقيون
عكا
حيفا
البحر الكبير
(المتوسط)
الأموريون
طبريه
نهر الأردن
عجلون
القبائل
الزرقا
عمون (عمان)
أور سالم
مادبا
العمونيون
الخليل
مؤاب
بحيرة لوط
منطقة الغور
الكنعانية
غزة
بئر السبع
سدوم
عمورة
صوغر
الصافي
مملكة أدوم
قال تعالى (ولما أن جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين ❖ إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون ❖ ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون) العنكبوت
٣٣-٣٥
الآية البينة : البحر الميت (بحيرة لوط)
صحراء النقب
البتراء
معان
أرض سيناء
أيلة
شمال
غرب
شرق
جنوب
خليج أيلة
مقياس الرسم
٦٠ك م
٣٠
صفر

قال : ثم رجعوا إلى أرض الشام ، فنزل إبراهيم فلسطين ، وأَنْزَلَ لوطاً الأردن ، فكان هناك إلى أن بعثه الله تبارك وتعالى نبياً .

۞ مبعث لوط عليه السلام بالرسالة وتبليغه الدعوة :

قال وهب بن منبه فيما رواه عنه الكسائي : وأوحى الله عز وجل إلى إبراهيم أن يرسل لوطاً نبياً إلى سدوم ، وكانت كما أسلفنا خمس مدائن ، وبها المَلِك .

فسار حتى بلغ وسط السوق فقال : يا قوم ، اتقوا الله وأطيعون ، وارجعوا عن هذه المعاصي التي لم تُسْبَقوا إليها ، وانْتَهُوا عن عبادة الأصنام ، فإني رسول الله إليكم . فكان جوابُهم أنْ قالوا : ﴿ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٩] .

وبلغ الخبرُ المَلِكَ فقال : ائتوني به . فلما وقف بين يديه سأله مِن أين أقبل ؟ ومَن أرسله ؟ ولماذا جاء ؟ فأخبره أنَّ الله أَرْسَلَه ، فوقع في قلبه الخوف والرعب وقال : إنما أنا رجل من القوم فادْعُهُم ، فإنْ أجابوك فأنا منهم .

فدعاهم فقالوا : ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٧] ، فقال لهم : ﴿ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [الشعراء] .

فلبث فيهم عشرين سنة يدعوهم إلى الله وهم لا يجيبونه .

ثم تُوُفِّيَتْ امرأتُه ومنها أنجب بنتين[1] : الكبرى رَيْثا ، والصغرى ذغرتا ، وهو قول الأكثرين .

فتزوّج بامرأة من قومه تدعى والهة ، كانت قد آمنت به .

فأقام معها أعواماً وهو يدعوهم حتى صار له فيهم أربعون سنة ، وهو يدعوهم بما أخبر الله تعالى به بقوله : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ

---

(١) : وقيل : كان له ثلاث بنات .

أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأعراف] ، وهم لا يزدادون إلاّ كفراً وإصراراً وتمادياً على أفعالهم الذميمة ، فضجّت الأرض منهم .

وفي رواية ابن الأثير في تاريخه قال : قال تعالى : ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ[1] وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ[2] فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [العنكبوت] .

قال ابن الأثير : وكان لوط يدعوهم إلى عبادة الله ، وينهاهم عن الأمور التي يكرهها الله تعالى منهم : مِن قَطْع السبيل ، وركوب الفواحش ، وإتيان الذكور في الأدبار . ويتوعّدهم على إصرارهم وتَرْكِ التوبة بالعذاب الأليم ، فلا يزجرهم ذلك ، ولا يزيدهم وَعْظُه إلاّ تمادياً واستعجالاً لعقاب الله ، إنكاراً منهم لوعيده ، ويقولون له : ﴿ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] .

حتى سأل لوط ربه النُّصْرة عليهم لَمّا تطاول عليه أَمْرُهُم ، وتَماديهم في غيِّهم ، فبعث الله لَمّا أراد هلاكهم ونَصْر رسوله جبرائيل ومَلَكَيْن آخرَيْن معه : أحدهما ميكائيل ، والآخر إسرافيل[3] . فأقبلوا فيما ذُكِرَ مُشاةً في صورة رجال ، وأمرهم أن يبدؤوا بإبراهيم وسارة ، ويُبَشِّروه بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب .

❁ خبر نزول العذاب على قوم لوط وقَلْب المدائن :

قال الله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَذِهِ

---

(١) : قال ابن الأثير : فكان قَطْعهم السبيل أنهم كانوا يأخذون المسافر إذا مرّ بهم ، ويعملون به ذلك العمل الخبيث وهو اللواطة .

(٢) : قال ابن الأثير : قيل : كانوا يحذفون مَن مرّ بهم ويسخرون منه .
وقيل : كانوا يتضارطون في مجالسهم .
وقيل : كان يأتي بعضهم بعضاً في مجالسهم .

(٣) : وقيل : أرسل إليهم أربعة من الملائكة : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، ودريائيل ، كما حكى الكسائي في روايته نقلاً عن وهب بن منبه .

﴿ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [العنكبوت] .

لقد مرّ معنا في كتابنا هذا قصة إبراهيم وأن الله عزّ وجلّ أرسل الملائكة إليه ، وبشّروه بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، وأخبروه بما أمرهم الله به من إهلاك قوم لوط ، فأراد أن يَتَدَخَّلَ فقالوا : هذا أَمْرُ الله ، وقد أَمَرَ رب العزة بأنْ يَهْلَكَ هؤلاء ، ولستَ أنت أَعْلَمَ بِمَنْ فيها . قال : ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ [العنكبوت: ٣٢] ! قالوا : ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ [العنكبوت: ٣٢] ، ولكنه سيكون مِنَ الناجين . فقال لهم : امضوا حيث تُؤْمَرون .

وفي رواية ذكرها سعيد بن جبير والسُّدّي وقتادة ومحمد بن إسحاق أن إبراهيم عليه السلام جعل يقول : أَتُهْلِكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : فمائتا مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : فأربعون مؤمناً ؟ قالوا : لا ، قال : فأربعة عشر مؤمناً ؟ قالوا : لا . قال ابن إسحاق : إلى أنْ قال : أَفَرَأَيْتُم إنْ كان فيها مؤمن واحد ؟ قالوا : لا ، قال : ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ [العنكبوت: ٣٢] ! قالوا : ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ [العنكبوت: ٣٢] .

قال الكسائي نقلاً عن وهب بن منبه : فاسْتَوَوْا على خيولهم وساروا إلى المدائن ، وهم على صفة البشر . وما بين حبرون وسدوم أربعة فراسخ[1] كما ذكر ذلك العلماء .

وسار إبراهيم عليه السلام إلى المرآب ، ووقف ينظر كيف سيكون الهلاك ، وينتظر نبي الله لوطاً .



منظر عام لمنطقة المرآب ، وهي منطقة صخرات عالية بفلسطين ، تُشْرِفُ على قرى ومدن لوط كلها، ولا زالت إلى الآن تُسَمّى بنفس الاسم ، وتُعْرَف بأنها المكان الذي وقف عليه إبراهيم خليل الرحمن حين قَلْب المدائن

(١) : الفرسخ ثلاثة أميال .

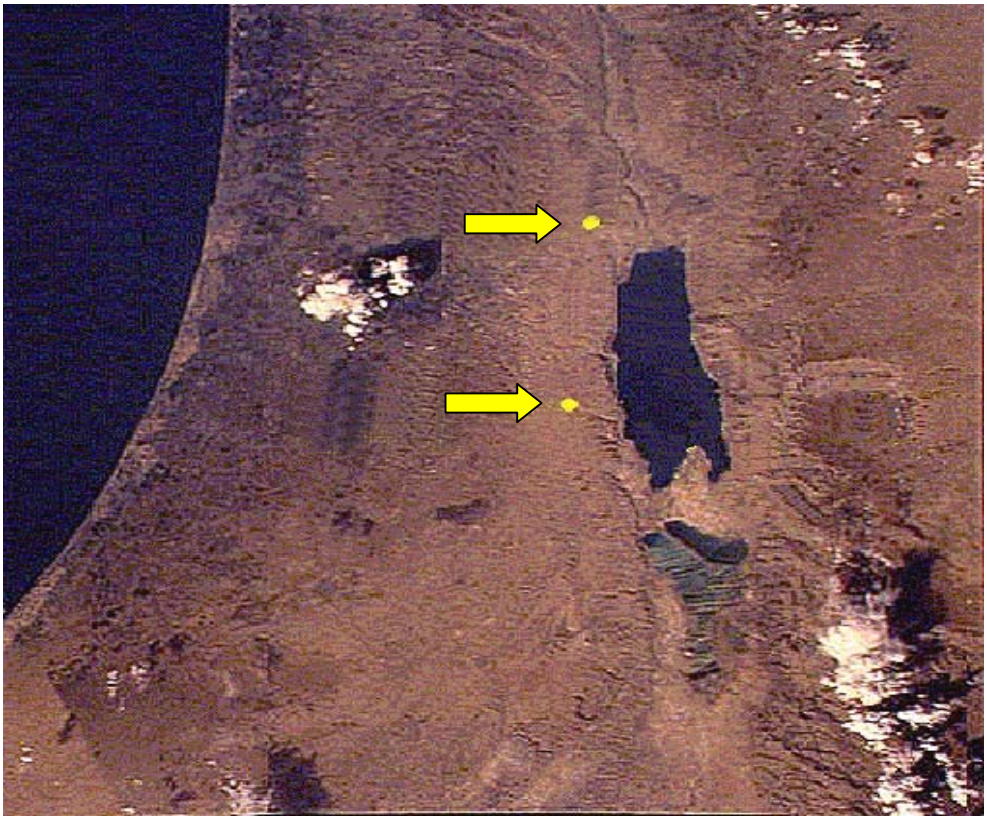

هذه الخريطة تبين موقع مدائن لوط ، والمكان الذي وقف عليه سيدنا إبراهيم ينظر إليهم

قال : فَأَتَوا المدائن وقت المساء ، فَرَأَتْهم ابنة لوط – وهي الكبرىٰ من بناته – وهي تَسْتَقي الماءَ ، فتقدّمتْ إليهم فقالت : ما لكم تدخلون علىٰ قوم فاسقين ؟ ليس يُضيفكم إلاّ ذلك الشيخ .

فَعَدَلَتِ الملائكةُ إلىٰ لوط ، فلما رآهم اغْتَمَّ غَمّاً شديداً ؛ مخافةً عليهم مِنْ شرّ قومه ، ثم قال لهم : مِن أين أقبلتم ؟ قالوا : من موضع بعيد وقد حَلَلْنا بساحتك ، فهل لك أن تُضيفنا الليلة ؟ قال : نعم ، ولكنْ أخاف عليكم مِن هؤلاء الفاسقين ، عليهم لعنة الله .

قال جبريل لإسرافيل : هذه واحدة .

وكان الله تبارك وتعالىٰ قد أمرهم ألاّ يُدَمِّروا علىٰ قومه إلاّ بعد أربع شهادات مِن لوط ولَعْنَته عليهم .

ثم أقبلوا إليه وقالوا : يا لوط ، قد أقبل علينا الليل ، فاعمل على حسب ذلك . قال : قد أخبرتُكم أنَّ قومي يأتون الرجال من العالمين ، عليهم لعنة الله . فقال جبريل لإسرافيل : هذه ثانية .

ثم قال لهم لوط : انزلوا عن دوابكم واجلسوا ها هنا حتى يشتدّ الظلام ، وتَدْخُلون ولا يشعر بكم أحد منهم ، عليهم لعنة الله . قال جبريل : هذه ثالثة .

ثم مضى لوط والملائكة وراءه ، فدخل المنزل وأغلق الباب ، وقال لامرأته : إنكِ قد عَصَيْتِ الله أربعين سنة ، وهؤلاء ضيفاني قد مَلأُوا قلبي خوفاً ، فاكتمي عليّ أَمْرَهم حتى يغفر الله لكِ ما مضى . قالت : نعم .

ثم خرجت وبيدها سراج كأنّها تُريد أنْ تَضِيء أمامها ، فطافت على عِدّة مِن القوم فأخبرتهم بجمالهم وحُسْنهم . فعَلِمَ لوط بذلك ، فأغلق الباب وأَوْثَقَه .

فأقبل الفُسّاق وقرعوا الباب ، فناداهم لوط: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ[1] هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ [هود: ٧٨] ، قالوا : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقّ[2] وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ [هود: ٧٩] .

ثم كسروا الباب ودخلوا ، فقالوا له :﴿ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3] [الحجر: ٧٠] ؟ فوقف لوط على الباب الذي دونه ضيفانه وقال : لا أُسَلِّمُ ضيفاني إليكم دون أن تذهب نفسي . فتقدّم بعضهم ولطم وجهه ، وأخذ بلحيته ودفعوه عن الباب ، فقال : أَوَّه ، ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود: ٨٠] .

---

(١) : أي كُلُّ نبي أَبٌ لقومه كَكُلِّ ، فبنات المدن أمامكم طاهرات ومُعَدّات لذلك .

(٢) : أي كانتا بِنْتاك قد خُطِبَتا وأنت لم تُزَوِّج ، فلا حق لنا في بناتك . وكانت العادة والقاعدة عندهم إذا خطب رجل بنتاً ورفض أبوها أن يُزَوِّجَها منه حُرِّمَتْ عليه على التأبيد .

(٣) : أي أما نهيناك يا لوط أن لا تَتَعَرَّض لأحد وأنْ لا تُضِيف أحداً ؟

لهذا قال النبيﷺ : «يرحم الله لوطاً ، لقد كان يأوي إلى ركن شديد»[١] .

قال الكسائي : قال وهب بن منبه : ثم قال لوط : إلهي ، خُذْ لي بحقي من هؤلاء الفسقة ، والْعَنْهُم لَعْناً كبيراً . فقال جبريل عند ذلك : هذه أربعة .

وقام جبريل ففتح الباب ، وقال للوط : ﴿ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ ﴾ [هود: ٨١] ، فهجم القوم ودخلوا ، وبادروا نحو الملائكة ، فَطَمَسَ الله أعينهم ، واسْوَدَّتْ وجوههم .

قال الله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [القمر] .

فجاءت طائفة أخرى ونادَوْهم : اخرجوا لندخل ، فَنادَوْا : يا قوم ، هؤلاء قوم سحرة سحروا أعيننا ، فأَخْرِجونا . فأَخْرَجوهم وقالوا : يا لوط ، حتى نصبح نريك وبناتك .

وخرجوا ، فقال لوط للملائكة : بماذا أُرسلتم ؟ فأخبروه ، فقال : متى ؟ قالوا : ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ [هود: ٨١][٢] .

ثم قال له جبريل: ﴿ فَأَسْرِ [٣] بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ [٤] إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ

---

(١) : حديث حسن أصله في الصحيحين ، رواه البخاري ومسلم من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه ، والنسائي في سننه الكبرى ، وأحمد في مسنده ، وابن ماجة في سننه ، وابن حبان في صحيحه ، والطبراني في الأوسط ، وأبو عوانة في مسنده ، والديلمي في الفردوس بزيادة : (فما بعث الله من بعده نبياً إلاّ في ثروة من قومه) . وخرّجه الترمذي بهذه الزيادة وقال : حديث حسن ، والثروة الكثرة والمَنَعة . وكذا رواه الحاكم وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ولم يُخَرِّجاه بهذه الزيادة ، إنما اتّفقا على حديث الزهري مختصراً .

(٢) : فغالباً ما كان تنفيذ الأمور قبل الصبح بوقت قليل .

(٣) : وهناك قراءة [فَاسْرِ] بترك الهمز والتسهيل .

(٤) : فطلب منه أن لا يلتَفت وقال : ستسمع رعداً قوياً وأصواتاً ما سمعتَ بمثلها قَبْلُ ، وسترى برقاً ونيراناً وقَلْباً ، فإيّاك يا لوط أن تلتفت ، فإن الالتفات يعني بأنك عطفتَ عليهم ، والذي يلتفت منكم سيصيبه ما أصابهم . وهكذا وصّى لوط بنتيه كذلك .

﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾[هود ٨١] . فجمع لوط أهله وبناته ومواشيه ، وأخرجه جبريل من المدينة وقال له : ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦] .

ومضى لوط بمن معه ، وجبريل قد بسط جناح الغضب ، وإسرافيل قد جمع أطراف المدن ، ودريائيل قد جعل جناحه تحت الأرض ، ومَلَك الموت قد تَهَيَّأَ لقبض أرواحهم .

حتى إذا برز عمود الصبح ، صاح جبريل صيحة : يا بِئْسَ صباح قومٍ كافرين ، وقال ميكائيل : يا بِئْسَ صباح قومٍ فاسقين ، وقال دريائيل : يا بِئْسَ صباح قومٍ ظالمين ، وقال إسرافيل : يا بِئْسَ صباح قومٍ مجرمين ، وقال مَلَك الموت : يا بِئْسَ صباح قومٍ غافلين .

فاقتلع جبريل هذه المدن عن آخرها ، ثم رفعها حتى بلغ بها إلى البحر الأخضر وقَلَبها ، فجعل عالِيَها سافِلَها .

قال الله تعالى : ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٢﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [النجم] .

يعني رمى الملائكةُ إيّاهم بالحجارة من فوقهم .

قال الكسائي نقلاً عن وهب بن منبه : واستيقظ القومُ وإذا هم بالأرض تَهْوي بهم ، والنيرانُ مِن تحتهم ، والملائكةُ تَقْذِفُهم بالحجارة .

ومَن كان مِن القوم بغير مدائنهم مِمَّنْ كان على دينهم وفِعْلهم ، أتاه حجر فقتله حيث هو .

قال الله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ(١) مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً(٢) عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود] .

---

(١) : حُكِيَ عن محمد بن الجَهْم أنَّ سجيلاً طين يُطبخ حتى يصير بمنزلة الأَرْحاء .

وقال عكرمة وقتادة : السجيل الطين .

وقال ابن زيد : طين طُبِخَ حتى كان كالآجُرّ .

(٢) : قال الإمام القرطبي في تفسيره : أي مُعَلَّمة من السماء ، وهي العلامة . أي كان عليها أمثال الخواتيم .

وقيل : مكتوبٌ على كل حجر اسم مَن رُمِيَ به ، وكانت لا تُشاكل حجارة الأرض .

وقال الفرّاء : زعموا أنها كانت مُخَطّطة بحمرة وسواد في بياض ، فذلك تَسْويمها .

وقال كعب : كانت مُعَلَّمة ببياض وحمرة .

قال الكسائي : قال وهب بن منبه : وبقي يخرج من تحت المدائن دخان مُنْتِنٌ ، لا يقدر أحد أن يشمّه لِنَتَنِهِ ، وبقيتْ آثار المدائن ، فكانوا آية للعالمين ولكل مخالف .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٣٥].

قال الكسائي : ومضى لوط إلى إبراهيم عليهما الصلاة والسلام .

فذلك قوله عز وجل : ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الذاريات] .

وقال ابن الأثير في روايته : فلما كان الصبح ، أدخل جبرائيل – وقيل : ميكائيل – جناحه في أرضهم وقراهم الخمس ، فرفعها حتى سمع أهلُ السماء صياح دِيَكتهم ونباح كلابهم ، ثم قَلَبَها فجعل عالِيَها سافِلَها ، وأمطر عليهم حجارة من سِجِّيل .

وسمعتْ امرأة لوط الهدّة فقالت : واقوماه ، فأدركها حجر فقتلها ، ونجّى الله لوطاً وأهله إلاّ امرأته .

وهناك قول آخر : أنها بقيت عند قومها ، وأصابها ما أصاب القوم .

قال ابن الأثير : وكان إبراهيم يتشرّف عليها ويقول : سدوم يوماً هالك .

وفي يومنا هذا نرى منطقتهم تلك منخفضة ، وفوقها ماء مالح لا يستطيع أن يعيش فيه ذو روح ، وهي البقعة التي تُعْرَف بالبحر الميت أو بحيرة لوط . فهذا الانخفاض كان بعد نزول العذاب ، وهذا الماء مغضوب عليه ؛ لهذا يُكره السباحة فيه .

۞ وفاة لوط عليه السلام :

وبعد خروج لوط عليه السلام من الكهف توجّه إلى حبرون كما قيل ، وبقي فيها حتى توفاه الله تعالى ، وقبره مشهور هناك في الخليل ، والله أعلم بالصواب .



قبر سيدنا لوط المعروف في الخليل

۞ حُكْم مَن فَعَل فِعْل قوم لوط :

قال القرطبي في تفسيره : واختلف العلماء فيما يجب على مَن فعل ذلك بعد إجماعهم على تحريمه :

فقال مالك : يُرْجَمُ أُحْصِنَ أو لم يُحْصَن ، وكذلك يُرْجَمُ المفعول به إنْ كان مُحْتَلِماً .

ويروى عنه أيضاً : يُرْجَمُ إنْ كان مُحْصَناً ، ويُحْبَسُ ويُؤَدَّبُ إنْ كان غير مُحْصَن .

وهو مذهب عطاء ، والنخعي ، وابن المسيب ، ... وغيرهم .

وقال أبو حنيفة : يُعَزَّرُ المُحْصَن وغيره .

وروي كذلك هذا عن مالك .

وقال الشافعي : يُحَدُّ حدّ الزنى قياساً عليه .

واحتجّ مالك بقوله : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [هود: ٨٢] ، فكان ذلك عقوبة لهم وجزاء على فِعْلهم .

فإنْ قيل : لا حُجّة فيها لوجهَيْن :

أحدهما : أنَّ قوم لوط إنما عوقبوا على الكفر والتكذيب كسائر الأمم .

والثاني : أنَّ صغيرهم وكبيرهم دَخَلَ فيها ، فدلّ على خروجها من باب الحدود.

قيل : أما الأول فغلط ، فإن الله ﷻ أخبر عنهم أنهم كانوا على معاصي ، فأخذهم الله بها .

وأما الثاني : فكان منهم فاعل ، وكان منهم راضٍ ، فعوقب الجميع لسكوت الجماهير عليه ، وهي حِكْمة الله وسُنَّتُه في عباده ، وبقي أَمْرُ العقوبة على الفاعلين مستمراً ، والله أعلم .

ولقد روى ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال : « مَن وَجَدْتُموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به »[1] .

وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه حَرَّقَ رجلاً يُسَمّى الفُجاءة حين عَمِلَ عَمَل قوم لوط بالنار .

---

(١) : حديث صحيح الإسناد ، رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجة والحاكم والبيهقي والدارقطني وأبو يعلى والطبراني .

وهو رأي علي بن أبي طالب ﷺ ، فإنه لَمّا كتب خالد بن الوليد إلى أبي بكر في ذلك ، جمع أبو بكر أصحابَ النبي ﷺ واستشارهم فيه ، فقال علي : إنَّ هذا الذنب لم تَعْصِ به أمة من الأمم إلاّ أمة واحدة ، صنع الله بها ما عَلِمْتُم ، أرىٰ أن يُحْرَق بالنار .

فاجتمع رأي أصحاب رسول الله ﷺ أن يُحرق بالنار ، فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد أن يحرقه بالنار ، فأحرقه .

ثم أحرقهم ابن الزبير في زمانه .

ثم أحرقهم هشام بن الوليد .

ثم أحرقهم خالد القَسْريّ بالعراق .

ورُوِيَ أنَّ سبعة أُخِذوا في زمن ابن الزبير في لواط ، فسأل عنهم ، فَوَجَدَ أربعةً قد أُحْصِنوا ، فَأَمَرَ بهم ، فخرجوا بهم من الحرم ، فَرُجِموا بالحجارة حتىٰ ماتوا ، وحَدَّ الثلاثة . وعنده ابن عباس وابن عمر ، فلم يُنْكِرا عليه .

وإلىٰ هذا ذهب الشافعي .

۞ تنبيه :

لقد ذُكِرَ لي في السنين الأخيرة بأن لجنة علمية بريطانية طلبت البحث عن مدن لوط تحت البحر الميت ، وأخذت الإجازة من الحكومات المعنية (الأردنية ، والفلسطينية ، والإسرائيلية) . فاستأجروا غواصة أمريكية تسَعُ ثلاثة أشخاص ، وبعشرة آلاف دولار عن كل يوم ، ونقلوها بالطائرة ، ونزلوا تحت البحر الميت ، ووجدوا ما يُذْهِلُ العقول . وجدوا هذه المدن الكبيرة لا زالت في أماكنها مقلوبة علىٰ عكسها تحت الماء .

كما تم تصوير المنطقة بالأقمار الصناعية وباستخدام أجهزة رادارية أَكَّدَتْ وجود هذه المدن في منطقة البحر الميت .

وإليك أخي القارئ صورة لهذه الغواصة ، وبعض الصور التي الْتُقِطَتْ لقاع البحر الميت ، وقد بدا واضحاً أنه مُغَطًّىٰ تماماً بطبقات ملحية ، وفي بعضها تَظْهَرُ بعض التَّراكُمات ذات الشكل المعماري .



الغواصة دلتا التي استخدمت في البعثة الاستكشافية للبحر الميت أواخر عام ١٩٩٩م





مراحل تنزيل الغواصة دلتا
في قاع البحر الميت

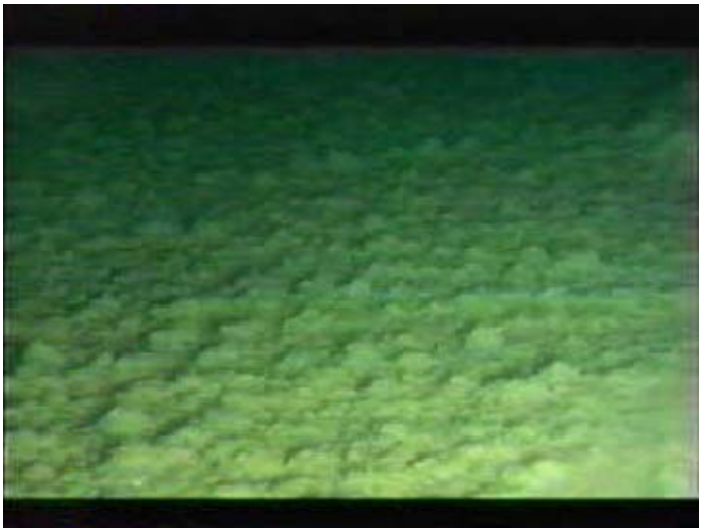

قاع البحر الميت كما يبدو في بعض المناطق مسطحاً ومغطى بطبقة ملحية

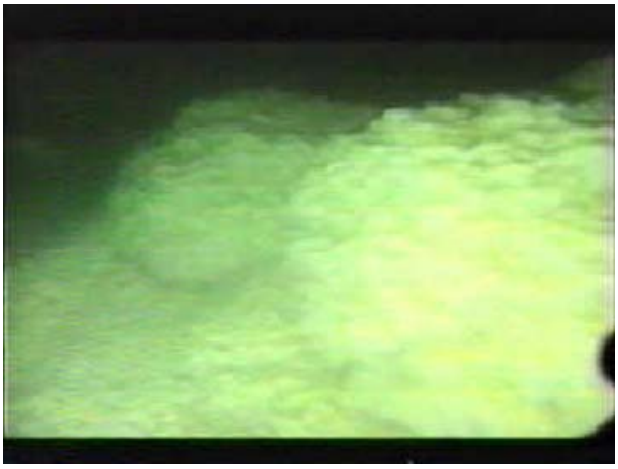

هضاب صغيرة مغطاة بقشرة ملحية ومنتشرة في كل مكان في قاع البحر الميت



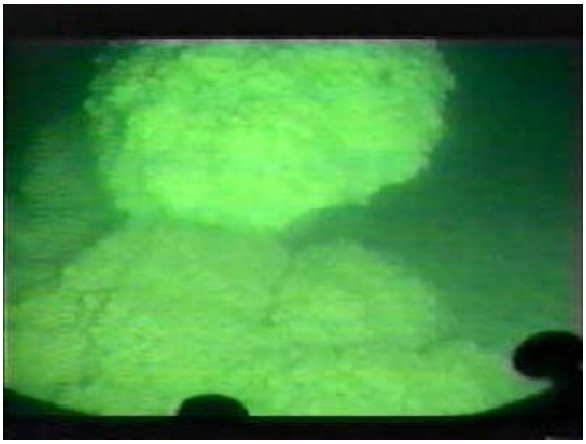

تكوين معماري يشبه الدعامة
في الشكل ، ويبدو مغطى
تماماً بقشرة ملحية

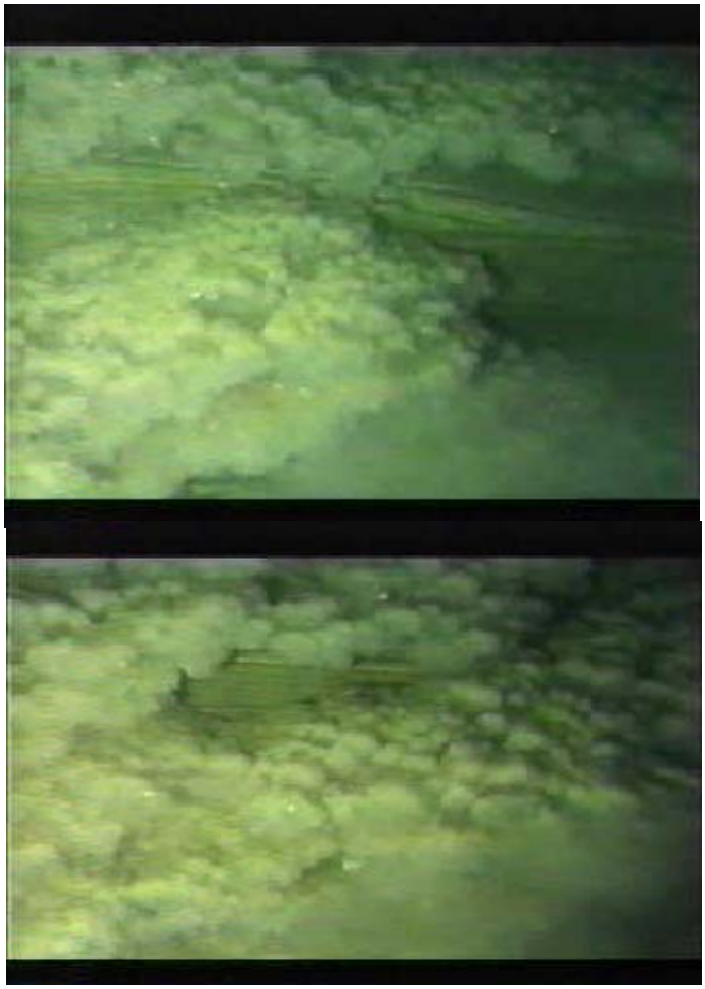

بعض الآثار التي تشبه
الجدار في الشكل وتبدو
بعض الطبقات
الرخامية واضحة تحت
الطبقة الملحية

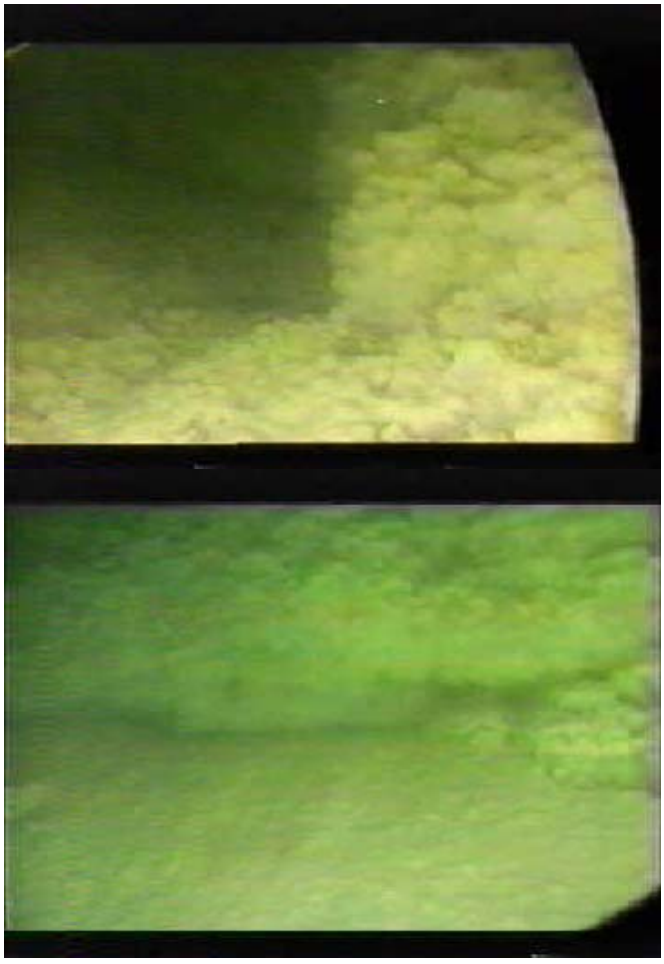

بعض الآثار الجدرانية التي
وجدت تحت البحر الميت

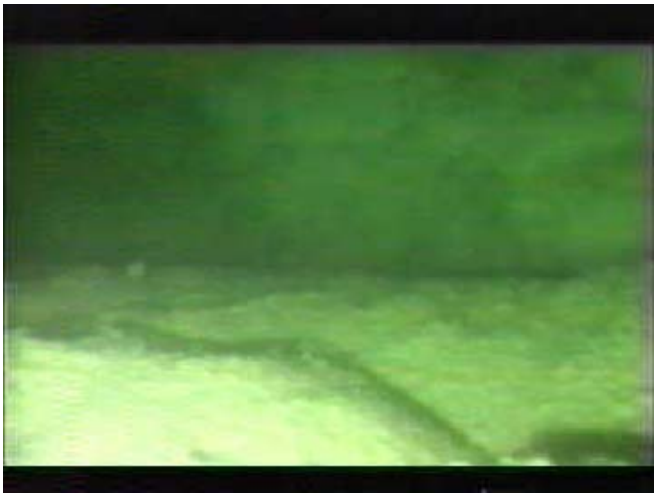

صورة لقاع البحر
الميت تبين وجود آثار
عمرانية قديمة

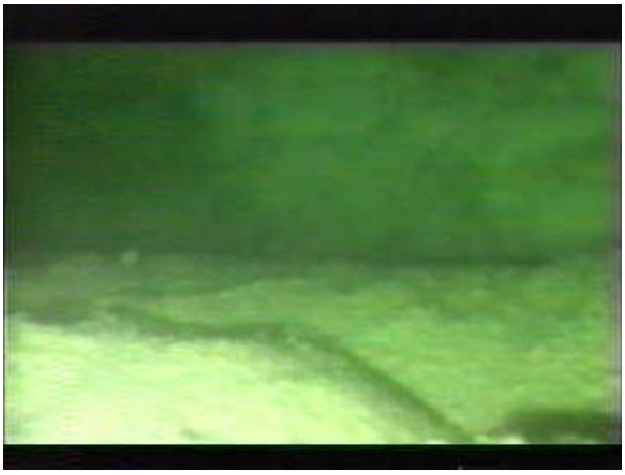



صور أخرى لقاع البحر الميت تبين وجود آثار عمرانية قديمة

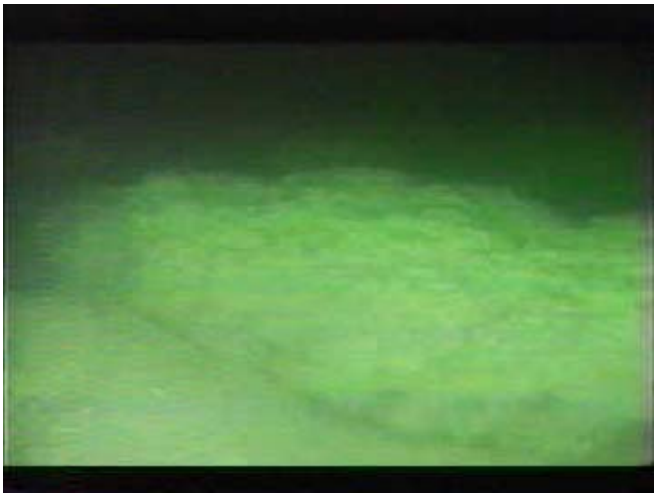



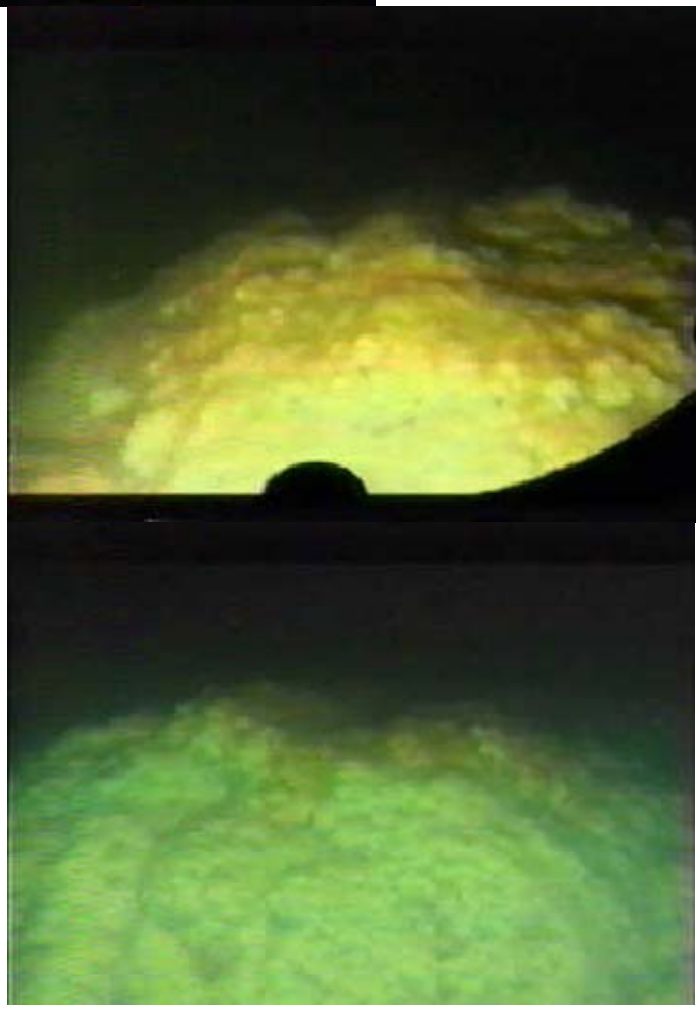

بعض الآثار وُجِدَتْ مغطاة بطبقة قليلة من مادة حمراء لم يتم التعرف على طبيعتها حتى الآن

كما تم إرسال بعثات استكشافية أثرية أخرىٰ إلىٰ المنطقة حول البحر الميت ، وهناك وُجِدَتْ آثار مذهلة كثيرة استدلّوا بها علىٰ أنها المنطقة التي عاش فيها قوم لوط في الزمن الماضي ، وأنَّ هذه الآثار هي من بقايا مدائن لوط ، حيث أُثْبِتَ علمياً أن مستوىٰ البحر الميت قد انحسر عمّا كان عليه في الزمن البعيد ، فظهرتْ أجزاء من هذه المدن في المنطقة الساحلية ، وصار البحر الميت عبارة عن بحيرتين . وأنَّ البحر الميت لم يكن موجوداً قبلُ ، وإنما حَدَثَ من الزلزال الذي جعل عالِيَ البلاد سافِلَها ، وصارت أخفض من سطح البحر بنحو ٣٩٢م .

ومن هذه الاكتشافات التي اعتمد عليها علماء الآثار في أبحاثهم التي تَمَّتْ باستخدام تقنيات علمية حديثة ذات جودة عالية ودقة متناهية :

- وجود صَدْع أرضي في منطقة البحر الميت .

- وجود كَمٍّ هائل من المدافن التي تَحْوي أكثر من مليون ونصف مقبرة لأشخاص دُفِنوا قبل نزول العذاب ، مِمّا يعطينا مدىٰ حجم هذه المدن وعدد سكانها .

- وجود مظاهر وآثار عمرانية ضخمة مختلفة تحمل خواص المدن القديمة ، وقد تحوّلتْ كلُّها بالكامل إلىٰ رماد أبيض : كجدران ، ومداخل مُقَوَّسة ، وأبنية هرمية مؤلفة من عدة طوابق ، ونوافذ ، وأبراج ، وبقايا أشجار قديمة كانت تنبت في تلك المنطقة .

وإن مِثْلَ أثر هذا الحرق الذي تعرّضتْ له المنطقة لا تُخَلِّفُه أي كارثة أو ظاهرة طبيعية ، ولا حتىٰ البراكين فهي تُسَبِّبُ حَرْقاً سطحياً فقط .

وبتحليل الرماد الأبيض تَبَيَّنَ أنه مُكَوَّنٌ من كبريتات الكالسيوم ، حيث المدائن كانت قد بُنِيَتْ من حجر الكِلْس ، وعند احتراقها تفاعلت مع الكبريت وكَوَّنَتْ هذا النوع من الرماد ، وهو مُدْمَجٌ مع بعضه بكثافة ولكنه سهل التفتيت . كما أنه يظهر علىٰ هيئة طبقات متعددة ؛ بسبب عامل الحرارة المرتفعة الذي يُحْدِثُ مِثْلَ هذه التشكيلات الطَّبَقِيّة ، كما هو ظاهر في الصور التالية :

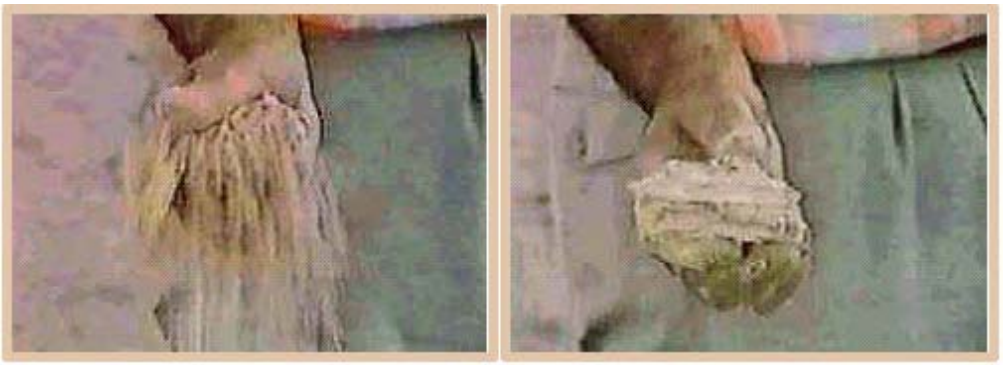















– وجود الملايين من الأحجار الكبريتية الكروية الشكل عند الشاطئ والمنحدرات الصخرية مدفونةً في الرماد ، وبأحجام مختلفة تتراوح من حجم ظفر الإبهام إلى حجم البيضة ، وكُلُّ حجر مُغَلَّف بقشرة حمراء وأخرى سوداء من مادة صلبة مُتَبَلْوِرة ، وهي من دِلالات الحَرْق ، حيث تَحَوَّلَ الكبريت الأصفر إلى اللون الأحمر الغامق ثم إلى الأسود ، وقد قُدِّرَتْ درجة حرارتها بـ ٥٠٠٠° س .

وإن الرماد والمواد الذائبة المحترقة أحاطت بالحجر الكبريتي ومَنَعَتْ عنه الأكسجين ، وتدريجياً بدأ الكبريت السائل يَبْرد ، فتكوّنت الكبسولة المُتَبَلْورة ، وهذا الرماد هو الذي حفظ هذه الأحجار من الزوال خلال هذه السنين الطويلة .

وبتحليل هذه الأحجار تَبَيَّنَ أنها ذات تركيب كبريتي خاص (٩٥-٩٨,٤٪) لا يوجد في أي مكان آخر من العالم ، ولا حتى في المناطق النشطة بركانياً ، وهو أنقى حتى من الكبريت الطبيعي ، وينشأ بسبب التعرض طويلاً لدرجات حرارة مرتفعة جداً .

كما وُجِدَ فيها كمية من عنصر الماغنيسيوم الذي يزيد درجة الاشتعال .

كما وإن شكلها الكروي يدل على أنها أَتَتْ من الفضاء .

وإن عملية الاحتراق تمت بسرعة كبيرة جداً مما حقّق نوعاً من التوازن الكيميائي الذي منع من الانفجار .









– وجود بعض العظام الآدمية المحترقة ، وقد بدا فيها واضحاً النخاع العظمي محترقاً .

– وجود عملات ذهبية محترقة ، وقد تحوّلت إلى مُرَكَّبات ملحية .

– وجود مادة القار التي كانت تُستخدم قديماً في البناء ، وكذلك الفحم ، والحديد المنصهر ، والجبس ، والدُّولُومَيْت ، وبعض الطين المحترق ، حيث ليست فقط المدن التي احترقت بل أيضاً طبقة التربة .

– وجود مغارة بالقرب من المنطقة في غور الصافي بالأردن ، يُعتقد أنها الملجأ الذي قصده نبي الله لوط مع بنتيه عندما أمره جبريل بالخروج .

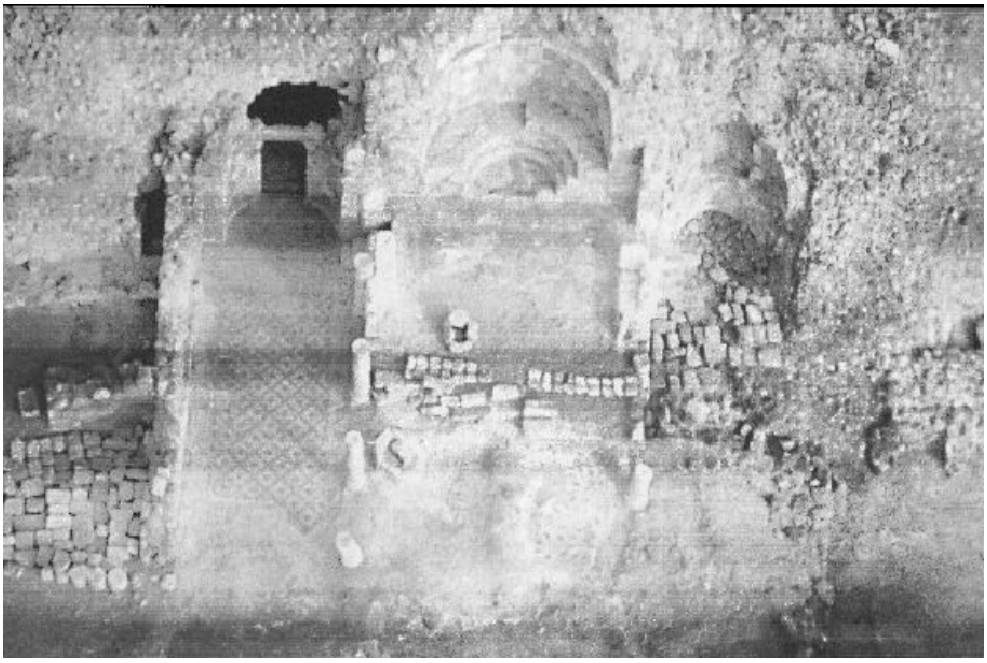



كهف لوط

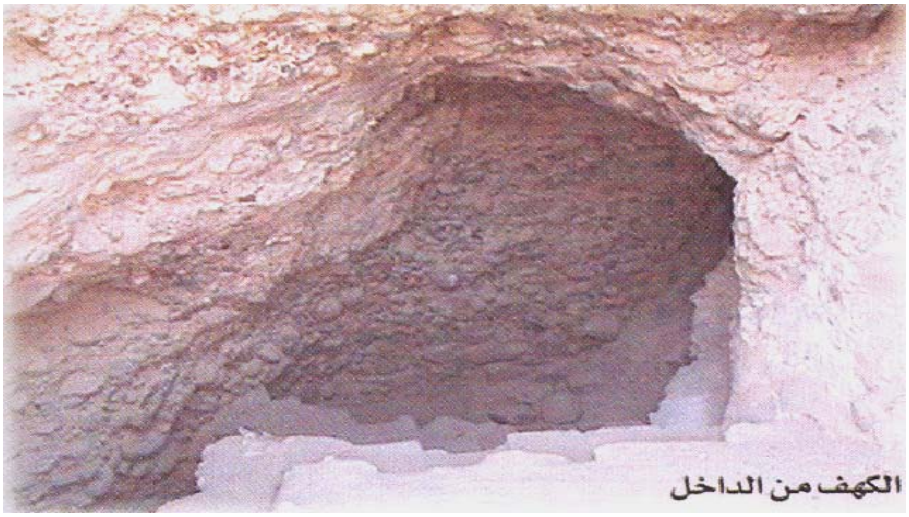

وبعد كل هذه الأبحاث والاكتشافات وضع العلماء خارطة تقريبية للمنطقة تُوَضِّحُ مكان مدائن لوط .



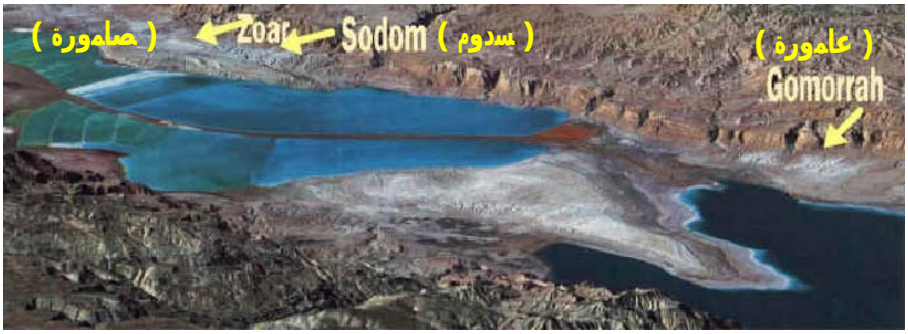

الجهة الجنوبية من البحر الميت

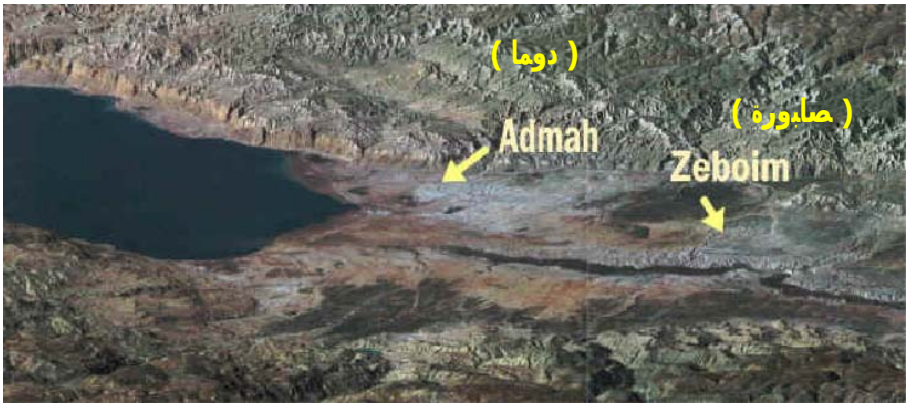

الجهة الشمالية من البحر الميت

نعم ، وجدوا آثاراً كبيرة ، إنما الخلاف كان لِمَنْ ستكون هذه الآثار ؟ للحكومة الأردنية أم الإسرائيلية أم الفلسطينية ؟

وأقول : أهذا فقط ما وصلتْ إليه عقولهم ؟! أما اعتبروا لماذا قُلِبوا ، ولماذا عوقبوا ، وماذا فُعِلَ بهم ؟!

قال تعالى : ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٣٥] .

فهذه القصة إنْ دَلَّتْ على شيء فإنما تدل على أن الله ﷻ يُمْهِلُ ولا يُهْمِل ، رزقنا الله تعالى مع العقل العناية والرعاية والتوفيق .

سيدنا إسحاق ويعقوب
عليهما الصلاة والسلام

قال الله تبارك وتعالى : ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم] .

وقال تبارك وتعالى : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾[الأنبياء] .

وقال تعالى : ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [ص][1] .

۞ مولد إسحاق عليه السلام ونشأته ومبعثه :

قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ [الصافات] .

---

(١) : ارجع كذلك إن شئتَ إلى المواضع التالية من القرآن الكريم : البقرة ١٣٢-١٣٣ و١٣٦ ، آل عمران ٨٤ ، النساء ١٦٣ ، الأنعام ٨٤ ، هود ٧١ ، العنكبوت ٢٧ ، الصافات ١١٢-١١٣ .


بعثة إسحاق عليه السلام
صدد
حماه
عينان
جبيل
الآراميون
دمشق
ديماشاكي
البحر الكبير
(المتوسط)
صور
الفينيقيون
العموريون (الأموريون)
عكا
طبرية
أرض
نهر الشريعة (الأردن)
نابلس
العمونيون
يافا
ربة عمون
اشدود
يبوس
(أور سالم)
كنعان
الخليل
(حبرون)
غزة
المؤابيون
بحيرة لوط (البحر الميت)
الشعب الفلستي
بئر السبع
قادش
صحراء النقب
شمال
غرب
شرق
جنوب
مقياس الرسم
صفر
٣٠
٦٠ كم

لقد ولد إسحاق عليه السلام بعد أخيه إسماعيل بثلاث أو أربع عشرة سنة ، ولأبيه إبراهيم مائة سنة ، وكان عمر أمه سارة حين بُشِّرَتْ به تسعاً وتسعين سنة ، وكنا قدّمنا ذلك في سيرة سيدنا إبراهيم خليل الله .

فَوَضَعَتْهُ سارة وعلى وجهه نور أضاء منه ما حولها ، وقد رَبَّتْه حتى بلغ سبع سنين .

وعندما وصل الأربعين من عمره زوّجه إبراهيم بفتاة اسمها رِفْقا بنت بَتوئِل[1] بن ناحور بن تارح ، وبعث مولاه فَحَمَلها من بلادها ومعها مرضعتها وجواريها على الإبل .

قال الكسائي نقلاً عن وهب بن منبه : فلمّا قبض الله تعالى إبراهيم الخليل عليه السلام ، سكن إسماعيلُ الحرم ، وإسحاقُ الشام ومدين ، وسكن معه سائر أولاد إبراهيم ، وبعثه الله إلى الأرض المقدسة نبياً ورسولاً .

۞ مولد يعقوب عليه السلام :

قال الكسائي : قال وهب بن منبه : فأقام إسحاق بينهم نحواً من ثمانين سنة[2] وكُفَّ بصره[3]، فبينما هو نائم إلى جنب امرأته تحرّكتْ شهوتُه ، فقالت : وفيكَ بقية يا إسحاق ؟ فواقعها مرة ، فحملتْ بذكرين ، وهما يعقوب والعيص .

فخرج العيص أولاً وهو والد الروم ، ثم تبعه يعقوب وهو آخذ بعقب أخيه ؛ فلذلك سُمِّيَ بيعقوب ، وهو إسرائيل الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل .

وقد مر معنا قوله تعالى : ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ [هود: ٧١] ، وهنا لم يُذكر العيص لأنه لم يكن نبياً .

۞ وفاة إسحاق عليه السلام :

قال وهب بن منبه : ثم قبض الله تعالى نبيه إسحاق ، فقُسِمَ ما كان له

---

(١) : وفي رواية : بتويل .

(٢) : وفي رواية لغيره : ستين سنة .

(٣) : والذي نعتقده وعليه الأشاعرة أن الأمراض المنفرة مستحيلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كالعمى، والجذام، والبرص.

مِن بقر وخيل وغنم ... وغير ذلك بالسويّة .

ودُفِنَ عليه السلام في حبرون ، في المغارة بقرب أبيه إبراهيم وأمه سارة .

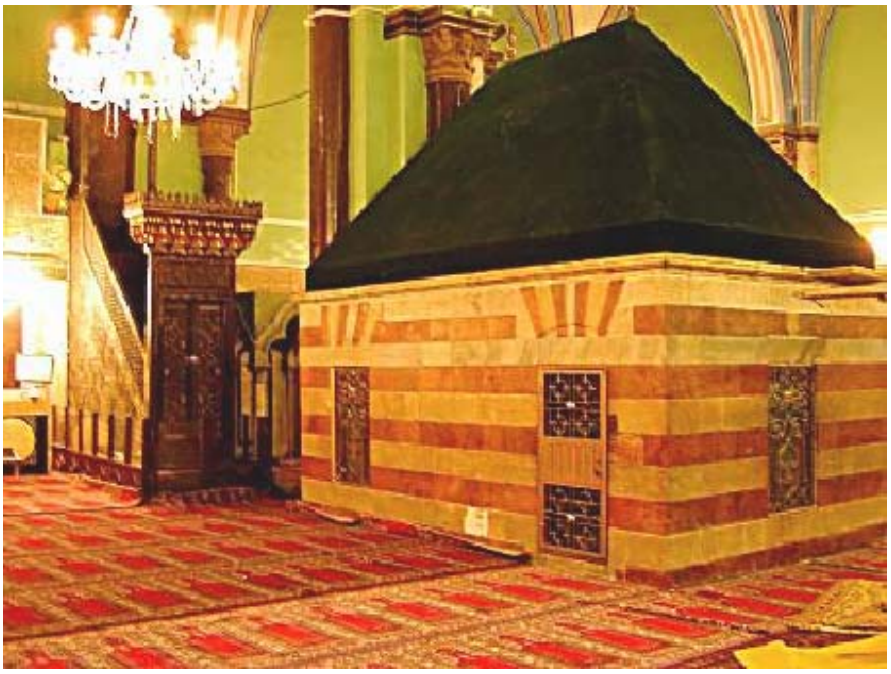

قبر سيدنا إسحاق داخل الحرم الإبراهيمي في الخليل

۞ رحيل يعقوب إلى حرّان وزواجه هناك وذِكْر أولاده :

قال وهب : فغلب العيص على مال يعقوب واغتصبه إيّاه ، وقصد قَتْله ، فقالت له أمه : الْحَقْ بخالك لابان وإخوته بحرّان ، فإنهم مؤمنون مِن آل إبراهيم .

فتوجّه يعقوب إلى حرّان ، فأكرمه خاله وزوّجه ابنته ، وسلّم إليه ما بيده من المال ، وكانت ابنته هذه الكبرى واسمها لِيّا ، فرُزِقَ منها : روبيل وشمعون ، ثم ذَكَرَيْن : لاوى[1] ويهوذا .

---

(١) : ويقال : لاوي بكسر الواو والياء على لغة أهل الكتاب .

ثم تُوُفِّيَتْ ، فزوّجه خالُه ابنتَه الثانية واسمها سرورية ، فولدتْ له وَلَدَيْن : دانا ونفتالي .

ثم تُوُفِّيَتْ فزوّجه الثالثة ، فأوْلَدَها ذَكَرَيْن : يساخر وزبلون .

ثم تُوُفِّيَتْ فزوّجه ابنته الرابعة واسمها راحيل ، وكانت أحسن بناته ، وذلك بعد أن استكمل يعقوب من عمره أربعين سنة .

وقيل في رواية أخرى : إنَّ خاله كانت له ثلاث بنات ، فزوّجه الأولى واسمها لِيا ، ثم تُوُفِّيَتْ فزوّجه الثانية واسمها سرورية ، ثم تُوُفِّيَتْ فزوّجه الثالثة واسمها راحيل . ومنهنّ أنجب اثني عشر ولداً :

من لِيا : روبيل ، وشمعون ، ولاوى ، ويهوذا ، وزيالون ، ويَشْجُر .

ثم من سرورية : دان ، ونفتالي ، وحاد ، وآشُر .

ثم من راحيل : يوسف وبنيامين ، وهما توأمان في بطن واحد .

۞ مبعث يعقوب عليه السلام وقتاله مع أخيه العيص :

قال وهب بن منبه : ولَمّا استكمل يعقوب من عمره أربعين سنة ، جاءه الوحي يومئذ وهو بحرّان ، وقد ماتت أمه .

فأقبل على خاله لابان وشكره على فِعْله ، وقال : إن ربي بعثني رسولاً إلى أرض كنعان[1] . فَزَوَّدَه بخيل وغنم وبقر .... وغير ذلك ، وقال : امْضِ لِما أَمَرَكَ به رَبُّكَ .

فخرج يعقوب ومعه أولاده العشرة وامرأتُه يريد أرض كنعان ، فبلغ خبرُ

---

(١) : بلاد الكنعانيين هي شمال فلسطين وما حولها من الضواحي ، وأهلها مِن نسل العرب اليابوسِيِّين الذين أَتَوْا إلى بلاد الشام يطلبون الكَلأَ والمرعى ، فعمّروا المنطقة كلها . فهم الذين مكثوا وجلسوا في القدس أول مرة ، وبهم سُمِّيَت القدس باسمها الأول يابوسا ، ثم تَغَيَّرَ اسمها إلى سالم نسبة إلى مَلِك من ملوكهم ، ثم حُرِّفَ على اسم العبرانيين إلى شاليم ، ثم شاليمة ، ثم البلد المقدس ، ثم بلد السلام ، ثم القدس أي الطُّهْر .

نُبُوَّتِهِ أخاه العيص ، فغضب لذلك وعارضه في طريقه بِجُموعه ، فراسله يعقوب مع ابنه روبيل وذكّره الأخوة والرحمة ، فزَبَر العيصُ روبيلَ وردّه ، ثم التقيا ، فظفّر اللهُ يعقوبَ بالعيص بقوة النبوة ، فاحتمله وألقاه على الأرض ، وجلس على صدره وقال له : كيف رأيتَ صُنْع الله بك يا عيص ؟ ثم رقّ له وقام عن صدره واعتنقه ، فاعترف العيص بفضله عليه ، وسأله أن يعفو عمّا سَلَفَ منه في حقه ، فاستغفر له يعقوب ودعا له ، وانصرف العيص إلى بلده .

۞ دخول يعقوب أرض كنعان وتبليغه الدعوة :

قال وهب بن منبه : وأقبل يعقوب إلى أرض كنعان ، فبُنِيَتْ له دار مُتَّسِعة سكنها بأهله وأولاده .

وكان بأرض كنعان مَلِك يقال له : سُحَيْم ، فدعاه يعقوب إلى الإيمان بالله ، فلم يكترث به . قال : فإني مجاهدك ، قال : بِمَنْ تُجاهدني وليس معك أحد ؟ قال : أُجاهدك بالله وملائكته وهؤلاء أولادي .

وأقبل يعقوب بأولاده والمَلِكُ في حصنه ، فقال : يا بَنِيَّ ، جاهدوا في الله حق جهاده . وقال ابنه شمعون : أنا أكفيك هذا الحصن ، وأقبل وضرب باب الحصن برِجْله فتساقطتْ حيطانه ، وصاح صيحة عظيمة ، فمات الملك وأكثر مَنْ بالحصن .

ودخل يعقوب الحصن وغَنِمَ ما كان فيه ، وكانت هذه معجزةً له .

وبلغ ذلك أهلَ كنعان فوقع الرعب في قلوبهم ، فآمنوا بيعقوب عليه السلام .

فجلس يعقوب في أرض كنعان يُبَلِّغُ الشرائع[1] ، وكان يعمل بصحف جده إبراهيم ، وهناك وُلِدَ له يوسف وأخوه بنيامين .

---

(١) : فالأنبياء عندما دَعَوْا أُمَمَهم لتوحيد الله ، أَتَوْهم كذلك بمعجزات وأدلة تُثبت صحة نُبُوَّتهم ورسالتهم ، فكانت حُجّة على أقوامهم . ثم لكل نبي وأمة تشريعٌ وفروعٌ خاصة بهم ، أَمَرَهم الله تبارك وتعالى بالتَّعَبُّد بها . ونحن معشر المسلمين تشريعاتنا كانت كاملة وتامة ، حيث ديننا آخر الأديان ، ونبينا خاتم الأنبياء ، قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً ﴾ [المائدة ٣] .

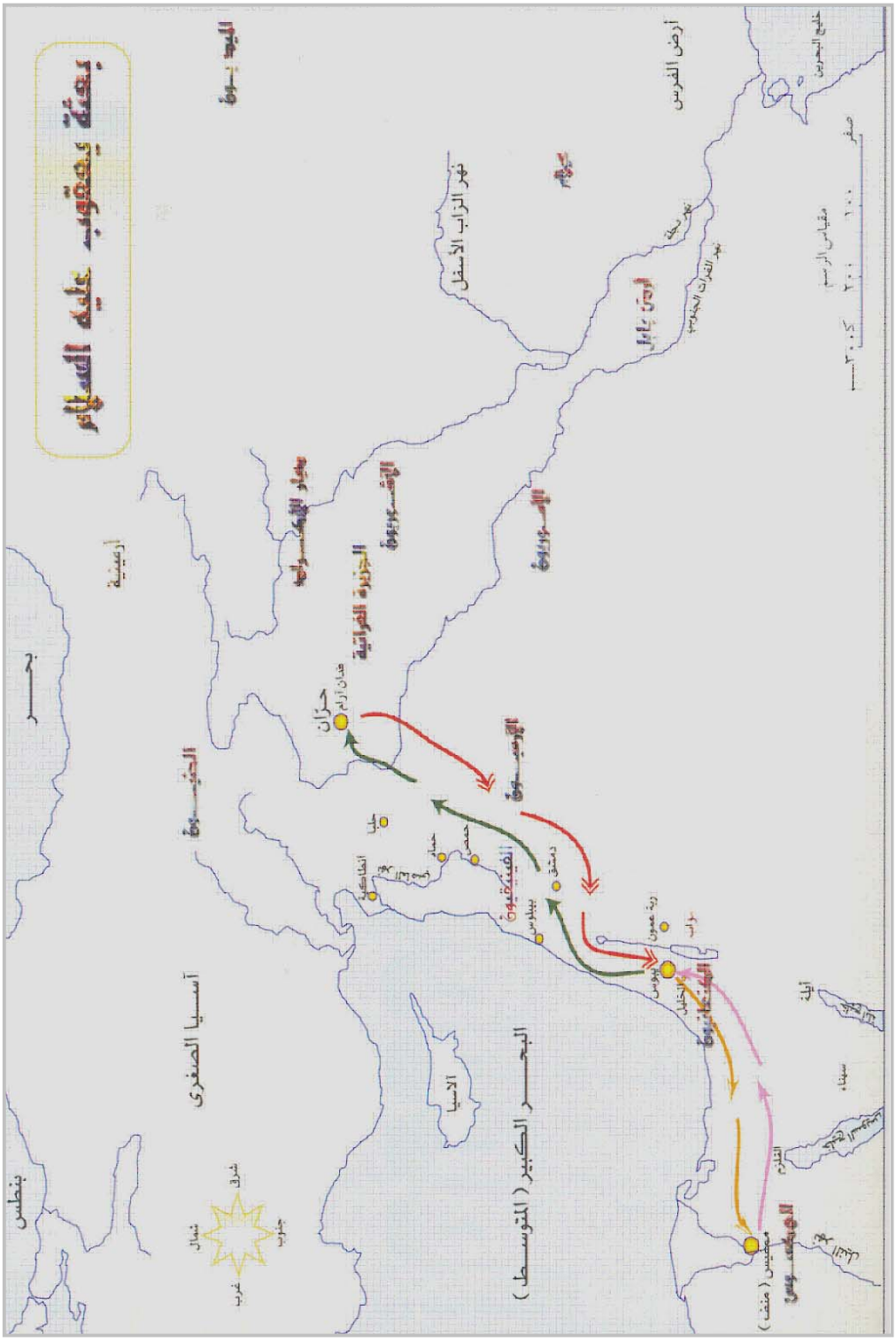
بعثة يعقوب عليه السلام
أرض الفرس
خليج البحرين
نهر الزاب الأسفل
أرمينية
بحر
حران
فدان آرام
الجزيرة الفراتية
الأشوريون
الأموريون
الحثيون
الفينيقيون
دمشق
حمص
حماه
حلب
بيبلوس
ربة عمون
بيروس
الخليل
الأسيا
البحر الكبير (المتوسط)
آسيا الصغرى
بنطس
شرق
شمال
جنوب
غرب
مقياس الرسم
صفر
١٠٠
٢٠٠
٣٠٠ كم



مغارة يعقوب الموجودة في منطقة صفد شمال فلسطين ، حيث
يعتقد أن سيدنا يعقوب جلس فيها ، وتُعرف أيضاً بمغارة الأحزان
وهذه الصورة لمدخل المغارة من الداخل حيث أقام اليهود عليها البناء وأغلقوها



صورة لمدخل مغارة يعقوب (مغارة الأحزان) من الخارج

تنبيه :

وهناك روايات أخرى ذكرها المُؤَرِّخون وأهلُ الكتاب في سيرة نبي الله يعقوب عليه السلام :

فروى ابن الأثير في كتابه الكامل نقلاً عن السُّدِّيّ قال : تزوّج إسحاق بجارية فَحَمَلَتْ بغلامين . فلما أرادتْ أن تضع ، أراد يعقوب أن يخرج قبل عيص ، فقال عيص : والله لئن خرجتَ قبلي لأعترضنّ في بطن أمي ولأقتلنّها . فتأخّر يعقوب وخرج عيص ، وأخذ يعقوبُ بعقب عيص ، فسُمِّيَ يعقوب ، وسُمِّيَ أخوه عيصاً لِعِصْيانه .

وكان عيصُ أحبّهما إلى أبيه ، ويعقوبُ أحبّهما إلى أمه .

وكان عيصُ صاحبَ صيدٍ ، فقال له إسحاق لَمّا كَبُرَ وعَمِيَ : يا بني ، أَطْعِمْني لحمَ صيدٍ واقتربْ مني أدعو لك بدعاء دعا لي به أبي .

وكان عيص رجلاً أَشْعَرَ ، وكان يعقوب أجْرَدَ .

وسَمِعَتْ أُمُّهما ذلك وقالت ليعقوب : يا بُنَيَّ ، اذبح شاة واشْوِها ، والبس جلدها ، وقَرِّبْها إلى أبيك وقُلْ له : أنا ابنك عيص .

ففعل ذلك يعقوب ، فلما جاء قال : يا أبتاه ، كُلْ . قال : مَن أنت ؟ قال : أنا ابنك عيص ، فمسحه إسحاق فقال : المَسُّ مَسّ عيص ، والريحُ ريح يعقوب . فقالت أمه : إنه عيص ، فَكُلْ . فأكل ودعا له أن يجعل في ذريته الأنبياء والملوك .

وقام يعقوب ، وجاء عيص وكان في الصيد ، فقال لأبيه : قد جئتُك بالصيد الذي طلبتَه ، فقال : يا بني ، قد سَبَقَكَ أخوك ، فحلف عيص ليقتلنّ يعقوب . فقال إسحاق : يا بني ، قد بَقِيَتْ لك دعوة . فدعا له أن تكون ذريّته عدد التراب ، وألاّ يَمْلكهم غيرهم .

وهرب يعقوب خوفاً من أخيه إلى خاله ، وكان يَسْري بالليل ويَكْمن بالنهار ؛ فلذلك سُمِّيَ إسرائيل .

ثم إنَّ يعقوب تزوّج ابنتي خاله فَجَمَعَ بينهما ؛ ولذلك قال الله تعالى : ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٣] .

وَوُلِدَ له منهما ، فماتت راحيل في نفاسها ببنيامين .

وأحَبّ يعقوبُ يوسفَ وأخاه بنيامين حبّاً شديداً لِيُتْمِهما .

وأراد يعقوب الرجوع إلى بيت المقدس ، فأعطاه خاله قطيع غنم .

وقال يعقوب لراع من الرعاة : إذا أتاكم أحد يسألكم : مَن أنتم ؟ فقولوا : نحن ليعقوب عَبْدِ عيص . فلَقِيَهم عيص فسألهم ، فأجابه الراعي بذلك الجواب ، فكفّ عيص عن يعقوب .

ونزل يعقوب الشام ، ومات إسحاق بالشام وعمره مائة وستون سنة ، ودُفِنَ عند أبيه إبراهيم عليهما السلام ، والله أعلم بالصواب .

وروى ابن كثير في البداية والنهاية نقلاً عن أهل الكتاب قالوا : وكان إسحاق عليه السلام يُحِبُّ العيص أكثر من يعقوب لأنه بِكْرُهُ ، وكانت أمهما رِفْقا تُحِبُّ يعقوب أكثر لأنه أصغر .

فلما كبر إسحاق وضعف بصره اشتهى على ابنه العيص طعاماً ، وأمره أن يذهب فيصطاد له صيداً ويطبخه له ؛ لِيُبارِكَ عليه ويدعو له . وكان العيص صاحب صيد ، فذهب يبتغي ذلك .

فأمرتْ رِفْقا ابنها يعقوب أن يذبح جَدْيَيْن مِن خِيار غنمه ، ويصنع منهما طعاماً كما اشتهاه أبوه ، ويأتي إليه به قبل أخيه ليدعو له . وقامت وألبسته ثياب أخيه ، وجعلت على ذراعيه وعنقه من جلد الجَدْيَيْن ؛ لأن العيص كان أشعر الجسد ، ويعقوب ليس كذلك .

فلما جاء به وقرّبه إليه ، قال إسحاق : مَن أنت ؟ قال : ولدك . فضمّه إليه وجَسَّه ، وجعل يقول : أما الصوت فصوت يعقوب ، وأما الجسُّ والثياب فالعيص . فلما أكل وفرغ دعا له أن يكون أكبر إخوته قدراً ، وكَلِمَته عليهم وعلى الشعوب بعده ، وأن يَكْثُرَ رِزْقه وولده .

فلما خرج مِن عنده جاء أخوه العيص بما أمره والده ، فقرّبه إليه فقال له : ما هذا يا بني ؟ قال : هذا الطعام الذي اشْتَهَيْتَه ، فقال إسحاق عليه السلام : أَمَا جئتَني به قبل الساعة ، وأكلتُ منه ودعوتُ لك ؟ فقال : لا والله ، وعَرَفَ أن أخاه قد سبقه إلى ذلك ، فوجد في نفسه عليه وجداً كثيراً . ثم سأل العيصُ أباه ، فدعا له بدعوات أخرى ، وأن يجعل لِذُرِّيَّتِه غليظ الأرض ، وأن يكثر أرزاقهم وثمارهم .

وذكر أهل الكتاب هنا أن العيص توعّد أخاه بالقتل إذا مات أبوهما ، فلما سمعت أمهما ما يتواعد به أخاه ، أمرت ابنها يعقوب أن يذهب إلى أخيها لابان الذي بأرض حاران ، وأن يكون عنده إلى حين يَسْكُنُ غضب أخيه عليه ، وأن يتزوّج من بناته . وطلبت من زوجها إسحاق أن يأمره بذلك ، وأن يوصيه ويدعو له ، ففعل .

فخرج يعقوب عليه السلام من عندهم مِن آخر ذلك اليوم ، فأدركه المساءُ في موضع فنام فيه ، ووضع تحت رأسه حجراً ، فرأى في نومه ذلك معراجاً منصوباً من السماء إلى الأرض ، وإذا الملائكة يصعدون فيه وينزلون ، وسَمِعَ الربَّ تبارك وتعالى يخاطبه ويقول له : إني سأبارك عليك وأُكثر من ذريتك .

فلما هبّ من نومه فرح بما رأى ، ونَذَرَ إنْ رجع إلى أهله سالماً لَيَبْنِيَنَّ في هذا الموضع معبداً لله عزّ وجلّ ، وأنَّ جميع ما يرزقه الله من شيء يكون لله عُشره . ثم عمد إلى ذلك الموضع فجعل عليه علامات يتعرّف به .

قال أهل الكتاب : ولَمّا قَدِمَ يعقوب على خاله بأرض حاران إذا له بنتان : اسم الكبرى لَيّا ، واسم الصغرى راحيل ، وراحيل أحسنهما وأجملهما . فطلب يعقوب زواجها ، فأجابه خاله إلى طلبها بشرط أن يرعى على غنمه سبع سنين ، ففعل .

فلما مضت المدة صنع خاله طعاماً ، وزَفّ إليه ليلاً ابنته الكبرى لَيّا ، وكانت ضعيفة العينين ، دميمة المنظر . فلما أصبح يعقوب إذْ هي لَيّا ، فقال لخاله : لِمَ غَدَرْتَ بي ؟ فقال : إنه ليس من سُنَّتِنا أن نُزَوِّجَ الصغرى قبل الكبرى ، فإنْ أحببتَ أختها فاعمل سبع سنين أُخَر وأُزَوِّجكها .

فعمل سبع سنين ، فزوّجه الصغرى مع أختها ، وكان ذلك سائغاً في مِلَّتِهم ، ثم نُسِخَ في شريعة التوراة بعد ذلك . وهذا دليل كاف على وقوع النسخ ؛ لأن فِعْلَ يعقوب عليه السلام يدل على جواز هذا وإباحته ، حيث هو معصوم .

ولقد وهب لابان لكل واحدة من ابنتيه جارية ، فوهب لِلَيّا جارية اسمها زُلفى ، ووهب لراحيل جارية اسمها بلهى .

ولقد جبر الله تعالى ضعف لَيّا بأنْ وهب لها أولاداً ، فكان أَوَّلَ مَن وَلَدَتْ ليعقوب روبيل ، ثم شمعون ، ثم لاوى ، ثم يهوذا .

فغارت عند ذلك راحيل وكانت لا تحبل ، فوهبت ليعقوب جاريتها بلهى ، فوطئها فحملت ، وولدت له غلاماً سَمَّتْهُ دان ، وحملت وولدت غلاماً سَمَّتْهُ نيفتالى .

فعمدت عند ذلك لَيّا فوهبت زُلفى ليعقوب ، فولدت له حاد وأشير .

ثم حملت لَيّا أيضاً فولدت له غلاماً خامساً منها وسَمَّتْهُ إيساخر ، ثم حملت وولدت غلاماً سادساً سَمَّتْه زابلون ، ثم حملت وولدت بنتاً سَمَّتْها دنا ، فصار لها سبعة من يعقوب .

ثم دعت راحيل ربها وسألته أن يهب لها غلاماً من يعقوب ، فسمع الله نداءها وأجاب دعاءها ، فحملت منه فولدت له غلاماً عظيماً شريفاً حسناً جميلاً سَمَّتْه يوسف .

كل هذا وهم يقيمون بأرض حاران ، وهو يرعى على خاله غنمه بعد دخوله على البنتين ست سنين أخرى ، فصارت مدة إقامته عشرين سنة .

ثم طلب يعقوب من خاله لابان أن يُسَرِّحَه ليذهب إلى أهله ، فقال له خاله : إن الله قد بارك لي بسببك ، فَسَلْني مِن مالي ما شئتَ . فقال : تعطيني كُلَّ حَمْل يولد من غنمك هذه السنة أبقع[1] ، وكُلَّ حَمْل أبيض وعليه سواد ، وكُلَّ أَمْلَح ببياض ، وكل أَجْلَح[2] أبيض من المعز . فقال : نعم .

فمضى الحَوْل وتوالدت الأغنام ، وكانت كما وصفها يعقوب عليه السلام ، فصار له أغنام كثيرة ودواب وعبيد ، وتغيّر له وجه خاله وأولاده وكأنهم حقدوا عليه .

وأوحى الله تعالى إلى يعقوب عليه السلام ، وطلب منه أن يرجع إلى أهله وقومه ، ووعده سبحانه بأن يكون معه . فعرض يعقوب ذلك على أهله ، فأجابوه مبادرين إلى طاعته .

ثم رحل يعقوب عليه السلام ، وقد حصلت أمور كثيرة بينه وبين خاله ما أحببتُ ذِكْرَها ، حيث لا يتعلّق موضوع كتابنا بها .

وسار يعقوب عليه السلام حتى اقترب من بلاد حبرون ، وبعث إلى أخيه العيص البُرُد يَتَرَفَّقُ له ويتواضع له ، فرجعت البُرُد وأخبرت يعقوب بأن العيص قد ركب إليك في أربعمائة راجل .

فخشي يعقوب من ذلك ودعا الله عز وجل ، وصلّى وتضرّع وتَمَسْكَنَ لربه ، وناشده عهده ووعده الذي كان ، وسأله أن يكفيه شر أخيه العيص . ثم أعدّ لأخيه هدية مائتي شاة ، وعشرين تيساً ، ومائتي نعجة ، وعشرين كبشاً ، وثلاثين لَقْحة[3] ، وأربعين بقرة ،

---

(١) : الأبقع هو مَن خالط لونَه لونٌ آخر .

(٢) : الأجلح هو الحيوان الذي لا قرن له .

(٣) : هي الناقة الحلوب .

وعشرة من الثيران ، وعشرين أتاناً . وأمر عبيده أن يسوقوا كُلاً من هذه الأصناف وحده ، وليكون بين كل قطيع وقطيع مسافة ، وقال للأول منهم : إذا لَقِيَكَ العيص وقال لك : لِمَنْ أنت ولِمَنْ هذه معك ؟ فقل : لعبدك يعقوب أهداها لسيده العيص . وهكذا أمر يعقوب كُلَّ واحد من المسؤولين أن يقول كما قال الأول ، وأن يقولوا للعيص : إنَّ يعقوب آتٍ بعدنا .

وتأخّر يعقوب بزوجتيه وأمَتَيْه وبنيه الأحد عشر بعد الكل بليلتين ، وجعل يسير فيهما ليلاً ويَكْمُن نهاراً .

فلما كان وقت الفجر من الليلة الثانية رفع يعقوب عينيه ، فإذا أخوه العيص قد أقبل في أربعمائة راجل . فتقدّم يعقوب أمام أهله ، فلما وصل أمام العيص سجد له سبع مرات ، وكانت هذه تَحِيَّتهم في ذلك الزمان كما سَجَدَتِ الملائكة لآدم تحية له ، وكما سجد بعد ذلك إخوة يوسف وأبوه له .

فلما رآه العيص تقدّم إليه واحتضنه ، وقبّله وبكى ، ونظر العيص إلى النساء والصبيان فقال : مِن أين لك هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء الذين وهب الله لِعَبْدِكَ . وسجد النساء كلُّهُنَّ والأولاد للعيص .

ثم تمّم يعقوب طريقه ، وحملت راحيل فولدت غلاماً وهو بنيامين ، إلاّ أنها جهدت في طَلْقها به جهداً شديداً وماتت عَقِبَه ، فدفنها يعقوب ببيت لحم وقبرها معروف .



قبر راحيل ١٩٨٣م

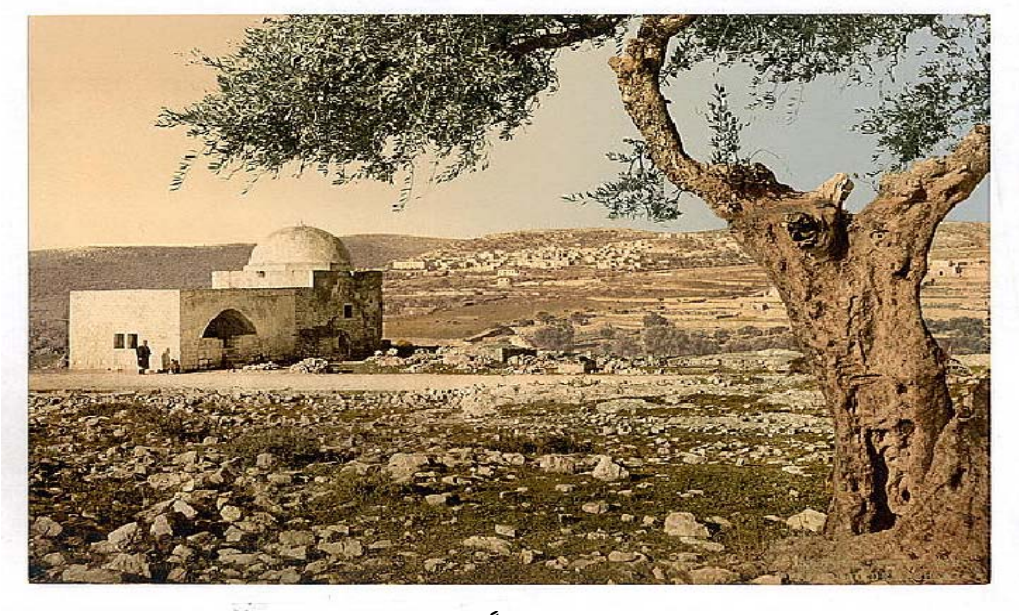

صورة قديمة جداً لقبر راحيل



صورة حديثة للبناء المقام على قبر راحيل



قبر راحيل

فكان أولاد يعقوب اثني عشر رجلاً : فَمِنْ لَيّا كما قدّمنا : روبيل ، وشمعون ، ولاوة ، ويهوذا ، وإيساخر ، وزابلون . ومن راحيل : يوسف وبنيامين . ومِن أمَة راحيل بلهى : دان ونفتالي . ومِن أمَة لَيّا زُلفى : حاد وأشير .

وعلى هذه الرواية عندما عاد يعقوب عليه السلام وجد أباه إسحاق لا زال حيّاً ، فجلس معه في حبرون التي في أرض كنعان حيث كان يسكن إبراهيم خليل الرحمن . ثم مرض إسحاق ومات عن مائة وثمانين سنة ، ودفنه ابناه يعقوب والعيص مع أبيه إبراهيم الخليل في المغارة المذكورة كما قدّمنا .

فهذه رواية ذكرها أهل الكتاب ، والله تبارك وتعالى أعلم بصحتها ، حيث عندهم تحريف وتغيير وتبديل كثير ، ولا يستطيع المرء أن يثق بأي رواية صَدَرَتْ عنهم ، وإنما ذكرناها كقصة تاريخية .

سيدنا يوسف
عليه الصلاة والسلام

قال الله ﷻ : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ [غافر: ٣٤][1] .

فسيدنا يوسف عليه السلام ابْتُلِيَ ، فكان العبدَ المؤمن الذي صبر وتحمّل ما أمامه مِن الأذىٰ ، حتى فتح الله عليه وأعطاه مُلْك مصر .

وقد أثنى عليه رسول الله ﷺ فيما يرويه عنه أبو هريرة وابن عمر رضي الله عنهم قال : « إن الكريمَ بنَ الكريمِ بنِ الكريمِ بنِ الكريمِ يوسفُ بنُ يعقوب بنِ إسحاق بنِ إبراهيم خليل الله »[2] .

وإن قصة يوسف تدخل فيها بقية أخبار يعقوب ، وما كان مِنْ أَمْرِه ، ووفاته عليهما الصلاة والسلام .

---

(١) : ارجع كذلك إن شئتَ إلى سورة يوسف بكاملها .

(٢) : رواه الإمام أحمد والبخاري في صحيحه والخطيب البغدادي وابن عدي عن ابن عمر ، ورواه الإمام أحمد كذلك والبخاري في الأدب والترمذي والنسائي والحاكم وابن حبان وأبو يعلى عن أبي هريرة ، قال الترمذي: حديث حسن ، واللفظ للبخاري في صحيحه .

۞ ميلاد يوسف عليه السلام ونشأته :

قال الكسائي يروي عن وهب بن منبه : ولَمّا رجع يعقوب عليه السلام مِن غَزاتِهِ ، دخل على امرأته راحيل فواقعها ، فحملتْ بيوسف وبنيامين أخيه . فَوَضَعَتْهما ، فجاء يوسف كالقمر .

فربّته أمه حتى ماتت وبلغ السنتين من عمره .

ثم رُبِّيَ في بيت عمته حتى ماتت وبلغ السبع سنين من عمره .

ثم انتقل إلى بيت أبيه .

قال الضحاك وغيره : كان أول ما دخل على يوسف من البلاء أنَّ عَمَّتَه بنت إسحاق كانت أكبر ولد إسحاق ، وكانت لها مِنْطَقة إسحاق ، وكانوا يتوارثونها بالكِبَر ، وكانت راحيل أم يوسف قد ماتت ، فحضنته عمته وأَحَبَّتْه حُبّاً شديداً ، فكانت لا تصبر عنه .

فلما ترعرع وبلغ سُنَيّات ، وقع حبه في قلب يعقوب ، فأتاها وقال : يا أختاه ، سَلِّمي إليّ يوسف ، فوالله ما أصبر عنه ساعة واحدة . فقالت : ما أنا بتاركته . فلما غلبها يعقوب قالت : فدَعْهُ عندي أياماً أنظر إليه ، لعلّ ذلك يُسْلِيني عنه . ففعل ذلك يعقوب .

فلما خرج من عندها ، عمدتْ إلى مِنْطَقة إسحاق فحَزَمَتْها على يوسف تحت ثيابه وهو صغير ، ثم قالت : لقد فَقَدْتُ مِنْطَقة إسحاق ، فانظروا مَنْ أخذها ؟ فالتُمِسَتْ فلم تُوجد ، فقالت : اكشفوا أهل البيت ، فكشفوهم ، فوجدوها مع يوسف ، فقالت : واللهِ إنه لَيُسَلَّم لي أصنع فيه ما شئتُ . وكان ذلك حُكْم آل إبراهيم في السارق .

فأتاها يعقوب فأخبرته بذلك ، فقال : إنْ كان فَعَلَ ذلك فهو يُسَلَّم إليكِ ، ما أستطيع غير ذلك .

فأمسكتْه بِعِلّة المِنْطَقة ، فما قدر يعقوب عليه حتى ماتت .

ثم انتقل إلى بيت أبيه محبوباً عنده ، مُقَرَّباً ومُقَدَّماً على إخوانه .

مِمّا هنا سَبَّبَ الغيرة والحسد ، ووقع إخوته بما وقعوا به وبما سنذكر إن شاء الله تعالى .

قال الكسائي : ولَمّا بلغ يوسف العشر سنين من عمره ، أمر يعقوب بجذعة من غنمه ، فذُبِحتْ وصُنِعَتْ طعاماً ، وجمع أولاده على الطعام يأكلون ، فأقبل مسكين وسأل وأكثر السؤال ، واشتغل يعقوب عنه ولم يأمرهم بإطعامه حتى انصرف السائل ، فلما فرغ يعقوب من أَكْله قال : أَعْطَيْتُم السائل شيئاً ؟ فقالوا : إنك لم تأمرنا بشيء .

فجاءه الوحي : يا يعقوب ، قد جاءك مؤمن فقير مريض شمّ رائحة طعامك ، فلم تُطْعِمه وحَرَقْتَ قلبه ؟! فلأَحْرِقَنَّ قلبك . فاغتمّ يعقوب .

وكانت هذه القصة هي السبب فيما حصل ليوسف بعد ذلك كما قال بعض المفسرين في هذا المجال .

فإيّاك أخي القارئ أن تبخل على محتاج ، فإن الله ﷻ يعاقب دائماً ، وإنه يُمْهِل ولا يُهْمِل .

فأعز إنسان على سيدنا يعقوب هو ولده يوسف ، فعاقبه الله به ، وكان ذلك لأمر يريده الله ﷻ .

وإنَّ مَيْل يعقوب ليوسف عليهما السلام لِما يعلم يعقوبُ له بمستقبله مِنْ مقام كريم عند الله تعالى ، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام يُطْلِعُهُم الله كثيراً على أشياء قبل حدوثها ؛ لذا كان هذا الميل من يعقوب لولده يوسف ، والله أعلم بالصواب .

۞ رؤيا يوسف عليه السلام وإلقاؤه في الجُبّ :

قال وهب بن منبه : ولَمّا بلغ يوسف اثنتي عشرة سنة ، رأى رؤياه وقصّها على أبيه .

قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ

﴿ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ [يوسف] .

قال الكسائي : فَسَمِعَ إخوته الرؤيا ، فداخلهم الحسد وقالوا ما أخبر الله به عنهم : ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ۚ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يوسف] .

قال الكسائي : فاتّفقوا وجاءوا إلى أبيهم فقالوا : ﴿ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [يوسف] ، فقال لهم يعقوب : ﴿ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴾ [يوسف: ١٣] ، قالوا : ﴿ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ [يوسف: ١٤] .

قال الكسائي : وأَحَبَّ يوسفُ ذلك ، فدعا يعقوبُ بسلة فيها طعام وكُوز ماء ، وقال : إذا جاع فأَطْعِمُوه من هذا الطعام ، وإذا عطش فاسْقُوه .

وأخذ عليهم العهود بِرَدِّه ، وشَيَّعَهم بنفسه ، وجلس على تل عالٍ ينظر إليهم حتى غابوا عنه ، فندم على إرساله ، ثم رجع إلى منزله .

وفي الحقيقة قضاء الله سيتم ، وقدرة ربانية ستتم . كان لا بد ليوسف أن ينطلق إلى بلاد مصر ، ولكن كيف سيصل مصر وأبوه بفلسطين ؟!

فهناك أمور يراها الإنسان أنها كذا إنما لا بد من أسباب ، وإذا أراد الله أمراً هيّأ أسبابه .

فقضاء الله أنه عَلِمَ فَأَرادَ فَقَضَى ، عَلِم من الأزل سبحانه بِعِلْمِه القديم أنه سيكون ، فأراد بإرادته القديمة ، ثم قضى بهذا الأمر .

إذا أراد الله أمراً بامرئ ... وكان ذا عقل ورأي ونظر

وحيلةٍ يعملها في دفع ما ... يأتي به مكروهُ أسباب القدر

غطّى عليه عقله وسمعَه وسَلّه من ذهنه سَلَّ الشَعَر
حتى إذا أنفذ فيه أمْرَه رَدَّ عليه عقله لِيَعْتَبِر

قال الكسائي : وجعل إخوة يوسف يُمْعِنون في السير وهو يمشي وراءهم ولا يَلْحَقُهم ، ويناديهم : قِفُوا لي ، فلم يَقِفُوا . ويقول : اسقوني ، فلم يُسْقُوه ، وكسر شمعون الكوز وقال : قُلْ لأحلامك الكاذبة حتى تَسْقيك . ورمى لاوى سلة الطعام في الوادي ، فعَلِمَ يوسف أنهم قد عزموا على أَمْرٍ ، فناداهم وناشدهم اللهَ والرَّحِمَ ، وذكّرهم بعهود أبيه ، فلطمه أحدهم فأَكَبَّه .

وساروا ويوسف يعدو وراءهم حتى بلغوا موضع أغنامهم ، فأرادوا قتله ، فقال لهم يهوذا : إنْ قَتَلْتُموه حلّ بكم ما حلّ بقابيل حين قتل أخاه . فأجمعوا أن يجعلوه في غَيابت الجُبّ ، وطلبوا له جُبّاً عميقاً فوجدوه ، فجرّوه إليه وهو يبكي ، فقال لهم يهوذا : يا بني يعقوب ، لقد ذَهَبَتِ الرحمة من قلوبكم ؟ قالوا : فَنَرُدّه إلى أبيه فيحدّثه بما فعلنا به ؟ قال : فإنْ طرحتموه في الجب لا يَبْلُغُ قَعْرَهُ حتى يموت ، ولكنْ دَلُّوه بحبل .

ولم يكن معهم حبل ، فذبحوا شاة وقَدُّوا جِلْدها كالحبل ، ودَلّوْه به .

فلما نزل إلى الجُبّ امتلأ نوراً ، وأتاه جبريل وقال له : لا تخف ، فإن الله معك[1] . وكان في الجُبّ حجر عظيم ، فسطّحه جبريل بجناحه فصار كالطبق ، وأجلسه فيه . وأتاه بطعام من الجنة فأكل ، وأتاه بقميص فلبسه ، وبفراش مِنَ الجنة ، وآنسَتْه الملائكة في الجُبّ .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [يوسف: ١٥] .

قال الكسائي : ثم قالوا : ماذا نقول لأبينا ؟ قال بعضهم : إنه كان يخاف عليه من

---

(١) : وفي رواية غيرها قال له جبريل : لا تَخَفْ يا يوسف ، واصبر على أَمْرِ الله ، فإن الله جاعلٌ لك أمراً .

الذئب ، فنقول : إن الذئب أكله .

فعمدوا إلى جَدْي فذبحوه على قميصه ، وألصقوا الدَّمَ شيئاً مِن شَعْر الجَدْي ، ورجعوا إلى أبيهم .

وقيل : جاءوا بأرنب اصطادوه وذبحوه على قميص يوسف .





صورتان للمكان الذي كان يرعى فيه أولاد يعقوب وفيه ألقوا يوسف في البئر ثم باعوه لأهل مصر ، وهو بين صفد وطبرية



صورة قديمة للبئر الذي أُلقي فيه سيدنا يوسف تعود لعام ١٨٦٩م ، وصورة أخرى حديثة

❁ رجوع إخوة يوسف إلى يعقوب عليه السلام :

قال الكسائي نقلاً عن وهب بن منبه : ولَمّا قربوا من عريش يعقوب ، أخذوا في البكاء والعَويل ، فرأتْهم ابنة يعقوب ، فنزلتْ إلى أبيها باكية وقالت : رأيتُ إخوتي مُتَفرِّقين يبكون ، وروبيل يقول : يا يوسف ، يا يوسف . فصاح يعقوب وخرّ على وجهه .

فدخلوا عليه وقالوا : يا أبانا، حَلَّتْ المصيبة وعظمت الرزيّة ، ﴿ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ [يوسف: ١٧] .

قال الله تعالى : ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨] .

قال الكسائي : وأخذ يعقوب القميص ونظر إليه ، فلم يَرَ فيه أثر خدش وقال : يا بَنِيَّ ، ما للذئب وأَكْل أولاد الأنبياء ؟ وأَخَذَ يبكي ثم قال : اخرجوا في طلب هذا الذئب وإلاّ دَعَوْتُ عليكم فَتَهْلَكوا .

۞ كلام الذئب بين يدي يعقوب عليه السلام :

قال الكسائي : فخرجوا فأخذوا ذئباً عظيماً ، وجعلوا يضربونه ويجرّونه حتى جاءوا به إلى أبيهم ، فقال : كيف عَرَفْتُموه ؟ قالوا : لأنه ذئب كبير ، وكان يتعرّض لنا في غنمنا .

فقال يعقوب : سبحان مَن لو شاء لأَنْطَقَك بحُجَّتك . فنطق الذئب وقال : لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، يا نبي الله ، إني ذئب غريب فقدتُ ولداً لي ، فجئتُ في طلبه حتى بلغتُ بلدك ، فأخذني هؤلاء وضربوني وكذبوا عليّ ، والذي أَنْطَقَني ما أكلتُ ولدك ، وكيف يأكل الذئب أولاد الأنبياء ؟ فأطلقه يعقوب عليه السلام .

۞ خبر خروج يوسف عليه السلام من الجُبّ وبَيْعه من مالك بن دُعْر[1] :

قال الكسائي : وأقبل قوم من بلاد اليمن يريدون أرض مصر ، فخرج بعضهم في طلب الماء ، فرأى نوراً يسطع من البئر ، فأَدْلى دَلْوَه ، فتعلّق به يوسف فاجْتَذَبه ، فنظر إليه فرآه ، فقال للذي كان معه: ﴿يَٰبُشْرَىٰ[2] هَٰذَا غُلَٰمٌۚ﴾ [يوسف: ١٩] ، فَأَخْرَجُوه .

---

(١) : وقيل : دُعْثُر .

(٢) : أي أُبَشِّرُكم ، وقيل : صاحبه اسمه بشرى ، وكلاهما محتمل حيث ذُكر هذا وذاك .

قيل : وذلك في اليوم الرابع من إلقائه في الجُبّ .

قال الكسائي: وكان إخوته على رأس جبل فنظروا إلى اجتماع القافلة على الجُبّ ، فَعَدَوْا إليهم وقالوا : هذا عَبْدٌ لنا أَبَقَ منذ أيام ونحن في طَلَبِه، فإنْ أَرَدْتُم بِعْناه منكم. ثم قالوا ليوسف بالعبرانية : إنْ أنكرتَ العبودية انتزعناك من أيديهم وقتلناك . فسأله أهل القافلة فقال : إني عَبْدٌ – وأراد لله – .

وكان رئيسَ القافلة مالكُ بن دُعْر ، فاشتراه منهم بأقل من عشرين درهماً ، فاقْتَسَموها بينهم .

قيل : تَنْقُصُ درهماً .

وقيل : تزيد درهمين .

وقيل : اشتراه بأربعين درهماً ، والله أعلم .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [يوسف] .

ثم قالوا لِمالك : هذا عَبْد سارق ، قَيِّدْه حتى لا يهرب منكم ولا يسرق . فقيّده وأركبه ناقة ، وكتب يهوذا كتاب البيع .

وساروا حتى بلغت القافلة قبر أُمِّ يوسف ، فلم يتمالك أنْ رمى بنفسه على القبر وبكى . فافْتَقَدُوه فلم يَرَوْه ، فبعثوا في طلبه ، فوجدوه وقد اتّكأ على القبر ، فلطمه واحد منهم وقال : هلاّ كان هذا البكاء قبل اليوم حتى كُنّا لا نشتريك ؟

وساروا به حتى دخلوا مصر ، فَغَيَّرَ مالك لباس يوسف وعَبَر به ، فاجتمع الناس على القافلة ورَأَوْا يوسف ، فعجبوا لِحُسْنه وجماله .

۞ خبر بيع يوسف عليه السلام من عزيز مصر :

قال الكسائي ينقل عن وهب بن منبه : وواعدوا مالكاً على بيعه بباب الملك ريّان بن الوليد ، فزَيَّن يوسفَ بأحسن زينة ، وأَقْعَدَهُ على كرسي ، وأقبل عزيز مصر واسمه قِطْفير ، واجتمع التجار ، وقام الدلاّل ونادى عليه ،

فبكى يوسف . وتزايد القوم حتى بَلَغَ يوسفُ مالاً لا يُحصى كثرة ، واستقرّ بيعه من قِطْفير وأحضر الأموال .

وقد اخْتَلَفَ الرواة في كمية الثمن .

فمنهم مَن لم يَحُدَّه ، بل قال : مالاً كثيراً .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : إنَّ عزيز مصر تَلَقّى القافلة واشتراه مِن مالك بن دُعْر بعشرين ديناراً ، ونَعْلَيْن ، وثَوْبَيْن أَبْيَضَيْن .

ورُوِيَ عن وهب بن منبه أنه أقيم في السوق وتزايد الناس في ثمنه ، فبلغ ثَمَنُهُ وَزْنَهَ مِسْكاً ووَرِقاً وحريراً ، فابتاعه العزيز بهذا الثمن .

قال الكسائي : فوقف عليه رجل من بلاد كنعان على ناقة ، فمدّت عنقها وجعلت تشمّ يوسف ، فسأل يوسفُ صاحبَ الناقة بالعبرانية : مَن هو ؟ فأخبره أنه من أرض كنعان ، فقال له : أَقْرِئْ يعقوبَ سلامي إذا رجعتَ ، وصِفْ له صفتي .

فلما عاد الكنعاني أخبر يعقوبَ بذلك ، فقال يعقوب : سَلْني حاجة بهذه البشارة ، قال : ادْعُ لي الله يُكثر ولدي ومالي ، فقال : اللهم أَكْثِرْ ولده وماله وأَدْخِلْه الجنة[1] .

قال الكسائي : ثم دنا يوسف من مالك فقال له : أنا يوسف بن يعقوب بن إبراهيم الخليل ، وأخبره بخبر إخوته . فصاح مالك وقال : واللهِ ما عَلِمْتُ ، فاسْتَغْفِرْ لي فإني مِن أولاد مَدْيَن بن إبراهيم . فبكى يوسف ، وقال له مالك : أَسْأَلُكَ أن تدعو الله يرزقني ولداً ، فدعا اللهَ ، فرزقه أربعة وعشرين ولداً . وعاش مالك هذا حتى رأى يوسف وهو عزيز مصر .

قال الكسائي : ودخل قِطْفير منزله ويوسف معه ، فرأتْه زليخا[2] وكانت أحسن نساء زمانها ، فقال لها زوجها قِطْفير : قد اشتريتُ هذا الغلام لِنتّخذه ولداً ، فإنّا لم نُرزق ولداً .

---

(١) : وفي رواية غيرها أن الرجل نَسِيَ ذلك ، ولم يوصل تلك الأمانة .

(٢) : وجاء في بعض الروايات أنَّ اسمها راعيل .

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾ [يوسف: ٢١] .

۞ خبر زليخا امرأة العزيز ومراودتها ليوسف عن نفسه :

قال الكسائي : ولَمّا رَأَتْهُ زليخا عَجِبَت لِحُسْنه ولاطفته ، وقالت : لا ينبغي لِمِثْلِكَ أن يُباع عبداً ، ويوسفُ ساكتٌ .

وكان لا يأكل من ذبائحهم ، فقالت له : لِمَ لا تأكل من ذبيحتنا وتَقْبَل كرامتنا ؟[1] ولي هذا البستان أريد أن تحفظه . فقال يوسف : أفعل ذلك .

فكان يوسف يتعاهده حتى عَمُرَ ببركته ، وهو يأكل من نباته .

فوقعتْ محبته في قلب زليخا ، وفي كل يوم كان يزداد هذا الحب ويكبر ، فكتمتْ ذلك حتى كاد يظهر عليها ، ووصلت إلى حد كما قال تعالى: ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا[2] ﴾ [يوسف: ٣٠] ، ولم تستطع أن تتحمّل أكثر من ذلك . كانت في كل يوم تأتي إلى البستان وتنظر إليه وهو يسقي الزراعة ، فتعود إلى قصرها بزيادةٍ في حبه ، لا تستطيع أن تأكل أو تشرب أو تنام ، ولا تستطيع أن تفكر في غيره . وكانت تحاول أن تَتَزَيَّنَ له ، ولكنّه كان مشغولاً عنها بِذِكْر الله تعالى .

قال الكسائي : فَأَتَتْها دايَتُها وقالت : يا سيدة نساء مصر ، أخبريني بقصتك . فذكرتْ ما بها مِن حُبِّ يوسف ، فأمرتْها أن تتزيّن بأحسن زينتها .

وقيل : لم تكن الدّاية ، ولم تذكر ذلك لأحد أبداً .

قال الكسائي : ففعلتْ ، وجلستْ على سرير وأحضرتْ يوسف ، فوقف بين يديها وهو لا يعلم ما يُراد منه ، وأغلقت الدّاية[3] أبواب المجلس من خارج ، فعَلِمَ

---

(١) : وقد جاءت بعض الروايات هنا بزيادة : (فقال : إن ديننا يُحَرِّم علينا أن نأكل من ذبيحة غير مؤمن بدين إبراهيم ورب إبراهيم) .

(٢) : أي اخترق حُبُّه شغاف القلب .

(٣) : وعلى القول أنه لم تكن الداية ، قامت زليخا وغلّقت الأبواب ، كما قال ذلك الإمام القرطبي في تفسيره وغيره من المفسرين .

عند ذلك مُراد زليخا ، وكان عمره آنذاك ثماني عشرة سنة .

قال الله تعالى : ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ [١] وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ [٢] وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ [٣] قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ [٤] أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[يوسف: ٢٣] .

---

(١) : قال القرطبي في تفسيره الكبير : وهي امرأة العزيز ، طلبتْ منه أن يُواقِعَها . وأَصْلُ المراودة الإرادة والطلب برِفْق ولِين .

وقيل : قامت زليخا ولبستْ أرقّ ثياب عندها ، وتعطّرتْ وتزيّنتْ ، وجمّلتْ شعرها بأنْ رجّلته ترجيلاً يناسب الفراش ، ووضعت التاج على رأسها ، وصنعت أموراً فوق الإغراء بكثير .

(٢) : قال القرطبي : إنها كانت سبعة أبواب ، غَلَّقَتْها ثم دَعَتْهُ إلى نفسها .

(٣) : قال الإمام القرطبي في تفسيره : أي هَلُمَّ وأَقْبِلْ وتعالَ .

وقال أبو عبيد : كان الكسائي يقول : هي لغة لأهل حوران وقعت إلى أهل الحجاز ، معناه تعالَ ، وبه قال عكرمة . وقيل غير ذلك .

قال النحاس : فيها سبع قراءات ، فمِن أجلّ ما فيها وأصحّه إسناداً ما رواه الأعمش عن أبي وائل قال : سمعتُ عبدالله بن مسعود يقرأ : (هَيْتَ لَكَ) . قال : فقلتُ : إنَّ قوماً يقرؤونها : (هِيتَ لَكَ) ؟ فقال : إنما أقرأ كما عُلِّمْتُ .

وهذه القراءة بفتح التاء والهاء هي الصحيحة من قراءة ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، ومجاهد ، وعكرمة . وبها قرأ أبو عمرو بن العلاء ، وعاصم ، والأعمش ، وحمزة ، والكسائي .

وقرأ ابن أبي إسحاق النحوي : (هَيْتِ لَكَ) بفتح الهاء وكسر التاء .

وقرأ أبو عبد الرحمن السُّلَمي وابن كثير : (هَيْتُ لَكَ) بفتح الهاء وضم التاء .

وقرأ أبو جعفر وشيبة ونافع : (هِيتَ لَكَ) بكسر الهاء وفتح التاء .

وقرأ يحيى بن وثّاب : (هِيتُ لَكَ) بكسر الهاء وبعدها ياء ساكنة والتاء مضمومة .

ورُوِيَ عن علي بن أبي طالب وابن عباس ومجاهد وعكرمة ﷺ : (هِئْتُ لَكَ) بكسر الهاء وبعدها همزة ساكنة والتاء مضمومة .

وعن ابن عامر وأهل الشام : (هِئْتَ لَكَ) بكسر الهاء وبالهمزة وبفتح التاء ، أيْ حَسُنَتْ هيئتُك ، ويكون (لَكَ) من كلام آخر كما تقول : لك أعني .

(٤) : يعني زوجها ، أي هو سيدي أكرمني فلا أخونه . قاله مجاهد وابن إسحاق والسدي .

وقال الزجّاج : أي إن الله ربي تولاّني بلطفه ، فلا أركب ما حرّمه .

فيجوز أن تُفَسَّر على هذين القولين : إنه العزيز ، أو إنه ربي أحسن مثواي .

قال الكسائي : فَرَمَتْ بتاجها وهَمَّتْ به .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٤] .

قال العلماء : هَمَّ بضربها .

وقيل : بِرَدْعِها ودَفْعها عن نفسه .

وقيل : لما حصل عنده من الهَمّ .

وقيل : إنه جلس منها مجلس الرجل من امرأته .

ففي هذا المجال تكلّم المفسرون كثيراً ، إنما المعتمد الذي نلقى الله عليه بأن النبي محفوظ قبل النبوة وبعدها .

فيوسف عليه السلام كان بقمة شبابه ، وقمة هيجانه وثورته ، ووجد أمامه سيدة النساء جمالاً ومنصباً ، وهذا الدلال ، والنعيم ، والعطور ، واللباس ، والسرير المُهَيَّأ الذي يفتن الحجارة ، إنما كان إيمانه أقوى ، فهو نزيه لم يصل إلى درجة الهَمِّ ، بل هي هَمَّت به وهمّ أن يتخلّص منها .

فنعتقد أن زليخا همّت بالمباشرة ، وخلعتْ ثيابها وبقيت أمامه مُتَجَرِّدة . أما يوسف فنقول : لولا أن رأى برهان ربه لَهَمَّ بها ، وهذه العبارة فيها تقديم وتأخير ، وهذا جائز بلغة العرب ، أي لولا أنْ حفظه الله تعالى من الفاحشة لَهَمَّ بها .

وهنا قالوا : الهَمُّ غير النية ، فعندنا الهَمُّ ثم النية ، والإنسان لا يؤاخذ عما يجري في قلبه ولم يفعل ، إنما يؤاخذ على نيته .

لهذا ضجّت الملائكة وقالت : يا رب ، يوسف عبدك وصل إلى هذه الحالة . فقال : انظروا ، فإنْ فعل فاكتبوها له سيئة ، وإنْ لم يفعل فاكتبوها له حسنة .

ومن سائل يقول : ما هو البرهان ؟

قال المؤرخون : وكان البرهان الذي رآه أنه سمع صوتاً من ورائه ، فالتفت فرأى

صورة يعقوب وهو عاضّ على يده يقول : اللهَ اللهَ يا يوسف .

وقيل : رأى صورة يعقوب على الجدران عاضّاً على أنملته يتوعّده ، قاله قتادة ومجاهد والحسن والضحاك وأبو صالح وسعيد بن جبير .

وعن سعيد بن جبير قال : مُثِّلَ له يعقوب ، فضرب صدره ، فخرجت شهوته مِن أنامله .

وقيل : خرجتْ كف من الحائط مكتوب عليها : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد: ٣٣] . ثم انصرفت الكف وعادت زليخا لمراودته ، فخرجت الكف ثانية مكتوب عليها : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار] . ثم عادت زليخا لمراودته ، فخرجت الكف ثالثة وعليها مكتوب : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٨١] .

وقال ابن عباس : بَدَتْ كف مكتوب عليها : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴾ [الانفطار: ١٠] .

وقال قوم : مكتوب عليها : (تَذَكَّرْ عَهْدَ الله وميثاقه) .

وقيل : رأى مكتوباً في سقف البيت : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢] .

وقيل : نودي : (يا يوسف ، أنت مكتوب في ديوان الأنبياء وتعمل عمل الأشقياء !) .

قال الكسائي : فلما نظر يوسف إلى البرهان بادر إلى الباب ، ، فَعَدَتْ زليخا خلفه فلحقته عند الباب ، فَجَذَبَتْ قميصه فقدّته مِن دُبُر ، وإذا قِطْفير قد أقبل .

قال الله تعالى : ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا(١) لَدَا ٱلْبَابِ ﴾ [يوسف: ٢٥] .

قال الكسائي : فلما نظرتْ زليخا إليه لطمتْ وجهها وقالت : أيّها العزيز ، هذا يوسف

---

(١) : كان أهل مصر في تلك الآونة يُسَمُّون الزوج سيداً ، أيْ وَجَدا العزيز عند الباب ، وقيل : كان جالساً على الكرسي عند الباب .

الذي اتّخذناه ولداً ، دخل يراودني عن نفسي . ثم قالت: ﴿ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا[1] إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ[2] ﴾ [يوسف: ٢٥] ، قال : ﴿ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ﴾ [يوسف ٢٦] . فهَمَّ قِطْفير أن يضرب يوسف بسيف ، فأنجاه الله منه .

قال : وكان في المجلس صغير ابن شهرين ، وهو ابن داية زليخا[3] ، فتكلّم بإذن الله تعالى وقال : لا تَعْجَلْ يا قِطْفير ، أنا سمعتُ تخريق الثوب . ثم لم ينطق الصبي بعد ذلك حتى بَلَغَ حدّ النطق .

قال الله تعالى: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ[4] إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [يوسف] .

---

(١) : أي زِنىً ، حيث لَمّا رَأَتْ زوجها طلبت وجهاً للحيلة وكادت .

(٢) : أي يُضْرَب ضَرْباً وجيعاً .

(٣) : وقيل : ابن عم زليخا ، وقيل : ابن خالتها ، وقيل غير ذلك .

(٤) : لأنهما لَمّا تعارضا في القول ، احتاج المَلِك إلى شاهد لِيَعْلَمَ الصادق من الكاذب ، فشهد شاهد من أهلها ، أيْ حَكَمَ حاكم مِن أهلها ، وهو طفل في المهد تكلّم ، وهو الصحيح للحديث الوارد فيه عن النبيﷺ قال : « لم يتكلّم في المهد إلاّ ثلاثة » ، وذكر فيهم شاهد يوسف . ولفظ الحديث ما رواه الطبراني في الأوسط والكبير بإسناد جيد لا بأس به ، وابن أبي شيبة في مصنفه : « لم يتكلّم في المهد إلاّ ثلاثة : عيسى ، وصاحب يوسف ، وصاحب جريج » .

وفي هذا الحَصْر نظر ، فقد ذكره القرطبي في تفسيره ثم علّق عليه وقال : (وقال الضحاك : تكلّم في المهد ستة : شاهد يوسف ، وصبيٌّ ماشطةِ امرأةِ فرعون ، وعيسى ، ويحيى ، وصاحب جريج ، وصاحب الجبّار . ولم يذكر الأخدود ، فَأَسْقَطَ صاحب الأخدود ، وبه يكون المتكلمون سبعة . ولا معارضة بين هذا وبين قولهﷺ : لم يتكلم في المهد إلاّ ثلاثة بالحصر ، فإنه أخبر بما كان في عِلْمِهِ ممّا أُوحِيَ إليه في تلك الحال ، ثم بعد هذا أَعْلَمَهُ الله تعالى بما شاء من ذلك فَأَخْبَرَ به . ويُحْتَمَلُ أن يكون كلام الثلاثة المذكورين مُقَيَّداً بالمهد ، وكلام غيرهم من الأطفال بغير المهد .

ووقع في حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند أحمد والبزار وابن حبان والحاكم : « تكلّم أربعة وهم صغار » ، وذكر شاهد يوسف .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ [يوسف: ٢٨] .

فَعَلِمَ العزيز أن الموضوع خلاف ما قالت زليخا ، وأن يوسف مظلوم . فأقبل عليه وقال: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ﴾[1] [يوسف: ٢٩] . وقال لزليخا : ﴿ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴾ [يوسف: ٢٩] .

وخرج قِطْفير من منزله ، وعادتْ زليخا لمراودته ، فامتنع عليها .

۞ خبر النسوة اللاتي قطّعن أيديهن :

قال تعالى : ﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يوسف] .

قال الكسائي : وفَشَا في المدينة وشاع عند نساء الأكابر خَبَرُها ، فَعَتِبْنَها عليه . فلما بلغها ذلك مِن قَوْلِهِنَّ ، قال تعالى : ﴿ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا ﴾ [يوسف: ٣١] .

قال الكسائي : استدعتْ امرأةَ الكاتب ، والوزير ، وصاحب الخراج ، وصاحب الديوان .

وقيل : إن النساء اللاّتي تَكَلَّمْنَ في أمر زليخا : امرأة الساقي ، وامرأة الخباز ، وامرأة صاحب الديوان ، وامرأة صاحب السجن ، وامرأة الحاجب ، والله أعلم .

قيل : إنها قدّمتْ إليهن صوانيّ الأُتْرُجّ وصِحاف العسل ، وآتَتْ كُلَّ واحدة منهن سكيناً ، وقالت لهنّ : لا تقطعن ولا تأكلن حتى أُعْلِمَكُنَّ .

---

(١) : أي عن الحديث ، لا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ .

وزيّنتْ يوسفَ وقالت : إنك عصيتَني فيما مضى ، فإذا دعوتُك الآن فاخرج . فأجابها إلى ذلك .

وقيل : إنه دخل عليهنّ بثوب الزراعة دون زينة .

قال الكسائي : فلمّا وصل البابَ قالت لهنّ : اقْطَعْنَ ما مَعَكُنَّ .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ[1] وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف: ٣١] .

قال الكسائي : فَكُنَّ يأكلن الأُتْرُجّ بالسكاكين ، فناهلهنّ من الدهشة والحيرة ما قطّعن أيديهن ، وتلوّنتْ بالدماء ولم يشعرن .

فقالت لهنّ زليخا ما حكاه الله عنها : ﴿ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [يوسف: ٣٢] .

فالكل عَذَرْنَها بفِعْلها واعتذرن منها .

وقيل : إن النساء خَلَوْن به لِيُعَدِّلْنَهُ لها ، فراودته كل واحدة منهن عن نفسه لنفسها ، ثم انصرفن إلى منازلهن .

ثم دَعَتْهُ زليخا وراودته ، وتَوَعَّدَتْه بالسجن إن لم يفعل ، فقال يوسف ما أخبر الله ﷻ به عنه : ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣٣] .

قال القرطبي في تفسيره الكبير : وحُكِيَ أن يوسف عليه السلام لَمّا قال : السجن أَحبّ إليّ ، أوحى الله إليه : يا يوسف ، أنت حبستَ نفسك حيث قلتَ : السجن أحبّ إليّ ، ولو قلتَ : العافية أحبّ إليّ ، لَعُوفِيتَ .

إنما كان ذلك للقضاء .

---

(١) : بالمُدى حتى بلغت السكاكين إلى العظم ، وقيل : خَدَشْنَها .

۞ دخول يوسف عليه السلام السجن :

قال الكسائي : فلما أَيِسَتْ زليخا منه ، مَضَتْ إلى الملك ريّان بن الوليد وكانت لا تُرَدُّ عنه ، فقالت : إني اشتريتُ عبداً وقد اسْتَعْصى عليّ ، ولا ينفع فيه إلاّ الضرب والتوبيخ ، وأُريد أنْ أَحْبِسَهُ مع العصاة . فأمر المَلِك بِحَبْسِهِ ، وأن يُفَرّج عنه متى اختارتْ .

وقيل : إنها اجتمعت مع زوجها العزيز وشَكَتْ إليه أنه شَهَّرَها ونشر خبرها ، وطلبت منه أن يسجنه .

قال الكسائي : فأمرت السجّان أن يُضَيِّقَ عليه في مَحْبَسِهِ ومَأْكَلِه ومَشْرَبه ، ففعل ذلك ، فأنكره العزيز وأمر أن يُنقل إلى أَجْوَد أماكن السجن ، ويُفَكّ قَيْدُه ، وقال له : لولا أنَّ زليخا تَسْتَوْحِشُ من إخراجك لأَخرجتُك ، ولكن اصبر حتى ترضى عنك ويَطِيبَ قلبها .

قال وهب بن منبه وغيره : حُمِلَ يوسف إلى السجن مُقَيَّداً على حمار ، وطِيفَ به : هذا جزاء مَن يعصي سَيِّدَتَهُ ، ويوسف يقول : هذا أَيْسَرُ مِن مُقَطَّعات النيران ، وسرابيل القَطِران ، وشراب الحميم ، وأَكْل الزقّوم .

۞ إلهام يوسف عليه السلام تعبير الرؤيا[1] ومبعثه :

قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١] .

---

(١) : تفسير الرُّؤَى عِلْمٌ خاص لا علاقة لِعِلْم الفقه أو الحديث أو القرآن به ، إنما هو عِلْم يختص بأمور روحية كاملة . ولا بد لصاحب هذا العلم من أن يكون على صلة بحضرة الله ﷻ ؛ لأنه يفسر تفسيرات بعيدة عن الظاهر . ونص القرآن واضح والأحاديث كذلك ، فقد ورد : « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » – رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجة والطبراني وأبو يعلى والبزار وغيرهم عن عدد من الصحابة ، وقد تعاضدت الروايات في أحاديث الرؤيا بهذا العدد ، والمشهور (جزء من ستة وأربعين) . قال القاضي : أشار الطبري إلى أن هذا الاختلاف راجع إلى اختلاف حال الرائي ، كما قاله النووي في شرحه على صحيح مسلم .


بعثة يوسف عليه السلام
قال تعالى في سورة يوسف (رب قد آتيتني من الملك ، وعلمتني من تأويل الأحاديث ، فاطر السموات والأرض ، أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين)
شمال
جنوب
أوربا
بحر بنطس
الترك
البحر الأدرياتيكي
أرض الطليان
كورسيكا
مقدونيا
سردينيا
آسيا الصغرى
الحثيون
أرض اليونان
صقلية
الأكراد
الفرس
كريت
الآسيا
دجلة
الفرات
الآراميون
البحر الكبير (البحر المتوسط)
أرض بابل
أرض الكنعانيين
تانيس
مملكة الهكسوس
أيلة
مدين
آسيا
إفريقيا
الحجر
جزيرة الإسلام
مصر
بحر
نهر النيل
القلزم
مكة المكرمة
مقياس الرسم
٣٧٥
٧٥٠ كم
صفر

قال الكسائي : ونزل جبريل على يوسف عليه السلام وبشّره أن الله ألهمه تعبير الرؤيا ، وأنبت الله له شجرة في مَحْبَسِهِ ، يَخْرُجُ منها ما يَشْتَهِيهِ .

وفي السجن جلس يوسف عليه السلام كما أمره ربه يُصْلِحُ المجرمين ، فَرَأَوْا منه الصدق والأمانة واسْتَأْنَسوا به ، فجلسوا حوله وآمنوا به وبرب إبراهيم ، بالله الواحد الأحد .

قال وهب وغيره : فلما انتهى يوسف إلى السجن ، وجد فيه قوماً قد انقطع رجاؤهم ، واشتدّ بلاؤهم ، فجعل يقول لهم : اصبروا وأَبْشِروا تُؤْجَروا . فقالوا له : يا فتى ، ما أحسن حديثك ! لقد بورك لنا في جِوارك .

فكان كُلُّ مَن في السجن يهواه جداً ، وكان الواحد منهم إذا انتهت مدة سجنه يطلب أن يفعل جريمة ثانية ليعود إلى السجن ؛ ليجلس أمام يوسف وليكون مجاوراً له ، كما ذكر ذلك القرطبي في تفسيره .

فقد نَقَلهم يوسف عليه السلام من عالم إلى عالم آخر ، مِن عالم الإجرام إلى عالم الفضيلة ، ومِن عالم الإشراك إلى عالم التوحيد .

۞ قصة يوسف عليه السلام مع ساقي الملك والخبّاز :

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا

---

(١) : فقالا له : هذا من فِعْل العرّافين والكهنة ، فقال لهما يوسف عليه السلام : ما أنا بكاهن ، وإنما ذلك مِمّا علّمني ربي ، إني لا أُخْبِركما به تَكَهُّناً وتَنَجُّماً ، بل هو بِوَحْيٍ مِن الله عز وجل .

مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًاۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴾[يوسف].

قال الكسائي : وغضب الملك ريّان بن الوليد على ساقِيه شرهيا ، وصاحب مطبخه شرها . فأمر بحبسهما ، فحُبِسا في السجن الذي فيه يوسف .

وفي سبب ذلك قال الإمام القرطبي في تفسيره الكبير : وذلك أنَّ الملك عُمِّرَ فيهم فَمَلُّوه ، فَدَسُّوا إلى خبازه وصاحب شرابه أنْ يَسُمّاه جميعاً ، فأجاب الخبّازُ وأَبَى صاحبُ الشراب ، فانطلق صاحب الشراب فأخبر الملك بذلك ، فأمر الملك بحبسهما ، فاستأنسا بيوسف ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ﴾ [يوسف: ٣٦] .

وذكر الثعلبي عن كعب قال : إنَّ الخباز وضع السم في الطعام ، فلما حضر الطعام قال الساقي : أيها الملك لا تأكل ، فإن الطعام مسموم . وقال الخباز : أيها الملك لا تشرب ، فإن الشراب مسموم . فقال الملك للساقي : اشرب ، فشرب فلم يضرّه . وقال للخباز : كُلْ ، فأبى ، فجرّب الطعام على حيوان فنفق مكانه ، فحبسهما سنة ، وبقيا في السجن تلك المدة مع يوسف .

واسم الساقي منجا ، والآخر مجلث .

وقال النقّاش : اسم أحدهما شرهم ، والآخر سرهم .

قال الكسائي : فرأى الساقي رؤيا ، فسأل أهل السجن عن تأويلها ، فدلّوه على يوسف . فأتاه وقال : قد رأيتُ رؤيا ، فقال له يوسف : قُصَّها ، فقال : رأيتُ كأني في بستان فيه كَرْمَة حسنة ، وفيها عناقيد سود ، فقطعتُ منها ثلاث عناقيد وعصرتُها في كأس الملك ، ورأيتُ الملك على سريره في بستانه ، فناولته الكأس فشربه ، وانتبهتُ .

فقال صاحب المطبخ : وأنا رأيتُ مِثْل هذه الرؤيا ، رأيتُ كأني أخبز في ثلاثة تنانير : أحمر وأسود وأصفر ، ورأيتُ كأني أحمل ذلك الخبز في ثلاث سلال إلى دار الملك ، وإذا بطائر على رأسي يقول لي : قِفْ فإني طائر من طيور السماء ،

ثم سقط على رأسي فجعل يأكل من ذلك الخبز ، والناس ينظرون إليه وإليّ ، وانتبهتُ فزعاً .

فقال يوسف : بئس ما رأيتَ . ثم قال للساقي : إنك تقيم في السجن ثلاثة أيام ، ويُخْرِجُكَ الملك فيُسَلِّم إليك خزانته ، وتكون ساقيه وصاحب خزانته . وأنت يا خباز ، بعد ثلاثة أيام تُضرب رقبتك وتُصلب ، وتأكل الطير من رأسك . فقال الخباز : إني لم أَرَ شيئاً ، وإنما وضعتُ رؤياي هذه . فقال : ﴿ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ [يوسف: ٤١] .

ثم قال يوسف للساقي : ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف: ٤٢] ، وأَعْلِمْهُ أني محبوس ظلماً . فقال له : ما أُبْقي جهداً .

فلما كان بعد ثلاثة أيام ، كان مِن أَمْر الساقي والخباز ما قال يوسف لهما .

قال : ثم هبط جبريل على يوسف وقال : إن الله يقول لك : نسيتَ نعمائي عليك فقلتَ للساقي يَذْكُرُكَ عند ربه وهما كافران ، فأنزلتَ حاجتك بِمَنْ كَفَرَ بنعمتي وعَبَدَ الأصنام دوني ؟

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ[1] ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ[2] سِنِينَ ﴾ [يوسف: ٤٢] .

فلبث يوسفُ في السجن زيادةً بِضْعَ سنين وهو يبكي ويستغفر ، ويتضرّع إلى الله ، فأوحى الله إليه : أني قد غفرتُ لك ذنبك ، وأنَّ الله سيُخرجك من السجن ، ويجمع بينك وبين أبيك وإخوتك ، وتَصْدُقُ رؤياك . فخرّ ساجداً لله تعالى .

---

(١) : قيل : الذي أنساه الشيطان ذِكْر ربه هو الساقي ، ولأَمْرٍ يريده الله عز وجل .

(٢) : البضع قطعة من الدهر مُخْتَلَفٌ فيها ، ويقال : بِضع وبَضع كما قاله يعقوب بن أبي زيد .

قال الهروي : العرب تستعمل البضع فيما بين الثلاث إلى التسع .

وقال أبو عبيدة : البضع ما دون نصف العقد ، يريد ما بين الواحد إلى أربعة . وهذا ليس بشيء .

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر رضي الله عنه : وكم البضع ؟ فقال : ما بين الثلاث إلى السبع ، فقال : اذهب فزائد في الخَطَر – أي الرهن – .

وعلى هذا أكثر المفسرين أنَّ البضع سبع ، فقالوا : لبث يوسف في السجن زيادة عن المدة سبع سنين ، فصارت اثنتي عشرة سنة .

۞ رؤيا الملك وتعبيرها وما كان من أمر يوسف عليه السلام وولايته :

قال الكسائي : وقدّر الله عز وجل أن الملك الريّان بن الوليد رأى في تلك الليلة رؤيا هالَتْهُ ، فدعا بالمُعَبِّرين فقالوا : إن هذه ﴿ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾ [يوسف: ٤٤] . فغضب الملك وقطع أرزاقهم .

وذكّر الله الساقي ، فتقدّم إلى الملك وذكر له خبر يوسف .

وكان بين المُدَّتَيْن سبع سنين وسبعة أشهر .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ (١) أَنَا۠ أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴾ [يوسف: ٤٥] .

فأرسله الملك إليه وقال : أَخْبِرْه برؤياي وائتني بتأويلها .

فأقبل الساقي إلى السجن واجتمع بيوسف ، واعتذر له ، وأخبره برؤيا الملك وقال : هل عندك تعبير ذلك ؟ قال : لا أفعل حتى ترجع إلى الملك وتسأله : ﴿ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٠] ؟

وكان جبريل كما يُروى قد نزل عليه وأخبره أن الملك سيرى مناماً ، وبتفسيرك لمنامه سَتَبْرَأُ ساحتك من هؤلاء النسوة .

قال الكسائي : فرجع الساقي إلى الملك وأخبره ، فاستدعى النسوة ، فأُتِيَ بِمَنْ كان يعيش منهن ، فقال الملك : ﴿ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ﴾ [يوسف: ٥١] ؟ فقلن : ﴿ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ ﴾ [يوسف: ٥١] ، فقالت زليخا : ﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف] .

فلما قُلْنَ ذلك قال الملك : ﴿ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ ﴾ [يوسف: ٥٤] .

فلما دخل عليه أَجْلَسَه معه على السرير ، وسأله عن اسمه ونسبه ، فانْتَسَبَ له ، وذكر قصته مع إخوته .

---

(١) : أي بعد مدة وحين ، وهناك قراءة بفتح الهمزة : (أَمَةٍ) أي بعد غفلة وسهو .

فقال له الملك : قد سمعتَ ما رأيتُ في منامي ، ثم قصّها عليه فقال : رأيتُ سبع بقرات سِمان في نهاية الحُسْن ، ولكل بقرة قرون كبيرة ، فحملتْني واحدة على قَرْنَيْها ، فجعلتُ أصير من بقرة إلى بقرة حتى طُفْتُ على الجميع . فبينما أنا كذلك وإذا بسبع بقرات عجاف مهاذيل ، فعمدتْ فأكلتْ كُلٌّ واحدة مِنَ المهاذيل واحدةً مِنَ السِّمان ، وبَقِيَتِ التي أنا على قَرْنَيْها ، فلما تَقَدَّمَتِ المهذولةُ لأَكْلِها رَمَتْني عن قَرْنَيْها ، فَأَكَلَتْها المهذولة . ثم صار للمهاذيل أجنحة ، فطارت ثلاثةٌ نحو المشرق ، وثلاثةٌ نحو المغرب ، وبقيتْ هناك واحدة . فبينما أنا كذلك وإذا أنا بسبع سنبلات في نهاية الخضرة خَرَجْنَ من ذلك الوادي ، ثم لاحت فيهنّ سبع سنبلات يابسات ، فَالْتَفَفْنَ على الخُضْر حتى غَلَبْنَ على خُضْرَتِهِنَّ . وإذا بمَلَك قد أقبل وقال : يا ريّان ، خذ هذا الرجل فأَقْعِدْه على سريرك ، فإنه لا يَصْلُحُ ما رأيتَ إلاّ على يديه . فهذا ما رأيتُه .

فقال يوسف : أمّا السبع بقرات السِّمان فهي سبع سنين يكون فيها زرع وخصب ، قال تعالى : ﴿ فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾ [يوسف: ٤٧] ، فإنه أبقى له . وأما البقرات العِجاف فإنها سبع سنين فيها قحط وضيق ، فتأكلوا ما حصدتم في سنين الخصب ، قال تعالى : ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴾ [يوسف: ٤٨] ، أي في بيوتكم . وأما السنابل الخضر فهي سنُو الخَصْب ، واليابسة سنُو الجوع . والرجل الذي قال لك : أَقْعِدْهُ على سريرك فيكون صلاح ذلك على يديه ، فأنا هو ذلك ، وقد أمرك ربي بهذا ، فهذا تأويل رؤياك .

قال الكسائي : فقال له ريّان : أَشِرْ عليّ الآن بِمَنْ أُقَدِّمُهُ في هذا الأمر ؟ فقال يوسف : ﴿ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ (١) ﴾ [يوسف: ٥٥] . قال ريّان : كيف يتهيّأ لك وأنت رجل عبراني لا تعرف لغة أهل مصر ؟ فقال : إنَّ الله ألهمني جميع هذه الألسنة يوم دخلتُ مصر .

فنزع الملك خاتمه وجعله في إصبع يوسف ، وقال لأصحابه : هذا عزيز مصر وخليفتي ، فاسمعوا له وأطيعوا .

---

(١) : أي حفيظ لِما وُلّيتُ ، عليمٌ بأمره . وفي التفسير : إني حاسبٌ كاتبٌ .

قال أبو إسحاق الثعلبي : قال أهل الكتاب : لَمّا تمّتْ ليوسف في الأرض ثلاثون سنة اسْتَوْزَرَه فرعونُ مصر ، وكان مُرادهم والله أعلم أنه استكمل ثلاثين سنة من عمره .

وقيل : ثلاثاً وثلاثين سنة .

وحكى الثعلبي أنَّ الملك عزل العزيز وولّى يوسف ، ثم هلك العزيز عن قريب .

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : رَحِمَ الله أخي يوسف ، لو لم يقل : ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥] لاستعمله مِن ساعته ، ولكنْ أَخَّرَ ذلك عنه سنة[1] .

قال ابن عباس : لَمّا انصرمت السنة مِنْ يوم سأل الإمارة ، دعاه الملك فتوّجه وقلّده سيفه ، ووضع له سريراً من ذهب مُكَلَّلاً بالدُّرِّ والياقوت ، وضرب عليه حُلّة من إستبرق . وكان طول السرير ثلاثين ذراعاً ، وعرضه عشرة أذرع ، عليه ثلاثون فِراشاً ، وستون مِرْفَقة .

ثم أمره أن يخرج ، فخرج مُتَوَّجاً ، لونه كالثلج ، ووجهه كالقمر ، يرى الناظرُ وَجْهَهُ مِن صفاء لون وجهه .

فجلس على السرير ودانت له الملوك ، ودخل الملك بيته مع نسائه ، وفوّض إليه أمر مصر ، وعزل قطفير عمّا كان عليه ، وجعل يوسف مكانه .

قال ابن زيد : كان لفرعون ملك مصر خزائن كثيرة غير الطعام ، فسلّم سلطانه كُلَّه إليه ، وهلك قطفير تلك الليالي ، فزوّج الملكُ يوسفَ راعيل امرأة العزيز .

قال ابن الأثير في (الكامل) : ولَمّا وُلِّيَ يوسف عمل مصر ، دعا المَلِكَ الريّان إلى الإيمان ، فآمن ثم تُوُفِّيَ . ثم مَلَكَ بعده مصرَ قابوسُ بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن فاران بن عمرو بن عملاق ، فدعاه يوسفُ إلى الإيمان فلم يؤمن ، وتُوُفِّيَ يوسف في مُلْكه .

---

(١) : ذكره القرطبي في تفسيره عن الضحاك ، ورواه الديلمي في الفردوس .

وذكر محمد بن إسحاق أن صاحب مصر الوليد بن الريّان أَسْلَمَ على يد يوسف عليه السلام .

قال الكسائي : وكان يوسف يوم قضائه تُضرب له قبة من الديباج ، يجلس فيها للحكومة بين الناس . وبقية الأيام يدور في عمله ، ويأمر بالزراعة والحَرْث . وعمّر البيوت لخزن الحبوب بسنابلها حتى ملأها ، وخزن الأتبان حتى انقضت سُنو الخصب ، ودخلت سُنو القحط ، فنهى عن الزراعة فيها ؛ لِعِلْمه أن الأرض لا تُثمر فيها شيئاً .

فأكلوا ما عندهم حتى نفد ، فالتجؤوا إلى المَلِك فقال : عليكم بالعزيز ، فإنَّ في يده خزائن الطعام .

فجاءوه ، فباعهم في السنة الأولى بالدنانير والدراهم ، وفي الثانية بالحُلِيّ والجواهر ، وفي الثالثة بالأراضي والعقار ، وفي الرابعة بالإماء والعبيد ، وفي الخامسة بأولادهم ، وفي السادسة بأنفسهم حتى صاروا مُلْكاً وعبيداً ، وأَطْعَمَهم في السنة السابعة لأنهم صاروا عبيده وإماءه .

وكان لا يعطي أحدَهم أكثر من وقْر بعير ؛ لِيَتْرُكَ ما يكفي الجميع في هذه السنين السبع .

۞ حاجة زليخا إلى الطعام وزواج يوسف عليه السلام بها :

قال الكسائي : إن زليخا أصابها من الحاجة ما أصاب غيرها ، وابتاعت الطعام بجميع مالها وبَقِيَتْ منفردة ، فلم تجد بُدّاً من التعرّض ليوسف .

فقعدتْ على طريقه ، وإذا هو قد أقبل في مواكب عظيمة ، فقامت وقالت : يا يوسف ، سبحان مَن أعزّ العبيد بالطاعة وأذلّ السادة بالمعصية ! أنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنك مِن أولاد النبيّين . فسألها يوسف : مَن أنتِ ؟ فقالت : زليخا ، وبكتْ وذكرتْ حاجتها إلى الطعام .

فصرفها إلى منزلها ، وردّ عليها أملاكها وأموالها ، وبعث لها بمال جزيل وطعام كثير .

ثم استأذن اللهَ تعالى في زواجها ، فأَذِنَ له فتزوّجها ، وردّ الله عليها حُسْنها وجمالها .

فلما دخل عليها وجدها بِكْراً ، فَعَجِبَ مِن ذلك ، فقالت : يا نبي الله ، والذي هداني إلى دينك ما مسّني ذَكَرٌ قط ، وما قدر عليّ العزيز .

فيقال : إنه رُزِقَ منها عشرة أولاد في خمسة أبطن .

وحكى أبو إسحاق الثعلبي أن العزيز قِطْفير لَمّا هلك بعد عزله ، زوّج المَلِكُ يوسفَ امرأتَه زليخا ، وسمّاها أبو إسحاق الثعلبي في كتابه : راعيل كما قدّمنا .

وقال ابن زيد في روايته : فلما دخل عليها قال : أليس هذا خيراً مِمّا كنتِ تريدين ؟ فقالت : أيها الصديق ، لا تلمني ، فإني كنتُ امرأة حسناء ناعمة كما ترى ، وكان صاحبي لا يأتي النساء ، وكنتَ كما جعلك الله من الحُسْن ، فَغَلَبَتْني نفسي .

فوجدها يوسف عذراء ، فأصابها ، فولدتْ له رجلين : إفرائيم بن يوسف ، ومنشى بن يوسف .

وقال وهب بن منبه في هذا المجال فيما ذكره عنه الإمام القرطبي في تفسيره الكبير : إنما كان تَزْوِيجُه زليخاء امرأة العزيز بين دَخْلَتَيِ الإخوة ، وذلك أنَّ زليخاء مات زوجها ويوسفُ في السجن ، وذهب مالها ، وعَمِيَ بصرها بكاءً على يوسف ، فصارت تَتَكَفَّأُ الناسَ ، فمنهم مَن يرحمها ، ومنهم مَن لا يرحمها .

وكان يوسف يركب في كل أسبوع مرة في موكب زهاء مائة ألف من عظماء قومه ، فقيل لها : لو تَعَرَّضْتِ له لعلّه يُسْعِفك بشيء . ثم قيل لها : لا تفعلي ، فربما ذَكَرَ بعض ما كان منك من المراودة والسجن فَيُسِيء إليكِ . فقالت : أنا أَعْلَمُ بخُلُق حبيبي منكم .

ثم تَرَكَتْهُ حتى إذا ركب في موكبه ، قامتْ فنادت بأعلى صوتها : سبحان مَن جعل الملوك عبيداً بمعصيتهم ، وجعل العبيد ملوكاً بطاعتهم ! فقال يوسف : ما هذه ؟ فأتَوْا بها فقالت : أنا التي كنتُ أخدمك على صدور قدميّ ، وأُرَجِّل جُمَّتَك بيدي ، وربَّيتَ في بيتي ، وأَكْرَمْتُ مثواك ، لكنْ فَرَّطْتُ ما فَرَّطْتُ مِن جَهْلي وعُتُوِّي ، فَذُقْتُ وَبال أمري ، فذهب مالي ، وتَضَعْضَعَ ركني ، وطال ذُلّي ، وعَمِيَ بصري ، وبعد ما كنتُ مغبوطة أهل مصر صِرْتُ مرحومتهم أَتَكَفَّفُ الناس ، فمنهم مَنْ يرحمني ، ومنهم مَنْ لا يرحمني ، وهذا جزاء المفسدين .

فبكى يوسف بكاء شديداً ، ثم قال لها : هل بَقِيتِ تجدين مِمّا كان في نفسك مِن حُبِّكِ لي شيئاً ؟ فقالت : واللهِ لَنظرة إلى وجهك أَحَبُّ إليّ من الدنيا بحذافيرها ، لكنْ ناولني صدر سوطك . فناولها ، فوضعتْه على صدرها ، فوجد للسوط في يده اضطراباً وارتعاشاً مِنْ خفقان قلبها .

فبكى ثم مضى إلى منزله ، فأرسل إليها رسولاً : إنْ كنتِ أَيِّماً تزوّجناكِ ، وإنْ كنتِ ذات بَعْلٍ أَغْنَيْناكِ . فقالت للرسول : أعوذ بالله أن يستهزئ بي المَلِك ، لم يُرِدْني أيام شبابي وغناي ومالي وعِزّي ، أَفَيُرِيدُني اليوم وأنا عجوز عمياء فقيرة . فأَعْلَمَهُ الرسول بمقالتها .

فلما ركب في الأسبوع الثاني تَعَرَّضَتْ له ، فقال لها : أَلَمْ يُبَلِّغك الرسول ؟ فقالت : قد أخبرتُك أنَّ نظرة واحدة إلى وجهك أحبّ إليّ مِنَ الدنيا وما فيها .

فَأَمَرَ بها فأُصْلِح مِن شأنها ، وهُيِّئَتْ ثم زُفَّتْ إليه .

فقام يوسف يصلي ويدعو الله ، وقامت وراءه . فسأل الله تعالى أن يعيد إليها شبابها وجمالها وبصرها ، فردّ الله عليها شبابها وجمالها وبصرها ، حتى عادت أحسن ما كانت يومَ راودتْه ؛ إكراماً ليوسف عليه السلام لَمّا عَفَّ عن محارم الله .

فأصابها فإذا هي عذراء ، فسألها فقالت : يا نبي الله ، إنَّ زوجي كان عِنِّيناً[1] لا يأتي النساء ، وكنتَ أنت من الحُسْن والجمال بما لا يوصف .

قال وهب بن منبه : فعاشا في سعة عيش ، في كل يوم يُجَدِّد الله لهما خيراً ، ووَلَدَتْ له ولدين : إفرائيم ، ومنشا .

وفيما يُروى أنَّ الله تعالى ألقى في قلب يوسف مِن محبتها أضعاف ما كان في قلبها ، فقال لها : ما شأنك ، لا تُحِبِّينَني كما كنتِ في أول مرة ؟ فقالت له : لَمّا ذُقْتُ محبة الله تعالى شغلني ذلك عن كل شيء .

وقد بقيت زليخا عند يوسف حتى ماتت ، مع العلم أنه لم يتزوّج غيرها .

---

(١) : أي عاجزاً عن الوطء .

۞ القحط يصل بلاد كنعان :

قال أبو الحسن الكسائي : وانتشر القحط حتى بلغ أرضَ كنعان ، فقال يعقوب لِبَنِيه : يا بَنِيّ ، إنكم تَرَوْنَ ما نحن فيه من الضر ، وقد بلغني أنَّ عزيز مصر يقصده الناس فيمتارون منه ويُحسن إليهم ، وأنه مؤمن بإله إبراهيم ، فاحملوا ما عندكم من البضاعة وتوجّهوا إليه . ففعلوا ذلك وساروا .

قال الكسائي : وأقبل مالك بن دُعْر على يوسف ومعه أولاده ، وهم أربعة وعشرون ولداً كلهم ذكور . فوقف بين يديه وحيّاه بتحية المُلْك ، وقال : أيها العزيز ، أتعرفني ؟ قال : إني أُشَبِّهُكَ برجل حملني إلى ها هنا ، قال : أنا هو .

فقرّبه وسأله عن الفتية ، فقال : هم أولادي رُزِقْتُهم ببركة دعائك . فكساه وكساهم ، وكفاهم من الطعام ، وسأله : هل مرّ بأرض كنعان ؟ قال : نعم ، وإنهم لفي جَهْد ، وقد رأيتُ الذين باعوك مني مُقْبِلين عليك يريدون أن يمتاروا . ففرح يوسف .

۞ دخول إخوة يوسف عليه في المرة الأولى :

قال الكسائي : وأقبل إخوة يوسف فدخلوا مصر ليلاً ، وأناخوا رواحلهم بباب قصر أخيهم ، فَأَشْرَفَ عليهم وقال : مَن أنتم ؟ قالوا : نحن أولاد يعقوب النبي ، قدمنا من أرض كنعان لنشتري القوت . فسكت وأمر بتزيين قصره ، وبات إخوته على الباب .

وأصبح يوسف عليه السلام فجلس على السرير ، وتَتَوَّجَ وتَمَنْطَقَ وتَطَوَّق ، ثم أَمَرَ بإخوته فدخلوا عليه وهم عشرة ، وتأخّر عنهم بنيامين عند أبيهم .

وقيل : عندما وصل إخوة يوسف إلى منطقة بعد غزة ورفح ، منعهم الجند من العبور وقالوا لهم : انتظروا حتى نستأذن الملك والعزيز . فنصب إخوة يوسف هناك عريشاً ، فَسُمِّيَت المنطقة بعد ذلك بالعريش ، وانتظروا هناك أياماً ليأتي الأمر من عزيز مصر لدخولهم .

قال الله تعالى : ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ [يوسف:٥٨] .

قال الكسائي : فسلّموا عليه وحَيَّوْه بتحية الملوك ، فردّ عليهم وقال لهم : إنكم أولاد يعقوب النبي ، فكيف لي بِصِدْقِكُم ؟ فقال له روبيل : نحن نأتيك بأخينا الذي عند أبينا

يُخبرك بمثْل ما أخبرناك به .

فأمر بأخذ بضاعتهم ، وأن يُكال لهم الطعام بقدر كفايتهم ، ثم قال لأعوانه : اجعلوا بضاعتهم في رحالهم .

قال الله تعالى : ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يوسف] .

فوُضِعَتْ في رَحْل يهوذا ، ثم سار القوم حتى أتوا إلى أرض كنعان ، فدخلوا على أبيهم ، فسألهم عن حالهم وما كان من أمرهم . وفتحوا رحالهم فوجدوا بضاعتهم رُدَّتْ إليهم ، فدخلوا على أبيهم وقالوا : ﴿ يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ [يوسف: ٦٥] ، فقال : إن هذا الطعام حرام عليكم إلاّ أن تؤدّوا ثمنه ، فقالوا : كيف نرجع إليه وقد ضَمِنّا له أن نأتيه بأخينا بنيامين ؟

ثم قالوا ما أخبر الله تبارك وتعالى به عنهم: ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا (١) يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ ﴾ [يوسف] .

ودعا يعقوب بقميص يوسف الذي وَرَدوا به عليه بالدم ، فألبسه بنيامين ووَدَّعَهم وقال : ﴿ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ (٢) وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن

---

(١) : أي يهوذا .

(٢) : فهنا خاف عليهم سيدنا يعقوب من الحسد ، والحسدُ حق ، فقال لهم : ادخلوا من عِدّة أبواب ؛ خوفاً عليهم من عيون الآخرين .

﴿شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧] ، ثم ساروا .

۞ دخول إخوة يوسف عليه في المرة الثانية :

قال الكسائي : فلما بلغوا مصر ودخلوا على يوسف قرّبهم ، ونظر إلى أخيه بنيامين وأدناه ، وأَجْلَسَه بين يديه .

قال الله تعالى : ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ [يوسف: ٦٩] .

ثم قال له يوسف عليه السلام : أرى كُلَّ واحد من هؤلاء مع أخيه ، فما لك منفرداً ؟ فقال : أيها العزيز ، كان لي أخ ولا أدري ما أصابه ، غير أنه خرج مع هؤلاء الإخوة إلى الغنم ، فذكروا أنَّ الذئب أكله ، وردّوا قميصه هذا الذي عليّ وهو مُلَطَّخٌ بالدم . فقال لهم يوسف : يا أولاد يعقوب ، إنَّ فيكم مَن يصيح بالأسد فَيَخِرُّ مَيْتاً ، ومَن يأخذ برجل الذئب فيشقّه اثنين ، وفيكم مَن يقتلع الشجرة من أصلها ، وفيكم مَن يعدو مع الفرس فيسبقه . قالوا : نعم أيها العزيز ، فقال : سَوْءةٌ لكم ولقوتكم إذْ يعدو الذئب على أخيكم فيأكله . فقالوا : إذا جاء القضاء ذهبت القوى . فسكت يوسف عليه السلام .

ثم أمر لهم بخمس موائد ، وأمر كل اثنين منهم أن يجلسا على مائدة ، ثم وضع أخرى بين يدي بنيامين فبكى ، فقال له : ما يُبكيك ؟ قال : أيها العزيز ، إخوتي يأكلون كُلٌّ واحد مع أخيه وأنا وحدي ، ولو كان أخي يوسف باقياً أكل معي . فقال يوسف : يا فتى ، أنا لك كالأخ . ثم نزل عن السرير وأكل معه .

فلما فرغوا من الأكل جعل يوسف يسألهم عن أرض كنعان وهم يخبرونه ، ثم خرج صبي[1] من القصر يَتَثَنّى ، فنظر إليه بنيامين وبكى ، فقال له يوسف : مِمَّ بَكَيْتَ ؟ قال : هذا الصبي يشبه أخي يوسف ، فبكيتُ لأجله . فقال يوسف : هل فيكم مَن حَزِنَ على يوسف ؟ قالوا : نعم ، كُلُّنا حَزِنّا عليه ، وبنيامين أشدّنا حزناً .

ثم قال : فما الذي حَمَلْتُم من البضاعة ؟ قالوا : لم نحمل شيئاً لأنه لم يكن لنا شيء ، غير أنّا رَدَدْنا عليك البضاعة التي وجدناها في رحالنا ؛ لأنها ثمن الطعام الذي حملناه من عندك .

---

(١) : هو ابن يوسف عليه السلام .

فأمر أنْ يُعْطَوْا مِن الطعامَ ما تحمله إبلهم ، وأمر غلمانه أن يجعلوا الصُّواع في رَحْل بنيامين .

فكانوا يكيلون وإخوة يوسف يَخِيطون الأعدال حتى فرغوا ، ورحل إخوة يوسف وهم لا يشعرون بالصُّواع .

قال أبو إسحاق الثعلبي : كانت السقاية مِشْرَبة يشرب فيها المَلِك ، وكانت كأساً من ذهب مُكَلَّلة بالجوهر ، جعلها يوسف مكيالاً يُكال بها .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [يوسف] .

فأمر يوسف أن تُفَتَّش رِحالهم .

قال الله تعالى : ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦] .

قال الكسائي : فلما نظروا ذلك ضربوا بأيديهم على جباههم وقالوا : ثَكِلَتْكَ أمك ، فضحتَنا يا بنيامين . قال : إني لم أفعل ذلك ، قالوا : مَنْ وضعه في رَحْلك ؟ قال : الذي جعل البضاعة في رِحالكم . فسكتوا ثم قالوا : ﴿ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ٧٦] .

قال أبو إسحاق الثعلبي : واختلف العلماء في السرقة التي وُصِفَ بها يوسف .

فقال سعيد بن المسيب وقتادة : سَرَقَ يوسف صنماً لِجَدِّه أبي أمه ، وكان من ذهب ، فكسره وألقاه في الطريق .

وقال ابن جريج : أَمَرَتْهُ أمه وكانت مسلمة أن يسرق صنماً لخاله كان يعبده .

وقال مجاهد : جاء سائل يوماً ، فسرق يوسف بيضة من البيت .

وقال ابن عيينة : دجاجة ، فناولها السائلَ ، فَعَيَّروه .

وقال وهب بن منبه : كان يُخَبِّئ الطعام من المائدة للفقراء .

وقال الضحاك وغيره ما قدّمناه في بداية سيرة سيدنا يوسف عليه السلام حول حُبِّ عمّته له ، وكيف احتالتْ ووضعتْ مِنْطَقَة إسحاق على بطن يوسف وقالت : إني فقدتُها . فهو الذي قال له إخوته : ﴿ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ [يوسف: ٧٧] .

ثم قال الله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ۙ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمُونِى فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ ۖ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا ۖ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يوسف] .

قال الكسائي : ثم تشاوروا فقالوا : إنَّ هذا المَلِك وأهل مصر كفرة يعبدون الأصنام ، فتعالَوْا نتظاهر عليهم . قال روبيل : أنا أَكْفِيكُم الملك وأعوانه ، وقال شمعون : أنا أكفيكم أمر العزيز وأعوانه ، وقال يهوذا : أنا أكفيكم الأسواق .

فعَلِمَ يوسف بذلك ، فأحضرهم وقال : يا بَنِي يعقوب ، ما الذي غرّكم مني ؟ أحسنتُ إليكم مرة بعد مرة ، وتَفَضَّلْتُ عليكم ، وجنى أخوكم جناية فتشاورتم في هلاك المدينة وأهلها ؟ أتظنون أن هذه القوة لكم دون غيركم ؟ ثم ضرب برجله السُّدّة التي كان عليها فَطَحْطَحَها ، وكسر صفائح رخامها ، ثم قال : لولا أنكم من أولاد الأنبياء لَصِحْتُ بكم صيحة تخرّون على أذقانكم .

قال الكسائي : وكان يهوذا قد عزم على أن يفعل شيئاً ، وكان على كتفه شعرة إذا غضب خرجتْ من جُبّته ، فيقطر منها الدم ، ثم يصيح صيحة فلا يسمعها أحد إلاّ سقط مغشياً عليه . وكان لا يسكن غضبه إلاّ أنْ يمسّه أحد من آل يعقوب . فدعا يوسف بابنه مَنَسّا وقال : اذهب إلى ذلك الكهل فَمُسَّه بيدك وتَنَحَّ عنه من حيث لا يشعر بك .

ففعل ذلك ، فسكن غضبه ، فقال يهوذا لإخوته : مَن الذي مسّني منكم ؟ فقد سكن غضبي . قال : لم يَمَسَّكَ غير ذلك الطفل ، فقال : والله لقد مَسَّتْني يدٌ من آل يعقوب .

فلما عَسُرَ عليهم ما عزموا عليه ، عزموا على العَوْد إلى أبيهم ، وتركوا روبيل عند بنيامين .

قال الكسائي : فلما انصرفوا دخل يوسف إلى منزله وأحضر بنيامين ، وقال : أتعرفني ؟ قال : نعم أنت العزيز ، واللهِ ما سرقتُ فلا تَعْجَل عليّ ، فإنك موصوف بالإحسان . فضمّه يوسف إلى صدره وقال له : أنا أخوك يوسف ، ثم كساه وسأله عن أبيه ، فأخبره بما يُقاسيه مِن أَجْلِه .

قال الكسائي : ورجع إخوة يوسف إلى أبيهم ، فذكروا ما كان من خبر بنيامين ، وأنَّ روبيل أقام عنده . فقال يعقوب عليه السلام : وكيف يسرق ولدي وهو من الذرية الطيبة ؟ فقالوا له : ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [يوسف: ٨٢] . قال : ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣] .

قال الله تعالى : ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [يوسف] .

قال الكسائي : وأخذ يعقوب في البكاء حتى ضجر منه جيرانه ، فأوحى الله إليه : أنْ كُفَّ عن بكائك ، فإني سأردّ عليك بصرك[1]، وأجمع بينك وبين ولدك . فسكن وهدأ .

ثم قال لِبَنِيه : احملوا كتابي هذا إلى العزيز ، ودعا بابنته دينة وقال لها : اكتبي :

---

(١) : الأنبياء معصومون من الأمراض المنفرة، وما وَرَدَ مِن هذا القبيل فإنه مؤول، وهذا ما قاله السادة الأشاعرة من أهل السنة والجماعة.

باسم إله إبراهيم ، من يعقوب إلى عزيز مصر :
إن الله أكرمني بولد كان أَحَبَّ أولادي إليّ ، وقد فقدتُه وبكيتُ عليه حتى عَمِيتُ ، وكنتُ آنسُ بأخيه بنيامين الذي حَبَسْتَه عندك ، وعجبتُ مِن أَمْر الصُّواع ، فإن أولاد الأنبياء لا يفعلون ذلك ، وإنه مَكْذوب عليه . فإذا أتاك كتابي هذا فتَفَضَّلْ عليّ بولدي ورُدَّه عليّ ، فإني أدعو الله أن يزيدك فضلاً وكرامة .

وسلّم الكتاب إليهم وقال : ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧] .

❁ دخول إخوة يوسف عليه في المرة الثالثة :

قال الكسائي: وساروا حتى دخلوا مصر ، فاستقبلهم روبيل ودخل معهم .

فلما دخلوا على يوسف عليه السلام قالوا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ [يوسف: ٨٨] ، وناولوه الكتاب .

فقَبَّلَه وقرأه ، ثم قال لهم : لو كنتم حملتم إليّ هذا الكتاب قبل اليوم دفعتُه لكم ، ولكني أَلْقَيْتُ حديثه إلى المَلكِ ، وأنا أُكَلِّمُهُ فيه .

❁ خبر حديث الصُّواع ولقاء يوسف مع أبيه :

قال الكسائي : ثم أمر يوسف بإحضار الصاع بين يديه وقال : اجْتَمِعوا حتى أسأل هذا الصاع عنكم . فنقر الصاعَ فَطَنَّ ، فقال : يا بَنِي يعقوب ، إنَّ هذا الصاع يقول : إنكم تشهدون بالزور ، وإنكم كَذَبْتُم في قولكم : إنَّ الذئب أكل أخاكم . قالوا : ما شهدنا بالزور قط ، وما قلنا في يوسف إلاّ الحق .

فنقر الصاع وقال : أتدرون ما يقول ؟ إنه يقول : إنكم حسدتم أخاكم ، وأخرجتموه من عند أبيكم وأردتم قَتْله ، ثم ألقيتموه في الجب المظلم البعيد القعر .

ثم نقر ثالثاً وقال : إنه يقول : ما كذبتُك فيما أقول ، ولقد أخرجوا أخاهم من الجُبِّ فباعوه بعشرين درهماً عدداً تنقص درهماً ، وأَوْصوا مُشْتَرِيه أن يُقَيِّدَه حتى يبلغ أرض

مصر . فتغيّرت وجوه القوم وقالوا : ما نعرف شيئاً من هذا .

ثم نقره رابعاً وقال : إنه يقول : وكتبتُم كتاب البيع بخط يهوذا . فقال يهوذا : أيها العزيز ، إني لم أكتب شيئاً ، وأَنْكَرَه . فقال يوسف عليه السلام : مكانكم حتى أعود إليكم .

ودخل على زليخا وقال : هاتي تلك الصحيفة ، فَأَخْرَجَتْها له ، فأخرجها إلى يهوذا وقال : أتعرف خطك ؟ قال : نعم ، فألقاها إليه ، فرآها وهي خَطُّه . فقال : هي خطي ، غير أني لم أكتبه باختياري ، وإنما كتبتُه على عبد أَبقَ مِنّا . فغضب يوسف وقال : ألستم تزعمون أنكم من أولاد الأنبياء ثم تفعلون مِثْل هذا ؟! ثم قال لأعوانه : انصبوا عشرة أشجار على باب المدينة حتى أضرب أعناق هؤلاء ، وأُصَلِّبهم ، وأجعلهم حديثاً لأهل مصر . فبكوا وقالوا : اقتلنا حيث شئتَ ولا تصلبنا .

وأقبل بعضهم على بعض وقالوا : هذا جزاؤنا بما عاملنا به أخانا .

فلما أقرّوا كلهم بالذنب ، رفع التاج عن رأسه وقال : ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩] . وكان في رأسه شامة مِثْلُها في رأس يعقوب ، فلما نظروا إلى الشامة عرفوها ، وقالوا ما أخبر الله تعالى به عنهم : ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف] .

فعمد يوسف إلى قميصه وجعله في قصبة من فضة ، ودفعه إلى يهوذا ، وخلع عليهم وطيّبهم وقال : ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: ٩٣] . فخرجوا وسبقهم يهوذا بالقميص .

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ[1]﴾ [يوسف: ٩٤] .

---

(١) : التَّفْنِيد هو التَّكْذيب ، أي تُكَذِّبون .

قال الكسائي : لَمّا فصلت العِير من أرض مصر ، حملت الريح رائحة القميص ، فشمّها يعقوب فقال ذلك ، فقال له أهله – وقيل : بنو بنيه – : ﴿ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ (١) ﴾ [يوسف: ٩٥] .

فلما وصل يهوذا بالقميص ودخل على يعقوب ، ألقاه على وجهه وقال : خُذْها بشارة ، فعاد بصره من ساعته ، وخرّ ساجداً لله تعالى .

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ (٢) أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ (٣) فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٩٦] .

قال الكسائي : وجاء بنوه وقالوا : يا نبي الله ، نحن الذين غَيَّبْنا يوسف عنك ، ونحن الذين أتيناك بخبره ، وهو عزيز مصر .

ثم قال تعالى : ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ (٤) إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾ [يوسف] .

قال الكسائي : وجاءه جبريل بناقة من نوق الجنة فاستوى عليها ، وخرج من أرض كنعان يريد مصر ومعه أولاده وأهله ، وهم ثمانية وسبعون إنساناً . فدعا لهم يعقوب ، فما دخل أولاده مصر إلاّ وقد غُفِرَ لهم .

وخرج يوسف لِمُلْتَقى أبيه ومعه خَلْق كثير ، فلما رآه يوسف ترجّل عن فرسه ، وأَبْرَكَ يعقوب ناقته ، واعتنقا وبكيا .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ (٥) وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ

---

(١) : يعنون بذلك : في حُبِّك القديم ليوسف .

(٢) : بقميص يوسف .

(٣) : أي على وجه يعقوب .

(٤) : أَخَّرَ الدعاء إلى السَّحَر من ليلة الجمعة .

(٥) : العرش هو السرير .

﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف] .

وقال ابن الأثير في تاريخه الكامل : فلما دنا يعقوب من مصر خرج يوسف يتلقّاه ومعه أهل مصر ، وكانوا يُعَظِّمونه .

فلما دنا أحدهما من صاحبه ، نظر يعقوب إلى الناس والخيل ، وكان يعقوب يمشي ويتوكّأ على ابنه يهوذا ، فقال له : يا بني ، هذا فرعون مصر ؟ قال : لا ، هذا ابنك يوسف .

فلما قَرُبَ منه أراد يوسف أن يبدأه بالسلام ، فمُنِعَ من ذلك ، فقال يعقوب : السلام عليك يا مُذْهِبَ الأحزان . قال ذلك لأنه لم يفارقه الحزن والبكاء مدة غَيْبة يوسف عنه .

فلما دخلوا مصر رَفَعَ أَبَوَيْه[1] ، وخرّ له يعقوب وخالته وإخوته سُجَّداً ، وكان السجود تحية الناس للملوك آنذاك[2] .

قال الكسائي : وكان بين مفارقته ووقت الاجتماع أربع وثلاثون سنة .

وقال ابن الأثير : كان بين رؤيا يوسف ومجيء يعقوب أربعون سنة .

وقيل : ثمانون سنة ، فإنه أُلْقِيَ في الجُبّ وهو ابن سبع عشرة سنة ، ولَقِيَه وهو ابن سبع وتسعين سنة ، وعاش بعد جَمْع شَمْله ثلاثاً وعشرين سنة ، وتُوُفِّيَ وله مائة وعشرون سنة ، وأَوْصَى إلى أخيه يهوذا .

وقال الحسن البصري : كان بين خروج يوسف إلى يوم اللقاء معه ثمانون سنة ، لم تجفّ عيناه .

---

(١) : يعني أباه وخالته ، وكانت أمه قد ماتت .

(٢) : وهي محرمة في شريعتنا ، فلا يجوز السجود عندنا لغير الله سبحانه . فنحن معشر المسلمين شَرْعُ مَن قَبْلَنا ليس بشرع لنا ، وإنْ جاء في شريعتنا ما يوافق ذلك .

ولم يُرِد هنا بالسجود وَضْع الجبهة على الأرض ، فإن ذلك لا يجوز إلاّ لله تعالى ، وإنما أراد الخضوع والتواضع والانحناء عند السلام ، كما يُفعل الآن بالملوك .

وقيل : كانت غيبة يوسف عن يعقوب ثماني عشرة سنة .

وقيل : إن يوسف دخل مصر وله سبع عشرة سنة ، واسْتَوْزَرَه فرعون بعد ثلاث عشرة سنة من قدومه إلى مصر ، وكانت مدة غَيْبته عن يعقوب اثنتين وعشرين سنة .

۞ وفاة يعقوب عليه السلام ووصيته لِبَنِيه :

قال الكسائي : وأقام يعقوب بمصر أربعين سنة ، وقيل : أربعاً وعشرين سنة .

ثم أمره الله تعالى أن يرتحل إلى أرض كنعان لاقتراب أَجَلِهِ ، فارتحل ومات هناك ، ودُفِنَ إلى جانب أبيه إسحاق .

وحكى الثعلبي أن يعقوب مات بمصر ، وأوصى يوسف أن يحمل جسده إلى الأرض المقدسة حتى يُدفن عند أبيه إسحاق وجده إبراهيم ، ففعل ذلك ونُقِلَ في تابوت من ساج إلى البيت المقدس ، وخرج معه في عسكره وإخوته عظماءُ أهل مصر .

ووافق ذلك اليومُ وفاةَ عيص ، فدُفِنا في يوم واحد ، وكان عمرهما جميعاً مائة سنة وسبعاً وأربعين سنة ؛ لأنهما وُلِدا في بطن واحد ، وقُبِرا في قبر واحد .

وذكر ابن إسحاق عن أهل الكتاب أن يعقوب أقام بديار مصر عند يوسف سبع عشرة سنة ، ثم توفي عليه السلام وكان قد أوصى إلى يوسف أن يُدفن عند أبويه إبراهيم وإسحاق .

قال السُّدِّي : فَصُبِّرَ وسيّره إلى بلاد الشام ، فدفنه بالمغارة عند أبيه إسحاق وجده الخليل عليهم الصلاة والسلام .

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية عن أهل الكتاب أن يعقوب عليه السلام قبل وفاته وصّى بنيه واحداً واحداً بالإخلاص ، وبدين الإسلام الذي بَعَثَ الله به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأخبرهم بما يكون من أمرهم ، وبشّر يهوذا بخروج نبي عظيم من نسله تطيعه الشعوب وهو عيسى بن مريم ، والله أعلم .

قال تعالى في كتابه العزيز : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا

وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة] .

وذكر أهل الكتاب كذلك أنه لَمّا مات يعقوب بكى عليه أهل مصر سبعين يوماً ، وأمر يوسف الأطباء فطيّبوه بِطِيبٍ ، ومكث فيه[1] أربعين يوماً . ثم استأذن يوسفُ مَلِكَ مصر في الخروج مع أبيه ليدفنه عند أهله ، فَأَذِنَ له .

وخرج معه أكابر مصر وشيوخها ، فلما وصلوا حبرون دفنوه في المغارة التي كان اشتراها إبراهيم عليه السلام من عفرون بن صخر الحيثي ، وعملوا له سبعة أيام ثم رجعوا إلى بلادهم .

وعزّى إخوة يوسف ليوسف في أبيه وترقّقوا له ، فأكرمهم وأحسن مُنْقَلَبَهم ، فأقاموا ببلاد مصر .

قال ابن كثير صاحب (البداية والنهاية) : فقبر إبراهيم ، وقبر ولده إسحاق ، وقبر ولد ولده يعقوب عليهم الصلاة والسلام في المربعة التي بناها سليمان بن داود عليهما السلام بعد ذلك في بلد حبرون ، وهذا تُلُقِّيَ بالتواتر عن أُمّة بعد أُمّة ، وعن جيل بعد جيل ، من زمن بني إسرائيل وإلى زماننا هذا ، أنَّ قبره بالمربعة تحقيقاً .

وأما تعيين قبره من المربعة فليس فيه خبر صحيح عن معصوم ، فينبغي أن تُراعى تلك المَحَلّة ، وأن تُحترم ، وأن تُبَجّل ، وأن تُجَلّ أن يداس في أرجائها ؛ خشية أن يكون قبر الخليل أو أحد أولاده الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تحتها .



قبر سيدنا إسحاق ويعقوب عليهما الصلاة والسلام

(١) : أي في يعقوب عليه السلام قبل إخراجه من مصر لدفنه في الأرض المقدسة .

۞ دعوة يوسف عليه السلام وارتحاله عن بلد الريّان :

قال الكسائي : ثم إنَّ يوسف عليه السلام دعا أهل مصر إلى الإيمان سراً وعلانية ، فآمن به كثير منهم وكسروا الأصنام ، وصارت الغلبة للمسلمين .

فاستدعاه ريّان بن الوليد وقال له : أيها العزيز ، إن أهل مصر كانوا يحبونك ، وقد كرهوك بسبب أديانهم ، فما لك وأديانهم ؟ فقال يوسف : قد بلغني ذلك ، وأنا رادٌّ عليكَ ما خوّلتَني ، ومُتَحَوِّلٌ عنك وعن قومك بأهل مِلَّتي ، فإني لا أُحِبُّ أن أكون من عبدة الأوثان[1] .

وخرج يوسف هو وأولاده وإخوته وقومه الذين آمنوا ، حتى نزل الموضع الذي استقبل أباه يعقوب عنده . فجاءه جبريل وخرق له نهراً من النيل إلى هناك ، وهو نهر الفيوم .

ولحق به كثير من الناس وآمنوا ، وابْتَنى مدينتين وسمّاهما بالحرمين ، وكان لا يدخلهما أحد إلاّ يُلَبِّي ويقول : " لَبَّيْكَ يا مُفَضِّل إبراهيم بالنبوة لَبَّيْكَ " . ولم يكن بأرض مصر أَعْمَر منهما .

وسار يوسف في قومه سيرة الأنبياء حتى مات عليه الصلاة والسلام .

۞ وفاة يوسف عليه السلام :

قال الكسائي – وروايته ينقلها عن وهب بن منبه – : ولَمّا أَدْرَكَتْهُ الوفاة أوصى إلى ابنه أفرايم أن يَسُوس قومَه بالواجب ، وأن يكون مُعاناً لأهل مصر الذين يعبدون الأوثان ، ويجاهدهم في الله حق جهاده .

ثم تُوُفِّيَ وكانت زليخا قد ماتت قبله ، وما تزوّج بعدها .

قال ابن الأثير في تاريخه (الكامل) : وأوصى يوسف أن يُحْمَلَ من مصر ويُدفن عند

---

(١) : ومِنَ المعروف أن رواية الكسائي هنا تُخالف رواية الثعلبي وغيره التي تُشير بأنَّ الريّان بن الوليد مات مسلماً في عهد يوسف عليه السلام .

آبائه ، فحمله موسى لَمّا خرج ببني إسرائيل .

ووَلَدَ يوسف إفرائيم ومنشى ، فوُلِدَ لإفرائيم نون ، ووُلِدَ لنون يوشع فتى موسى . ووُلِدَ لمنشى موسى ، ووُلِدَ له رحمة امرأة أيوب .

وحكى الثعلبي عن أهل التاريخ أن يوسف عاش بعد يعقوب ثلاثاً وعشرين سنة ، ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة .

قالوا : ودُفِنَ في بلده ، فعُمِرَ الجانب الذي يليه وأَخْصَب ، وقحط الجانب الآخر . فشكا أهله إلى الملك ، فبعث إلى أفرايم أن ينقله فيدفنه في الجانب الآخر ، وإن لم يفعل قاتَلَهُ . فدفنه هناك فخصب ذلك الجانب ، وقحط الآخر .

فكان يُدفن سنة في هذا الجانب ، وسنة في الآخر ، ثم اجتمعت الآراء أن يُدفن في وسط النهر ، ففعلوا ذلك ، فخصب الجانبان ببركته .

ولم يزل في نهر النيل حتى بعث الله موسى عليه السلام ، فأمره الله أن يحمل تابوت يوسف ، فأخرجه ونقله إلى بيت المقدس ، فدفنه هناك .

وموضع قبره معروف قرب نابلس .



قبر يوسف كما كان عليه عام ١٨٦٥م



قبر يوسف كما كان عليه
عام ١٨٩٤م



قبر يوسف عليه السلام قديماً

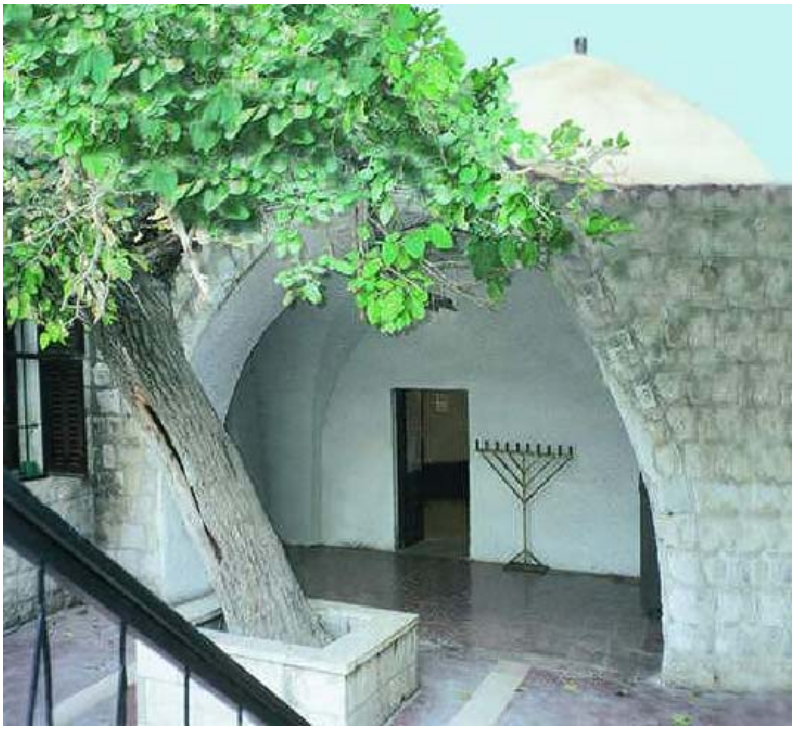

قبر يوسف عليه السلام
حديثاً

وهذه صور مختلفة لقبر سيدنا يوسف عليه السلام بعد تعرضه للانتهاكات الإسرائيلية العدوانية ، عليهم من الله ما يستحقون ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم .













قبر سيدنا يوسف عليه السلام



قبر سيدنا يوسف بعد تعرضه للانتهاكات الإسرائيلية وقد أُزيل عنه الستار



عمامة سيدنا يوسف الموجودة في متحف توب كابي باستنبول كما يقال

سيدنا أيوب
عليه الصلاة والسلام
وما كان من شدة ابتلائه وصبره

قال الله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء] .

وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ[1] إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [ص][2] .

نسب أيوب عليه السلام :

قال وهب بن منبه : هو أيوب بن آموص بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام .

جانب من حياته وما أَنْعَمَ الله عليه من خيرات وبركات :

قال وهب بن منبه : وكان آموص كثير المال والماشية ، لم يكن في أرض الشام أغنى

---

(١) : الخطاب هنا لسيدنا محمد ﷺ ، يقول له رب العزة : يا محمد ، اذكر لهؤلاء الناس عبدنا أيوب . وهذه شهادة من الله تعالى له بالعبودية ، وهي مرتبة عظيمة .

(٢) : ارجع كذلك إن شئتَ إلى المواضع التالية من القرآن الكريم : النساء ١٦٣ ، الأنعام ٨٤ .

منه ، فلما مات صار جميعه لأيوب .

وكان أيوب يومئذ ابن ثلاثين سنة ، فأحبّ الزواج ، فخطب رحمة بنت أفرايم بن يوسف ، فتزوّجها .

وكانت أشبه الخَلْق بيوسف ، وكانت كثيرة العبادة ، فرزقه الله منها اثني عشر بطناً ، في كل بطن ذكرٌ وأنثى .

وقيل : إنه تزوّج لَيّا بنت يعقوب ، إنما المشهور بين الناس أنه تزوّج رحمة .

قال وهب : ثم بعثه الله تبارك وتعالى إلى قومه رسولاً ، وهم أهل حوران والبَثَنِيّة[1].

وقيل : إنه كان نبياً في عهد يعقوب أبي يوسف عليهم الصلاة والسلام .

قال وهب : ورزقه الله حُسْن الخُلُق والرِّفْق ، فشرّع لقومه الشرائع ، وبنى المساجد ، ووضع موائده للفقراء والأضياف لا يَحْجِبُ عنها أحداً ، فقد جعلها في ميدان مُعَيَّنٍ في الساحة العامة ، فكل مَن كان جائعاً ومَرَّ أكل منها .

وأمر وكلاءه أن لا يمنعوا أحداً مِنْ زراعته وثماره ، فكان الطير والوحش وجميع الأنعام تأكل مِن زَرْعِهِ ، وبركةُ الله تزداد صباحاً ومساء .

وكانت كل مواشيه تحمل في كل سنة بتوأم ، ولا تلد واحداً أبداً .

وكان أيوب إذا أقبل الليل جمع مَن يلوذ به في مسجده ، ويُصَلّون بصلاته ، ويُسَبّحون بتسبيحه حتى يصبح .

وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حيثما كان ، فأمر أهل زمانه بتوحيد الله وعبادته ، حتى قلب الناس من عبادة الأصنام إلى عبادة الله الواحد الديّان ، وأصبحت المنطقة كلها مُوَحِّدة لله .

وهكذا خيراته كثيرة ، وبيته كبير ، وبابه مفتوح ، وقلبه مفتوح ، وأهل المنطقة كلهم يعيشون بخير الله من باب سيدنا أيوب عليه السلام .

---

(١) : قال ياقوت : البثنية هي قرية بين دمشق وإذرعات .

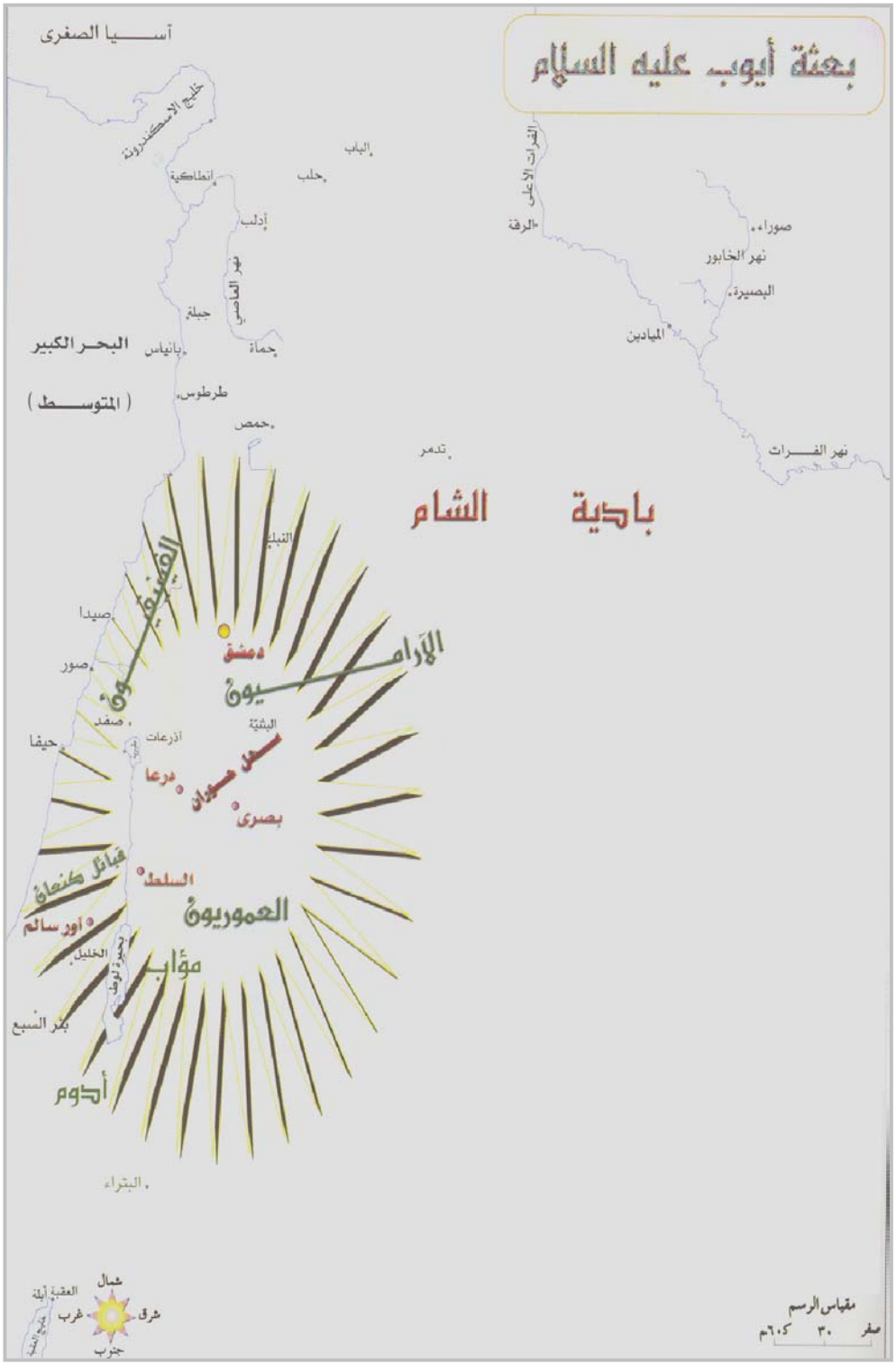
بعثة أيوب عليه السلام
آسيا الصغرى
خليج الاسكندرونة
الباب
حلب
انطاكية
أدلب
نهر العاصي
جبلة
حماة
بانياس
طرطوس
حمص
البحر الكبير
(المتوسط)
الفرات الأعلى
الرقة
صوراء
نهر الخابور
البصيرة
الميادين
نهر الفرات
تدمر
بادية الشام
النبك
الفينيقيون
صيدا
صور
دمشق
الآراميون
صفد
حيفا
أذرعات
البثنية
سهل حوران
درعا
بصرى
قبائل كنعان
السلط
أور سالم
العموريون
الخليل
بحيرة لوط
مؤاب
بئر السبع
أدوم
البتراء
شمال
شرق
غرب
جنوب
العقبة
أيلة
مقياس الرسم
صفر ٣٠ ٦٠كم

۞ قصة ابتلاء أيوب عليه السلام وشدة صبره :

قال وهب بن منبه : فحسد إبليسُ أيوبَ عليه السلام ، وكان لا يَمُرُّ بشيء من ماله وماشيته إلاّ رآه وهو مختوم بخاتم الشكر ، وكان إذ ذاك يصعد إلى السماوات ويقف في أي مكان أَحَبَّ منها[1] .

فصعد إبليس في زمن أيوب عليه السلام وقال : يا رب ، إني طفتُ الأرض فَفَتَّشْتُ مَن أطاعني إلاّ عبادك منهم المُخْلَصِين . فنودي : يا ملعون ، هل علمتَ بعبدي أيوب ؟ وهل نلتَ منه مع طول عبادته ؟ وهل تستطيع أنْ تُغَيِّرَه عن عبادتي ؟ فقال إبليس : إلهي ، إنك ذكرتَه بالخير ، وقد نظرتُ في أمره فإذا هو عبدٌ عافَيْتَه بعافِيَتِك ، ورزقتَه شكرك ، ولم تَخْتَبِرْه بالبلاء ، فلو ابتليتَه بالمصائب لوجدتَه بخلاف ما هو عليه ، فلو سلّطتَني على ماله لرأيتَه كيف ينساك . فقال تعالى : اذهب يا ملعون فقد سلّطتُك على ماله .

فانقضّ إبليس وجمع العفاريت ، وأخبرهم أنه سُلِّطَ على مال أيوب ، وحضّهم على زَرْعه وأشجاره ومواشيه ، فأحرقوا الأشجار ، وصاحوا بالمواشي صيحة فماتت بِرُعاتها .

قيل : كان له ألف فرس ، وألف رَمَكة[2] ، وألف بغل وبغلة ، وثلاثة آلاف بعير ، وألف وخمسمائة ناقة ، وألف ثور ، وألف بقرة ، وعشرة آلاف شاة ، وخمسمائة فدّان ، وثلاثمائة أتان ، مع ما يتبع ذلك من النِّتاج ، فهلك جميع ذلك .

ثم أقبل إبليس إلى أيوب في صورة راعٍ من رعاته، وخَيَّلَ له أنَّ عليه وهج الحريق ، وقد اسْوَدَّ وجهه وهو ينادي : يا أيوب ، أَدْرِكْني فأنا الناجي دون غيري ، ما رأيتُ قط مِثْلَ هذا اليوم ، رأيتُ ناراً أقبلتْ من السماء فأحرقتْ أموالك ، وسمعتُ نداءً من السماء : هذا جزاء مَن كان مرائياً في عمله يريد به الناس دون الله ، وسمعتُ النار تقول : أنا نار

---

(١) : وذلك حتى رَفَعَ الله عيسى بن مريم فحُجِبَ عن أربع سماوات منها ، حتى بعث الله نبينا محمداً ﷺ فحُجِبَ عن جميعها .

(٢) : قال صاحب القاموس : الرمكة هي الأنثى من البراذين ، والجمع رِماك ، مِثْل رقبة ورِقاب ، ويقال لها كذلك : برذونة . والبراذين مفرد البرْذَوْن ، وهو ما كان غير أصيل من الخيل والبغال . وهو حيوان عظيم الخلقة ، غليظ الأعضاء ، قوي الأرجل ، كبير الحوافر ، جَلْدٌ على السير بالشعاب والوعر .

الغضب . فلم يَرُدَّ أيوب عليه ، بل أقبل على صلاته ولم يكترث به ، حتى فرغ منها وقال : يا هذا ، لقد كَثَّرْتَ عليّ ، هذه الأموال ليست لي بل هي لربي يفعل فيها ما يشاء . فقال إبليس : صدقتَ .

وماج الناس بعضهم في بعض وقالوا : هلاّ قَبَضَ أيوبُ هذه الأموال قَبْضاً جميلاً ؟ فشقّ ذلك على أيوب من قولهم ، ولم يُجِبْهم غير أنه قال : الحمد لله على قضائه وقدره .

وفي رواية أخرى قال : الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني ، عُرياناً خرجتُ من بطن أمي وعُرياناً أعود في التراب ، ليس لك أيها الإنسان أن تفرح حين أعارك ، ولا أن تحزن حين أخذ إعارته منك ، الله أَوْلى بك وبما أعارك .

قال وهب : ثم انصرف إبليس عنه وصعد إلى السماء ، فنودي : يا ملعون ، كيف وجدتَ عبدي أيوب وصَبْره على ذهاب أمواله ؟ فقال إبليس : إلهي ، إنك قد متّعته بالأولاد ، فلو سلّطتَني عليهم لوجدتَه غير صابر . فنودي : يا ملعون ، اذهب فقد سلّطتُك عليهم .

فانقضّ إبليس على باب قصر أيوب الذي فيه أولاده ، فَزَلْزَلَه حتى سقط عليهم ، وشَدَخَهم بالخشب ، ومَثَّلَ بهم كل مُثْلة ، وكانت زوجته رحمة خارج القصر . فأوحى الله إلى الأرض : أن احفظي أولاد أيوب ، فإني بالغٌ فيهم مشيئتي .

وأقبل إبليس إلى أيوب وقال له : لو رأيتَ قُصورك كيف تَهَدَّمَتْ ، وأولادك وما حلّ بهم ، فهذا كُسِرَ رأسه ، وذاك قُطِعَتْ رجله ، وذاك قُلِعَتْ عينه ، وذاك بُقِرَ بطنه ، وذاك شُوِّهَت أعضاؤه ... وهكذا لم يزل يَعُدُّ له ما حلّ بهم حتى أبكاه ، ثم ندم على بكائه فاستغفر وخرّ ساجداً ، ثم أقبل على إبليس وقال له : يا ملعون ، انصرف عني خائباً ، فإن أولادي كانوا عارية عندي .

وفي رواية أخرى قال : الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني ، عُرياناً خرجت من بطن أمي وعُرياناً أعود في التراب ، ليس لك أيها الإنسان أن تفرح حين أعارك ، ولا أن تحزن حين أخذ إعارته منك ، الله أَوْلى بك وبما أعارك . ويقول لنفسه : ولو عَلِمَ ربُّك بك غير ذلك لأَدْخَلَكَ الجنة ، ونجّاك من الامتحان والاختبار ، فما عليك إلاّ أن تشكر ربك . فانصرف إبليس بِخُفَّيْ حنين .

فالإيمان أعظم سلاح ، وهذا سيدنا أيوب النموذج ، ذهبت الماشية والزراعة كلها ، ومات أولاده كلهم ، وهو يتلقّى ذلك بكل صدر رحب ، مُسَلِّماً لأمر ربه وقضائه .

قال وهب : ثم صعد إبليس إلى السماء ووقف موقفه ، فنودي : يا ملعون ، كيف رأيتَ عبدي أيوب واستغفاره عند بكائه ؟ فقال إبليس : إلهي ، إنك قد مَتَّعْتَه بعافية نفسه وفيها عِوَضٌ عن المال ، فلو سلّطتني على بدنه لَكان لا يصبر . فنودي : يا ملعون ، اذهب فقد سلّطتُك على جسده إلاّ عينيه ولسانه وقلبه وسمعه .

فانقضّ إبليس على أيوب وهو في مسجده يتضرّع إلى الله ويشكره على جميع بلائه ، فلما سمع إبليسُ ذلك منه اغتاظ ، ولم يتركه يرفع رأسه من السجود حتى نفخ في منخرَيْه كالنار الملتهبة ، فاسودّ وجهه ، ومرّت النفخة في سائر جسده .

وفي رواية : تمعّط منها شعره ، وتقرّح جميع بدنه ، وورم في اليوم الثاني ، وعَظُمَ في الثالث ، واسودّ في الرابع ، وامتلأ قيحاً في الخامس ، ووقع فيه الدود في السادس ، وسال منه الصديد في السابع . ووقع فيه الحُكاك ، فجعل يحكّه حتى سقطت أظافيره ، فَحَكَّ بدنه بالخروق والمسوح والحجارة . وكان إذا سقطت دودة من بدنه ردّها إلى موضعها وقال : كُلِي إلى أن يأذن الله بالفرج .

فقالت له رحمة : يا أيوب ، ذهب المال والولد ، وبدأ الضُّرّ في الجسد . فقال لها : يا رحمة ، إن الله ابتلى الأنبياء مِنْ قَبْل فصبروا ، وإنَّ الله وعد الصابرين خيراً . وخرّ ساجداً لله تعالى وقال : إلهي ، لو جعلتَ ثوب البلاء سَرْمداً ، وحرمتَني العافية ، ومزّقتَني كل مُمَزَّق ، ما ازددتُ إلاّ شكراً . إلهي لا تُشَمِّتْ بي عدوي إبليس .

ثم قال لرحمة : انقليني إلى موضع غير مسجدي ، فإني لا أحب أنْ يتلوّث المسجد . فانطلقت إلى قوم كان أيوب يُحْسِن إليهم ، فَالْتَمَسَتْ منهم أن يُعِينوها على إخراجه من المسجد ، فقالوا : إنه قد غضب ربه عليه بما كان فيه من الرياء ، فليت كان بيننا وبينه بُعْد المشرقين .

فرجعت رحمة واحتملته إلى الموضع الذي كان يضع فيه الموائد للناس بالفضاء ، ثم قال لها : يا رحمة ، إن الصدقة لا تَحِلُّ علينا ، فاحتالي في خدمة الناس . وبكى وبَكَتْ .

فكانت رحمة تخدم أهل البلد في سَقْيِ الماء ، وكَنْسِ البيوت ، وإخراج الكناسات إلى المزابل ، وتَتَكَسَّبُ من ذلك ما تُنْفِقُهُ على أيوب[١] .

فأقبل إبليس في صورة شيخ ، فوقف على أهل القرية وقال : اطردوا هذه المرأة لأنها تعالج مِن زوجها الأمراض الشديدة ، وتَدخل بيوتكم وتُدخل يدها في طعامكم وشرابكم . فوقع ذلك في قلوبهم ، ومنعوها أن تدخل بيوتهم .

قال وهب بن منبه راوي هذه الحكاية : اشتد بأيوب البلاء ونَتِنَ حتى لم يقدر أحد من أهل القرية أن يستقر في بيته لشدة رائحته ، فاجتمعوا على أن يرسلوا عليه الكلاب لتأكله ، فأرسلوها فَعَدَتْ حتى قربت منه ، وَوَلَّتْ هاربة ولم ترجع إلى القرية .

ثم قال أيوب لرحمة : إن القوم كرهوني ، فاحتالي في نقلي عنهم .

فتوجّهت واتّخذت له عريشاً ، واستعانت بِمَنْ يحمله ، فأعانها الله بأربعة من الملائكة ، فحملوه بأطراف النِّطع إلى العريش ، وعَزَّوْه في مصيبته ، ودَعَوْا له بالعافية . واتَّخَذَتْ له رحمة في العريش رماداً ، فألقى نفسه عليه .

ثم توجّهت في طلب القوت ، فردّها أهل القرية وقالوا : إن أيوب سخط عليه ربه . فعادت إليه باكية وقالت : إن أهل القرية غلّقوا أبوابهم دوني ، فقال : إن الله لا يُغْلِقُ بابه دوننا .

فحملته إلى قرية أخرى وصنعتْ له عريشاً ، ودخلت القرية ،فقرّبوها وأكرموها ، وحملت في ذلك اليوم عشرة أقراص من خمسة بيوت .

ثم شمّ أهل القرية رائحة أيوب بعد ذلك ، فمنعوا رحمة أن تَدْخُلَ إليهم وقالوا : نحن نواسيك مِن طعامنا بشيء ، فَرَضِيَتْ بذلك .

فبينما هي تتردّد إلى أيوب ، إذ عَرَضَ لها إبليس في صورة طبيب وقال :

---

(١) : وإنْ دلّ فِعْل رحمة هنا على شيء ، فإنه يدل على أنها الزوجة الطيبة بنت الأصل التي تقف مع زوجها في الحالات الشديدة . فندعو لها أن يَرحمها الله تعالى ، وأن يُكْرِمَها بالمراتب العالية ؛ لأنها وقفتْ مع نبي ، وهي ابنة نبي من أنبياء الله ، بل هي من سلالة الأنبياء .

إني أقبلت من أرض فلسطين لَمّا سمعت خبر زوجك ، وقد جئتُ لأُداويه ، وأنا صائر إليه غداً ، فأخبريه وقولي له : يحتال في عصفور أو طائر فيذبحه ولا يذكر اسم الله عليه ، ويأكله ويشرب عليه قدحاً من خمر ، فَفَرَجُهُ يكون في ذلك وشفاؤه . فجاءت رحمة إلى أيوب وأخبرته بذلك ، فتبيّن الغضب على وجهه ، وأخبرها أنه إبليس ، وحذّرها أن تعود لِمِثْلِ ذلك .

ثم أقبلت بعد ذلك إلى أيوب بشيء من الطعام ، فَعَرَضَ لها إبليس في صورة رجل بَهِيّ على حمار ، فقال لها : كأني أعرفك ، ألستِ رحمة زوجة أيوب ؟ قالت : بلى ، قال : إني أعرفكم وأنتم أهل غناء ويَسار ، فما الذي غَيَّرَ حالكم ؟ فذكرتْ ما أصاب أيوب من البلاء بالمال والولد والنفس . قال : وفي أيِّ شيء أصابتكم هذه المصائب ؟ قالت : لأن الله أراد أن يُعظم لنا الأجر على قدر بلائه . قال إبليس : بئس ما قلتِ ، ولكنْ للسماء إله وللأرض إله ، فأما إله السماء فهو الله ، وأما إله الأرض فأنا ، فَأَرَدْتُكم لنفسي فعبدتُم إله السماء ولم تعبدوني ، ففعلتُ بكم ما فعلتُ وسَلَبْتُكم نِعَمَكُم ، وكل ذلك عندي ، فاتبعيني حتى تنظري إلى ذلك ، فإنه عندي في وادي كذا وكذا . فلما سمعت رحمة ذلك منه عجبت منه ، واتّبعته غير بعيد حتى وقفها على الوادي ، وسحر عينيها حتى رأت ما كانت فَقَدَتْه من أموالهم ، فقال : أنا صادق أم لا ؟ فقالت : لا أدري حتى أرجع إلى أيوب . فرجعت وأخبرته بذلك ، فتألّم وأنكر عليها وغضب ، فسألته أن يعفو عنها ولا تعود ، فقال : قد نهيتُك مرة ، وهذه مرة أخرى ، وأَقْسَمَ إنْ عافاه الله لَيَجْلِدَنَّها مائة جلدة على كلامها لإبليس .

قال هنا وهب بن منبه عند سرد هذه الحكاية : ولبث أيوب في بلائه ثماني عشرة سنة ، حتى لم يَبْقَ إلاّ عيناه تدوران في رأسه ، ولسانه ينطق به ، وقلبه على حالته ، وأذناه يسمع بهما .

وكذا حكى الثعلبي رحمه الله تعالى في روايته .

وقيل : دام مرض أيوب سبع سنين وسبعة أشهر ، حتى مرّ الناس به وتكلّموا كثيراً .

وفي بعض الروايات قال بعض المؤرخين : إنَّ أول مَن أصابته الحصبة هو سيدنا أيوب .

وكانت رحمة قد قالت لزوجها : يا أيوب ، ادْعُ ربك ، أما آن الأوان ؟ فقال : يا عاقلة ، تَنَعَّمْنا بهذا المال ثمانين عاماً ، ألا يَجْدر بنا أن نصبر مقابله على المرض ثمانين عاماً ؟

فهناك قصص وروايات كثيرة وَرَدَتْ تُبَيِّنُ عِظَم الأمراض التي سُلِّطَتْ على سيدنا أيوب عليه السلام ، وإنها تخالف ما عهدنا وما عرفنا شرعاً أنَّ الأنبياء معصومون من أمور ، منها ما يُنَفِّر الناسَ منهم . فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم جبلة خاصة لا شَيْنَ فيهم ، ولا أشياء هناك تُشِينُهُم قبل النبوة ولا بعدها ؛ لأنهم ما جُعلوا في صورة تُكَرِّهُ الناس فيهم .

وهذه الحالة التي ذُكرت في الرواية المتقدمة مُنَفِّرة ، وقد ذكرتُها لأُبَيِّنَ ما قيل في قصة أيوب عليه السلام من قِبَلِ الآخرين ، إنما العقيدة الصحيحة هي أنه وصل إلى حالة كان مرضه شديداً بحيث أَقْعَدَه وعَطَّلَه عن مباشرة كثير من الأعمال ، وبقي لسانه يذكر الله ، وقلبه يشكره ، وما فَتَرا عن ذلك .

۞ كَشْفُ الضُّرِّ عن سيدنا أيوب عليه السلام :

قال تعالى : ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء] .

قال وهب بن منبه : وعجزت رحمة في بعض الأيام عن تحصيل القوت ، وطافت القرية حتى أَتَتْ إلى امرأة عجوز ، فشكت لها ذلك ، فقالت العجوز : يا رحمة ، قد زَوَّجْتُ ابنتي ، فهل لك أن تعطيني ضفيرتَيْن من ضفائرك لأُزَيِّنَ بهما ابنتي وأعطيك رغيفين ؟ فأجابتها رحمة إلى ذلك ، وأخذت الرغيفين وجاءت بهما إلى أيوب ، فأنكرها أيوب وقال : مِن أين لك هذين ؟ فأخبرته بالقصة ، فصاح أيوب وقال ما أخبر الله تعالى به : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣] .

فضجّت الملائكة في السماوات لمرض أيوب ، ولِما وصل إليه حاله وصبره العظيم ،

فأوحى الله إليه : يا أيوب ، قد سمعتُ كلامك ، وسأجزيك على قدر صبرك ، وأما رحمة فَلأُرْضِيَنَّها بالجنة .

قال وهب : فلما كان يوم الجمعة عند زوال الشمس ، هبط عليه جبريل فَسَلَّمَ عليه ، فردّ عليه وقال : مَن أنت ؟ قال : أنا جبريل ، وبشّره بالشفاء ، وأنَّ الله قد وهب له أهله وماله وولده ومِثْلهم معهم ؛ لتكون آية . فبكى أيوب من شدة الفرح وقال : الحمد لله الذي لم يُشَمِّتْ بي عدوي إبليس . فقال له جبريل : قُمْ يا أيوب ، فلم يستطع ، فأخذ بيده وقال : قُمْ بإذن الله ، فقام على قدميه . ثم قال له جبريل : اركض برجلك هذه الأرض ، فركضها ، فنبعت عين من الماء[1] تحت قدميه ، أشد بياضاً من الثلج ، وأحلى من العسل ، وأزكى من المسك . فشرب منه أيوب شربة فسقط ما في بدنه من الدود ، ثم أمره جبريل فاغتسل من تلك العين ، فخرج وجهه كالقمر ، وعاد إليه حُسْنه وجماله . ثم ناوله جبريل خلعتين ، فاتّزر بواحدة وارتدى بالأخرى . وناوله نَعْلَيْن من الذهب ، شِراكهما من الياقوت . وناوله سفرجلة من الجنة .

ثم مسح جبريل الأرض وإذ قد اخضرت وصارت ربيعاً ، وعادت الأنهار والأشجار ، والنَّعَم والدواب ، وعادت الأموال كلها وأكثر مِمّا كانت عليه سابقاً ، فرب العالمين بيده كل شيء .

---

(١) : هذه العين موجودة الآن بحوران ، ورأيتُ قولاً أنها المكان الذي يُخرج ماء كبريتياً ساخناً التي هي الحمة ، وهي الآن مع اليهود . فهناك حمتان : حمة مع الأردن وحمة مع اليهود ، وماؤهما واحد . فقيل : هناك نبعت هذه المياه الكبريتية (المقلى ، والبلسم ، والريح) .

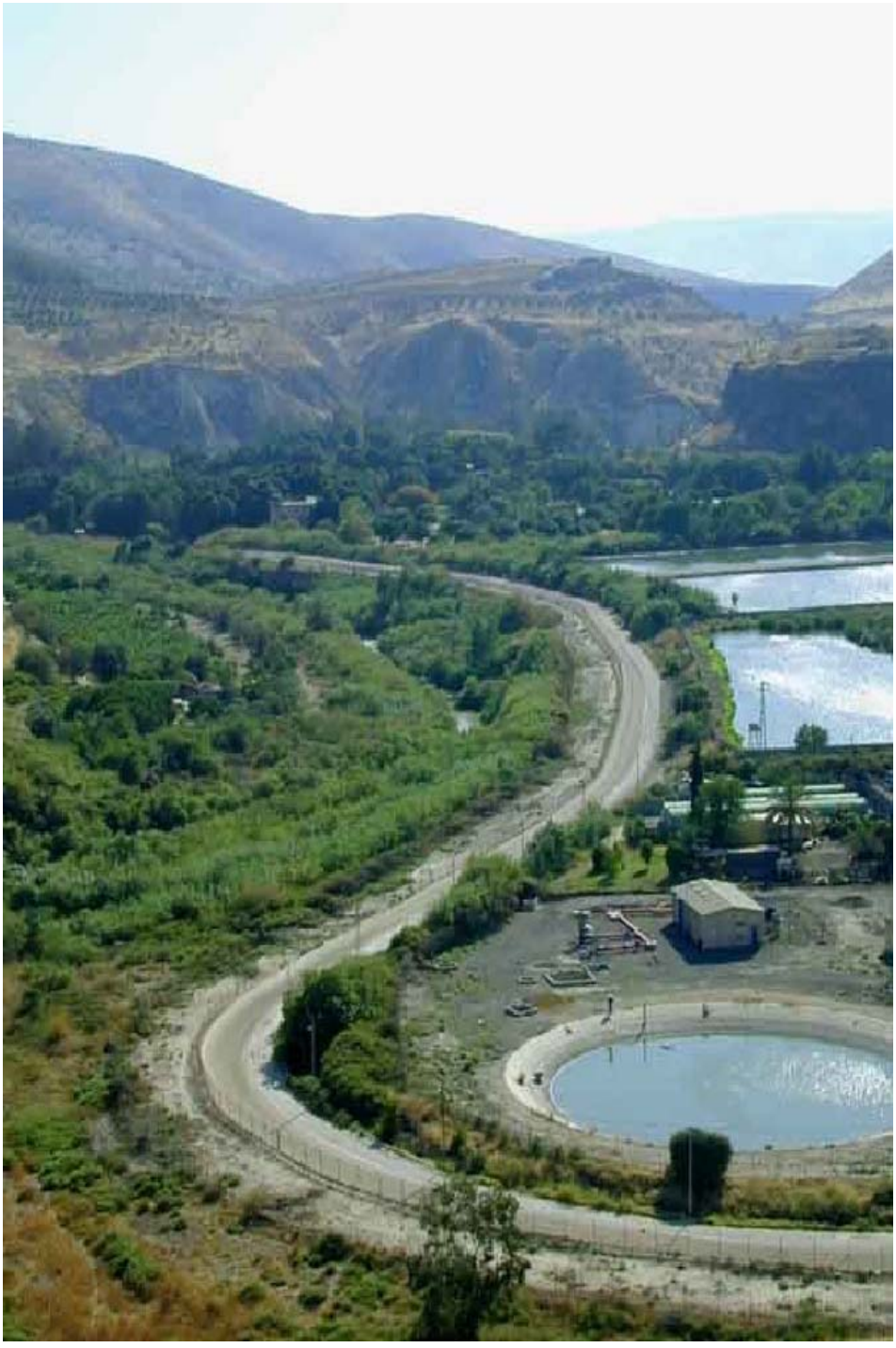

منظر عام لمنطقة الحمة التابعة لليهود





أصبحت منطقة الحمة منطقة سياحية يقصدها الكثير من الناس
لأغراض علاجية





بقايا لآثار حمامات رومانية أُقيمت في منطقة الحمة ، للاستفادة من الفوائد العلاجية لتلك المياه الكبريتية الحارة







منظر عام لمنطقة الحمة من الجنوب





بسبب الفوائد الطبية الكثيرة لمياه الحمة ، فقد أُقيم في تلك المنطقة مستشفى كبير وفندق تابع له ، يأتيه الناس من أنحاء كثيرة للعلاج

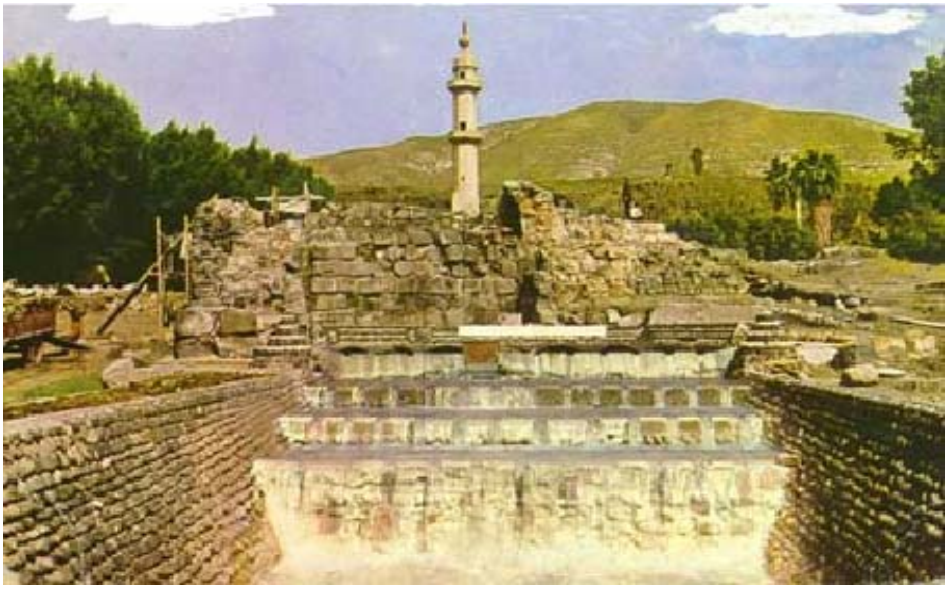

منطقة الحمة التابعة للحكومة الأردنية



ما يُعرف ببئر أيوب قديماً

قال وهب : ثم قام أيوب إلى الصلاة ، فأقبلت رحمة وقد طردها الناس من كل الأبواب ، فلما صارت إلى ذلك المكان الذي فيه أيوب رَأَتْهُ قد تَغَيَّرَ ، فظنّت أنها قد أخطأت الطريق ، فقالت: أيها المصلي ، كَلِّمْني. فلم يُكَلِّمْها وثبت في صلاته ، فقال له جبريل : كَلِّمْها ، فقال : ما حاجتكِ ؟ قالت : هل عندك عِلْمٌ بأيوب المبتلى ، فإني خلّفته ها هنا ولستُ أراه ؟ فتبسّم أيوب وقال : إنْ رَأَيْتِهِ عَرَفْتِه ؟ قالت : واللهِ إنكَ لأشبه الناس به قبل بلائه ، فضحك وقال : أنا أيوب . فبادرت إليه واعتنقته .

وبشّرهما جبريل بالأولاد وما فقداه من الأموال وغيرها ومِثْلهم معهم ، وأمطر الله عليه جراداً من ذهب . وكان له بَيْدران ، فأرسل الله سحابتين ، فأفرغتا في أحدهما ذهباً وفي الآخر فضة ، حتى فاض أحدهما على الآخر .

وقيل : إنه كان له بعد العافية أربعة آلاف وكيل ، رِزْقُ كل واحد في الشهر مائة مثقال من الذهب . وبين يديه اثنا عشر من البنين ومِثْلهم من البنات ، وملّكه الله جميع بلاد الشام ، وأعطاه مِثْل عمره الذي عُمِّرَ في الماضي .

وعلى قول : إن أيوب طردها ، فإن رحمة بعد أن وصلت إلى مكان بعيد فكّرت وقالت : أنا لِمَنْ تركتُ زوجي المسكين المبتلى ؟ أتركته للوحوش لتأكله ؟ أم للسباع والنمور والضباع ؟ فحنّت عليه ، فعادت ، فرأت الأرض غير الأرض ، والسماء غير السماء ، ورأت أشجاراً ، ومياه ، وأنهاراً ، وعصافيرَ . كانت الدنيا قبل ساعات شهباء ، فعادت وقد تغيّرت . وأيوب جالس على ندٍ عالٍ يصلي ويشكر ربه ، ويبكي لحضرة الحق ﷻ .

فرجعت رحمة إلى زوجها فلم تجده ، غير أنها رأت رجلاً شاباً يجلس على ذاك المرتفع ، فقالت له : يا هذا ، فالتفت إليها وقال : ماذا تريدين ؟ قالت : تركتُ بهذا المكان مبتلىً ، فقال : مَن هو ؟ قالت : إنه أيوب – وبكت كثيراً – ، أين هو ناشدتك الله ؟ ماذا جرى به ؟ فقال لها : أتعرفينه يا هذه ؟ قالت : نعم ، في صحته كان أشبه الناس بك . فقال : أنا أيوب ، فبكى وبكت وتعانقا ، وسالت الدموع فترة من الزمن شكراً لله على نِعَمِه . ثم قال لها : انظري يا رحمة كيف مَنَّ الله علينا بهذا الإيمان ، كذلك اعترافنا بذلك

نعمة أعظم من هذه النعم كلها ، فبصبرنا أعاد الله ﷻ لنا كل ما ذهب منا .

وفيما يَرْوِيه مجاهد وعكرمة قالا : وفي الخبر إنَّ الله بعث إليه جبريل عليه السلام حين ركض برجله على الأرض ركضة ، فظهرت عين ماء حار . وأخذ بيده ونَفَضَه نَفْضة ، فتناثرتْ عنه الديدان ، وغاص في الماء غَوْصة فنبت لحمه ، وعاد إلى منزله ، وردّ الله عليه أهله ومِثْلَهم معهم ، ونشأت سحابة على قدر قواعد داره ، فأمطرت ثلاثة أيام بلياليها جراداً من ذهب ، فقال له جبريل : أَشَبِعْتَ ؟ فقال : ومَن يشبع مِن فضل الله ؟ فأوحى الله إليه : قد أَثْنَيْتُ عليك بالصبر قبل وقوعك في البلاء وبعده ، ولولا أنّي وضعتُ تحت كل شعرة منك صبراً ما صبرتَ .

وروى ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه قال : « أوحى الله إليه : قد رَدَدْتُ عليك أهلك ومالك ومِثْلهم معهم ، فَاغْتَسِلْ بهذا الماء فإن فيه شفاءك ، وقَرِّب عن صحابتك قرباناً ، واستغفر لهم فإنهم قد عَصَوْني فيك » .

ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « بينما أيوب يغتسل عرياناً ، خرّ عليه رِجْلُ جرادٍ من ذهب ، فجعل يحثي في ثوبه . فناداه ربه : يا أيوب ، ألم أكن أغنيتك عما ترى ؟ قال : بلى يا رب ، ولكن لا غنى لي عن بركتك »[1] .

وفي رواية أخرى عنه قال : « لَمّا عافى الله أيوب ، أمطر عليه جراداً من ذهب ، فجعل يأخذه بيده ويجعله في ثوبه. فقيل له : يا أيوب ، أما تشبع ؟ قال : ومَن يشبع مِن رحمتك ؟ »[2] .

وفي رواية ذكرها المفسرون وابن أبي حاتم[3] قال : حدثنا أبو سلمة : حدثنا جرير بن حازم عن عبدالله بن عبيد بن عمير قال : « كان لأيوب أخوان ، فجاءا يوماً فلم يستطيعا

---

(١) : رواه البخاري في صحيحه ، والنسائي ، وأحمد في مسنده ، والبيهقي في سننه ، وابن حبان في صحيحه إلاّ أنه قال : (لا غنى لي عن رحمتك) ، وكذلك الديلمي في الفردوس .

(٢) : رواه الحاكم في المستدرك وصحّحه ، والطبراني في الأوسط . ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده من وجه آخر .

(٣) : ورواها أيضاً ابن أبي شيبة في مصنفه ، وأبو نعيم في الحلية .

أن يَدْنُوَا منه مِن ريحه ، فقاما من بعيد ، فقال أحدهما لصاحبه : لو كان الله عَلِمَ من أيوب خيراً ما ابتلاه بهذا . فجزع أيوب مِن قولهما جزعاً لم يجزعه مِن شيء قط ، وقال : اللهم إن كنتَ تعلم أني لم أَبِتْ ليلة قط شبعاناً وأنا أعلم مكان جائع فَصَدِّقْني ، فصُدِّقَ من السماء وهما يسمعان . ثم قال : اللهم إن كنتَ تعلم أني لم يكن لي قميص قط وأنا أعلم مكان عارٍ فَصَدِّقْني ، فصُدِّقَ من السماء وهما يسمعان . ثم خرّ ساجداً فقال : اللهم بِعِزَّتِكَ لا أرفع رأسي أبداً حتى تكشف عني ، فما رفع رأسه حتى كُشِفَ عنه » .

ويروى عن الزهري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن نبي الله أيوب لبث في بلائه ثماني عشرة سنة ، فرفضه القريب والبعيد إلاّ رجلين من إخوانه كانا مِن أَخَصّ إخوانه له ، كانا يغدوان إليه ويروحان . فقال أحدهما لصاحبه : تَعْلَمُ واللهِ لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين ، قال له صاحبه : وما ذاك ؟ قال : منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به . فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له ، فقال أيوب عليه السلام : لا أدري ما تقول غير أن الله عز وجل يعلم أني كنتُ أَمُرُّ على الرجلين يتنازعان فيذكران الله ، فأرجع إلى بيتي فَأُكَفِّر عنهما ؛ كراهية أن يُذكر الله إلاّ في حق .

قال : وكان يخرج في حاجته ، فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ . فلما كان ذات يوم أبطأ عليها ، فأوحى الله إلى أيوب في مكانه : ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [ص: ٤٢]. فاسْتَبْطَأَتْهُ ، فَتَلَقَّتْه تنظر، فأقبل عليها قد أَذْهَبَ الله ما به من البلاء وهو أحسن ما كان . فلما رَأَتْهُ قالت : أيْ بارك الله فيك ، هل رأيتَ نبي الله هذا المبتلى ؟ فواللهِ القدير على ذلك ما رأيتُ رجلاً أشبه به منك إذ كان صحيحاً . قال : فإني أنا هو . قال : وكان له أندران : أندر للقمح ، وأندر للشعير . فبعث الله سحابتين ، فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض ، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الوَرِق حتى فاض »[1].

---

(١) : رواه الحاكم وابن حبان وصحّحاه ، وأبو يعلى والبزار ورجاله رجال الصحيح ، وأبو نعيم في الحلية . قال ابن حجر : أخرجه ابن أبي حاتم وابن جريج ، وهو حديث غريب جداً .

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « وألبسه الله حُلّة من الجنة ، فتنحّى أيوب وجلس في ناحية ، وجاءت امرأته فلم تعرفه حيث عاد شاباً ، فقالت : يا عبد الله ، أين ذهب هذا المبتلى الذي كان ها هنا ؟ لعلّ الكلاب ذهبت به أو الذئاب . وجعلت تُكَلِّمُه ساعة ، قال : ولعّل أنا أيوب ؟ قالت : أتسخر مني يا عبد الله ؟ فقال : ويحك أنا أيوب ، قد رَدَّ الله عليّ جسدي .

قال ابن عباس : وردّ الله عليه ماله وولده بأعيانهم ومِثْلهم معهم » .

ثم قال أيوب لرحمة: ولكن لا بد لي من أن أنفذ قسمي ونذري وأَجْلدك . فجاء جبريل وقال له : يا أيوب ، خذ مائة ضغث[1] من هذه وضُمَّها ، واضربها ضربة واحدة على يدها أو رجلها لتكون غير حانث . فأخذ وضربها بذلك ، وبَرَّ قَسَمَه .

قال تعالى : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٤٤] .

فهذه رخصة من الله تعالى لعبده أيوب عليه السلام فيما كان مِن حَلِفِه : لَيَضْرِبَنَّ امرأته مائة سوط . فقيل : حلف ذلك لبيعها ضفائرها كما قدّمنا .

وقيل : لأن إبليس تعرّض لها في صورة طبيب يَصِفُ لها دواء أيوب ، فَأَتَتْه وأخبرته ، فعرف أنه الشيطان ، فحلف لَيَضْرِبَنّها مائة سوط .

وهناك قول ثالث أن عدو الله إبليس تعرّض لها في أحد الأيام وقال : خذي هذه السخلة ، فإذا ذبحها لي زوجك رَدَدْتُ عليه صحته وماله .

فأخبرت أيوب بذلك ، فبكى بكاء شديداً وطردها ، ونذر لئن شفاه الله لَيَجْلِدَنها مائة سوط .

فلما عافاه الله عز وجل أفتاه أن يأخذ ضغثاً ، وكانت بمنزلة الضرب بمائة سوط ، ويبرأ ولا يحنث[2] .

---

(١) : الضغث هو كل ما جُمِعَ وقُبِضَ عليه بجمع الكف ونحوه ، وهو كالعثكال الذي يجمع المشاريخ التي عليها البسر . وقيل : هي عيدان القشة الناعمة .

(٢) : وفي هذا المجال تكلّم الكثير من الفقهاء واستخرجوا الحيلة الشرعية ، فبها يستطيع الشخص أن يَبَرَّ قَسَمَهُ .

وعاد الناس بعد ذلك يعتذرون من سيدنا أيوب ويُسَلِّمون عليه ، وعادت مائدته مفتوحة ، ويده مبسوطة .

قال ابن عباس : ورَدّ الله إلى زوجته رحمة شبابها ، وزادها حتى ولدت له ستة وعشرين ولداً ذكراً .

وعاش أيوب بعد ذلك سبعين سنة بأرض الروم على دين الحنيفية ، ثم بعد وفاته غيّر مَن بَعْدُهُ وحرّفوا دين إبراهيم الخليل عليه السلام .

۞ وفاة أيوب عليه السلام وزوجته رحمة :

لقد عاش أيوب عليه السلام كما ورد ثمانين عاماً يُبَلِّغُ دعوى الله ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

وذكر ابن جرير الطبري وغيره من علماء التاريخ أن أيوب عليه السلام لَمّا تُوُفِّيَ كان عمره ثلاثاً وتسعين سنة .

وقيل : إنه عاش أكثر من ذلك .

قال وهب بن منبه : فلما أدركته الوفاة ، أوصى أولاده أن يُخْلِفُوه في ماله كما كان يفعل مع الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل .

ثم مات وقد توفيت امرأته رحمة قبله ، وقيل : بعده بقليل ، ودُفِنَ بجانب العين التي أَذْهَبَ الله بلاءه فيها .

وقبره الذي يزار الآن بمكان يبعد عن العين قرابة خمسة كيلومترات تقريباً مُقاطَعةً .

ودُفِنَتْ رحمة بقرب الجابية بعد منطقة يقال لها اليوم : نوى أو الشيخ سعد[1] .

أجل ، صدق الله العظيم حيث قال : ﴿ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٤٤] ، أي رجّاع إلى الله رب العالمين .

---

(١) : حيث سعد بن عبادة الصحابي الجليل مدفون في المنطقة هناك وعلى قبره جامع ، والإمام النووي كذلك ، فهي منطقة غنية بالصالحين .

وقد روى ليث عن مجاهد ما معناه أنَّ الله يَحْتَجُّ يوم القيامة بسليمان عليه السلام على الأغنياء ، وبيوسف عليه السلام على الأَرِقّاء ، وبأيوب عليه السلام على أهل البلاء[1] .

فيعاتبهم بنبيه سليمان فيقول : غِناكم لَهاكم عن طاعة الله ، أموالكم شغلتكم عن الصلاة والعبادة والزكاة ، أموالكم جعلتكم تسيرون وراء الدنيا والمادة ووراء إبليس ، هذا عبدي سليمان فإنه ملك الدنيا كلها ولم تشغله عن طاعتي وذِكْري .

ويباهي الأَرِقّاءَ بسيدنا يوسف ، حيث لم يضعفه رِقُّه عن مواجهة المنكر ، والقيام مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والثبات على الحق ، حتى رفعه الله تعالى على العرش ، وجعله في زمانه مرجعاً لأهل مصر في الدين القويم ، والخلق المستقيم ، والعِفّة الفَذّة ، والقدوة الحسنة .

ويباهي المبتلين كذلك بسيدنا أيوب ، فيقول : انظروا إلى عبدي أيوب ، كان ذا ابتلاء كبير ، ومع ذلك ما فَتَرَ لسانه عن ذِكْري .

فيا أيها المرضى ويا أصحاب الابتلاءات ، لا تُشْغِلَنّكم هذه عن ذِكْر ربكم ، بل كونوا لله تبارك وتعالى شاكرين ، وإيّاه ذاكرين .

وأنواع الابتلاءات كثيرة : بالمال ، بالنفس ، بالجسم ، بالولد ، بالوقت... ، فإذا ابْتُلِيتَ بإحداها فلا تكن من الغافلين .

اشكر الله إذا أعطاك ، واشكره بنفس اللهجة إذا أخذ منك ، وقل كما قال سيدنا أيوب : " الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني ، عُرياناً خرجتُ من بطن أمي ، وعرياناً أعود في التراب . ليس لك أيها الإنسان أن تفرح حين أعارك، ولا أن تحزن حين أخذ إعارته منك ، اللهُ أَوْلى بك وبما أعارك " .

فالأمور كلها من حضرة الله ، وعليك أن تكون راضياً من أعماقك ، له ما أعطى وله ما أخذ ، ولا يُسأل عما يفعل .

ومع هذا لا بد من التأدب فنقول : الخير من الله ، والشر من أنفسنا

سَلِّم أمورَك للخبير العالِم وأَرِحْ فؤادك مِن جميع العالَمِ

---

(١) : رواه ابن عساكر بمعناه .

واعلم بأنَّ الأمر ليس كما تشاء بل ما يشاء الله أَحْكَمُ حاكمِ
فاطْرَبْ وطِبْ وانْسَ الهموم بِأَسْرِها إنَّ الهموم تُزيل لُبَّ الحازمِ

ونحن إذا ذكرنا قصة أيوب عليه السلام فما علينا إلاّ أن نتّعظ بها ، كيف ابتُلي وصبر ، وأن نكون دائماً راضين بقضاء الله عز وجل .



سيدنا ذو الكفل
عليه الصلاة والسلام

قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنبياء] .

وقال تعالى : ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٨] .

۞ ذِكْر نسبه وما ورد في سبب تسميته بذي الكفل :

لقد زعم قوم من أهل السلف بأن ذا الكفل ليس من الأنبياء ، وإنما كان رجلاً صالحاً ، وحَكَماً مُقْسِطاً عادلاً . قاله مجاهد .

وقال الكسائي : هو ابن أيوب عليه السلام ، واسمه بشير .

وقيل : هو زكريا ؛ بسبب كفالته لمريم .

وقال الحسن البصري : هو نبي قبل إلياس .

وقال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير[1] : والأكثرون أنَّ ذا الكفل من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وهذا أَوْلى الوجوه .

وهذا هو الظاهر مِن ذِكْره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقروناً مع هؤلاء السادة الأنبياء .

وهناك عدة روايات جاءت بمعنى ذي الكفل ، ولماذا سُمِّيَ بذلك ؟

قال الكسائي : لَمّا قبض الله عز وجل أيوب عليه السلام ، سار ابنه حَوْميل – وهو أكبر

---

(١) : في تفسير سورة الأنبياء آية ٨٥ .

أولاده – في الناس سيرة أبيه ، حتى خرج عليهم مَلِك من ملوك الشام يقال له : لام بن دعام ، فغلب على بلاد الشام ، وبعث إلى حَوْميل يقول : إنكم ضَيَّقْتُم علينا بلاد الشام ، وأريد منكم نصف أموالكم وتُزَوِّجوني أختكم حتى أُقِرَّكم على ما أنتم عليه ، وإلاّ سِرْتُ إليكم بِخَيْلي ورَجلي ، وجعلتُكم غنيمة . فأرسل إليه حَوْميل يقول : إن هذه الأموال التي في أيدينا ليس لأحد فيها حق إلاّ الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل ، وأما أختنا فإنك من غير ديننا فلا نُزَوِّجُها لك ، وأما تخويفك لنا بخيلك ورَجلك فنحن نتوكل على الله ربنا ، وهو حسبنا .

فجمع الملك جنوده وقصدهم ، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً ، فكانت الكَسْرة على أولاد أيوب ، وأُسِرَ بشير بن أيوب وجماعة معه .

وانقلب حَوْميل بنفسه وجمع مالاً عظيماً ؛ لِيَحْمِلَه إلى الملك ويُخَلِّصَ أخاه منه . فبينما هو في ذلك إذ ناداه آت في منامه فقال : لا تحمل هذا المال ولا تَخَفْ على أخيك ، فإن هذا الملك يؤمن وتكون عاقبة أَمْره خيراً . فلمّا أصبح قصّ رؤياه على إخوته ففرحوا .

فبلغ الملكَ تَوَقُّفُه في حَمْلِ المال ، فأرسل إليه يقول : احمل لنا ما تَكْفل به أخاك من المال وإلاّ أحرقتُه بالنار . فبعث إليه : إني قد أُمِرْتُ ألاّ أحمل لك شيئاً ، فاصنع ما أنت صانع .

فغضب الملك وأمر أن تُجمع الأحطاب ، فجُمعت وأُشعلت نار كبيرة جداً كالنار التي وُجِدَت لسيدنا إبراهيم ، وأُلْقِيَ فيها من النفط كذلك . ثم أَمَرَ ببشير فأُلقي فيها ، فلم تحرقه ولم تعمل النار به ، فعجب الملك من ذلك وآمن بالله رب العالمين ، واختلط بعضهم ببعض ، وزَوَّجوه أختهم .

ومِنْ ذلك اليوم سُمِّيَ بشير ذا الكفل ؛ لأنه تكفّل أن يكون مؤمناً . وأرسله الله تعالى إلى الشام .

وكان المَلِك بعد ذلك جندياً من جنوده ، وقائد جيشه ، يقاتل بين يديه الكفارَ تحت راية : (لا إله إلا الله ، ذو الكفل نبي الله ورسوله) .

فلم يزل كذلك حتى مات أولاد أيوب ، ثم مات الملك وغلب العمالقة على الشام ، إلى أن بعث الله ﷻ شعيباً رسولاً .

وحكى الثعلبي في تفسيره في قصة ذي الكفل : قال مجاهد : لَمّا كَبُرَ اليسع قال : لو أني استخلفتُ رجلاً من الناس فعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل ؟ فجمع الناسَ وقال : مَنْ يَتَكَفَّلُ لي بثلاث أستخلفه : يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ولا يغضب . فقال رجل شاب تزدريه العين : أنا ، فردّه ذلك اليوم . وقال مِثْلَ ذلك في اليوم الآخر ، فسكت الناس وقام ذلك الرجل ، فاستخلفه .

فجعل إبليس يقول للشياطين : عليكم بفلان ، فأعياهم ، فقال إبليس : دعوني وإياه .

فجاءه في صورة شيخ فقير حين أخذ مضجعه للقائلة ، وكان لا ينام بالليل إلاّ تلك النومة ، فدقّ الباب ، فقال : مَن هذا ؟ فقال : شيخ مظلوم ، ففتح الباب ، فجعل يقص عليه قصته فقال : إنَّ بيني وبين قوم خصومة ، وإنهم ظلموني وفعلوا ، وفعلوا وفعلوا .... وجعل يُطَوِّلُ عليه حتى حضر الرَّواح وذهبت القائلة ، فقال له : إذا رحتُ فَائْتِ ، قد آخذ بحقك .

فانطلق وراح ، فكان في مجلسه ، فجعل ينظر هل يرى الشيخ ؟ فلم يَرَه .

فلما رجع وأخذ مضجعه ، أتاه ودقّ الباب ، فقال : مَن هذا ؟ فقال : أنا الشيخ المظلوم ، فقال : ألم أقل لك إذا قعدتُ فائتني ؟ قال : إنهم أخبث قوم ، إذا عرفوا أنك قاعد قالوا : نحن نطيعك ونعطيك حقك ، وإذا قمتَ جحدوني . قال : فانْطَلِقْ ، فإذا رحتُ فائتني .

ففاتته القائلة فراح ، فجعل ينظر فلا يراه ، وشقّ عليه النعاسُ ، فقال لبعض أهله : لا تدعنّ أحداً يقرب هذا الباب حتى أنام ، فإني قد شقّ عليّ النعاس .

فلما كانت تلك الساعة ، جاءه فلم يأذن له الرجل ، فنظر فرأى كُوّة في البيت فتسوّرها ، فإذا هو في البيت وإذا هو يدق الباب مِنْ داخل ، فاستيقظ ذو الكفل وقال : يا فلان ، أَلَمْ آمرك أن لا تأذن لأحد عليّ ؟ فقال : أمّا مِنْ قِبَلي فما أُوتِيتَ ، فانظر مِن أين أُوتِيتَ ؟ فقام إلى الباب فإذا هو مُعْلَقٌ والرجل معه في البيت ، فقال له : أتنام والخصوم ببابك ؟ فقال : فَعَلْتَها يا عدو الله ؟ قال : نعم ، أَعْيَيْتَنِي في كل شيء ، ففعلتُ ما ترى لأُغضبك ، فَعَصَمَكَ الله مني .

فسُمِّيَ ذا الكفل ؛ لأنه تكفّل بأمر فَوَفَّى به .

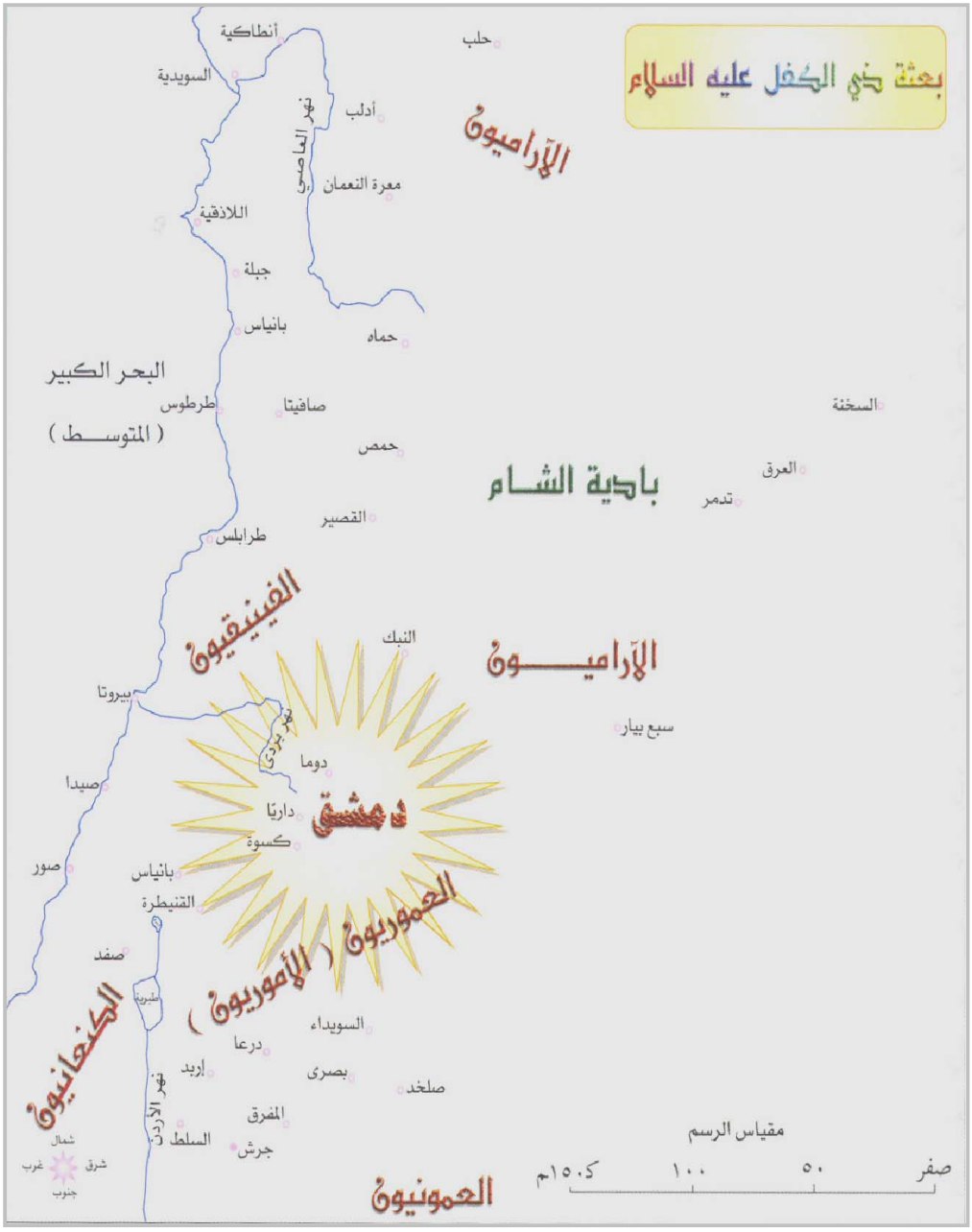

وفاة ذي الكفل عليه السلام :

كان ذو الكفل نبياً في بلاد الشام ، عاش حياته يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويدل الناس على الله عز وجل .

وقبل أن يموت جعل ولده عبدان خليفة من بعده ، ثم مات ودُفِنَ في منطقة من دمشق اسمها الصالحية ، وكان عمره خمساً وسبعين سنة .



مقام نبي الله ذي الكفل

وقيل : نُبِّيَ عبدان ، فكان نبياً بعد أبيه ذي الكفل .

والنبي عبدان مدفون بمنطقة الزبداني ، وقبره شبه مهجور . وقد جعلوا فوقه قبراً كقبور المسلمين ووَجَّهوه للقبلة ، علماً أنه مدفون على غير ذلك ؛ لأن قِبْلَتَهم آنذاك كانت بيت المقدس .

سيدنا شعيب
عليه الصلاة والسلام
ومبعثه إلى قومه أهل مدين والأيكة

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه العزيز : ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأعراف] .

وقال تبارك وتعالى : ﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ

يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ
أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ
أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن
نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ
بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا
ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ
أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم
بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا
نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا
بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ۖ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى
بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ
عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا
شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ
جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾ [هود] .

وقال تعالى : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾
إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ
ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ
وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ ﴾ [الشعراء][1] .

---

(١) : ارجع كذلك إن شئتَ إلى المواضع التالية من القرآن الكريم : الحجر ٧٨-٧٩ ، العنكبوت ٣٦-٣٧ .

۞ خصائص قوم مَدْيَن[١] :

كان أهل مدين قوماً عرباً ، وقيل : كانوا بعد قوم لوط بمدة قريبة .

فقد كنا ذكرنا آنفاً في سيرة الخليل إبراهيم عليه السلام أنه بعد أن ماتت زوجته سارة ، تزوّج فتاة كنعانية من العمالقة أو الجراهمة الذين سكنوا حول الكعبة ، وأنجب منها أولاداً منهم مَدْيَن .

قال الكسائي : عاش مَدْيَن عمراً طويلاً ، وكان قد تزوّج امرأة من العمالقة فولدتْ له أربعة بنين ، فكثر عدد نسلهم في حياة مَدْيَن . فلما رأىٰ كثرة عَقِبه جَمَعَهم ، وأشار عليهم أن يبنوا مدينة ويُحَصِّنوها من العمالقة .

ففعلوا ذلك ، وجعلوا أبوابها من الحديد ، وسمَّوْها مَدْيَن باسم أبيهم ، وجعلوها مَحالَّ لقبائلهم .

فرغبت العمالقة في مجاورتهم ، وامتلأت المدينة من العمالقة ومِن أهلها حتىٰ ضاقت بهم ، فخرجت العمالقة مِن مَدْيَن ونزلوا بالأَيْكة ، وكانت غَيْضة[٢] عن يمين مَدْيَن ، فَبَنَوْا هناك الدُّور لأنفسهم ، واختلطوا بأهل مدين .

وكان أهل مدين يعبدون الله ، وكان أصحاب الأيكة يعبدون الأصنام ، ولا يَعْدُوا بعضهم علىٰ بعض .

قال الكسائي : وكان ملك الأيكة واسمه أبو جاد قد اتّخذ لقومه أصناماً ، وهي ثلاثون صنماً : عشرة من الذهب حَلاّها بالجوهر خاصّة به وبأولاده ، والبقية من الفضة والنحاس والحجارة والحديد والخشب لبقية الناس .

قال كعب الأحبار في تفسير أبجد : إنها أسماء ملوك مَدْيَن ، وقيل :

---

(١) : مدين هي قرية من أرض معان من أطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز ، قريباً من بحيرة لوط . ولا زالت إلى الآن تُزار وآثار الجدران موجودة ، يزرعون فيها الرمان واللوز والأشجار الكثيرة . ويقال : إنها منطقة البدع شمال غَرْبِيّ الحجاز .

(٢) : الغَيْضة هي الأَجَمة ومُجْتَمَعُ الشجر .

بل ملوك الأيكة . وهم : هَوَّزْ ، وحُطّي كَلمن ، وسعفص ، وقرشت[١] .

قال كعب : وكان أهل مدين أصحاب تجارات ، يشترون الحنطة والشعير وغيرهما من الحبوب ، ويجلبون ذلك من سائر البلدان ، ويتربّصون به الغلاء ، وهم أول من تَرَبَّص .

وكان لهم مَكِيلان : وافٍ يكتالون به لأنفسهم عند الشراء ، وناقص يكيلون به للإعطاء . وكذلك في وزنهم .

قال الله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾[المطففين] .

قال الكسائي : فكانوا على ذلك وشعيب بين أظهرهم وهو لا يخالطهم ، وله غنم ورثها من أبيه يأكل من منافعها ، وهو عظيم المَحَلِّ عندهم .

قيل : وكان أهل مدين كفاراً يقطعون السبيل ، ويُخيفون المارّة ، ويعبدون الأيكة[٢] .

قال السُّدّي في تفسيره عن الصحابة قولَه تعالى : ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ﴾[الأعراف: ٨٦] : إنهم كانوا يأخذون العشور من أموال المارّة .

وقال إسحاق بن بشير عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانوا قوماً طغاة بُغاة ، يجلسون على الطريق يبخسون الناس ، أيْ يُعَشِّرونهم .

وكانوا أول مَن سنّ ذلك ، فنهاهم شعيب عن ذلك ، عن قطع الطريق الحسية والمعنوية ، وذكّرهم بنعمة الله تعالى عليهم في تكثيرهم بعد القلة ، وحذّرهم نقمة الله بهم إنْ خالفوا ما أرشدهم إليه .

---

(١) : وقد وُجدت لهم آثار كذلك في دمشق في الإيمرية ، على باب المسجد الأموي الشرقي وتحت حماماته تماماً .

(٢) : هي شجرة من الأَيْك حولها غَيْضة ملتفّة بها .

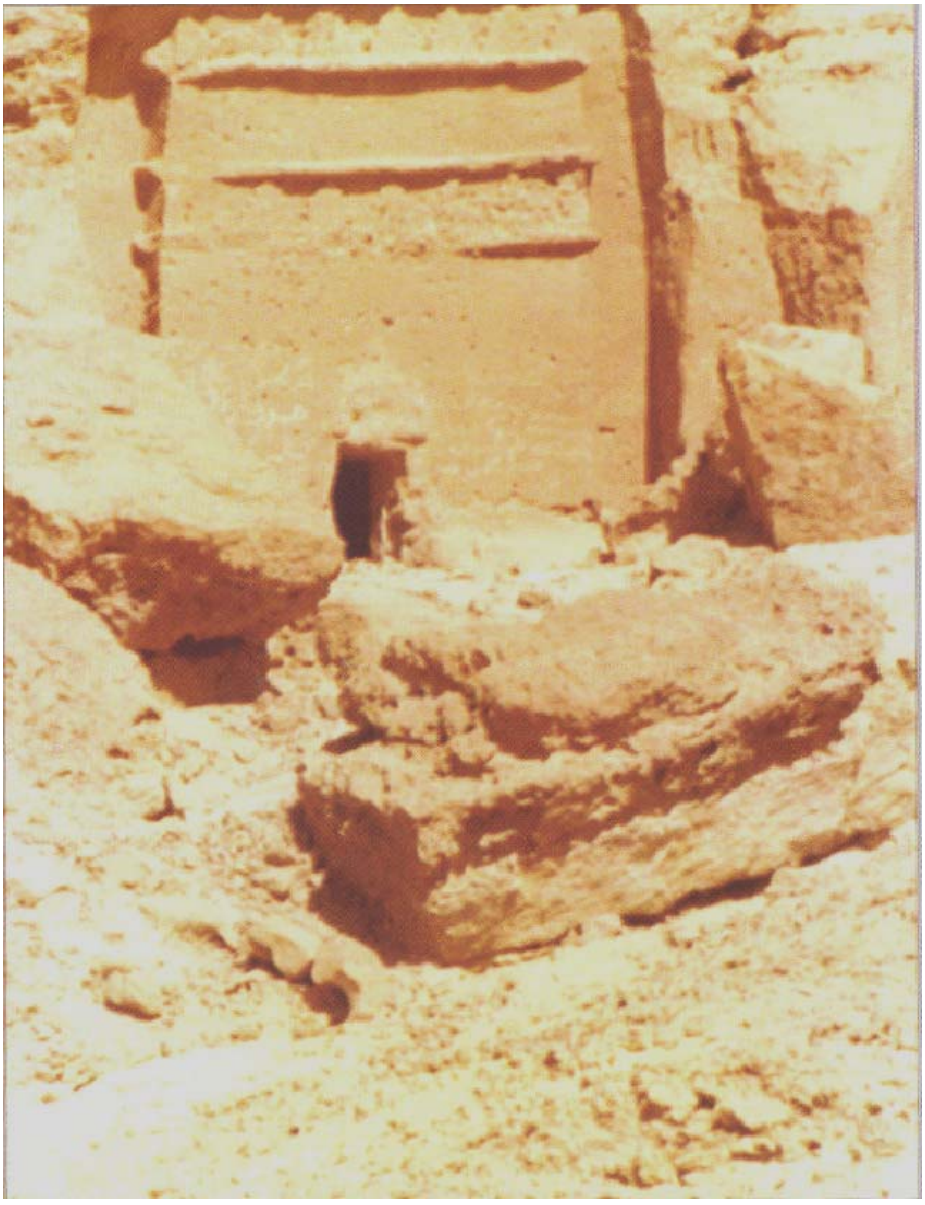

من أبرز آثار منطقة البدع الواقعة شرق خليج العقبة
(والتي يُعتقد أنها مدين) المقابر النبطية المنحوتة في الصخور ، والتي تُعرف باسم مغاير شعيب كما يوجد الكثير من الخرائب المتناثرة ، مما يدل على أنه قد تعاقبت عليها أمم كثيرة قبل الميلاد بعدة قرون

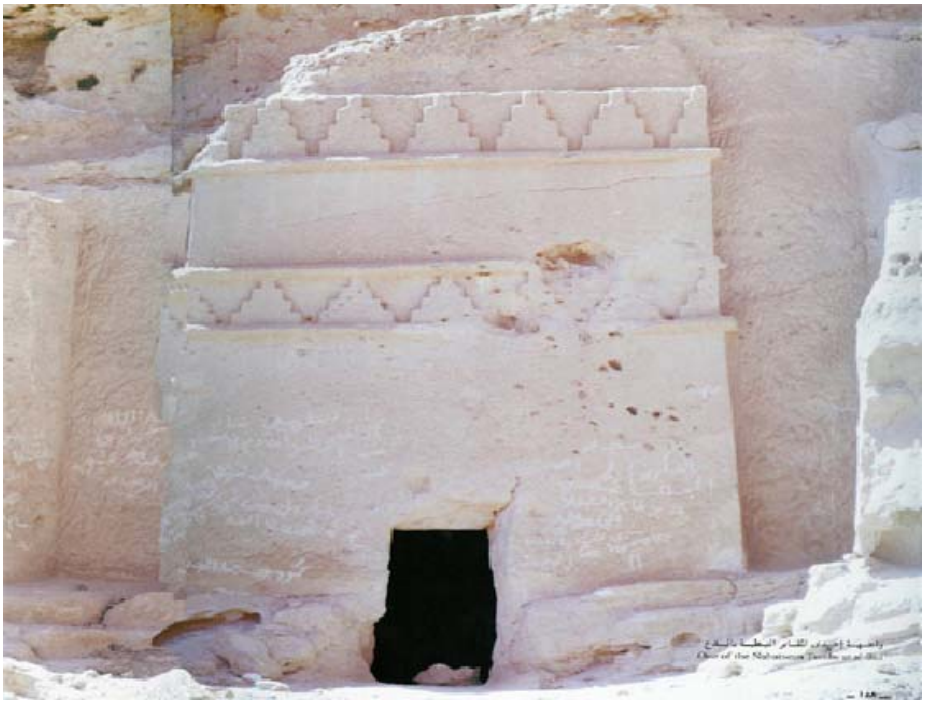



صور أخرى لمغاير شعيب بمنطقة البدع

۞ نسب شعيب عليه السلام :

هو شعيب بن صنعون بن عفّا بن ثابت بن مَدْين بن إبراهيم عليهما السلام.

ويقال : شعيب بن ضيفور بن عيفا بن ثابت بن مَدْين بن إبراهيم .

ويقال : شعيب بن نويب بن عيفا بن مَدْين بن إبراهيم .

ويقال : شعيب بن يشخب بن لاوىٰ بن يعقوب .

وقيل : هو ابن ميكيل بن يشجن ، من نسل إسحاق بن إبراهيم .

وقيل غير ذلك في نسبه .

قال ابن عساكر : ويقال : جدته أو أمه بنت لوط .

ويقال له بالسريانية : بنزون ، وفي هذا نظر كما قال صاحب النهاية .

۞ مولده ونشأته :

قال الكسائي : وكان صنعون والد شعيب – علىٰ القول الأول – من العُبّاد والعلماء بِمَدْين ، وكانت تحته امرأة من العمالقة ، فولدت له شعيباً في نهاية الجمال .

فلما كبر أعطاه الله فهماً وعلماً ، وكان قليل الكلام، دائم الفِكْر .

وكان أبوه إذا تأمّل ضعفه ونحافته يقول : اللهم إنك كثّرتَ الشعوب والقبائل في أرض مَدْين ، فبارك لي في شُعَيْبي هذا – يعني ولده – . فرأىٰ في منامه : إن الله تعالىٰ قد بارك لك في شُعَيْبك هذا ، وقد جعله نبياً إلىٰ أهل مَدْين . فسُمِّيَ شعيباً لذلك .

وتوفي والده ، فقام شعيب مقامه ، وبرّز بالزهد علىٰ أهل زمانه ، واشتُهر بالعبادة .

قال الكسائي : فبينما هو ذات يوم علىٰ باب منزله مشتغل بالذكر ، إذ جاءه رجل غريب فقال : إن هؤلاء القوم يظلمون الناس ، وإني اشتريتُ منهم مائة مكيال بمائة دينار ، وقبضوا الثمن وزيادة ، والذي كالَهُ منهم نقص عشرين مكيالاً . فقال له شعيب : ارجع إليهم ، فلعلّهم قد غلطوا عليك . قال : قد راجعتهم فضربوني وسبّوني ، وقالوا : هذه سنتنا في بلدنا . والْتَمَسَ الرجلُ من شعيب أن يساعده عليهم ، فخرج شعيب معه حتىٰ صار إلىٰ سوقهم ، وسألهم عن قصته فلم ينكروها ، وقالوا : ألم تعلم يا شعيب أن هذه سنة آبائنا في بلدنا ؟ قال : ليس هذا من السنة . فَعَذَلَهم فلم يرجعوا إلىٰ قوله ، وضربوا الرجل حتىٰ أَدْمَوْه ، وانصرف شعيب إلىٰ منزله .

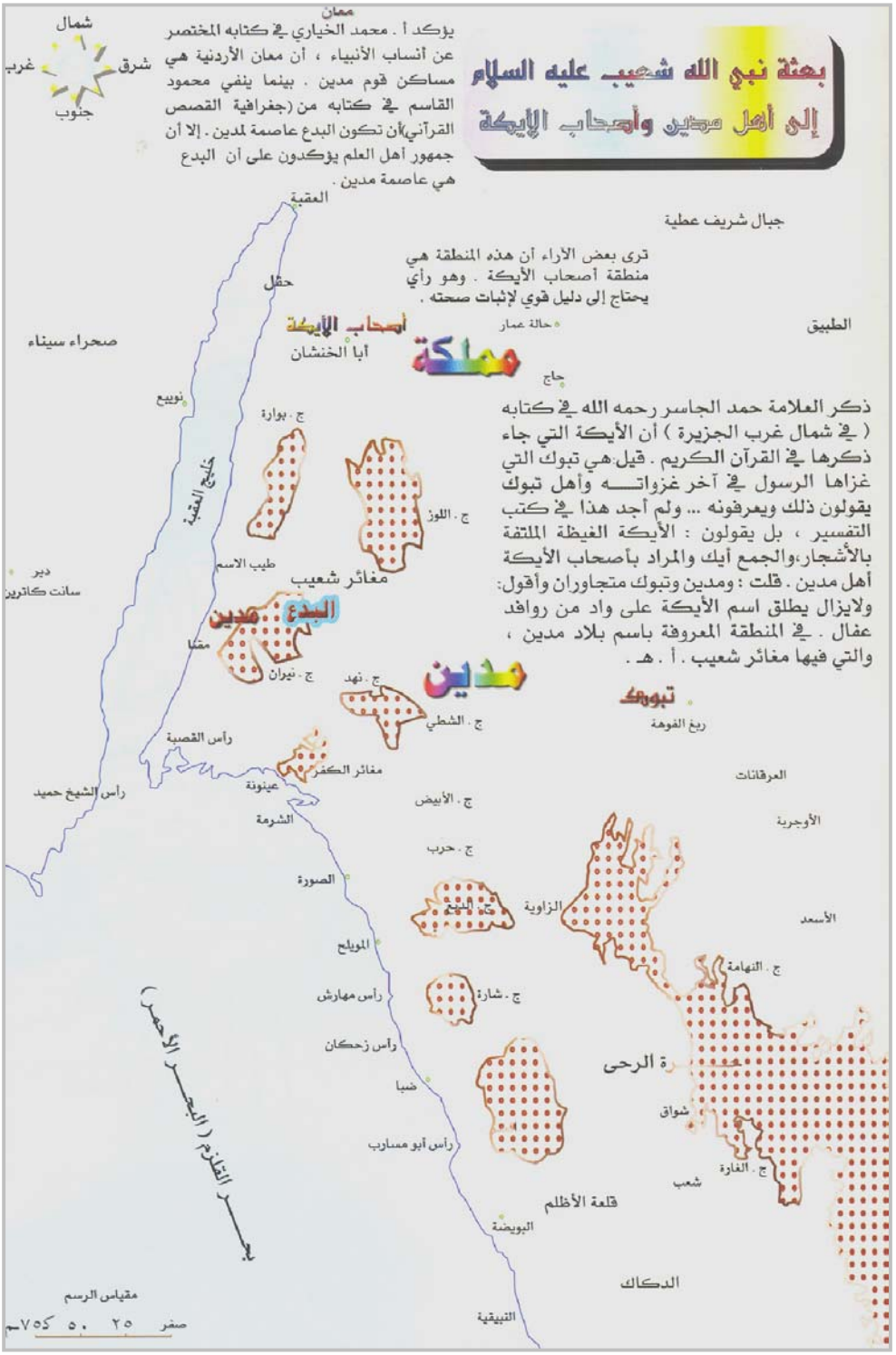

ذكر العلامة حمد الجاسر رحمه الله في كتابه (في شمال غرب الجزيرة) أن الأيكة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم . قيل هي تبوك التي غزاها الرسول في آخر غزواته وأهل تبوك يقولون ذلك ويعرفونه ... ولم أجد هذا في كتب التفسير ، بل يقولون : الأيكة الغيظة الملتفة بالأشجار، والجمع أيك والمراد بأصحاب الأيكة أهل مدين . قلت : ومدين وتبوك متجاوران وأقول: ولايزال يطلق اسم الأيكة على واد من روافد عفال . في المنطقة المعروفة باسم بلاد مدين ، والتي فيها مغائر شعيب . أ . هـ .

۞ مبعثه بالرسالة وتبليغه الدعوة :

قال الكسائي : فأتاه جبريل في الحال وأخبره أن الله قد بعثه رسولاً إلى أهل مَدْيَن وأصحاب الأَيْكة ، وغيرهم مِمَّن يعبدون الأصنام ، وأمره أن يدعوهم إلى عبادة الله وطاعته ، وألاّ يبخسوا الناس أشياءهم .

قال الكسائي : وأقبل شعيب إلى أهل مَدْيَن وقال لهم ما أخبر الله تعالى به في كتابه : ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ ﴾ [هود] . فلما سمعوا ذلك منه أجابوه بما أخبر الله به عنهم : ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ [هود] .

ثم انصرف عنهم وعاد إليهم من الغد وقد اجتمعوا مع ملكهم أبي جاد ، فوقف عليهم ونهاهم عن عبادة الأصنام ، وبَخْسِ المكيال والميزان . فقال له ملكهم : ﴿ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ [هود: ٩٠] ، فقال شعيب ما أخبر الله تعالى به عنه : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ ۖ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [هود: ٩٢] . فاستهزأ القوم به وسخروا منه ، وكانوا مِن أَشَرِّ الأقوام . هذا يُصَفِّق له ، وذاك يُصَفِّر ، وذاك يرقص ... وهكذا لا يُسمع قوله .

فقال : ﴿ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ۖ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ [هود: ٩٣] ، فكذّبه سفهاء قومه كما أخبر الله تبارك وتعالى عنهم حيث قال : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ

شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [الشعراء] .

ثم قال له المَلِك أبو جاد : قد بَلَّغْتَ رسالتك بزعمك يا شعيب ؟ قال : نعم بَلَّغْتُها ، فقال : وقد سمعنا وأبَيْنا ، فلا تعُدْ إلينا فترى ما لا طاقة لك به . فقال شعيب : أنا رسول الله إليكم ، وإني أدعوكم حتى ترجعوا إلى طاعة الله . فغضب الملك ، وانصرف عنهم شعيب ، وآمن به رجل من وزراء الملك واسْتَكْتَمَهُ إيمانَه ، فَكَتَمَهُ شعيب .

ثم عاد من الغد وقد خرج الملك ومَن معه إلى سوقهم ، وأخرجوا أصنامهم ونصبوها ، وأمر الملك في أهل مَدْيَن والأَيْكة : مَن سجد لأصنامنا فهو مِنّا ، ومَن أَبى عذّبناه عذاباً شديداً . فسجد القوم بأجمعهم للأصنام ، فناداهم شعيب : إنَّ هذه الأصنام لا تضر ولا تنفع ، فاتركوا عبادتها . وحذّرهم عذاب الله ، فقالوا : إنك تدعونا بغير حُجّة ، فهل لك حُجّة على دعواك النبوة ؟ قال لهم شعيب : إنْ نَطَقَتْ هذه الأصنام بصِدْق مقالتي أتؤمنون ؟ قالوا : نعم . فتقدّم شعيب إلى الأصنام وقال لها : أيتها الأصنام ، مَن ربك ، ومَن أنا ؟ تكلّمي بإذن الله . فنطقت الأصنام بإذن الله تعالى وقالت : ربنا الله ، وخالقنا الله خالق كل شيء ، وأنت رسول الله ونبيه . وتَنَكَّسَتْ عن كَراسِيِّها ، ولم يَبْقَ منها صنم صحيح .

وأرسل الله على قوم شعيب ريحاً كادت تنسفهم نسفاً ، فأسرع الملك ومَن معه إلى منازلهم ، وآمن بشعيب خَلْقٌ كثير .

ثم أصبح المَلِك ومَن معه فخرجوا إلى سوقهم ، ونصبوا ما كان قد بقي عندهم من الأصنام ، وأمرهم بالسجود لها . فأتاهم شعيب فنهاهم وحذّرهم ، فلم يرجعوا إليه ولم يردّوا عليه . وأمر الملك أصحابه أن يقعدوا له ومَن معه كل مرصد ، وأن يؤذوهم ويعذبوهم .

ثم قال الملك وقومه ما أخبر عنه تعالى في كتابه العزيز : ﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأعراف] .

فسيدنا شعيب عليه السلام لم يترك وسيلة إلاّ دعا قومه بها ، ولم يترك نوعاً من أنواع النصيحة إلاّ نصحهم بها . كان يمر على البلاد ، وعلى القرى والقبائل ، في الليل والنهار ، ينهاهم عن عبادة الأصنام ، وكان يجادل قومه جدالاً عنيفاً .

لهذا كان بعض السلف يُسَمّي شعيباً خطيب الأنبياء ؛ لفصاحته وعُلُوِّ عباراته ، وبلاغته في دِعاية قومه إلى الإيمان برسالته .

رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا ذَكَرَ شعيباً عليه السلام يقول : ذاك خطيب الأنبياء ؛ لِحُسْنِ دعائه قومَه ومراجعته ، وتَلَطُّفِه في الدعوة[1] .

۞ نزول العذاب على قوم مَدْيَن :

قال الكسائي : وإذا بريح قد هاجت عليهم ، فيها من الحر والكرب ما لا طاقة لهم به ، حتى رَمَوْا أنفسهم في الآبار والوديان والسراديب وأماكن المياه .

واشتدّ الحر ودام عليهم مدة ، وهم لا يزدادون إلا عُتُواً وتمرداً ، وشعيب يدعوهم ويحذرهم العذاب فيقولون : لسنا نرى من عذاب ربك إلاّ هذا الحر ، ونحن نصبر عليه .

وأقاموا على ذلك أعواماً كثيرة وهم لا يؤمنون ، فأرسل الله عليهم الذباب الأزرق ، فكان يلدغهم كالعقارب ، وربما قَتَل أولادهم .

---

(١) : ذكره الترمذي في النوادر واللفظ له ، والحاكم في المستدرك عن ابن إسحاق قال : وشعيب بن ميكائيل النبي بعثه الله نبياً ، فكان مِن خبره وخبر قومه ما ذكر الله في القرآن ، وكان رسول الله ﷺ إذا ذكره قال : ذاك خطيب الأنبياء ؛ لمراجعته قومه . كما ذكر ذلك أهل التفسير ، والطبري في تاريخه .

ثم تضاعف الحر عليهم فتحوّلوا من مَدْيَن إلى الأَيْكة ، فتضاعف الحر عليهم وتَنَقَّلوا من الأودية إلى الغِياض ، والحر يشتد عليهم حتى اسودّتْ وجوههم . فأقبل إليهم شعيب ودعاهم إلى الإيمان ، فنادوه : يا شعيب ، إنْ كان ما نلقاه لِكُفْرِنا بك وبربك فَزِدْنا منه ، فإنّا لا نؤمن .

فأوحى الله إلى شعيب أنه مُهْلِكُهم ، وأَمَرَه ومَن معه من المؤمنين أنْ يتحوّلوا عنهم .

فأرسل الله ﷻ عليهم رجفة شديدة رجّت بلادهم وتزلزلت ، ومات منهم عدد كبير ، فدعاهم شعيب فلم يتّعظوا .

۞ خبر عذاب يوم الظُّلّة :

قال تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [الشعراء] .

قال الكسائي : فلما كان مِن غَدِ يوم مقالتهم ما قالوه لشعيب وهو يوم الأربعاء ، وإذا بسحابة سوداء قد ارتفعت فأظلّتهم ، فاجتمعوا تحتها يَسْتَظِلُّون من الحر ، فانطبقت عليهم حتى لم يُبْصِرْ بعضُهم بعضاً ، واشتدّ الحر عليهم كثيراً ، ثم رَمَتْ بوهجها وحرها حتى أَنْضَجَتْ أكبادهم ، وأحرقتهم وجميع ما كان على وجه أرضهم .

كل ذلك وشعيب والمؤمنون ينظرون إلى ما نزل بهم من بعيد ، ويتأمّلون مصارعهم ، ولم يَنَلْهُم من ذلك مكروه .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ[1] فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾ [هود] .

ثم أقبل شعيب والمؤمنون ينظرون إلى مصارع القوم .

قال الله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ

---

(١) : أي صيحة جبريل .

ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ [1] ﴾ [الأعراف: ٩٣] .

ثم قسّم شعيب أموال الكفار على قومه الذين آمنوا به ، وتزوّج بامرأة من المؤمنين ، ورزقه الله تعالى رزقاً حسناً .

وفاة شعيب عليه السلام :

قال الكسائي : لم يزل شعيب عليه السلام بأرض مَدْيَن حتى كُفّ بصره[2]، وجاء موسى بن عمران من أرض مصر وزوّجه ابنته على ما سيأتي معنا إن شاء الله تعالى .

ثم تُوُفِّيَ شعيب ودُفِنَ في وادٍ بالأردن .

وقال وهب بن منبه : إن شعيباً عليه السلام مات بمكة ومَن معه مِن المؤمنين ، وقبورهم غربي الكعبة بين دار الندوة ودار بني سهم .

والله تعالى أعلم حيث قبور الأنبياء .



(١) : أي كيف أحزن على قوم كفروا أَنْعُمَ الله وعبدوا غيره ؟!

(٢) : لم يكن سيدنا شعيب كفَّ بصره، ولكن كبر سنه، حيث الأمراض المنفرة مستحيلة على جميع الأنبياء والمرسلين، ومنها: العمى، والبرص، والجنون، والجذام... إلى غير ذلك.



قبر سيدنا شعيب عليه السلام المعروف في الأردن ، والمسجد الذي بني عليه . وهو موجود في وادي شعيب قرب مدينة السلط شمال غرب عَمّان ، وقيل : إنه كان أطول من ذلك ثم قُصِّرَ ، والله أعلم

تم بحمد الله وتوفيقه

الجزء الأول من هذا الكتاب

ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الثاني وأوله

سيدنا موسى

عليه الصلاة والسلام

مولده ونشأته وفراره إلى مدين

وخبر فرعون

فهرس الآيات القرآنية

السورة	رقم الآية	الآيـــــة	الصفحة
البقرة	٣٠-٣٩	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً... وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾	٤٦-٤٧
	٣٠	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	٦٢/٥٨
			٢٦٧
	٣١-٣٣	﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ... وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾	٥٢
	٣٥	﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾	٦٠/٥٥
	٣٦	﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾	٦٤
	٣٧	﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	٧٠
	١٢٤	﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾	٢٦٥/٢٦٣
	١٢٥-١٢٩	﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى... رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾	٢٦٦
	١٢٥	﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾	٢٦٩
	١٢٧	﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾	٢٥٤

السورة	رقم الآية	الآيـــــة	الصفحة
البقرة	١٣٢–١٣٣	﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ... ﴾	/٢٦ ٣٦٤–٣٦٥
	١٨٦	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾	٦٣
	٢٥٨	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾	٢٠٩
	٢٦٠	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ ﴾	٢١٠
	٢٨١	﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ﴾	٣٣٩
	٢٨٥	﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾	٣٦
آل عمران	٦٧	﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾	٢٦
	٨٣	﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾	٢٦
	٨٥	﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾	٢٦
	٩٦–٩٧	﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ... وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾	٢٦٦
	١٧٣–١٧٤	﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ... فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ۚ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾	٢١٧
	١٨٥	﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ ﴾	٩٩

السورة	رقم الآية	الآيـــــة	الصفحة
النساء	١	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾	٥٤
	٩	﴿ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ ﴾	٢٠
	٢٣	﴿ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾	٣١٩
	٤٧	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم... ﴾	٢٥
	٦٥	﴿ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾	٢١٧
	٧٩ / ١٦٦	﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾	١٤٩
	١٢٥	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾	٢٢٣
المائدة	٣	﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾	٣١٥
	٢٧–٣١	﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا.. فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾	٨١
	٢٧	﴿ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾	٨٣/٨٢
	٣١	﴿ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾	٨١
الأنعام	٧٤	﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ... ﴾	٢٨٢/١٩٧
	٧٥–٧٩	﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ... حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾	٢٠٤
	٧٩	﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾	٢٣٨
	٨٠–٨٣	﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ... نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾	٢٠٥

السورة	رقم الآية	الآيـــــة	الصفحة
الأنعام	٨٣–٨٦	﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ... وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾	٣٦
	٨٤	﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ...﴾	٣٢٦
	١٦١	﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾	٢٦
	١٦٢–١٦٣	﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾	٢٣٨
الأعراف	١٦–١٨	﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ... لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾	٦٢
	٢٠	﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾	٥٧
	٢١	﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾	٥٨
	٢٢	﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ...﴾	٥٨
	٢٣	﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾	٧٠
	٥٩–٦٤	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ... إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾	١٠١
	٦٦–٧١	﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ... فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾	١٣٥–١٣٦
	٧٣–٧٩	﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ... وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾	١٥٩

السورة	رقم الآية	الآيـــــة	الصفحة
الأعراف	٧٥-٧٦	﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ... إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾	١٦٦
	٧٧-٧٩	﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ...وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾	١٧١-١٧٢
	٨٠-٨٤	﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ...وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾	٢٨٠
	٨٠-٨٢	﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ... أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾	٢٨٤-٢٨٥
	٨٥-٩٣	﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا... يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾	٤٠١
	٨٦	﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ﴾	٤٠٤
	٨٨-٨٩	﴿۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ... رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾	٤١١
	٩٣	﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾	٤١٢-٤١٣
	١٧٢-١٧٣	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ... أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾	٧٢-٧٣
	١٧٢	﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ﴾	٣٥
	١٨٩	﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا...﴾	٧٨

السورة	رقم الآية	الآيـــــة	الصفحة
التوبة	١١٢	﴿ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾	٢٦٤
يونس	٧١–٧٣	﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ... وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾	١٠١
هود	٣٦–٣٧	﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ... وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾	١٠٧
	٣٨–٣٩	﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ... وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾	١٠٨
	٤٠	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ... ﴾	١١٠
	٤١–٤٣	﴿ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَا ۚ... وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾	١١١
	٤٤–٤٧	﴿ وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى... وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾	١١٢
	٤٦	﴿ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ﴾	١١١
	٤٨	﴿ قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ ﴾	١١٣
	٥٠	﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾	١٣٤
	٥٣–٥٧	﴿ قَالُوا۟ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا... وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ ﴾	١٣٦

السورة	رقم الآية	الآيـــــة	الصفحة
هود	٥٨	﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾	١٤٢
	٦١–٦٣	﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا... فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾﴾	١٦٥
	٦٤–٦٨	﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً... أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾	١٧٢
	٦٥	﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾	١٧٤–١٧٦
	٦٧	﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾	١٧٦
	٦٩–٧٣	﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ... رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾	٢٥٤
	٧٠–٧٣	﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ... إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾	٢٥٦
	٧١	﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾	٢٥٧/٣١٢
	٧٤–٧٦	﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ ...وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾	٢٥٦
	٧٥	﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾	٢٣٧
	٧٧–٨٣	﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا... مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾	٢٨٠
	٧٨–٨٠	﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ... قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾	٢٨٨

السورة	رقم الآية	الآيـــــة	الصفحة
هود	٨١	﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ...﴾	٢٨٩-٢٩٠
	٨٢-٨٣	﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾	٢٩٠
	٨٢	﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾	٢٩٣
	٨٤-٩٥	﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا... كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾	٤٠١-٤٠٢
	٨٤-٩٣	﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا... وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾﴾	٤٠٩
	٩٤-٩٥	﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا... أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾	٤١٢
يوسف	٤-٦	﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا... كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾	٣٢٨-٣٢٩
	٨-١٤	﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا... قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾	٣٢٩
	١٥	﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ...﴾	٣٣٠
	١٧	﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ...﴾	٣٣٢
	١٨	﴿وَجَاءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ...﴾	٣٣٣

السورة	رقم الآية	الآيـــــة	الصفحة
يوسف	١٩–٢٠	﴿ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾	٣٣٤
	١٩	﴿ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ ﴾	٣٣٣
	٢١	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ ﴾	٣٣٦
	٢١	﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ... ﴾	٣٤٣
	٢٣	﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ... ﴾	٣٣٧
	٢٤	﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ... ﴾	٣٣٨
	٢٥–٢٧	﴿ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا... وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾	٣٤٠
	٢٥	﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ ﴾	٣٣٩
	٢٨–٣٢	﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ... وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾	٣٤١
	٣٠	﴿ قَدۡ شَغَفَهَا حُبّٗاۖ... ﴾	٣٣٦
	٣١–٣٣	﴿ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا... وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾	٣٤١–٣٤٢
	٣٦–٤١	﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ... قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴾	٣٤٥–٣٤٦
	٤١–٤٢	﴿ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ ...فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾	٣٤٧

السورة	رقم الآية	الآيـــــة	الصفحة
يوسف	٤٤–٤٥	﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ... ﴾	٣٤٨
	٤٧	﴿فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾	٣٤٩
	٤٨	﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾	٣٤٩
	٥٠–٥٤	﴿قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ... وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ ﴾	٣٤٨
	٥٥	﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ ﴾	٣٤٩–٣٥٠
	٥٨–٦٢	﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ ... وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾	٣٥٥
	٦٣–٦٧	﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ... إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾	٣٥٥–٣٥٦
	٦٩	﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ ﴾	٣٥٦
	٧٠–٧٧	﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ... قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾	٣٥٧
	٧٧	﴿۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ ﴾	٣٥٨
	٧٨–٨٢	﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا... وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾	٣٥٨
	٨٢–٨٦	﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ... قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾	٣٥٩
	٨٧–٨٨	﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ... فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾	٣٦٠

السورة	رقم الآية	الآيـــــة	الصفحة
يوسف	٨٩–١٠٠	﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ... وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ... ﴾	٣٦١– ٣٦٣
الرعد	٣٣	﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ ﴾	٣٣٩
إبراهيم	٣٥–٤١	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا... رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾	٢٤٠
	٣٧	﴿ رَبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ... ﴾	٢٤١–٢٤٢
	٣٩	﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾	٢٥٧
الحجر	٩	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾	١٤٢
	٢٦	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾	٤٧–٤٨
	٢٩	﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾	٥٢
	٣٦–٣٨	﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾	٦٢
	٤٨	﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾	٩٩
	٥١–٥٦	﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا... وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾	٢٥٤–٢٥٥
	٦٦	﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾	٢٩٠
	٧٠	﴿ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾	٢٨٨
	٨٠–٨٤	﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ ... فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾	١٥٩
	٨٢	﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾	١٦٠

السورة	رقم الآية	الآيـــــة	الصفحة
النحل	٣٦	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ... فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾	٣٩
	١٢٠-١٢٣	﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ... أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾	٢٢٣
	١٢٠-١٢٢	﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ...وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾	٢٦٦
الإسراء	١١	﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾	٥١
	٣٢	﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾	٣٣٩
	٥٩	﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾	١٧٠
	٦٤	﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم...﴾	٦٣
	٨٥	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي...﴾	
	١١١	﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ...﴾	٢٧
الكهف	٢٣-٢٤	﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾	٢٢
مريم	٤١-٤٨	﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ... عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾	٢٠٦-٢٠٧
	٤٩-٥٠	﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ... وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾	٣١٠
	٥٤-٥٥	﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ...وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾	٢٤٠
	٥٦-٥٧	﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾	٩٧/٩٤

السورة	رقم الآية	الآيـــــة	الصفحة
مريم	٥٧	﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾	١٠٠
	٥٨	﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾	٨٩
	٧١	﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾	٩٩
طه	١١٥	﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾	٥٨
	١١٧	﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾	٥٥
	١٢١	﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾	٥٩
الأنبياء	٣٧	﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾	٧٦/٥١
	٤٧	﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾	٣١
	٥١–٧٠	﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ... وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾	١٩٤
	٥١–٥٤	﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ... قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾	٢٠٥
	٥٨	﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾	٢١٤
	٥٩–٦٨	﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ ... قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾	٢١٤–٢١٥
	٦٣	﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾	٢٢٩
	٦٩	﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾	٢١٧/٢١٩
	٧٠	﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾	٢٢١
	٧١	﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾	٢٢٣
	٧٢–٧٣	﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ ... وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾	٣١٠

السورة	رقم الآية	الآيـــــة	الصفحة
الأنبياء	٧٤-٧٥	﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ... وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾	٢٩١
	٨٣-٨٤	﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ...رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾	٣٨١/٣٧٣
	٨٥-٨٦	﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾	٣٩٦/٩٤
	٨٧	﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	٧٠
	١٠٧	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾	٦
الحج	٢٦-٢٧	﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ... يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾	٢٦٧
	٢٧	﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾	٢٧٢
	٧٨	﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ... ﴾	٢٦-٢٧
المؤمنون	٩	﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾	٢٦٤
الشعراء	٦٩-٩١	﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ ... وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ ﴾	٢٠٦
	٨٨-٨٩	﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾	٣٤
	١٠٥-١٢٢	﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ ...وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ ﴾	١٠١-١٠٢

السورة	رقم الآية	الآيـــــة	الصفحة
الشعراء	١٢٣–١٤٠	﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ ... وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ ﴾	١٢٨
	١٤٢–١٥٤	﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ ... مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ ﴾	١٦٥–١٦٦
	١٥٥–١٥٨	﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ ... فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ ﴾	١٧٢
	١٦٠–١٧٥	﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ ... وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ ﴾	٢٨٠–٢٨١
	١٦٧–١٦٩	﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾	٢٨٤
	١٧٦–١٩١	﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ... وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ ﴾	٤٠٢
	١٧٦–١٨٨	﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ ... فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾	٤٠٩–٤١٠
	١٨٩–١٩٠	﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾	٤١٢
النمل	٤٨–٥٢	﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ ... فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾	١٧٢
	٤٨–٥٠	﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ... وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾	١٧٣

السورة	رقم الآية	الآيـــــة	الصفحة
القصص	٥٧	﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾	٢٧١
العنكبوت	١٤	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾	١١٥
	١٦–٢٥	﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ... وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾	١٩٤–١٩٥
	١٦–٢٣	﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ... أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾	٢١٣
	٢٦	﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ....﴾	٢٢٣
	٢٨–٢٩	﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ... فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾	٢٨٥
	٢٩	﴿قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾	٢٨٤
	٣١–٣٢	﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟... لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾	٢٨٥–٢٨٦
	٣٥	﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾	٢٩١/٣٠٩
	٦٧	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾	٢٧١
الأحزاب	٧	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ...﴾	٣٧
	٢٣	﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ...﴾	٩
	٣٥	﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ... أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾	٢٦٤
	٧٢	﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾	٥٤

السورة	رقم الآية	الآيـــــة	الصفحة
الصافات	٨٣–٩٨	﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ... فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾	١٩٥
	٨٩–٩٣	﴿ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ ... فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ ﴾	٢١٣–٢١٤
	٨٩	﴿ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾	٢٢٩
	٩٥	﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾	٢١١
	٩٨	﴿ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾	٢٢١
	٩٩–١١٣	﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ ... وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾	٢٤٠
	١٠١–١١١	﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ... إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ ﴾	٢٥٧
	١٠٢	﴿ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾	٢٦٢–٢٦٣
	١٠٣–١٠٥	﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾	٢٦٢
	١٠٧	﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾	٢٦٣
	١١٢	﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾	٢٥٧
	١١٢–١١٣	﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾	٣١٠
ص	٤١–٤٤	﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ... إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾	٣٧٣
	٤٢	﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾	٣٩١
	٤٤	﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ... ﴾	٣٩٢

السورة	رقم الآية	الآيـــــة	الصفحة
ص	٤٤	﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾	٣٩٣
	٤٥–٤٧	﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ ... وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾	٣١٠
	٤٨	﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾	٣٩٦
	٧١–٧٢	﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾	٤٨
	٧٣–٧٦	﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ ... قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾	٥١
	٧٥–٧٦	﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ ... قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾	٥٢–٥٣
	٧٧–٧٨	﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾	٦٣
غافر	٢١	﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا ...﴾	١٧٨
	٣٤	﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ...﴾	٣٢٦
	٧٨	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۖ﴾	٥/ ٣٦
فصلت	١٥	﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ ...﴾	١٣٤
	١٥	﴿وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ﴾	١٢٩
	١٦	﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ...﴾	١٤١
	٢٩	﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ...﴾	٧٣

السورة	رقم الآية	الآيـــــة	الصفحة
الأحقاف	٢١–٢٦	﴿۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ... وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾	١٢٨
	٢٤–٢٥	﴿قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا... تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾	١٤٠
ق	٣٧	﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾	٣٣
الذاريات	٢٤–٣٠	﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ ... قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾	٢٥٤–٢٥٥
	٢٩–٣٤	﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ ... لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾	٢٥٥–٢٥٦
	٣٥–٣٧	﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ ... وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾	٢٩١
النجم	٣٧	﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾	٢٦٤
	٥٣–٥٤	﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾	٢٩٠
القمر	١٢	﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾	١١٠
	١٩–٢٠	﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾	١٤١
	٢٤–٢٦	﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾	١٦٦
	٢٧–٢٨	﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾﴾	١٧٠
	٢٩	﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾	١٧٤
	٣١	﴿فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾	١٧٥

السورة	رقم الآية	الآيـــــة	الصفحة
القمر	٣٣-٤٠	﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ ... فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾	٢٨٩
الرحمن	١٤	﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾	٤٩
الحشر	٢	﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾	١٩٣
الحاقة	٧-٨	﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ... فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾	١٤١
نوح	٥-٧	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ ... جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾	١٠٦
	٢٥	﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾	١١١
	٢٦-٢٧	﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾	١٠٧
الانفطار	١٠-١٢	﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾	٣٣٩
المطففين	١-٦	﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ ... لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾	٤٠٤
الأعلى	١٤-١٩	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾	٢٣٨
الفجر	٦-٨	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾﴾	١٤٤ ١٤٦-١٤٧
العلق	٦-٧	﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾	١٣٠

فهرس الأحاديث الشريفة والأخبار

الحديث	الصفحة
– ابتلى الله عزّ وجلّ إبراهيم عليه السلام بالطهارة : خمس في الرأس ، وخمس في الجسد	٢٦٤
– ابنوا لي بيتاً في الأرض يتعوّذ به مَن سخطتُ عليه مِن بني آدم ، ويطوف حوله كما طفتم حول عرشي	٢٦٧
– احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما ، فحجّ آدم موسى	٥٩
– أحسن كلمة قالها أبو إبراهيم إذْ قال لَمّا رأى ولده على تلك الحال : نِعْمَ الرب ربك يا إبراهيم	٢١٨
– اختتن إبراهيم النبي عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم	٢٦٥
– إذا أراد الله بقوم خيراً أرسل عليهم المطر ، وحبس عنهم كثرة الرياح	١٤١
– إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً ، فإن لهم دماً ورَحِماً	٢٢٩
– أربعة من العرب : هود ، وصالح ، وشعيب ، ونبيك يا أبا ذر	٣٦
– اقتلوا الوزغ ، فإنه كان ينفخ على إبراهيم عليه السلام النار	٢١٥
– الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة	٣٤٣
– المؤمن الزاهد والمملوك الصالح آمنان من الحساب	٢٧
– أَمّا إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم ، وأما موسى فجعد آدم على جمل أحمر	٢٣٦
– أَمَرَ ﷺ بقتل الوزغ وقال : كان ينفخ على إبراهيم	٢١٥
– إنّ الكريمَ بنَ الكريمِ بنِ الكريمِ بنِ الكريمِ يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيم خليل الله	٣٢٦
– إنّ الله خَلَق آدم مِن قبضة قبضها من جميع الأرض	٤٨

الحديث الصفحة

- إنّ الله سيفتتح عليكم بعدي مصر ، فاستوصوا بقبطها خيراً ، فإن لهم منكم صهراً وذمة..... ٢٢٩
- إن الله عزّ وجلّ لم يُعْطِ جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقل محمد ﷺ إلاّ كحبة رمل من بين رمال جميع الدنيا ٣١
- إنّ الله عزّ وجلّ لَمّا فرغ من جميع خَلْقه يوم الجمعة ، أقْبَلَ يوم السبت فمدح نفسه بما هو أهله..... ٣١
- إنّ الله يحتجّ يوم القيامة بسليمان على الأغنياء ، وبيوسف على الأرقاء ، وبأيوب على أهل البلاء..... ٣٩٤
- إنّ عند ابن الحميرية لَعِلْماً كثيراً..... ٢٧
- إنّ في الجنة قصراً من در لا صدع فيه ولا وهن ، أعدّه الله لإبراهيم نزلاً ٢٣٨
- إنْ كان الرجل من قوم عاد يتّخذ المصراعين من حجارة لو اجتمع عليها خمسمائة رجل من هذه الأمة لم يطيقوه..... ١٣٠
- إن نبي الله أيوب لبث في بلائه ثماني عشرة سنة ، فرفضه القريب والبعيد إلاّ رجلين من إخوانه ٣٩١
- إنّا نُشَبِّه عثمان بأبينا إبراهيم عليه السلام..... ٢٣٦
- إنما يوزن من الأعمال خواتيمها ٣١
- أُهبط مع آدم بيت ، فكان يطوف به والمؤمنون مِن ولده إلى زمان الغرق ، ثم رفعه الله تعالى فصار في السماء ، وهو البيت المعمور..... ٢٦٨
- أوحى الله تعالى إلى آدم : إذا هبطتَ ابْنِ لي بيتاً ، ثم احفف به كما رأيت الملائكة تحف بعرشي الذي في السماء ٢٦٧

الحديث الصفحة

– أوحى الله تعالى إلى موسى أنّ الذنب لا يُنسى ، وأن الديّان لا يموت ٢٧–٢٨
– أول ما اتخذ النساء المِنْطق مِن قِبَل أم إسماعيل ، اتخذت مِنْطقاً لِتُعَفِّيَ أثرها على سارة..... ٢٤٢
– بينما أيوب يغتسل عرياناً ، خَرَّ عليه رِجْل جراد من ذهب..... ٣٩٠
– تكلّم أربعة وهم صغار ، وذكر شاهد يوسف ٣٤٠
– ثم صعدنا إلى السماء الرابعة ، فإذا أنا بإدريس قد رفعه الله مكاناً عَلِيّاً..... ١٠٠
– ثم عُرِجَ بنا إلى السماء الربعة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : مَن هذا ؟..... ١٠٠
– جعل إبراهيم عليه السلام يقول : أتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن ؟..... ٢٨٦
– حدّثنا ﷺ أنّ إبراهيم حين أُلْقِيَ في النار ، لم تكن في الأرض دابة إلاّ تطفئ النار عنه، غير الوزغ كان ينفخ عليه..... ٢١٦
– حسبنا الله ونِعْمَ الوكيل ، قالها إبراهيم حين أُلْقِيَ في النار..... ٢١٧
– ذهبتُ إلى مدائن صالح وقِسْتُ صدر الناقة ، فكان ستين ذراعاً..... ١٧٠
– رأيتُ عيسى بن مريم وموسى وإبراهيم ، أما عيسى فأحمر جعد..... ٢٣٦
– رحم الله أخي يوسف ، لو لم يقل : اجعلني على خزائن الأرض ، لاستعمله من ساعته ، ولكن أخّر ذلك عنه سنة..... ٣٥٠
– سام أبو العرب ، وحام أبو الحبش ، ويافث أبو الروم ١١٣
– سيكون رجلان في أمتي : أحدهما يقال له : وهب يؤتيه الله تعالى الحكمة ، والآخر يقال له : غيلان هو أضر على أمتي من إبليس ٢٩
– عُرِضَ عليّ الأنبياء فإذا موسى ضَرْب من الرجال كأنه من رجال شنوءة..... ٢٣٦
– عشر من الفطرة : قص الشارب ، وإعفاء اللحية..... ٢٦٤
– فاتحة التوراة فاتحة الأنعام ، وخاتمة التوراة خاتمة سورة هود..... ٢٧

الحديث الصفحة

- فأتيتُ رسول الله ﷺ وهو ممسك بعيره وهو يقول : ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم..... ١٧٨
- فاركبوها واعلفوها فإنها ميامين ، وهي ميراث أبيكم إسماعيل..... ٢٧٣
- فرفع البيت هو وإسماعيل حتى انتهى إلى موضع الركن ، فقال لابنه: يا بني، آبغني حجراً أجعله عَلَماً للناس..... ٢٦٩
- في كل مائة ألف عام يُخرج إبليس من النار ويقال له : إذا سجدتَ لآدم غفرنا لك..... ٥٣
- قال إبراهيم : ما كنت يوماً وليالي أطيب عيشاً إذْ كنتُ فيها ، وودتُ أنّ عيشي وحياتي كلها مِثْل إذْ كنتُ فيها..... ٢٢١
- قال أيوب : اللهم إن كنتَ تعلم أني لم أبت ليلة قط شبعاناً وأنا أعلم مكان جائع فَصَدِّقْني ، فصُدِّقَ من السماء..... ٣٩١
- قال رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه : وكم البِضْع ؟ فقال : ما بين الثلاث إلى السبع ، فقال : اذهب فزائد في الخطر..... ٣٤٧
- قد أثنيت عليك بالصبر قبل وقوعك في البلاء وبعده ، ولولا أني وضعت تحت كل شعرة منك صبراً ما صبرتَ..... ٣٩٠
- كان إبراهيم أول مَنْ تسرول ، وأول مَن فَرَق ، وأول مَن استحدّ..... ٢٦٥
- كان رسول الله ﷺ إذا ذكر شعيباً يقول : ذاك خطيب الأنبياء..... ٤١١
- كان لأيوب أخوان ، فجاءا يوماً فلم يستطيعا أن يدنوا منه مِن ريحه..... ٣٩٠-٣٩١
- لا تدخلوا على هؤلاء القوم المُعَذَّبين إلاّ أنْ تكونوا باكين..... ١٧٧
- لم يتكلّم في المهد إلاّ ثلاثة : عيسى ، وصاحب يوسف ، وصاحب جريج..... ٣٤٠
- لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلاّ ثلاث كذبات : ثنتين في ذات الله ، وواحدة في شأن سارة..... ٢٢٩

الحديث الصفحة

- لَمّا اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب ، أسألك بحق محمد لَما غفرتَ لي..... ٧٠
- لَمّا أُلْقِيَ إبراهيم ، جعل خازن المطر يقول : متى أُومر بالمطر فأُرسله ؟..... ٢١٧
- لَمّا أُلْقِيَ إبراهيم في النار قال : اللهم إنك في السماء واحد ، وأنا في الأرض واحد أعبدك..... ٢١٧
- لَمّا خَلَق الله آدم مَسَحَ ظهره ، فسقط مِن ظهره كل نسمة هو خالقها ٨٦
- لَمّا عافى الله أيوب ، أمطر عليه جراداً من ذهب ٣٩٠
- لَمّا كان في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحِجْر يدخلون عليهم..... ١٧٨
- لَمّا مَرَّ ﷺ بمنازلهم – منازل ثمود – ، قَنَعَ رأسَه وأَسْرَعَ راحلته..... ١٧٧
- لَمّا نزل رسول الله ﷺ بالناس عام تبوك ، نزل بهم الحِجْر عند بيوت ثمود ١٧٧
- لو اتخذنا من مقام إبراهيم مُصَلّى ؟..... ٢٦٩
- ليس أحد أكثر حديثاً مني – أي من أبي هريرة – إلاّ عبد الله بن عمرو بن العاص ، فإنه كان يكتب ولا أكتب..... ٢٩
- مكث آدم في الجنة مائة عام ، وبكى على الجنة سبعين عاماً..... ٨٣
- مَنْ رآني في المنام فقد رآني ، فإن الشيطان لا يتمثل بي..... ٨٣–٨٤
- مَنْ قَتَلَ وزغاً في أول حصول كُتِبَتْ له مائة حسنة..... ٢١٦
- مَنْ قتل وزغة بالضربة الأولى فله كذا وكذا حسنة ٢١٦
- مَنْ وجدتموه يعمل عمل قوم لوط ، فاقتلوا الفاعل والمفعول به..... ٢٩٣
- مَنْ وَكَلَ إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر..... ٣٠
- هاجر إبراهيم عليه السلام بسارة ، فدخل بها قرية فيها ملك من الملوك ، أو جبار من الجبابرة..... ٢٣١

الحديث الصفحة

- وإنّ مِنْ عبادي مَن لا يصلح إيمانه إلاّ بالفقر ، ولو أغنيته لكفر ١٣٠
- وأنزل الله على إبراهيم عشر صحائف ٢٣٨-٢٣٩
- وكان له أندران : أندر للقمح ، وأندر للشعير . فبعث الله سحابتين ، فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض ، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الوَرِق حتى فاض ٣٩١
- وُلِدَ إبراهيم بغوطة دمشق ، وفي قرية يقال لها : برزة ٢٠٠
- يا رسول الله ، كم كتاباً أنزله الله ؟ قال : مائة كتاب وأربعة كتب ٩١
- يرحم الله أم إسماعيل ، لو تركت زمزم لكانت عيناً مَعيناً ٢٤٣
- يرحم الله لوطاً ، لقد كان يأوي إلى ركن شديد ٢٨٩
- يقول الله لعباده الصابرين الراضين بالفقر : أَبْشِروا ولا تحزنوا ، فإن الدنيا لو وزنت عند الله جناح بعوضة مما لكم عندي ما أعطيتهم منها شيئاً ٢٧

فهرس الخرائط والصور

أولاً : الخرائط :

مخطط لأسماء الأنبياء والرسل المذكورين في القرآن الكريم..... ٤١

الأنبياء والرسل الذين بعثوا في جزيرة العرب وورد ذكرهم في القرآن..... ٤٢

الأنبياء والرسل الذين بعثوا في أرض العراق وورد ذكرهم في القرآن..... ٤٣

الأنبياء والرسل الذين بعثوا في بلاد الشام وورد ذكرهم في القرآن..... ٤٤

الأنبياء والرسل الذين بعثوا في أرض مصر وورد ذكرهم في القرآن..... ٤٥

مكانا هبوط آدم وحواء عليهما السلام..... ٦٨

بعثة نبي الله إدريس عليه الصلاة والسلام..... ٩٥

بعثة نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام..... ١٠٤

ذرية نوح عليه الصلاة والسلام وانتشارهم في الأقاليم..... ١١٤

بعثة نبي الله هود عليه الصلاة والسلام..... ١٣٣

بعثة نبي الله صالح عليه الصلاة والسلام..... ١٦٤

بعثة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام..... ٢٠٨

هجرة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام..... ٢٢٤

بعثة نبي الله إسماعيل عليه الصلاة والسلام..... ٢٧٧

بعثة نبي الله لوط عليه الصلاة والسلام..... ٢٨٣

مكان وقوف إبراهيم الخليل ينظر عذاب قوم لوط..... ٢٨٧

البحر الميت وموقع مدائن لوط..... ٣٠٨/٣٠٩

بعثة نبي الله إسحاق عليه الصلاة والسلام..... ٣١١

بعثة نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام..... ٣١٦

بعثة نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام..... ٣٤٤
بعثة نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام..... ٣٧٥
بعثة نبي الله ذي الكفل عليه الصلاة والسلام..... ٣٩٩
بعثة نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام..... ٤٠٨

ثانياً : الصور :

صورة المؤلف..... ٧
سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام:
– جبل بوذ وقمة آدم حيث هبط عليه السلام في سيريلانكا..... ٦٥–٦٧
– أثر قدم آدم عليه السلام مُعَلِّمة في الصخر حيث هبط..... ٦٧
– جبل الرحمة والمكان الذي اجتمع فيه أبونا آدم وأمنا حواء..... ٧٥
– مغارة الدم في جبل قاسيون..... ٨٤
– الكهف الذي عزّت فيه الملائكة أبانا آدم بابنه هابيل..... ٨٥
– قبر هابيل الموجود على مفرق طريق الزبداني وبيروت..... ٨٥
– قبر حواء في جدة على ما يقول العوام..... ٨٨
سيدنا شيث عليه الصلاة والسلام:
– قبر نبي الله شيث..... ٩٢
سيدنا إدريس عليه الصلاة والسلام:
– نسخة نادرة من الصحائف المنسوبة إلى النبي إدريس والموجودة في الجامعة الأمريكية ببيروت..... ٩٦

سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام :

- مسجد الكوفة ومكان التنور ١٠٨/١٠٩
- قبر سيدنا نوح في الكرك..... ١١٦
- الصورة التي التقطت لمنطقة جبل أرارات من الجو ويبدو فيها شكل السفينة . ١١٨
- الصخور التي يعتقد أنها استخدمت كمرساة لسفينة نوح ١١٩
- بقايا بيت قديم جداً بالقرب من موقع السفينة ١٢٠
- سفينة نوح بعد ظهورها على السطح..... ١٢١
- الألواح الخشبية كما تظهر على جانبي السفينة..... ١٢٢
- قطع خشبية متحجرة وجدت بالقرب من موقع السفينة..... ١٢٣
- خريطة موقعية بيانية توضح شكل السفينة وحجمها ١٢٤
- نموذج تقريبي يوضح الشكل الخارجي لسفينة نوح ١٢٥
- نموذج تقريبي يوضح الشكل الداخلي لسفينة نوح وطبقاتها..... ١٢٦

سيدنا هود عليه الصلاة والسلام:

- منظر عام لمرقد نبي الله هود..... ١٤٣
- الصورة التي نشرتها صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية لعمليات التنقيب في صحراء الربع الخالي حيث المدينة المفقودة..... ١٥٤
- الصور الرادارية التي التقطت لمنطقة الربع الخالي عبر الأقمار الصناعية ١٥٥
- رسم نموذجي لموقع القلعة المكتشفة ١٥٥
- بعض آثار أبراج القلعة التي ظهرت على السطح..... ١٥٦/١٥٧
- الهيكل العملاق الذي وجدته شركة أرامكو السعودية في صحراء الربع الخالي ١٥٨

سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام:

- صورة عامة لموقع مدائن صالح..... ١٧٩
- صور مختلفة للآثار العمرانية في مدائن صالح ، وأسماؤها المعروفة محلياً (قصر البنت ، قصر الفريد ، قصر الصانع ، قصر العجوز ، الديوان أو مجلس السلطان ، المدافن ، وغيرها)..... ١٨٠-١٩١
- محلب الناقة..... ١٨٢
- آثار وطء أقدام الناقة محفورة في الصخر..... ١٩٢

سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام:

- صور للغار الذي ولد فيه سيدنا إبراهيم عليه السلام من الداخل والخارج في مدينة أورفا بتركيا وقد بني عليه مسجد..... ٢٠٢/٢٠٣
- بحيرة إبراهيم في مدينة أورفا بتركيا والتي يعتقد بأنها مكان النار التي أشعلت لإبراهيم الخليل..... ٢٢٠
- قرية حرّان حيث سكن إبراهيم عليه السلام ومنازلها المخروطية..... ٢٢٦
- آثار بعض الأبواب الأصلية القديمة لمدينة حرّان..... ٢٢٥
- بئر إبراهيم المعروف في بئر السبع بفلسطين..... ٢٢٧/٢٢٨
- شجرة إبراهيم في الخليل قديماً وحديثاً حيث نصب خيمته أول ما سكن هناك ٢٣٤/٢٣٥
- بئر إبراهيم في الخليل..... ٢٣٥
- الوعاء الحجري الموجود في متحف توب كابي باستنبول والذي يُنسب لسيدنا إبراهيم ٢٣٧
- موضع بئر زمزم بالنسبة للكعبة..... ٢٤٣
- بئر زمزم قديماً وحديثاً..... ٢٤٤-٢٤٦
- ماء زمزم وهو ينبع من بين الصخور..... ٢٤٧

- الصفا والمروة قديماً ٢٤٨
- المسعى قديماً وحديثاً ٢٤٩/٢٥٠
- الجمرات قديماً وحديثاً ٢٥٨-٢٦١
- مجر الكبش بمنى ٢٦٢
- أثر قدمه إبراهيم الخليل مُعَلِّماً على الصخر حيث المقام ٢٧٠
- مقام إبراهيم قديماً وحديثاً ٢٧٠/٢٧١
- المسجد الإبراهيمي في الخليل ٢٧٦
- قبر سيدنا إبراهيم عليه السلام ٢٧٦
- حجر إسماعيل وعمليات الترميم فيه ٢٧٨

سيدنا لوط عليه الصلاة والسلام :

- منظر عام لمنطقة المرآب حيث وقف سيدنا إبراهيم ٢٨٦
- قبر سيدنا لوط عليه السلام ٢٩٢
- الغواصة دلتا التي استخدمت في الكشف عن مدائن لوط تحت البحر الميت ٢٩٥
- صور لقاع البحر الميت وما يظهر فيه من آثار عمرانية وتراكمات ملحية ٢٩٦-٣٠٠
- الآثار العمرانية للمدائن التي ظهرت في المنطقة الساحلية للبحر الميت ٣٠٢-٣٠٤
- الأحجار الكبريتية التي وجدت في منطقة البحر الميت عند الشاطئ والمنحدرات الصخرية ٣٠٥-٣٠٦
- كهف لوط بغور الأردن ٣٠٧

سيدنا إسحاق ويعقوب عليهما الصلاة والسلام :

- قبر سيدنا إسحاق في الخليل داخل المسجد الإبراهيمي ٣١٣
- مغارة يعقوب في مدينة صفد شمال فلسطين ٣١٧/٣١٨

- قبر راحيل أم يوسف في بيت لحم قديماً وحديثاً ٣٢٣-٣٢٥
- قبر يعقوب عليه السلام في الخليل داخل المسجد الإبراهيمي ٣٦٥

سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام :

- مكان مرعى أبناء يعقوب في أرض كنعان ٣٣١
- جُبّ يوسف الذي أُلْقِيَ فيه قديماً وحديثاً ٣٣٢
- قبر سيدنا يوسف قديماً وحديثاً ٣٦٧/٣٦٨
- العدوان الإسرائيلي على قبر يوسف ٣٦٩/٣٧٠
- قبر يوسف من الداخل ٣٧١/٣٧٢
- عمامة سيدنا يوسف المنسوبة إليه في متحف توب كابي باستنبول ٣٧٢

سيدنا أيوب عليه الصلاة والسلام :

- منطقة الحمة الإسرائيلية والأردنية ٣٨٣-٣٨٨

سيدنا ذو الكفل عليه الصلاة والسلام :

- قبر سيدنا ذي الكفل عليه السلام ٤٠٠

سيدنا شعيب عليه الصلاة والسلام :

- مغاير شعيب في منطقة البدع شمال غرب السعودية ٤٠٥-٤٠٦
- قبر سيدنا شعيب عليه السلام ٤١٣/٤١٤

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

تفسير القرآن الكريم :

- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي
- تـفسير الإمام فخر الدين الرازي
- تـفسير البحر
- تـفسير الطبري
- تـفسير ابن كثير
- تـفسير ابن عباس

المتون :

- صحيح مسلم
- صحيح البخاري
- صحيح ابن حبان
- سنن الترمذي
- السنن الكبرىٰ للنسائي
- سنن أبي داود
- سنن ابن ماجة
- سنن البيهقي الكبرىٰ
- سنن أبي يعلىٰ
- سنن الدارمي
- سنن الدارقطني
- مسند أحمد
- الأدب المفرد للبخاري
- الجامع الصغير للسيوطي
- الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي
- شعب الإيمان للبيهقي
- الاعتقاد للبيهقي
- نوادر الأصول في أحاديث الرسول للترمذي
- الآحاد والمثاني للضحاك
- المعجم الصغير للطبراني
- المعجم الأوسط للطبراني
- المعجم الكبير للطبراني
- مسند الشاميين للطبراني
- الأحاديث المختارة للمقدسي

تابع المتون :

- مسند الطيالسي
- مسند البزار
- مسند أبي يعلى
- مسند إسحاق بن راهويه
- مسند أبي عوانة
- مسند عبد بن حميد
- مسند ابن الجعد
- مسند الروياني
- المستدرك على الصحيحين للحاكم
- مصنف ابن أبي شيبة
- مصنف عبدالرزاق
- صحيح ابن خزيمة
- موارد الظمآن للهيثمي
- مجمع الزوائد للهيثمي
- مصباح الزجاجة للكناني
- الجامع لمعمر بن راشد
- شرح معاني الآثار للطحاوي
- جامع العلوم والحكم لأبي الفرج الحنبلي
- اعتقاد أهل السنة لأبي القاسم اللالكائي
- البيان والتعريف لإبراهيم الحسيني
- الترغيب والترهيب لأبي محمد المنذري
- تأويل مختلف الأحاديث لابن قتيبة الدينوريذ
- الأولياء لابن أبي الدنيا
- موطأ مالك

الشروح :

- فتح الباري لابن حجر
- شرح النووي على صحيح مسلم
- شرح سنن ابن ماجة
- شرح البخاري للقسطلاني
- تحفة الأحوذي
- فيض القدير لعبد الرؤوف المناوي
- التمهيد لابن عبد البر

التراجم :

- التاريخ الكبير للبخاري
- لسان الميزان لابن حجر
- تهذيب التهذيب لابن حجر
- الإصابة لابن حجر
- حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني
- تاريخ بغداد للخطيب
- سير أعلام النبلاء للذهبي
- الطبقات الكبرى لابن سعد
- الاستيعاب لابن عبدالبر
- الثقات لابن حبان
- المجروحين لابن حبان
- منهاج الدين للحليمي
- ضعفاء العقيلي
- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي
- الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي
- الكنى والأسماء للقشيري
- تهذيب الكمال لأبي الحجاج المزي
- طبقات المحدثين بأصبهان لابن حيان
- تهذيب الأسماء لابن حزام
- صفوة الصفوة
- وفيات الأعيان
- سياق تاريخ نيسابور لعبد الغافر الإسماعيلي
- المبتدأ لإسحاق بن بشر الكاهلي

العلل والحكم في الحديث :

- كشف الخفاء للعجلوني
- العلل المتناهية لابن الجوزي
- علل ابن أبي حاتم
- المنار المنيف لابن قيم الجوزية

التخريج :

- تلخيص الحبير لابن حجر
- نصب الراية للزيلعي
- الدراية في تخريج أحاديث الهداية
- خلاصة البدر المنير لابن الملقن الأنصاري

مصطلح الحديث :

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع

الفقه وأصوله :

- سبل السلام للأمير الصنعاني
- نيل الأوطار للشوكاني
- المحلى لابن حزم
- الأم للشافعي
- المغني للمقدسي
- الإحكام لابن حزم

السيرة والتاريخ :

- تاريخ الطبري
- نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري
- الكامل لابن الأثير
- سياق تاريخ نيسابور لعبد الغافر الإسماعيلي
- البداية والنهاية لابن كثير
- تاريخ ابن عساكر
- العرائس في قصص الأنبياء
- تاريخ العيني
- ياقوت البيان في قصص القرآن للثعلبي
- تاريخ مصر لابن يونس

الأطلس والمعاجم :

- معجم البلدان لياقوت الحموي
- مختار الصحاح
- معجم الأدباء لياقوت الحموي
- القاموس المحيط
- أطلس تاريخ الأنبياء والرسل لابن المغلوث
- المعجم الوجيز

ومصادر أخرى...



فهرس الموضوعات

الإهداء ٦

السيرة الذاتية للمؤلف ٩

تراجم مَن نقلت غالب روايات هذا الكتاب عنهم : ١٦

- عزالدين بن الأثير ١٦
- أبو إسحاق الثعلبي ١٨
- أبو الحسن الكسائي ٢٠
- كعب الأحبار ٢٤
- وهب بن منبه ٢٩

مقدمة المؤلف ٣٣

مقدمة الكتاب ٣٥

ملحق خرائط يوضح مواطن الأنبياء والرسل المذكورين في القرآن ٤١

سيدنا آدم أبو البشر عليه الصلاة والسلام : ٤٦

- سبب تسميته بآدم وكنيته ٤٧
- خلق أبينا آدم عليه السلام ٤٧
- دخول الروح في جسد آدم عليه السلام ٥٠
- سجود الملائكة لآدم عليه السلام ورفض إبليس ٥١
- خلق أمنا حواء وزواجها من أبينا آدم ٥٣

- العهد والأمانة التي أخذت على آدم وحواء ودخولهما الجنة ٥٤
- خبر إبليس والطاووس والحية والأكل من الشجرة ٥٥
- خروج آدم وحواء من الجنة والطاووس والحية ٦١
- سؤال إبليس لعنه الله تعالى ٦٢
- سؤال آدم عليه السلام ربَّه ٦٣
- سؤال حواء عليها السلام ربَّها ٦٤
- هبوط الجميع إلى الأرض وبكاء آدم عليه السلام ٦٤
- توبة أبينا آدم والكلمات التي تلقاها ٦٩
- بناء آدم عليه السلام للكعبة ٧١
- إخراج الذرية من ظهر أبينا آدم والميثاق الذي أخذ عليهم ٧٢
- اجتماع آدم بحواء وأداؤه النسك ٧٤
- تكليف آدم عليه السلام بعمارة الدنيا والقيام بأعباء الحياة ٧٦
- دور إبليس في تحريض الحيوانات على إيذاء آدم عليه السلام ٧٧
- ذرية أبينا آدم عليه السلام ٧٨
- مبعث آدم عليه السلام إلى أولاده والحروف التي نزلت عليه ٧٩
- قتل قابيل هابيل ٨١
- وفاة آدم عليه السلام ٨٦
- وفاة حواء عليها السلام ٨٧

سيدنا شيث بن آدم عليه الصلاة والسلام : ٨٩
- مولده ٨٩
- وصية آدم لولده شيث ٨٩
- قتال شيث قابيل ٩٠
- مبعث شيث عليه السلام بالرسالة والنبوة ٩١
- وفاة شيث عليه السلام وذكر ولده ٩٢

سيدنا إدريس عليه الصلاة والسلام ورفعه إلى الجنة : ٩٤
- اسمه ومبعثه وبعض من مناقبه ٩٤
- خبر رفع إدريس عليه السلام إلى الجنة ٩٦

سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام ومبعثه إلى قومه : ١٠١
- مولده ونشأته ١٠٢
- مبعثه بالرسالة وتبليغه الدعوة ١٠٥
- عمل السفينة وقصة الطوفان ١٠٧
- انتهاء الطوفان واستقرار السفينة على جبل الجودي ١١٢
- وصية نوح عليه السلام وخبر وفاته ١١٥
- الحقائق التي ذكرها الإنترنت حول سفينة نوح ١١٧

سيدنا هود عليه الصلاة والسلام ومبعثه إلى قومه عاد : ١٢٨
- خصائص قوم عاد ١٢٩
- مولد هودعليه السلام ونشأته ١٣١
- مبعثه بالرسالة وتبليغه الدعوة ١٣٤
- قصة إيمان مرثد ١٣٦
- خبر وفد عاد إلى الحرم يستسقون لهم ١٣٧
- إرسال العذاب على قوم هود ١٣٩
- وفاة هودعليه السلام ١٤٣
- خبر مرثد ولقمان ١٤٣
- خبر (إرم ذات العماد) وقصة شديد وشداد ١٤٤
- خبر الرجل من أهل حضرموت الذي اكتشف حفيرة شداد بن عاد ١٤٩
- الحقائق التي ذكرها الإنترنت حول قوم عاد والمدينة المفقودة ١٥٢

سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام ومبعثه إلى قومه ثمود : ١٥٩
- خصائص قوم ثمود ١٦٠
- مولد صالحعليه السلام ونشأته ١٦٢
- مبعثه بالرسالة وتبليغه الدعوة ١٦٥
- إمهال الله تعالى لثمود ١٦٦
- من معجزات صالحعليه السلام إحياء الموتى وذكره لهم بعض المغيبات ١٦٨

- سؤال ثمود الناقة ١٦٨
- خروج الناقة ١٧٠
- عقر الناقة وهلاك ثمود ١٧١
- وفاة صالح عليه السلام ١٧٧
- الأحاديث الواردة في النهي عن دخول أماكن العذاب ١٧٧
- الحقائق التي عرضها الإنترنت حول مدائن صالح ١٧٨

سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام (مولده ونشأته ومبعثه إلى نمروذ وقومه): ١٩٤
- لمحة تاريخية عن النمروذ ١٩٥
- الآيات والمنامات التي رآها نمروذ قبل مولد إبراهيم عليه السلام ١٩٨
- مولد إبراهيم عليه السلام ونشأته ٢٠٠
- خروج إبراهيم عليه السلام من الغار واستدلاله على وحدانية الله ومحاجته لأبيه وقومه ٢٠٤
- من خوارق العادة التي ظهرت على يد إبراهيم عليه السلام قبل النبوة ٢٠٧
- مبعث إبراهيم عليه السلام بالرسالة وتبليغه الدعوة ٢٠٨
- نمروذ يسأل إبراهيم عليه السلام في إحياء الموتى ٢١٠
- من معجزات إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن ٢١٠
- خبر تكسير إبراهيم الأصنام وإلقائه في النار ٢١٣
- صعود نمروذ إلى السماء ٢٢١
- إرسال البعوض إلى نمروذ وقومه ٢٢٢

سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام (ذكر صفته وهجرته وزواجه من سارة والصحف التي نزلت عليه):..... ٢٢٣

- هجرة إبراهيم عليه السلام وما حصل معه من معجزات..... ٢٢٣
- ذكر صفة إبراهيم عليه السلام..... ٢٣٦
- ذكر بعض مناقب إبراهيم الخليل عليه السلام..... ٢٣٧
- ذكر صفة قصر إبراهيم في الجنة..... ٢٣٨
- الصحف التي نزلت على إبراهيم خليل الرحمن..... ٢٣٨

سيدنا إبراهيم خليل الرحمن وولده إسماعيل والبشارة بإسحاق عليهم الصلاة والسلام :..... ٢٤٠

- ميلاد إسماعيل عليه السلام ونشأته في مكة..... ٢٤١
- وفاة هاجر وزيارة إبراهيم لولده إسماعيل عليهما السلام..... ٢٥١
- بشارة إبراهيم بإسحاق عليهما السلام..... ٢٥٤
- خبر الذبيح وفدائه..... ٢٥٧
- إمامة إبراهيم عليه السلام والكلمات التي اختبره الله بها..... ٢٦٣
- بناء الكعبة ونداء الحج..... ٢٦٦
- الخيل ميراث أبينا إسماعيل عليه السلام..... ٢٧٣
- وفاة سارة زوجة إبراهيم عليه السلام..... ٢٧٣
- ذكر أولاد إبراهيم عليه السلام..... ٢٧٤
- وفاة إبراهيم عليه السلام..... ٢٧٥

- ذكر أولاد إسماعيل عليه السلام ومبعثه ووفاته ٢٧٨

سيدنا لوط عليه الصلاة والسلام ومبعثه إلى أهل المدائن : ٢٨٠

- ذِكْر مدائن لوط ٢٨١
- نسب لوط عليه السلام ومرافقته لإبراهيم الخليل ٢٨٢
- مبعث لوط عليه السلام بالرسالة وتبليغه الدعوة ٢٨٤
- نزول العذاب على قوم لوط وقَلْب المدائن ٢٨٥
- وفاة لوط عليه السلام ٢٩١
- حُكْم مَن فَعَل فِعْلَ قوم لوط ٢٩٣
- الحقائق التي ذكرها الإنترنت حول مدائن لوط ٢٩٤

سيدنا إسحاق ويعقوب عليهما الصلاة والسلام : ٣١٠

- مولد إسحاق عليه السلام ونشأته ومبعثه ٣١٠
- مولد يعقوب عليه السلام ٣١٢
- وفاة إسحاق عليه السلام ٣١٢
- رحيل يعقوب إلى حرّان وزواجه هناك وذِكْر أولاده ٣١٣
- مبعث يعقوب عليه السلام وقتاله مع أخيه العيص ٣١٤
- دخول يعقوب عليه السلام أرض كنعان وتبليغه الدعوة ٣١٥
- روايات أخرى ذكرها المؤرخون حول سيدنا يعقوب وإسحاق ٣١٨

سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام : ٣٢٦
- مولده ونشأته ٣٢٧
- رؤيا يوسف عليه السلام وإلقاؤه في الجُبّ ٣٢٨
- رجوع إخوة يوسف إلى يعقوب عليه السلام ٣٣٢
- كلام الذئب بين يدي يعقوب عليه السلام ٣٣٣
- خروج يوسف عليه السلام من الجُبّ وبيعه من مالك بن دُعْر ٣٣٣
- بيع يوسف عليه السلام من عزيز مصر ٣٣٤
- خبر زليخا امرأة العزيز ومراودتها ليوسف عن نفسه ٣٣٦
- خبر النسوة اللاتي قطّعن أيديهن ٣٤١
- دخول يوسف عليه السلام السجن ٣٤٣
- إلهام يوسف عليه السلام تعبير الرؤيا ومبعثه ٣٤٣
- قصة يوسف عليه السلام مع ساقي الملك والخبّاز ٣٤٥
- رؤيا الملك وتعبيرها وما كان من أمر يوسف عليه السلام وولايته ٣٤٨
- حاجة زليخا إلى الطعام وزواج يوسف عليه السلام بها ٣٥١
- القحط يصل بلاد كنعان ٣٥٤
- دخول إخوة يوسف عليه في المرة الأولى ٣٥٤
- دخول إخوة يوسف عليه في المرة الثانية ٣٥٦
- دخول إخوة يوسف عليه في المرة الثالثة ٣٦٠
- خبر حديث الصواع ولقاء يوسف مع أبيه ٣٦٠

– وفاة يعقوب عليه السلام ووصيته لبنيه ٣٦٤
– دعوة يوسف عليه السلام وارتحاله عن بلد الريّان ٣٦٦
– وفاة يوسف عليه السلام ٣٦٦

سيدنا أيوب عليه الصلاة والسلام وما كان من شدة ابتلائه وصبره : ٣٧٣
– نسبه ٣٧٣
– جانب من حياته وما أنعم الله عليه من خيرات وبركات ٣٧٣
– قصة ابتلائه وشدة صبره ٣٧٦
– كشف الضر عن سيدنا أيوب عليه السلام ٣٨١
– وفاة أيوب عليه السلام وزوجته رحمة ٣٩٣

سيدنا ذو الكفل عليه الصلاة والسلام : ٣٩٦
– ذِكْرُ نسبه وما ورد في سبب تسميته بذي الكفل ٣٩٦
– وفاة ذي الكفل عليه السلام ٣٩٩

سيدنا شعيب عليه الصلاة والسلام ومبعثه إلى قومه أهل مدين والأيكة : ٤٠١
– خصائص قوم مدين ٤٠٣
– نسب شعيب عليه السلام ٤٠٦
– مولده ونشأته ٤٠٧
– مبعثه بالرسالة وتبليغه الدعوة ٤٠٩
– نزول العذاب على قوم مدين ٤١١

- خبر عذاب يوم الظلة..... ٤١٢
- وفاة سيدنا شعيب عليه السلام..... ٤١٣

الفهارس العامة للكتاب :..... ٤١٦
- فهرس الآيات القرآنية..... ٤١٧
- فهرس الأحاديث الشريفة والأخبار..... ٤٣٧
- فهرس الخرائط والصور..... ٤٤٣
- فهرس المصادر والمراجع..... ٤٤٩
- فهرس الموضوعات..... ٤٥٣

